مكتبة الأوقاف الكويتية

مخطوطة

طريق الهجرتين وباب السعادتين

المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

كتاب تحريم الهجرتين وطريق
باب السعادتين لابن القيم
رحمه الله تعالى

[redacted]

وهذا خير ملكته غرة
ربيع الأول سنة ١٣٤٤

خ ٥٢
مكتبة الأوقاف المكية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا العالم الرباني خادم السنة وامامها في عصره
باعيان حقايقها والدعوة اليها ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابي
بن ايوب ابن سعد الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية رحم
ورضي عنه ونفع بعلمه وبركته الذي نصب الا
على ربوبيته ووحدانيته حجا وجعل العقول والابد
تحد الى تكميله منهجا واوجب الفوز بالنجاة لمن شهد
لوحدانيته شهادة لم يبغ لها عوجا وجعل لمن لاذ به و
من كل ضائقة مخرجا واعقب من ضيق الشدائد وضنك الد
لمن توكل عليه فرجا وجعل قلوب اوليائه متعلقة
من الصبر والتوكل والانابة والتفويض والمحبة والخوف و
فسبحان من افاض على خلقه النعم وكتب على نفسه الرحمة و
الكتاب الذي كتب ان رحمته تغلب غضبه اسبغ على
الغوادي والنواشئ وسخر لهم البر والبحر والشمس والقمر والليل
والعيون والانهار والضياء والظلام وارسل اليهم رسله وانزل
كتبه يدعوهم الى جواره في دار السلام ممن يرد الله ان
يشرح صدره للاسلام ومن يريد ان يضله يجعل صدره
حرجا فسبحان من انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوج
لمن ايتم به فاحل حلاله وحرم حرامه وعمل محكمه وآمن
في مراقي السعادة درجا ووضع من اعرض عنه ولم يو
ونبذ وراء ظهره وابتغى الهدى من غيره فجعل

الألوكة
www.alukah.net

ستوجبا فانه الذكر الحكيم والصراط المستقيم و العظيم وحبل الله
المتين المؤيد بينه وبين خلقه وعهده الذي من استمسك به فاز ونجا
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا سمي ولا كفو له ولا صاحبة
له ولا ولد ولا شبيه له ولا يحصي احد ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه
وفوق ما يثني عليه خلقه شهادة من اصبح قلبه بالايمان بالله وا
سمائه وصفاته مبتهجا ولم يزغ عنه ان شبه الجاحدين المعطلين
معرجا واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وامينه
على وحيه وسفيره بينه وبين عباده ارسله الله رحمة للعالمين وقدوة
للعاملين وحجة للسالكين ومحجة على العباد اجمعين ارسله على حين
فترة من الرسل فهدى به الى اقوم الطرق واوضح السبل وافترض
على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه
وسد الى جنته جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه فشرح له صدره
ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار
من خالف امره فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة
به بعد القلة واغنى به بعد الذلة واغنى به بعد العيل
به من العمى وارشد به من الغي وفتح برسالته اعينا
صما وقلوبا غلفا فبلغ الرسالة وادى الامانة و
في الله حق جهاده وعبد الله حتى اتاه اليقين
دل امته عليه ولا شر الا حذرهم منه ونهى عن سلوك
ففتح القلوب بالايمان والقرآن وجاهد
ساك فدعى الى الله على بصيرة وسار في الامة

وخلقه العظيم احسن سير الى ان اشرقت بوسالته الارض بعد ظلمائها
وتآلفت بها القلوب بعد شتاتها وسارت دعوته سير الشمس الاقطار
وبلغ دينه القيم مابلغ الليل والنهار واستجابت القلوب لدعوته الحق طوعا
واذعانا وامتلأت بعد خوفها وكفرها امنا وايمانا فجزاه الله عنا امته
افضل الجزاء وصلى عليه صلاة تملأ اقطار الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

فان الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب
من اختارهم من بريته واخصهم بنعته وفضلهم على سائر خليقته
فهي كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين
باذن ربها فكذلك شجرة الايمان اصلها ثابت في القلب وفروعها
واكلها الطيب والعمل الصالح في السماء فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل
وقت باذن ربها من طيب القول وصالح العمل ما تقر به عيون اصحاب
الاصل وعيون حفظته وعيون اهله واصحابه ومن قرب منه فان من
قرت عينه بالله سبحانه قرت به كل عين واس به كل مستوحش وطاب
به كل خبيث وفرح به كل حزين وامن به كل خايف وشهد به كل غايب
وذكرت ربه بالله فاذا رآه ذكر الله فاطمأن قلبه الى الله وسكنت
نفسه الى الله وخلصت محبته لله وقصر خوفه من الله وجعل رجاءه
كله لله فان سمع سمع بالله وان ابصر ابصر بالله وان بطش بطش
بالله وان مشى مشى بالله فبه يسمع وبه يبطش وبه يمشي فاذا احب فلله
واذا ابغض فلله واذا اعطى فلله واذا منع فلله اتخذ الله وحده
معبوده ومحبوبه ومخوفه ورجاءه وغاية قصده ومنتهى طلبه واتخذ
رسوله وحده دليله وامامه وقايده وسابقه فوحد الله بعبادته

ومحبته

ومحبته وخوفه ورجائه وافرد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق
باخلاقه والتأدب بآدابه فله في كل وقت هجرتان هجرة الى الله با
لطلب والمحبة والعبودية والتوكل والانابة والتسليم والتفويض
والخوف والرجاء والاقبال عليه وصدق اللجاء والافتقار في كل نفس اليه
وهجرة الى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون
موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته ولا يقبل الله
من احد دينا سواه وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد
وقد قال شيخ الطريقة وامام الطايفة الجنيد ابن محمد قدس الله روحه
الطرق كلها مسدودة الا طريق من اقتفى اثار النبي صلى الله عليه وسلم
فان عز وجل يقول وعزتي وجلالي لو اتوني من كل طريق واستفتحوا
بي من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا طريقك وقال بعض العارفين
كل عمل لا متابعة فهو عيش النفس ولما كانت السعادة دائرة نفيا
واثباتا مع ما جاء به كان جديرا بمن نصح نفسه ان يجعل لحظات عمره وقفا
على معرفته وارادته مقصورة على محابه وهذه اعلى همة تشرئب اليها السا
بقون وتتنافس فيها المتنافسون فلاجرم ضمنا هذا الكتاب قواعد
من سلوك الهجرة المحمدية وسميناه طريق الهجرتين وباب السعادتين
والله الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

باب الفقر والعبودية اذ هو باب السعادة الاعظم وطريقها الاقوم الذي لا سبيل الى دخولها الا منه وختمناه بذكر طبقات
المكلفين من الجن والانس في الدنيا والاخرة وسراتهم في دار السعادة
والشقاء فجاء الكتاب غريبا في معناه عجيبا في مغزاه لكل قوم منه
نصيب ولكل وارد منه شرب وما كان فيه من حق وصواب فمن الله هو

www.alukah.net

المان به فانما التوفيق بيده وما كان عنده من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان
والله ورسوله منه بريء فيا ايها القاري له والناظر فيه هذه بضاعة صاحبها
المزجاة مسوقة اليك وهذا فهمه وعقله معروض عليك لك غنمه وعلى
مولفه غرمه فلك ثمرته وعليه عائدته فان عدم منك حمدا وشكرا لا عدم
منك عذرا وان ابيت الا الملام فبابه مفتوح وقد استاثر الله بالثناء والحمد
وولى الملامة الرجلا والذي المسؤول ان يجعله لوجهه خالصا وينفع به
مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والاخرة انه سميع الدعاء واهل الرجاء
وهو حسبنا ونعم الوكيل فصل قال الله سبحانه وتعالى يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد بين سبحانه في هذه
الاية ان فقر العباد اليه امر ذاتي لهم لا ينفك عنهم كما ان
كونه غنيا حميدا امر ذاتي له فغناه وحمده ثابت له لذاته لا
لامر اوجبه وفقر من سواه امر ثابت له لذاته لا لامر اوجبه فلا
يعلل هذا الفقر بحدوث ولا امكان بل هو ذاتي للفقير لحاجة العبد الى
ربه لذاته لا لعلة اوجبت تلك الحاجة كما ان غنى الرب سبحانه لذاته
لا لامر اوجب غناه كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية والفقر الى وصف
ذاتي لازم ابدا كما ان الغنى وصف له ذاتي فالخلق فقير محتاج الى ربه بالذات
فهو لا لعلة وكل ما يذكر ويقدر من اسباب الفقر والحاجة فهي ادلة على الفقر والحاجة
لا على ذلك اذ ما بالذات لا يعلل فالفقير لذاته محتاج الى الغني بذاته
فما يذكر من امكان وحدوث واحتياج فهي ادلة على الفقر لا اسباب له ولهذا
كان الصواب في مسلك علة احتياج العالم الى الرب سبحانه غير القولين
الذين يذكرهما الفلاسفة والمتكلمون فان الفلاسفة قالوا علة الحاجة

الامكان والمتكلمون قالوا علة الحاجة الحدوث والصواب ان الامكان والحدوث
متلازمان وكلاهما دليل الحاجة والافتقار وفقر العالم الى الله سبحانه امر ذاتي
لا يعلل فهو فقير بذاته الى ربه تعالى ربه الغني بذاته ثم يستدل بامكانه وحدوثه
وغير ذلك من الادلة على هذا الفقر والمقصود ان الله سبحانه اخبر عن حقيقة
العباد وذواتهم بانها فقيرة اليه سبحانه كما اخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته
انه غني حميد فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقا يقوم من حيث هي
والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل
ان يكون العبد الا فقيرا ويستحيل ان يكون الرب سبحانه الا غنيا كما انه
يستحيل ان يكون العبد الا عبدا والرب الا ربا اذا عرفت هذا فالفقر فقران
فقر اضطرار وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه وهذا الفقر لا يقتضي
مدحا ولا ذما ولا ثوابا ولا عقابا بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقا ومصنوعا
والفقر الثاني فقر اختياري هو نتيجة علمين شريفين احدهما معرفة
العبد بربه والثاني معرفته بنفسه ومتى حصلت له هاتان المعرفتان
انتجتا الفقر هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته وتفاوت الناس
في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين فمن عرف ربه بالغنى
المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف
نفسه بالعجز التام ومن عرف ربه بالغنى التام عرف نفسه بالمسكنة التامة
ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل فالله سبحانه اخرج
العبد من بطن امه لا يعرف شيئا ولا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ولا يقدر
على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة فكان فقره في تلك الحال الى
الى ما له بحاله امر مشهود محسوس لكل احد ومعلوم ان هذا هو من لوازم
ذاته وما بالذات دايم بدوامها وهو لم ينتقل من هذه المرتبة الى رتبة الربوبية

www.alukah.net

والغنى بل لم يزل عبدا فقيرا لذاته الى باريه وفاطره فلما اسبغ عليه نعمته و
افاض عليه فضله وساق اليه اسباب كماله وجوده ظاهرا وباطنا وخلع
عليه ملابس انعامه وجعل له السمع والبصر والفؤاد وعلمه واقدره و
صوره وحركه ومكنه من استخدام بني جنسه وسخر له الجمل والابل وسلطه
على دواب الماء واستنزال الطير من الهوى وقهر الوحش العادية وخزن
الانهار وغرس الاشجار وشق الارض وتعليه البنا والتخل على
مصالحه والتحرز والتحفظ مما يؤذيه ظن المسكين انه بعضيا من الملك
وادعى لنفسه ملكا مع الله سبحانه ورأى نفسه بغير تلك العين الاولى و
شتان ما كان في حاله الاعدام والفقر والحاجة حتى كأنه لم يكن هو ذاك الفقير
والمحتاج بل كان ذلك شخصا اخر غيره كما روى الامام احمد في مسنده من
حديث بشر ابن الحارث القرشي ان رسول الله بصق يوما في كفه فوضع
عليها اصبعه ثم قال الله تعالى بني آدم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه
حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين والارض منكر لي فجمعت
ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة
وبي وهنا خذل من خذل ووفق من وفق فجحت المخذول عن حقيقته
ورأى نفسه غنيا فقيرا وحاجته وضرورته الى ربه فطغى وبغى وعلى
فحقت عليه الشقوة قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
وقال فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فاكمل الخلق اكملهم عبودية
واعظمهم شهودا لفقره وضرورته وحاجته الى ربه وعدم اصله
استغنائه عنه طرفة عين ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم
اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى احد من خلقك

وكان يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فعلم صلى الله عليه وسلم ان قلبه
بيد الرحمن عز وجل لا يملك هو نفسه شيئا وانما الله سبحانه يصرفه كما يشاء
وهو يتلو قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
فقصر ورثته صلى الله عليه وسلم الى ربهم وفاقته اليه بحسب معرفته بهم وقربه
منه ومنزلته عنده وهذا امر انما هو لمن بعده ما يرتقي من ظاهر الوعا
ولهذا كان اقرب الخلق الى الله وسيلة واعظمهم عنده جاها وارفعهم
عنده منزلة لتكميله مقام العبودية والفقر الى ربه وكان يقول
لهم ايها الناس ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي انما انا عبد وكان يقول
لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وذكر الله سبحانه وتعالى بسمة العبودية في اشرف
مقاماته مقام الاسرى ومقام الدعوة ومقام التحدي فقال سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا وقال انه لما قام عبد الله يدعوه كادوا ان
يكونوا في ربه مما نزلنا على عبدنا وفي حديث الشفاعة ان المسيح يقول
لهم اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فنال
ذلك المقام بكمال عبوديته لله وبكمال مغفرة الله له فتامل
قوله تعالى في الاية انتم الفقراء الى الله فعلق الفقر اليه باسم الله دون
اسم الربوبية ليوذن بنوعي الفقر فانه كما تقدم نوعان فقر الى
ربوبيته وهو فقر المخلوقات باسرها وفقر الى الوهيته وهو فقر العبيد اليه
ورسله وعباده الصالحين وهذا هو الفقر النافع والذي يشير اليه القوم
ويتكلمون عليه ويشيرون اليه هو الفقر الخاص لا العام وقد اختلفت
عبارات القوم عنه ووصفهم له وكل اخبر عنه بقدر ذوقه وقدر ته
على التعبير قال شيخ الاسلام الانصاري الفقر اسم للبراة من رويه الملك

وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى فقر الزهاد وهو نفض اليدين
من الدنيا ضبطا او طلبا واسكات اللسان عنها ذما او مدحا والسلامة
منها طلبا او تركا وهذا هو الفقر الذى تكلمنا فى شرفه الدرجة الثانية
الرجوع الى السبق بمطالعة الفضل وهو بحوث الخلاص من رويه الاعمال
وبقطع شهود الاحوال ويخلص من ادناس مطالعات المقامات و
الدرجة الثالثة صحة الاضطرار والوقوع فى يد التقطع الوجدانى والا
حتباس فى قيد التجريد وهذا فقر الصوفية فقوله الفقر اسم للبراءة من رق
الملك يعنى ان الفقير هو الذى تجرد رويه الملك لما كان الحق فيرى
نفسه مملوكا لله لا يرى نفسه مالكا بوجه من الوجوه ويرى اعماله
مستحقة عليه بمقتضى كونه مملوكا عبدا مستعملا فيما امره به سيده فنفسه
مملوكه واعماله مستحقة بموجب العبودية فليس مالكا لنفسه ولا لشئ من
ذراته ولا لشئ من اعماله بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه كرجل اشترى عبدا
بخالص ماله ثم علمه بعض الصنايع فما تقلها قال له اعمل واد الى فليس
لك فى نفسك ولا فى شئ منها فلو حصل بيد هذا العبد من الاموال والاسباب
ما حصل لم يرله فيها شيا بل يراه كالوديعة فى يده وانها اموال اسياده
وخزائنه وهو بين مستودع ما متصرف فيها لسيده لا لنفسه كما قال
عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه والله انى لا اعطى احدا ولا امنع احدا
وانما انا قاسم اضع حيث امرت فهو متصرف فى تلك الخزائن بالامر المحض
تصرف العبد المحض الذى وظيفته تنفيذ اوامر سيده فالله هو الملك الحق
وكل ما بيد خلقه هو من امواله واملاكه وخزائنه اقامها عليهم ليمتحنهم
فى البذل والامساك وهل يكون ذلك الا مع شاهد العبودية لله عز وجل

فيبذل

فيبذل احد نعم الشئ رغبة فى ثواب الله ورهبة من عقابه وتقربا اليه وطلبا
لمرضاته ام يكون البذل والامساك منهم صادرا عن مراد النفس وغلبة
الهوى وموجب الطبع فيعطى لهواه ويمنع لهواه فيكون متصرفا تصرف
المالك لا المملوك فيكون مصدر تصرف الهوى ومراد النفس وغايته
الرغبة فيما عند الخلق من جاه او رفعة او منزلة او مدح او حظ من الحظوظ او
الرهبة من فوت شيا من هذه الاشياء واذا كان مصدر تصرف الهوى
ومراد النفس وغاية الرغبة فيما عند الخلق والرهبة راى نفسه لا محالة
مالكا فادعى الملك وخرج عن حد العبودية ونسى فقره ولو عرف نفسه
حق المعرفة لعلم انما هو مملوك ممتحن فى صورة ملك متصرف كما قال
تعالى ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون
وحقيق بهذا الممتحن ان يوكل الى ما ادعته نفسه من الحالات و
الملكات مع المالك الحق سبحانه فان من ادعى لنفسه حالة مع الله سبحانه
وكل اليها ومن وكل الى شئ غير الله فقد فتح له باب الهلاك والعطب واغلق
عنه باب الفوز والسعادة فان كل شئ ما سوى الله باطل ومن وكل الى الباطل
بطل عمله وضل سعيه ولم يحصل الا على الخسران فكل من تعلق بغير الله
انقطع به احوج ما كان اليه كما قال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب فالاسباب التى تقطعت بهم هى العلايق التى بغير الله
ولغير الله تقطعت بهم احوج ما كانوا اليها وذلك لان تلك العلايق انما
اضمحلت وبطلت اضمحلت اسبابها وبطلت فان الاسباب تنطلى ببطلان
غاياتها وتضمحل باضمحلالها وكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وكل عمل باطل
الا ما اريد به وجهه وكل سعى لغيره باطل ومضمحل وهذا انما شاهده الناس
فى الدنيا من اضمحلال السعى والعمل والكد والخدمة التى يفعلها العبد لمتولى

مصدر
هو هذه

او اميرا وصاحب منصب اومال فاذا زال ذلك الذى عمل له عدم ذلك العمل وبطل
ذلك السعى ولم يبق فى يديه سوى الخران ولهذا يقول الله تعالى يوم القيمه
اليس عدلا منى ان اولى كل رجل منكم ما يتولى فى الدنيا فيتولى عباد الاصنام و
الاوثان اصنامهم واوثانهم فتتساقط بهم فى النار ويتولى عباد الشمس
والقمر والنجوم الهتهم فاذا كورت الشمس وانتثرت النجوم اضمحلت تلك العباده
وبطلت وصارت حسرة عليهم كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
وما هم بخارجين من النار ولهذا كان المشرك من احسر الناس صفقة واعظمهم
يوم معاده لانه يحال على مفلس كل الافلاس بل على عدم والموحد حوالته
على الملى الكريم فيما بعد ما بين الحوالتين وقوله البراه من رويه الملك ولم
يقل من الملك لان الانسان قد يكون فقير الا ملك له فى الظاهر وهو غنى
عن التحقيق بنعت الفقر لممدوح اهله الذين لا يرون ملكا الا مالكها
الحق ذى الملك والملكوت وقد يكون العبد قد فوض اليه من ذلك شئ وجعل
كالخازن فيه كما كان سليمان ابن داود اوتى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده
وكذلك الخليل وشعيب والانبياء من الابتداء وكذلك اغنياء الصحابه فهؤلاء لم
يكونوا برئين من الملك فى الظاهر وهم برئون من رويه الملك لنفوسهم
فلا يرون لها ملكا حقيقيا بل يرون ما فى ايديهم لله عاريه ووديعه فى ايديهم
ابتلاهم به لينظر هل يتصرفون فيه تصرف العبيد او تصرف الملاك الذين يعطون
لهواهم ويمنعون لهواهم فوجود المال فى يد الفقير لا يقدح فى فقره وانما يقدح
فى فقره رؤيته لملكه فمن عوفى من رويه الملك لم يتلوث باطنه باوساخ
المال ونعيمه وتدبيره واختياره وكان كالخازن لسيده الذى يتفقد اوامره
فى ماله فهذا لو كان بيده من المال امثال جبال الدنيا لم يضره ومن لم

يعاف من ذلك ادعت نفسه الملك وتعلقت به النفس تعلقها بالشئ
المحبوب المعشوق فهو اكبر همه ومبلغ ان اعطى رضى وان منع سخط
فهو عبد الدينار والدرهم يصبح مهموما ومسى كذلك يبيت مضاجعا له ٧٠
تفرح نفسه اذا ازداد ويحزن ويتاسف اذا فات منه شئ بل يكاد يتلف
اذا توهمت نفسه الفقر فقد يوثر الموت على الفقر والاولياء مستغنون بالاول
المالك الحق الذى بيده خزائن السموات والارض واذا اصاب المال الذى
فى يده نائبه راى ان المالك الحق هو الذى اصاب مال نفسه فما للعبد وما للخزنه
والضلع وانما تصرف مالك المال فى ملكه الذى هو وديعه فى يد مملوكه فله الحكم
فى ماله ان شاء ابقاه وان شاء ذهب به وافناه فلا يتهم مولاه فى تصرفه
فى ملكه ويرى تدبيره هو موجب الحكمه فليس لقلبه بالمال تعلق ولا له به الت
لصعوده عنه وارتفاع همته الى المالك الحق فهو غنى به وبحبه ومعرفته و
قربه منه عن كل ما سواه وهو فقير اليه دون ما سواه فهذا هو البرى عن
رويه الملك الموجبه للطغيان كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى ولم يقل ان استغنى بل جعل الطغيان ناشئا عن رويه غنى نفسه
ولم يذكر هذه الرويه فى سوره الليل بل قال واما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى وهذا والله اعلم لانه ذكر موجب طغيانه
وهو رويه غنى نفسه وذكر فى سوره الليل موجب هلاكه وعدم تيسره
لليسرى وهو استغناؤه عن ربه بترك طاعته وعبوديته فانه لو افتقر
اليه لتعرف اليه باوامره من طاعته فعل المملوك الذى لا غنى له عن مولاه
معرفه عين ولا بد من امتثال اوامره ولذلك ذكر معه بخله وهو
تركه اعطاء ما وجب عليه من الاقوال والاعمال واداء المال وجمع الى ذلك

الألوكة
www.alukah.net

تكذيبه بالحسنى وهى التى وعدبها اهل الاحسان بقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة ومن فسرها بشهادة ان لا اله الا الله فلا يفى اصل
الاحسان وبها تنال الحسنى ومن فسرها بالخلف فى الانفاق فقد
هضم الحق المعنى حقه وهو اكبر من ذلك وان كان فى الخلف جزأ من
اجزاء الحسنى والمقصود ان الاستغناء عن الله سبب هلاك العبد
ونسيانه لكل عسرى وروبته على نفسه سبب طغيانه وكلاهما مانع
للفقر والعبودية قوله الدرجة الاولى فقر الزهاد هو نفض اليدين
من الدنيا ضبطا او طلبا او تركا وهذا هو الفقر الذى تكلمنا فى شرفه فحاصل
هذه الدرجة فراغ اليد والقلب من الدنيا والذهول عن الفقر منها و
الزهد فيها وعلامة فراغ اليد نفض اليدين من الدنيا ضبطا او
طلبا فهو لا يضبط يدا مع وجودها شحا وضنا بها ولا يطلبها
مع فقدها سؤالا والحاحا وحرصا فهذه الاعراض والنفض دال
على سقوطها منزلتها من القلب اذ لو كانا فى القلب منزلة لكان الامر
بضد ذلك وكان يكون حاله الضبط مع الوجود لغناه بها والكان
يطلبها مع فقدها لفقره اليها وايضا من افسد الفراغ اشتغال
اللسان عنها ذما ومدحا لان من اهتم بامر وكان له فى قلبه موقع
اشتغل اللسان بما فاض على القلب من امره مدحا او ذما فانه ان
حصلت له مدحها وان فاتته ذمها ومدحها وذمها علامة موضعها
من القلب وخطرها فحيث اشتغل اللسان بذمها كان ذلك لخطرها
فى القلب لان الشئ انما يذم على قدر الاهتمام به والاعتناء شفاء الغيظ
منه بالذم وكذلك تعظيم الزهد فيها انما هو على قدر خطرها فى القلب اذ

لولا

لولا خطرها وقدرها لما صار للزهد فيها خطر وكذلك مدحها دليل على
خطرها وموقعها من قلبه فان من احب شيأ اكثر من ذكره وصاحب
هذه الدرجة لا يضبطها مع وجودها ولا يطلبها مع عدمها ولا يفيض
من قلبه على لسانه مدح لها ولا على مجتنبها ولا يفيض من القلب على اللسان
ذم لها على موقعها وخطرها فان الشئ اذا اصغر اعرض القلب عنه مدحا
او ذما وكذلك صاحب هذه الدرجة فان عين النظر الى تركها وهو
الذى تقدم من ذكر خطر الزهد فيها ان نظر العبد الى كونه تاركا
لها زاهدا فيها تشرف نفسه بالترك وتلذذ به دليل على شغله بها و
لو على وجه الترك وذلك من خطرها وقدرها ولو صغرت فى القلب
لصغر تركها والزهد فيها ولو اهم القلب بهم من المهمات المطلوبة
التى هى غايات اهل القلوب والارواح لذهل عن النظر الى نفسه بالزهد
والترك فصاحب هذه الدرجة معافى من كل الامراض كلها من مرض
الضبط والطلب والذم والمدح والترك حتى باسرها وان كان بعضها
ممدوحا فى العلم مقصودا يستحق المتحقق به الثواب والمدح لكنها
اثار واشكال مشعرة بان صاحبها لم يذق حال الحلو والتجريد الباطن
فضلا عن ان يتحقق من الحقايق المتوقعة المتنافس فيها فصاحب
هذه الدرجة متوسط بين درجتى الداخل بكليته والدنيا قد تركى اليها و
اطمأن اليها واتخذها وطنا وجعلها له مسكنا وبين من نفضها بالكلية
من قلبه ولسانه وتخلص من قيودها وروعوناتها واثارها وانتقل الى
ما سبى القلب ويحييه ويفرحه ويسعده من جذبا العزة فهو فى البرزخ
كالحامل المقرب ينتظر ولادة الروح والقلب صباحا ومساءا فان من
لم تولد روحه وقلبه وتخرج من مضيق نفسه ويتخلص من ظلمات طبعه

وهواه وارادته فهو كالجنين في بطن امه الذي لم ير الدنيا وما فيها فهكذا
هذا الذي هو بعد في مشيمة النفس وظلمات الثلاث الذي هي ظلمة
النفس وظلمة الطبع وظلمة الهوى فلا بد من الولادة مرتين كما قال
المسيح للحواريين انكم لن تلجوا ملكوت السماوات حتى تولدوا مرتين
وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اباً للمؤمنين كما في قراءة ابي النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم ولهذا تفرع على هذه الابوة ان جعلت
ازواجه امهاتهم فان ارواحهم وقلوبهم ولدت به ولادة اخرى غير
ولادة الامهات فانه اخرج ارواحهم وقلوبهم من ظلمات الجهل و
الضلال والغي الى نور العلم والايمان وفضاء المعرفة والتوحيد فشاهدت
حقايق امور لم تكن لها بها شعور كما قال الله تعالى الركتاب
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وقال
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقال لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمقصود
ان القلوب في هذه الولادة ثلاثة قلب لم يولد ولم يأذن له بل هو جنين
في بطن الشهوات والغي والجهل والضلال وقلب قد ولد وخرج الى فضاء
التوحيد والمعرفة وتخلص من مشيمة الطبع وظلمات النفس والهوى فقرت
عينه بالله وقرت عيون به وقلوب وانست بقربه الارواح وذكرت رؤيته
بالله واطمأنت بالله وسكن اليه وعكف بهمته عليه وساوت همته
وعزائمه الى الرفيق الاعلى لا يقف شيء غير الله ولا يسكن الى شيء سواه

والا يطمئن بغيره تجد من دون كل شيء الله سوى الله عوضا ولا تجد من الله
عوضا ابدا فذكره حيوة قلبه ورضاه نهاية مطلبه ومحبته قوته ومعرفته
انيسه وهربه من جذب قلبه عن الله وان كان القريب الصافي وليه
من رده الى الله وجمع قلبه عليه وان كان البعيد الملاوي بحذاء قلبان من
شيطان غاية التباين وقلب ثالث في البرزخ ينتظر الولادة صباحا
ومساء قد اشرف على فضاء التجريد وانس من خلال الديار اشعة التوحيد
يابى غلبان الحب والشوق الا تقربا الى من السعادة كلها في قربه والحظ
كل الحظ في طلعة وجهه وتابى غلبات الطبع الا جذبه واثاقله ونعوته
نحو من الداعيين تارة وتارة قد قطع عقبات وافات وبقي عليه
مفاوز وفلوات والمقصود ان صاحب هذا المقام اذا تحقق به
ظاهرا وباطنا وسلم عن نظر نفسه الى مقامه واشتغاله به ووقوفه
عنده فهو فقير حقيقي ليس فيه قادح من القوادح التي تحط عن
درجة الفقر واعلم ان لحسن اعجاب اللسان في ذم الدنيا في موضعين
احدهما في موضع الزهد فيها للراغب والثاني عند ما يرجع به
داعي الطبع والنفس الى طلبها والاياس من اجابة الداعي فتسخط في
نفسه قلة وفائها وكثرة خبائثها وخسة نقائصها فانه ان تم عقله
وحضر رشده زهد فيها ولا بد فصل وقوله الدرجة الثانية
الرجوع الى السبق بمطالعة الفضل وهو يورث الخلاص من
رؤية الاعمال ويقطع شهود الاحوال ويمحص من ادناس مطالعات
المقامات فهذه الدرجة ارفع من الاولى واعلى والاولى كالوسيلة
اليها لان في الدرجة الاولى يتخلى بقلبه عن ان يناله غير مولاه الحق

الألوكة
www.alukah.net

وان يضيع انفاسه في غير مرضاته وان يغرق همومه في غير محابه وان يوثر عليه
غيره في حال من الاحوال فيوجب له هذا الخلق وهذه المعاملة صفاء
العبودية وعمارة السر بينه وبين الله وخلوص الود والحب فيصبح وتمسي ولا
هم له غير ربه قد قطع همه بربه عند جميع الهموم وعطلت ارادته جميع الارادات
ونسخت محبته من قلبه كل محبة لسواه كما قيل لعمر كان يسعى الغواني كل الليلة عاذلي لا تسعو
يهيم بهذا ثم يألف غيره ويسلوه من فوره حين يصبح
وقد كان قلبي ضايقا قبل حبكم فكان بحب الخلق يلهو ويمرح
فلما دعى قلبي هواك اجابه فلست اراه غير ما انت تبرح
حرمت مناي منك ان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شيء في الوجود سواكم يقر به القلب المعذب يبرح
وان لعبت اهوى بحبك فلس لذ عن بابك متزحزح
فان ادلتني عنه عن دياركم فحبكم بين الحشا ليس يبرح
وكم مشتغ في الخلق قد سام قلبه فلم ير الا الحب يصلح
هوى غيركم نار تلظى ومحسن وحبكم الفردوس لا هو افسح
فيا ضيعة قلب قد تعلق غيركم ويا حسرتا مما يحول ويكدح
والله سبحانه لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيتقدر ما يدخل القلب من هم
وارادة وحب تخرج منه هم وارادة وحب يقابله فهو اناء واحد والاشراب
متعدده فاي شراب ملاه لم يبق فيه موضع لغيره وانما يتملى الاناء بما على
الاشربة اذا صادفه خاليا فاما اذا صادفه متملئا من غيره لم يسكنه حتى
يخرج ما فيه ثم يسكن موضعه كما قال بعضهم اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا فيقول صاحب هذه الدرجة تفريغ اناه من كل شراب

مسكر

مسكر وكل شراب غير شراب المحبة والمعرفة فمسكر ولابد وما اسكر كثيره
فقليله حرام وان سكر الهوى والدنيا من سكر الخمر وكف يوضع شراب
التسنيم الذي هو اعلى اشربة المحبين في اناء ملان بحر الدنيا والهوى لا يفيق
من سكره ولا يستفيق ولو فارق هذا السكر القلب لطار راحتي
الشوق الى الله والدار الاخرة ولكن رضى المسكين بالدون وبائع
حظه من قرب الله ومعرفته وحبه باخس الثمن صفقة خاسر مغبون
فسيعلم اي حظ اضاع اذا افاق المحمون وخسر المبطلون
كما التلوث بالاعراض قد يقيد القلوب عن سيرها الى بلد حياتها ونعيمها
الذي لا سكن لها غيره ولا راحة لها الا فيه ولا مروءة لها الا في منازله ولا انس
لها الا بين اهله فكذلك الذي باشر قلبه روح التالة وذاق طعم المحبة
وانس بنار المعرفة له اعراض دقيقة حالية تقيد قلبه عن مكانه صريح
الحق وصحة الاضطرار اليه والفناء التام والبقاء الدايم بنوره الذي
هو المطلوب من السير والسلوك وهو الغاية التي شمر اليها السالكون
والعلم الذي امه العالمون ودندن حوله العارفون فجميع ما يحجب
عنه او يقيد القلب نظره وهمه يكون حجابا بالحب الواصل ويوقف
السالك دون انس الطالب فالزهد فيه على اهل الهمم العلية متعين تعين
الواجب الذي لا بد منه وهو كزهد السالك الى الحج في الطلال والمياه
التي عن جنبتي المنازل فالاول مقيد عن الحقايق بروبه الاعراض والثاني
مقيد عن النهايات بروبه الاحوال فتقيد كل منهما عن الغاية
المطلوبة ويترتب على هذا القيد عدم النفوذ وذلك موجب تخلف
واذا عرف العبد هذا وانكشف له حكمه تعين عليه الزهد في الاحوال
والفقر منها كما تعين عليه الزهد في المال والشرف وخلو قلبه منهما
ولما كان موجب الدرجة الاولى من الفقر الرجوع الى الاخرة فاوجب
الاستغراق في هم الاخرة نفض اليدين من الدنيا ضبطا وطلبا و

الألوكة
www.alukah.net

والتحقق به نظام التوحيد ومتى اخل من القلب اخل بنظام التوحيد فسبحان من
لا يوصل اليه الا به ولا يطاع الا بمشيته ولا ينال ما عنده من الكرامة الا بطاعته
ولا سبيل الى طاعته الا بتوفيقه ومعونته فعاد الامر كله اليه كما ابتدأ الامر
كله منه فهو الاول والاخر وان الى ربك المنتهى ومن وصل الى هذا الحال
وقع في يد التقطع والتجريد واشرف على مقام التوحيد الخاص فان التوحيد
نوعان عام وخاص كما ان الصلوة نوعان والذكر نوعان وسائر
العبادات كذلك خاصه وعامه فالخاصة ما يراد فيها العامل نفسه و
وصله بحيث يوقعها على احسن الوجوه واكملها والعامة ما لم يرد
بذلك فالمسلمون كلهم مشتركون في اتيانهم بشهادة ان لا اله الا الله
وبقاء بعضهم في معرفة معنى هذه الشهادة وتحقيقها باطنا وظاهرا
امر لا يحصيه الا الله عز وجل ولاحظ كثير من الصوفية ان التوحيد
الخاص ان يشهد العبد المحرك له ويغيب عن المتحرك وعن الحركة فيغيب
بشاهده عن حركته ويشهد نفسه شيئا فشيئا يجري على تصاريف المشيئة
كمن غرق في البحر فامواجه ترفعه طورا وتخفضه طورا وهو غائب بها عن ملاحظة
حركته في نفسه بل قد اندرجت حركته في ضمن حركة الموج وكأنه لا حركة له بالحقيقة وهذا وان ظنه كثير من القوم غاية فغاية وظنه بعضهم لازما من
لوازم التوحيد فالصواب الذي لا شك فيه ان التوحيد الربوبية وهو ان لا يشهد ربا
ورائه ما هو اجل منه وغاية هذا الفناء في توحيد الربوبية وحده لا يكفي في
وحالقا وملبيا الا الله وهذا هو الحق ولكن توحيد الربوبية وحده لا يكفي في
النجاة فضلا عن ان يكون مشهوده والفناء فيه هو غاية الموحدين ونهاية
مطلبهم بل الغاية التي لا غاية وراءها والنهاية بعدها الفناء في توحيل الا
لهيه وهو ان يفنى بمحبته عن محبة كل ما سواه وبثنائه لهيه عن ثناء كل ما سواه
وبالشوق اليه والى لقائه عن الشوق الى ما سواه وبالذل له والفقر اليه

من جهة

من جهة كونه معبودا والاله محبوبا عن الذل الى كل ما سواه وذلك يفني خوفه
ورجاءه عن خوف من سواه ورجاء به فيرى انه ليس في الوجود ما يصلح لذلك
الا الله ثم تتصف بذلك حاله ويتصبغ به قلبه صبغة ثم يفنى بذلك عما سواه
فهذا هو التوحيد الخاص الذي سمت اليه العارفون والورد الصافي الذي حام
حوله المحبون وسمت وصل اليه العبد صار في يد التقطع والتجريد واشتمل بلباس
الفقر الحقيقي وفرق حب الله من قلبه كل محبة وخوفه كل خوف ورجاءه كل رجاء
فصار رجاءه ورجاءه وذله وايثاره وارادته ومعاملته كل ذلك واحدا لواحد
لم ينقسم طلبه ولا مطلوبه فتعدد المطلوب وانقسامه قادح في التوحيد
والاخلاص وانقسام الطلب قادح في الصدق والارادة فلا بد من توحيد
الطلب والارادة وتوحيد المطلوب المراد فاذا غاب المحبوب عن حب غيره وبذل
كونه عن ذكر غيره وبما لوهه عن تأله غيره صار من اهل التوحيد الخاص وصاحبه
مجرد عن ملاحظة سوى محبوبه واثاره ومعاملته او خوفه او رجائه وصاحب
توحيد الربوبية في قيد التجريد عن ملاحظة فاعل غير الله وهو مجرد عن ملاحظة
وجوده وهو كما ان صاحب الدرجة الاولى مجرد عن اموالهم وصاحب
الثانية مجرد عن اعمالهم واحوالهم وصاحب الفناء في توحيد الالهية مجرد عن نفسه
مراضي محبوبه واوامره قد فني بحبه وانتغاء مرضاته عن حب غيره وابتغاء مرضاته
وهذا هو التجريد الذي سمت اليه هم العالين فمن تجرد عن ماله وحاله ونفسه
وعلمه فقد تجرد عن شهود تجريد وهو المجرد عندهم حقا وهذا تجريد القوم الذي عليه
يحومون واياه يقصدون ونهايته عندهم التجريد بفناء وجوده وبقائه به
بوجوده لا بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ولا غاية عندهم وراء هذا
التجريد الا ان وراءه تجريدا اكمل منه وتشبثه وتشبثه اليه كتشبثه في وجوده
ويشعره في ظهر بعير وهو تجريد الحب والارادة عن الشوائب والعلل و
الحظوظ فيتوحد حبه كما توحد محبوبه ويتجرد عن مراده من محبوبه بمراد
محبوبه منه بل يبقى مراد محبوبه منه هو عين مراده وهنا يعقل الاتحاد

www.alukah.net

واسكانك الانسان عنها مدحا وذما لكذلك كان موجب هذه الدرجة
انما يبتدئ الرجوع الى وصل الله سبحانه ومطالعة بسقط الاسباب والوسايط
فبفضل الله ورحمته وصلوا الى رضاه ورحمته وقربه وكرامته وموالاته
وكان سبحانه هو الاول في ذلك كله كما انه الاول في كل شئ وكان هو الاخر في
ذلك كله هو الاخر في كل شئ من عبده باسمه الاول والاخر حصلت له
حقيقة هذا الفرقان انضاف الى ذلك عبودية باسم الظاهر الباطن
فهذا هو العارف الكامل المتفرقات المتعبد ظاهرا وباطنا بعبودية
باسمه الاول المقتضي التجرد من مطالعة الاسباب والوقوف والالتفات اليها
وتجريد النظر الى المجرد بسبق فضله ورحمته وانه هو المبتدئ بالاحسان من غير
وسيلة من العبد اذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده واي وسيلة كانت هناك
وانما هو عدم محض وقد اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فمنه
الاعداد ومنه الامداد وفضله سابق على الوسايل والوسايل من مجرد
فضله وجوده لم تكن بوسايل اخرى من تنزل اسمه الاول على هذا المعنى
اوجب له فضلا خاصا وعبودية خاصة وعبودية باسمه الاخر يقتضي
ايضا عدم ركونه ووثوقه بالاسباب والوقوف معها فانها تقطع لا
محالة وتنقطع بالاخرية ويبقى الدايم الباقي بعدها فالتعلق بها تعلق
بما يعدم وينقضي والتعلق بالاخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت
ولا يزول فالمتعلق به حقيق ان لا يزول ولا ينقطع بخلاف التعلق بغيره مما له
اخر يعني به كما نظر العارف اليه بسبق الاولية حيث كان قبل الاسباب كلها
وكان الله ولم يكن شئ غيره وكل شئ هالك الا وجهه فتامل عبودية
هذين الاسمين وما توجبانه من صحة الاضطرار الى الله وحده وذوام
الفقر اليه دون كل شئ سواه وان الامر ابتدا منه واليه يرجع فهو

المبتدي

المبتدي بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة واليه ينتهي الامر حيث تنتهي الاسباب
والوسايل فهو الاول في كل شئ والاخر وكما انه رب كل شئ وفاعله وخالقه
ومريده فهو المعبود وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال الا بان يكون هو
غايته وحده كما انه لا وجود له الا بكونه وحده هو رب هو خالقه فكذلك
لا كمال له ولا صلاح الا بكونه تعالى وحده هو غايته ونهايته مقصوده هو
الاول الذي انبثقت منه المخلوقات والاخر الذي انتهت اليه عبوديتها
وارادتها وبحبتها فليس وراء الله شئ يقصد ويعبد ويتاله كما انه
ليس قبله شئ تخلق وتبرا وكما كان واحدا في ايجادك فاجعله واحدا
في تالهك وعبوديتك وكما انشاء وجودك وخلقك منه فاجعله
نهاية حبك وارادتك وتالهك اليه ليصح لك عبوديته باسمه الاول
والاخر واكثر الخلق يقيد والهه باسمه الاول وانما الشان في
التعبد له باسمه الاخر فهذه عبودية الرسل واتباعهم فهو رب العالمين
واله المرسلين سبحانه وبحمده واما عبوديته باسمه الظاهر فكما
فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وانت الظاهر فليس فوقك شئ
وانت الباطن فليس دونك شئ فاذا تحقق العبد علقه للطلق
على كل شئ بربوبيته وانه ليس فوقه شئ البتة وانه قاهر فوق عباده لا يبرم
الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه صار تعلقه انما يقصده وربه يقصده والها
يتوجه اليه بخلاف من لا يدري اين ربه فانه ضايع مشتت القلب
ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها والمعبود يتوجه اليه قصده و
صاحب هذه الحال اذا سالك وتاله وتعبد طلب قلبه الهها
يمسك اليه ويتوجه اليه وقلما اعتقد انه ليس فوق العرش الا
العدم وانه ليس فوق العالم اله يعبد ويصلى له ويسجد وانه ليس
على العرش من يصعد اليه الكلم الطيب ولا يرفع اليه العمل الصالح

الألوكة
www.alukah.net

حال قبلة الوجود جميعه توقع في الجاد والالد وتعلق قلبه بالوجود المطلق
في المعبودات فاتخذ الهة من دون الله الحق وظن انه وصل الى عين الحقيقة
وانما تاكم وتعبد لمخلوق مثله او لجماد نحته بفكره واتخذه الها من دون الله
سبحانه والله الرسل وراء ذلك كله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه
ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا
انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون وقال الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض
ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب
والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فقد عرف سبحانه
الى عباده بكلامه معرفة لا تجحدها الا من انكره سبحانه وان
زعم انه مقر به والمقصود ان التعبد باسمه الظاهر تجمع القلب
على المعبود ويجعل له ربا يقصده ويصمد اليه في حوائجه ويلجأ اليه
الله فاذا استعرد لك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقا
مثل له عبر دينه وصار له معقل وموئل يلجأ اليه ويهرب اليه
ويفزع كل وقت اليه واما تعبده باسمه الباطن فامر يضيق نطاق
التعبير عن حقيقته ويكل اللسان عن وصفه ونصطلم الاشارة
اليه وتخفو العبارة عنه فانه يستلزم معرفة بريئة من شوائب
التعطيل مخلصة من فوت التشبيه منزهة عن رجس الحلول والاتحاد
وعبارة مودية للمعنى كاشفة عنه ودوفا صحيحا سليما من ادواء

اهل

اهل الانحراف في تحرير هذا المعنى اسمه الباطن وصح له التعبد بسبحان الله
كم زلت في هذا المقام اقدام وضلت فيه افهام وتكلم فيه الزنديق بلسان
الصديق واشتبه فيه احوال النصارى بالحنفا المخلصين لنبو الافهام
عنه وعزة تخليص الحق من الباطل فيه والناس بحمد الله في الذهن بما في الخارج
الا على من زين الله بصيرته في الحق ونور يطمئن به بين الهدى والضلال و
فرقانا يفرق بين الحق والباطل ورزق مع ذلك اطلاعا على اسباب الخطا
وكشف الطارق ومثار الغلط فكان له بصيرة في الحق والباطل وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وباب هذه المعرفة
والتعبد هو معرفة احاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته وان العوالم كلها
في قبضته وان السموات السبع والارضين السبع في يده كخردلة في يد العبد
قال تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقال والله من ورائهم محيط
ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذا المعنى اسم
العلو الدال على انه الظاهر وانه لا شيء فوقه واسم العظيم الدال على الاحاطة
وانه لا شيء دونه كما قال تعالى وهو العلي العظيم وقال وهو العلي الكبير
وقال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم
وهو تبارك وتعالى كما هو العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء فهو الباطن
بذاته فليس دونه شيء بل ظهر على كل شيء فهو فوقه وبطن فكان اقرب الى
كل شيء من نفسه وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته
وليس في قبضة نفسه فتعبد اقرب اللحاظ العامة واما القرب المذكور في
القرآن والسنة فقرب خاص من عابده وسائله وداعيه وهو من ثمرة
التعبد باسمه الباطن قال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعاك فهذا قربه من داعيه وقال ان رحمة الله قريب من
المحسنين فذكر الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة وهي مؤنثة ايذانا بقربه تعالى
من المحسنين فكانه قال ان الله برحمته قريب من المحسنين وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد واقرب ما يكون الرب

الألوكة
www.alukah.net

الصحيح وهو اتحاد المراد فيكون عين مراد المحبوب هو عين مراد المحب وهذا
هو غاية الموافقة وكمال العبودية ولا يتجرد المحبة عن العلل والحظوظ التي
يفسدها الا بهذا فالفرق بين محبة حظك ومرادك من المحبوب وانك انما
تحبه لذلك وبين محبة مراد المحبوب منك ومحبتك له لذاته وانه اهل ان
يحب واما الاتحاد في الارادة فمحال كما ان الاتحاد في المريد محال فالارادتان
متباينتان واما مراد المحب والمحبوب اذا خلصت المحبة من العلل والحظوظ فواحد
فالتقرير والتجريد والفناء من واد واحد وقد جعل صاحب منازل السائرين من
قسم النهايات وجعله بانه الانخلاع عن شهود الشواهد وجعله على ثلاث درجات
الدرجة الاولى درجة الكشف عن كسب اليقين والثانية تجريد عين الجمع
عن درك العلم والثالثة تجريد الخلاص عن شهود التجريد فقوله في الاولى تجريد الكشف
عن كسب اليقين يريد كشف الايمان ومكاشفة القلب وهذا وان حصل بانكسار اليقين
من ادلته وبراهينه فالتجريد ان تشهد سبق الله عنك لكل سبب تنال به يقينا او
ايمانا فتتجرد كشفه لذلك عن ملاحظة سبب او وسيلة بل تقطع الاسباب والوسائل
وتنتهي نظرك الى المسبب وهذا ان اريد تجريدها عن كونها اسبابا فتجريد باطل و
صاحبه ضال وان اريد تجريدها عن الوقوف عندها ورؤيتها انتسابها اليه
وصدورها منه وان اليقين انما كان به وحده فهذا تجريد صحيح ولكن على
صاحبه اثبات الاسباب فان نفاها عن كونها اسبابا فسد تجريده وقوله
في الدرجة الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم لما كانت الدرجة الاولى
تجريد عن الكسب وانتهى الى اليقين الجمع الذي هو الغيبة بتفرد الرب با
لحكم عن اثبات وسيلة او سبب اقتضت تجريدا اخر اكمل من الاول وهو تجريد
هذا الجمع عن علم العبد به فالاولى تجريد عن رؤية السبب والفعل والثانية
تجريد عن العلم والادراك وهذا يقتضي ايضا تجريدا ثالثا اكمل من الثاني
وهو تجريد التخلص من شهود التجريد وصاحب هذا التجريد الثالث في
عين الجمع قد اجتمعت همته على الحق وشغل به عن ملاحظة جمعه وذكره وعلمه

به قد استغرق ذلك قلبه فلا شعور له لشهود علة تجريد والشعور به فلا التفات
له الى التجريد ولو بقي له التفات اليه لم يكمل تجريده ووراء هذا كله تجريد نسبة هذا
التجريد اليه كشعرة في ظهر حمل الى حملته وهو تجريد الحب والارادة عن تعلقه بالسوى
وتجريده عن العلل والشوائب والحظوظ التي هي مراد النفس فيتجرد الطلب والحب
عن كل تعلق يخالف مراد المحبوب فهذا تجريد الحنيفية والله المستعان وعليه التكلان
ولا حول ولا قوة الا به وملاك الفقر الى الله سبحانه هو عين الغنى به وا
فقر الناس الى الله اغناهم به واذلهم له اعرفهم واضعفهم بين يديه اقواهم واجهلهم
عند نفسه اعلمهم بالله وامقتهم لنفسه اقربهم الى مرضاة الله كان ذكر الغنى
بالله مع الفقر اليه متلازمين امتنا سيان فنذكر فصلا نافعا في الغنى
الغنى واعلم ان الغنى على الحقيقة لا يكون الا لله الغني بذاته عن كل ما سواه الموسوم
بسمة الغنى كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع وكما ان كونه مخلوقا امر
ذاتي له مكونه فقيرا امر ذاتي له كما تقدم بيانه وغناه امر نسبي اضافي عارض
له فانه انما استغنى بامر خارج عن ذاته فهو غني به فقير اليه ولا يوصف بالغنى
على الاطلاق الا من غناه من لوازم ذاته فهو الغني بذاته عما سواه وهو الاحد
الصمد الغني الحميد والغنى قسمان غنى سائل وغنى عال فالغنى السائل الغنى بالعوارى
المسترده من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث وهذا اضعف الغنى فانه غنى بظل زائل وعارية ترجع
عن قريب الى اربابها فاذا الفقر باجمعه بعد ذهابها وكان الغنى بها كان حالا
وانقضى ولاهم اضعف من هم من رضي بهذا الغنى الذي هو ظل زائل وهذا
غنى ارباب الدنيا الذين فيه تفانسون واياه يطلبون وحوله تحومون ولاجله
الى الشيطان اقرب وابعد من الرحمن من قلب ملأ من هذا الغنى والخوف من
فقده قال بعض السلف اذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاث
اشياء مؤمن قتل مؤمنا ورجل يموت على الكفر وقلب قد خوف الفقر وهذا

www.alukah.net

من عبده في جوف الليل فهذا قرب خاص غير قرب الاحاطة وقرب البطون
وفي الصحيح من حديث ابي موسى انهم كانوا مع النبي في سفر فارتفعت اصواتهم
بالتكبير فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا
غايبا ان الذي تدعون سميع قريب وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان
العبد الى الله احب كان من عنق راحلته لهذا قرب به من داعيه وذاكره يعني في حاجه
بكر الى رفع الاصوات وهو لقربه يسمعها وان خفضت كما يسمعها اذا
رفعت فانه سميع قريب وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان
الحب اعظم كان القرب اكثر وقد تستولي محبة المحبوب على قلب محبه
بحيث يغنى بها عن غيرها ويغلب محبوبه على قلبه حتى كانه يراه ويشاهده
فاذا لم يكن عنده معرفة صحيحة بالله وما يجب له ويستحيل عليه
والاطرق باب الحلول ان لم يلحده وبسبب ضعف غيرته وقوة سلطان
المحبة واستيلاء المحبوب على قلبه بحيث يغيب عن ملاحظة سواه وفي
مثل هذا الحال يقول سبحاني وما في الجبة الا الله ونحو هذا من الشطحات التي
نهايتها ان يغفر له ويعذر لسكره وعدم تميزه في تلك الحال فالتعبد بهذا
الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد وان يكون الاله اقرب الى
من كل شيء واقرب الهوى بمعبود مع كونه ظاهر اليس فوقه شيء ومن كشف
ذهنه وغلاظ طبعه عن فهم هذا لطيف عند صنحا الى ما هو اولى وقد قيل
اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع فمن لم يكن له
ذوق من حب المحبة ومعرفة بحب المحبوب من محبه غاية القرب وان
كان بينهما غاية المسافة ولا سيما اذا كانت المحبة من الطرفين وهي المحبة
بر به والعلل والشوايب والاعراض القادحة فيها فان الحب كثيرا ما
يستولي المحبوب على قلبه وذكره ويفنى عن غيره ويرف قلبه ويجرد نفسه فيشاهد
محبوبه كالحاضر معه القريب اليه وبينهما من البعد ما بينهما وفي هذه
الحال يكون في قلبه وجوده العلمي وفي لسانه وجوده اللفظي فيستولي

هذا

هذا الشهود عليه ويغيب به فيظن ان في عينه وجوده الخارجي لغلبة حكم القلب
والروح كما قيل حبالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب
ومن هذا ويكون ذلك المحبوب قد بعد عنه وبين عدوه ما بينهما من البعد وان
قربت الاماكن كما صفت الديار والمقصود ان المثال العلمي غير الحقيقة
الخارجية وان كان مطابقا لها لكن المثال العلمي محله القلب والحقيقة الخارجية
محلها الخارج فمعرفة هذه الاسماء الاربعة وهي الاول والاخر والظاهر و
الباطن هي اركان العلم والمعرفة فحقيق بالعبد ان يبلغ في معرفتها
الى حيث ينتهي به قواه وفهمه واعلم ان لك اثبت اولا واخرا وظاهرا
وباطنا بل كل شيء فله اول واخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة
والنفس وادنى من ذلك واكثر فالوليته الله عز وجل سابقة على اوليته
كل ما سواه واخريته ثابتة بعد اخريته كل ما سواه فالوليته سبقت
كل شيء والخريته بقاؤه بعد كل شيء وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على
كل شيء ومعنى الظهور يقتضي العلو وظاهر الذي هو ما على شيء واحاط
بباطنه وبطونه سبحانه احاطته بكل شيء بحيث يكون اقرب اليه من نفسه
وهذا اقرب غير قرب المحب من حبيبه هذا لون وهذا لون فمدار هذه الاسماء
الاربعة على الاحاطة وهي احاطتان زمانية ومكانية فاحاط اوليته واخريته
بالعقل والبعد فكل سابق انتهى الى اوليته وكل اخر انتهى الى اخريته فاحاطت
اوليته واخريته بالاوائل والاواخر واحاطت ظاهريته وباطنيته
بكل ظاهر وباطن فما من ظاهر الا والله فوقه وما من باطن الا والله دونه
وما من اول الا الله قبله وما من اخر الا والله بعده فالاول قدمه والاخر
دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه فسبق كل
شيء باوليته وبقي بعد كل شيء باخريته وعلا على كل شيء بظهوره ودنى
من كل شيء ببطونه فلا تواري منه سماء ولا ارض ارضا ولا الحب عنه ظاهر
باطنا بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهاده والبعد منه قرب و
السر عنده علانية فهذه الاسماء الاربعة تشمل على اركان التوحيد

يفيض عليك من ملابس نعمه وخلع افضاله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبحمدك تقدست باسمك الاحد
ان تجعل وجهي غايتك التي لا غاية لك سواه ولا مطلوب لك وراءه فكما انتهت
اليه الاواخر وكان بعد كل آخر فكذلك اجعل نهايتك اليه فان الى ربك
المنتهى اليه انتهت الاسباب والغايات فليس وراءه مرمى تنتهي اليه وقد
تقدم البيتية على ذلك وعلى التعبد باسمه الظاهر واما التعبد باسمه الباطن
فاذا شهدت احاطته بالعوالم وقرب العبد منه وظهور البواطن له
والسرائر وانه لا تخفى بينه وبينها فعامله بمقتضى هذا الشهود وظهر
له سر يرتك فانها عنده علانية واصلح لم غيبك فانه عند شهادة وترك
له باطنك فانه عنده ظاهر فانظر كيف كانت هذه الاسماء الاربعة
جماع المعرفة بالله وجماع العبودية له فهنا وقفت شهادة العبد مع
فضل خالقه ومنعمه فلا يرى لغيره شيئا الا به ومنه وقوته وغاب بفضل
مولاه الحق عن جميع ما منه هو مما كان يستند اليه او يتحلى به او
يتخذه عمدة او يراه ليوم فاقته او يعتمد عليه في مهم من مهماته وكل ذلك من
قصور نظره وانقطاعه عن الحقائق والاصول الى الاسباب والغرور
كما هو شان الطبيعة والهوى وموجب الظلم والجهل والانسان ظلوم
جهول فمن جلا الله صدأ بصيرته وكمل فطرته وافاه وقفه على مبادي الامور
وغاياتها ومناطها ومصادرها وموارداها اصبح كالمقلس حقا من
علومه واعماله واحواله واذواقه يقول استغفر الله من علمي ومن عملي اي من
انتسابي اليهما وغيبتي بهما عن فضل من ذكرني بهما وابتدائي باعطائهما
من غير تقدم مني لسبب مني يوجب ذلك فهو لا يشهد غير فضل مولاه
وسبق منته ودوامه فيقيم مولاه على هذه الشهادة العالية لحقيقة
الفقر الاوسط بين الفقرين الادنى والاعلى ثوابين احدهما الخلاص
من رؤية الاعمال حيث كان يراها ويتمدح بها وليستكثرها فيستغرق
بطالعة الفضل غائبا عنها ذاهبا عنها فانيا عن رؤيتها الثواب

نعوت الاول في آخريته والآخر في اوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل اولا
وآخرا وظاهرا وباطنا والتعبد بهذه الاسماء له رتبتان الرتبة الاولى ان تشهد
الاولية منه تعالى في كل شيء والآخرية بعد كل شيء والعلو والفوقية فوق كل شيء
والقرب والدنو دون كل شيء فالخلوق تشهد مثله عما هو دونه فيصير الحاجب عنه بينه
وبين المحجوب والرب جل جلاله ليس دونه شيء اقرب الى الخلق منه وآمر تنبيه من
التعبد ان يعامل كل اسم بمقتضاه فيعامل بسبقه تعالى باوليته لكل شيء وسبقه
بفضله واحسانه الاسباب كلها بمقتضى ذلك من افراده وعدم الا
لتفاته الى غيره والوثوق بسواه والتوكل على غيره ممن ذا الذي يشفع لك
في الازل حيث لم تكن شيئا مذكورا حتى سماك باسم الاسلام ووسمك بسمة
الايمان وجعلك من اهل قبضة اليمين واقطعك في ذلك الغيب عما لا
المؤمنين فعصمك عن العبادة للعبيد واعتقك من التزام الرق لمن لم يشكل و
تريد ثم وجه وجهه قلبك اليه سبحانه دون ما سواه فاصرع الى الذي
عصمك من العبود للصنم وقضى لك بقدم الصدق في القدم ان يتم عليك
نعمة هو ابتدأها وكانته اوليتها منه بلا سبب منك واتم ابهجته عن
ملاحظة الاختيار والاركن الى الرسوم والآثار ولا تقنع بالخسيس
الادون وعليك بالمطالب العالية والمراتب السامية التي لا تنال الا بطاعة الله
وان الله سبحانه وتعالى قضى ان لا ينال ما عنده الا بطاعته ومن كان لله كان الله
كان الله له فوق ما يريد فمن اقبل اليه تلقاه من بعيد ومن تصرف بحوله
وقوته الان له الحديد ومن ترك لاجله اعطاه فوق امله ومن اراد مراده
الدنيا اراد ما يريد ثم اتبع بسرك الى المطلب الاعلى واقصر جدك وتقربك
على من سبق فضله واحسانه اليك كل سبب منك بل هو الذي جاد عليك با
الاسباب وهيأها لك وصرف عنك موانعها واوصلك بها الى غايتك
المحمودة فتوكل عليه وحده وعامله وحده وارض به وحده واجعل حبه
ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفا بها مستلما اركانها واقفا
على عتبها فيا فوزك ويا سعادتك ان اطلع سبحانه على ذلك من قلبك ماذا

الغنى محفوف بفقرين فقر قبله وفقر بعده وهو كالعفوه بينهما فخيف لمن نصح
نفسه ان لا يغتر به ولا يجعل نهايه طلبه بل اذا حصل له جعل سببا لغناه
الاكبر ووسيله اليه وتجعل خادما من خدمه تخدم ماله وتكون نفسه اغر عليه
ان يعبدها لغير مولاه الحق او تجعلها خادمه لغيره فصل واما الغنى العالى
فقال شيخ الاسلام هو على ثلاث درجات الدرجه الاولى غنى القلب وهو
سلامته من السبب ومسالمته للحكم وخلاصه من الخصومه والدرجه الثانيه
غنى النفس وهو استقامتها على المرغوب وسلامتها من المسخوط وبرائتها من
المراياه والدرجه الثالثه الغنى بالحق وهو ثلاث مراتب الاولى شهود ذكره
اياك والثانيه دوام مطالعه اوليته والثالثه الفوز بوجوده
نبه على النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثره العرض ولكن الغنى غنى
النفس ومتى استغنت النفس استغنى القلب ولكن الشيخ فسح الغنى الى هذه
الدرجات بحسب متعلقه فقال غنى القلب سلامته من السبب ومسالمته للحكم
وخلاصه من الخصومه ومعلوم ان هذا شرط فى الغنى لا انه نفس الغنى بل احد
المتلازمين والمخاصمه وعدم المسالمه مانع من الغنى فهذه السلامه والمسالمه دليل
على غنى القلب لا ان غناه بهما نفسهما واغا غنى القلب بالدرجه الثالثه فقط شيا
معالى بيانه انشاء الله فان الغنى اغا يصير غنيا بحصولها بسد فاقته ويدفع
حاجته وفى القلب فاقه عظيمه وضروره تامه وحاجه شديده لا يسدها الا
فوزه بحصول الغنى الحميد الذى ان حصل للعبد حصل له كل شى وان فاته فاته كل شى
فعلم انه سبحانه الغنى على الحقيقه والاغنى سواه فالغنى به هو الغنى فى الحقيقه
والاغنى بغيره البته فمن لم يستغن به عما سواه تقطعت نفسه على السوى حسرات
ومن استغنى به زالت عنه كل حسره وحضره كل سرور وفرح والله المستعان واغا
قدم شيخ الاسلام الكلام على غنى القلب على الكلام على غنى النفس لان كمال صلاح
النفس متقدم على صلاح القلب هكذا قيل وفيه ما فيه لان صلاح كل واحد

منها

منها متقارن لصلاح الاخر ولكن لما كان القلب هو الملك وكان صلاحه صلاح
جميع رعيته كان اولى بالتقديم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغه
اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهى القلب
فالقلب اذا استغنى عما فاض عليه من مواهب ربه وعطاياه السنيه خلع على
الامراء والرعيه خلعا تناسبها فخلع على النفس خلع الطمانينه والسكينه والرضى
والاخبات فادت الحقوق سماحه لا كظما بانشراح ورضى وصدر وذلك لانها
جالست القلب حينئذ ووافقته فى اكثر اموره والحد مرادها غالبا فصارت له
وزير صدق بعد ان كانت عدوا مبارزا للعداوه فلا تسأل عما حدثت هذه
الموازره والموافقه من طمانينه ولذه عيش ونعيم هو رشيقه من نعيم اهل الجنه
هذا ولم تضع الحرب اوزارها فيما بينها بل عدتها وسلاحها كامن متوار لولا
خوف سلطان القلب وقهره لحاربت بكل سلاح فالمرابطه على ثغرى الظاهر و
الباطن فرض متعين مراعاه النفاس الحموه وتقتضى الحرب محمودا عواقبها للصابرين وحظ الهارب الذ
وخلع على الجوارح خلع الخشوع والوقار وعلى الوجه خلعه الهابه والنور والبهاء
وعلى اللسان خلعه الصدق والقول السديد الثابت والحكمه النافعه
وعلى العين خلعه الاعتبار فى النظر والغض عن المحارم وعلى الاذن خلعه
استماع النصيحه واستماع القول النافع استماعه للعبد فى معاشه ومعاده
وعلى اليدين والرجلين خلعه البطش بالطاعات اين كانت تقوه
والاوا على الفرج خلعه العفه والحفظ فغدى الجوارح ترفل فى هذه الخلع
وتجر لها فى الناس اذيالا واردافا فغنى النفس مشتق من غنى القلب وفرع
عليه فاذا استغنى سرى الغنى منه الى النفس وغنى القلب عما يناسبه من
الامور بالعبوديه المحضه التى هى اعظم خلعه تخلع عليه فيستغنى حينئذ عما يو
هذه العبوديه له من المعرفه الخاصه والمحبه الخالصه الناصحه وعما يحصل له
من اثار الصفات المقدسه وتقتضيه من الاحكام فى العبوديات المتعلقه
بكل صفه على الانفراد وبمجموعها قائمه بالذات وهذا امر تضيق عن شرحه

هو مسافر بين اهله وطاعى وهو فى داره وغريب وهو بين اخوانه وعشيرته
يرى كل احد عنده ولا يرى نفسه عند احد فقوة تعلق الحب بمحبوبه يوجب له ان
لا يستقر قلبه دون الوصول اليه وكلما هدات حركاته وخلت شواغله اجتمعت عليه
شؤون قلبه فله قوى سيره الى محبوبه ومحك هذا الحال تظهر فى مواطن اربعة احدها
عند اخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه من الشواغل واجتماع قلبه على ما يحبه فانه
لا ينام الا على ذكر من يحب وشغل قلبه به الموطن الثانى عند انتباهه من النوم فاول شئ يسبق
الى قلبه ذكر محبوبه فانه اذا ذكر استيقظ وردت اليه روحه ورد معها اليه ذكر محبوبه الذى
كان قد غاب عنه فى النوم ولكن كان قد خالط روحه وقلبه فلما ردت اليه الروح
اسرع من الطرف رد اليه ذكر محبوبه متصلا بها مصاحبا لها فورد عليه قبل كل وارد
وهجم عليه قبل كل طارق فاذا وردت عليه الشواغل والقواطع وردت على محل ممتلئ بحبه
ما يحبه فوردت على اساحته من ظاهرها فاذا اقضى وطره منها قضاه بصاحبه لما فى قلبه من
الحب فانه كالملازم كملازمة الغريم لغريمه ولذلك يسمى غراما وهو لزوم اللازم الذى لا يفارق
سمع محبوبه وابصر به وبطش به ومشى به فصار محبوبه فى وجوده فى محل سمعه الذى سمع به
وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها هذا مثل محبوبه فى وجوده
وهو غير متحد به بل هو قايم بذاته مباين له وهذا المعنى مفهوم بين الناس لا يشكوه منهم
الا غليظ الحجاب او قليل العلم ضعيف العقل فجد محبوبه قد استولى على قلبه وذكره يظن
انه هو نفسه فالله الخالق قد اتحدت به او حلت فيه فيفنى من قسم الاول وكثافته
وغلظ حجابه وقلة علمه الثانى ومعرفته وضعف تمييزه ضلال الحلول والاتحاد و
ضلال الانكار والتعطيل والحرمان وتخرج من بين فرث هذا ودم هذا لبنا
الفطرة الاولى خالصا سايغا للشاربين الموطن الثالث عند دخوله فى الصلوة
فانها محك الاحوال وميزان الايمان بها يوزن ايمان الرجل وتخف حاله ومقامه
ومقداره عند الله وقربه منه فانها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها
بين العبد وبين ربه فلا شئ اقر لعين المحب ولا الذ لقلبه ولا انعم لعيشه منها فانكان
محبا فانه لا شئ آثر عند المحب ولا اطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله

بين

بين يديه وقد اقبل بقلبه على محبوبه وقد اقبل محبوبه عليه وكان قبل ذلك معرضا عنه اساءة
الاعيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم فاذا قام الى الصلاة هرب من سوى الله
اليه واوى عنده واطمأن بذكره وقرت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته فلا
شئ ابرد عليه من الصلوة كانه فى سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلوة فيجد قلبه
قد انفسح وانشرح واستراح كما قال النبى لبلال يا بلال ارحنا بالصلوة ولم يقل
ارحنا منها كما يقول المبطلون الغافلون وقال بعض السلف ليس يستكمل
الايمان من لم يزل فى هم وغم حتى تحضر الصلوة فمن دخل همه وغمه اوكما قال فى
الصلوة قرة عيون المحبين وسرور ارواحهم ولذة قلوبهم وبها نفوسهم
تحلون هم الفراغ منها اذا دخلوا فيها كما يحل الفارغ النطاق هما حتى
يقضيها بسرعة فمنهم فيها شان وللناقدين شان يشكون الى الله سوء
صنيعهم بهم اذا ايتموا بهم كما يشكو الثقيل المعرض تطويل امامه
فسبحان من فاضل بين النفوس وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم وبا
الجملة فمن كانت قرة عينه فى الصلوة فلا شئ احب اليه ولا انفع عنده منها وجود
ان لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها وانما يسلى نفسه اذا فارقها بانه
سيعود اليها عن قرب فهو دايما يتوب اليها ولا يقضى منها وطرا فلا يزال
العبد اذا اناب الله وحسنه بمثل ميزان الصلوة فانها الميزان العادل الذى وزنه
غير عادل الموطن الرابع عند الشدايد والاهوال فان القلب فى هذا الموطن
لا يذكر الا احب الاشياء اليه ولا يهرب الا الى محبوبه الاعظم عنده وهذا
كما ترى المقاتلين يذكرهم من يحبونه عند الحرب واللقا وهو كثير فى اشعارهم
كما قال ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر وقال غيره
لقد ذكرتك والرماح كانها اشطان بير فى لباب الادهم وقد جاء فى بعض
الاثار يقول تبارك وتعالى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه والسر فى هذا
والله اعلم ان عند مصاب الشدايد والاهوال يشتد خوف القلب من فوات احب الاشيا
اليه وهى حيوته التى لم يتوثر ها الا لقربه من محبوبه فهو اغار حيوته لشدة محبوبه

الألوكة
www.alukah.net

وإذا قيل له اتق الله ولا تعصه يقول ان كنت عاصيا لامره فانا مطيع لحكمه وارادته فهذا منسلخ عن الشرايع بري من دعوه الرسل شنيع لعدو الله بل ليس بل وظيفه الفقير في هذا الموضع وفي هذه الضروره مشاهده الامر والشرع ورويه قيامه بالافعال وصدورها منه وكسبا واختيارا وتعلق الامر والنهي بها طلبا وتركا وترتب الذم والمدح عليها شرعا وعقلا وتعلق الثواب والعقاب بها آجلا وعاجلا ممن اجتمع له هذا الشهود الصحيح الى شهود الاضطرار في حركاته وسكناته والفاقه التامه الى تقلب القلوب ومن بيده ازمه الاختيار ومن اذا شاء شاء وحسب وجوده واذا لم يشاء امتنع وجوده وانه لا هادي لمن اضل ولا مضل لمن هداه الذي يحرك القلوب بالارادات والجوارح بالاعمال وانها لا تتحرك الا بتحريكه وتسخيره مذللة تحت قهره وانها اعجز واضعف ان تتحرك بدون مشيته وان مشيته نافذة فيها كما هي نافذة في حركات الافلاك والمياه والابخار وانه حرك كلا منها بسبب اقتضى تحريكه وهو خالق السبب المقتضي وخالق السبب خالق للمسبب خالق الارادة الجازمة التي هي سبب الحركة والفعل الاختياري خالق لهما وحدوث الارادة بلا خالق لحدوث محال احدوثها بالعبد بلا ارادة منه محال وان كان بارادة فارادته للارادة كذلك ويستحيل بها التسلسل فلا بد من فاعل اوجد تلك الارادة التي هي سبب الفعل وهنا يتحقق الفقر والفاقه والضروره التامه الى مالك الارادات وربها القلوب ومصرفها كيف شاء وما شاء ان يزيغه منها ازاغه وما شاء ان يقيمه منها اقامه ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب هذا هو الفقر الصحيح المطابق للعقل والفطرة والشرع ومن خرج عنه وانحرف الى احد الطرفين زاغ قلبه عن الهدى وعطل ملك الملك الحق وانفراده بالتصرف والربوبيه عن اوامره ونواهيه وشرعه وثوابه وعقابه وحكم هذا الفقير المضطر الى خالقه في كل طرفه عين و

كل

وكل نفس ان حركه بطاعه او نعمه شكرها وقال هذا من فضل الله ومنه وجوده فله الحمد وان حركه بما يأباه معصيه صرخ ولجأ واستغاث وقال اعوذ بك منك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك فان تحريكه بالمعصيه التجأ اليه قل اسره عدوه وهو يعلم انه لا خلاص له من اسره الا بان يفكه سيده من الاسر ففكاك عبد سيده ليس في يد منه شيء البته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فهو في اسر العدو ناظر الى سيده وهو قادر فلما اشتدت ضرورته اليه وصار اعتماده كله عليه فاذا سهل امامه بعض الالتجاء على معرفه قدر الابتلا حتى وعلى قدر الابتلا تكون المعرفه بالمبتلي ومن عرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم واعوذ بك منك وقام بهذه المعرفه شهود ودوقا واعطاها حقها من العبوديه نهو الفقير حقا وملاك الفقر الصحيح على هذه الكلمه فمن فهم سرها فهم سر الفقر المحمدي فهو سبحانه الذي يحيي من يشاء بقضائه وهو الذي يميت نفسه من نفسه وهو الذي يدفع عنه بما منه فما لخلقه كله له والامر كله والحكم كله له وما شاء كان وان لم يشأ لم يكن وما شاء لم يصرف الا مشيته وما شاء لم يكن ان تجلبه الا مشيته فلا يأتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيات الا هو ولا يهدي لاحسن الاعمال والاخلاق الا هو ولا يصرف سيئها الا هو وان عسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والتحقق بمعرفه هذا يوجب صحة الاضطرار وكمال الفقر والفاقه وتحول بين العبد وبين ومن رويه اعماله واحواله ولا استغلاله بها والخروج عن رقه العبوديه الى دعوى ما ليس له وكيف يدعي مع الله حالا او ملكا او مقاما من قلبه وارادته وجوارحه الظاهره والباطنه بيد ربه ومليكه لا يملك منها شيأ وكل انما هو بين مقلب القلوب ومصرفها كيف يشاء فالايمان بهذا

عدة اسفار بل حظ العبد منه علما وارادة كما يدخل اصبعه في اليم بل الامر
اعظم من ذلك والله سبحانه انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاذا استغنى القلب بهذا الغنى الذى هو غناه فقره استغنت النفس
غنى بإسمها وذهب عنها البرودة التى توجب ثقلها وكسلها وا
خلادها الى الارض وصارت لها حراره توجب حركتها وخفتها في الا
وامر وطلبها الرفيق الاعلى وصارت برودتها في شهواتها وحظوظها
ورعوناتها وذهبت عنها ايضا اليوسه المضادة للتها وسرعة
انفعالها وقبولها فانها اذا كانت يابسة قاسية كانت بطيئة الا
نفعال بعيدة القبول لاتكاد تنقاد فاذا صارت برودتها حراره
ويبوستها رطوبه وسميت بماء الحيوان الذى انزله الله عز وجل على قلوب
انبيائه وجعلها قرارا ومعينا له فاض منها على قلوب اتباعهم فاثبت من
كل زوج كريم فحيثما نقادت بزمام المحبه الى مولاها الحق مولدته حقوقه
قائمة بها وامره راضية عنه مرضية له بكمال طمانينتها ما ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فلترجع الى كلامه فنقول
في الدرجة الاولى وهي غنى القلب انه تعالى منزه عن السبب اى من الفقر الى
السبب وشهوده والاعتماد عليه والركون اليه والثقة به ممن كان معتمدا
على سبب غنيا به واثقا به لم يطلق عليه اسم الغنى لانه فقير الى الوسائط
بل لا يسمى صاحبه غنيا الا اذا اسلم من علة التعلق بالسبب استغنا بالمسبب
بعد الوقوف على حكمته وحكمته وقصده وحسن تدبيره فلذلك يصير صا
حبه غنيا بتدبير الله سبحانه لمن كملت له السلامة من علة الاسباب ومن
علة المنازعه للحكم والمسالمه اى بالانقياد لحكمه الذى حصل
الغنى للقلب بوقوفه على حسن تدبيره ورحمته وحكمته فاذا وقف العبد
على حسن تدبيره واستغنى القلب به لم يتم له الاستغنا بمجرد هذا الوقوف

الوقوف

الوقوف ان لم ينضم اليه المسالمة للحكم وهو الانقياد له فان المنازعه للحكم الى حكم
اخر دليل على وجود رعونة الاختيار وذلك دال على فقر صاحب الاختيار الى
ذلك الشئ المختار ومن كان فقيرا الى شئ لم يرده الله لم يطلق عليه اسم الغنى
بتدبير الله فلا يتم الغنى بتدبير الرب سبحانه لعبده الا بالمسالمة للحكم بعد الوقوف
على حسن تدبيره ثم يبقى عليه التخلص من معنى اخر وهو خاصة الخلق بعد
التخلص من منازعه الرب سبحانه فان منازعه الخلق دليل على فقره الى
الامر الذى وقعت فيه الخصومه من الحظوظ العاجله ومن كان فقيرا
الى حظ من الحظوظ يحط الغنوة والخاص المخلوق عليه لا يطلق عليه اسم
الغنى حتى يسلم الخلق من خصومته بكمال تفويضه الى وليه ووقوفه
وتولى تدبيره حتى يسلم العبد من علة فقره الى السبب ومن علة منازعته
لاحكام الله سبحانه ومن علة مخاصمة الخلق على حظوظ يستحق
ان يكون غنيا بتدبير مولاه مفوضا اليه لا يفتقر قلبه الى غير ولا يسخط
شيا من احكامه ولا يخاصم عباده الا في حقوق ربه فتكون مخاصمته
صحيحة لله وبالله ومحاكمته الى الله كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاح
صلاة الليل اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت
وبك خاصمت واليك حاكمت فيكون مخاصمة هذا العبد لله لا لحظوظه و
حظه ومحاكمته خصمه الى امر الله وشرعه لا الى شئ سواه فمن خاصم لنفسه
فهو متبع لهواه وانتصر لنفسه وقد قالت عايشة ما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط وهذا لتكمل عبوديته ومن حاكم
خصمه الى غير الله ورسوله فقد حاكم الى الطاغوت وقد امر ان يكفر به و
لا يكفر العبد بالطاغوت حتى يحعل الحكم لله وحده كما هو كذلك في نفس
الامر والحكم نوعان حكم كونى قدرى وحكم امرى دينى فهذا الذى ذكره
الشيخ في منازل السايرين وشرحه عليه الشارحون انما مراده به الحكم

الألوكة
www.alukah.net

الكوني القدري وحينئذ فلا بد من تفصيل ما أجملوه من مسألة الحكم والاستسلام
له وترك المنازعة له فإن هذا الإطلاق غير مأمور به ولا ممكن العبد في
نفسه لأنه حكم شرعي ديني فهنا حقه الابتلاء بالمسألة والتسليم وترك
المنازعة بل بالانقياد المحض وهذا تسليم العبودية المحضة فلا يعارض
بذوق ولا وجد ولا سياسة ولا قياس ولا تقليد ولا يرد إلى خلافه بسبيل
البتة وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول فإذا تلقى
هذا التسليم والمسالمة أقر إلا وتصديقا بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر
له الإرادة وتنفيذا وعملا فلا يكون له تشويش تنازع مراد الله من تنفيذ
حكمه كما لم يكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره وهذا حقيقة
القلب السليم الذي سلم من شبهة تعارض الخبر فلا استمتع بخلافه
كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات ولا خاض في الباطل خوض
الذين يتبعون الشبهات بل اندرج خلافه تحت الأمر واضمحل خوضه
في معرفته بالحق فاطمأن إلى الله بمعرفته ومحبته له وعلما بأمره وإرادته
لمرضاته فهذا حق الحكم الديني الحكم الثاني الحكم الكوني القدري
الذي فيه للعبد حسب واختيار وإرادة والذي حكم به يسخط ويبغضه
ويذم عليه فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن ولا يسالم البتة
بل ينازع بالحكم الكوني أيضا فينازع حكم الحق بالحق الذي هو
فيدافع به وله كما قال شيخ العارفين في وقته عبد القادر الجيلي
الناس إذا دخلوا إلى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لي روزنة
فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والعارف من يكون منازعا للقدر
لا واقفا مع القدر البتة فإن ضاق صدرك عن هذا الكلام وفهمه فتأمل
قول عمر بن الخطاب وقد عوتب على فراره من الطاعون فقال له أتفر
من قدر الله فقال نفر من قدر الله تعالى قدر الله نركب فنكر هذا الكلام
من لا بقاء له في هذا العالم الا به ولا يتم به مصلحة الا بوجوبه فإنه أخاه قدر
من الجوع

من الجوع والعطش والبرد نازعه وترك الاستسلام له ومسالمته ودفعه بقدر
آخر من الأكل والشرب واللباس فقد دفع قدر الله بقدر مما بالله لا يستسلم
له ويسالمه ويتلقاه بالإذعان بل ينازعه ويدافعه بالماء والتراب و
غيره حتى يطفئ قدر الله بقدر الله وما خرج في ذلك عن قدر الله وهكذا إذا
أصابه مرض بقدر الله دافع هذا القدر ونازعه بقدر آخر يستعمل فيه
الأدوية الدافعة للمرض فحق هذا الحكم الكوني أن يحرص العبد على مدافعته
ومنازعته بكل ما يمكنه فإن عليه وقهره حرص على دفع المادة أثاره وهو
جنايته بالأسباب التي نصبها الله لذلك فيكون قد دفع القدر بالقدر وبارز
الحكم بالحكم وبهذا أمر بل هذا حقيقة الشرع والقدر ومن لم يستبصر في هذا
المقام ويعطها حقها لزمه التعطيل للقدر أو الشرع شاء أو أبى فما للعبد
ينازع أقدار الرب بأقداره في حظوظه وأسباب مصالحه ومعايشه الدنيوية
ولا ينازع أقداره في حق مولاه وآمره ودينه وهل هذا الا خروج
عن العبودية ونقص في العلم بالله وصفاته وأحكامه ولو أن عبدا لا
يستسلم قصد لكان هذا بقدر الله ويجب على كل مسلم دفع هذا القدر
بقدر محبة الله وهو الجهاد باليد والمال والقلب دفعا لقدر الله بقدر
مما لا استسلام والمسالمة هنا مدخل في العبودية اللهم الا إذا بذل العبد
جهده في المدافعة والمنازعة وخرج الأمر عن يده فحينئذ يبقى أهل الحكم
الثالث وهو الحكم القدري الكوني الذي جرى على العبد بغير اختياره
ولا طاقة له لدفعه ولا حيلة له في منازعته فهذا حقه أن يتلقى بالاستسلام
والمسالمة وترك الخاصمة وإن يكون فيه كالميت بين يدي الغاسل وعلى
هذا يحسن بالمركب في لجة البحر وعجز عن السباحة وعن تسبب لنجاته من الغرق
فههنا يحسن الاستسلام والمسالمة مع أن عليه في هذا الحكم عبوديات أخر

سوى التسليم والمسالمة وهي ان يشهد عزه الحاكم في حكمه وعدله في قضايه وحكمته
في جريانه عليه وان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وان الكتاب
الاول سبق بذلك قبل برء الخليقه فقد جف القلم بما يلقاه كل عبد فمن رضي
فله الرضى ومن سخط فله السخط ومشهد ان القدر ما اصابه الا الحكمة اقتضاها
اسم الحكيم جل جلاله وصفه الحكمه وان القدر قد اصاب مواقعه وحل في المحل الذي
ينبغي ان يحل فيه اذ هو موجب الحكمة البالغه والعلم المحيط والعزة التامه لم يخط
مواقع الحكمة ولم يتعد منازله التي ينبغي ان ينزل بها وان ذلك واجب
على الله وحكمته وعزته وعلمه وملكه العادل فهو موجب اسمايه الحسنى
وصفاته العلى فله عليه اكمل حمد واتمه كما له المحمد على جميع افعاله واوامره
وان كان حظ العبد من هذا القدر الذم فحق الرب منه الحمد والمدح لانه موجب
كماله واسمايه الحسنى وصفاته العلى وهو موجب بغض العبد جهله وظلمه
وتفريطه فتقسم الرب والعبد الحظين في هذا القدر وكان الرب سبحانه فيه المحمد
والثناء والمجد والنعمه والفضل والثناء الحسن وللعبد حظه الذم واللوم و
الاساءة واستحقاق العقوبه اسأل الله بالحامد والفضل والمنه ان يجعلنا ممن
ويشفعه في هذا المقام اربع ايات احداها قوله تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك الثانيه قوله تعالى اولما اصابتكم
مصيبه قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شئ
قدير الثالث قوله تعالى وما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير الرابعة قوله واذا اذقنا الانسان منا رحمه فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور فمن تنزل هذه الايات على هذا الحكم علما وعرفه
وقام مقتضاه بوجهها ارادة وعزما وتوبه واستغفارا فقد ادى عبودية الله
في هذا الحكم وهذا قدر زايد على قدر التسليم والمسالمة والله المستعان وعليه التكلان

الاحول

ولا حول ولا قوة الا بالله فصل قوله في عنى النفس الله استقامتها على
المرغوب وسلامتها من المسخوط وبراءتها من المرايا ويريد باستقامتها
على الامر الديني الذي يحبه الله ويرضاه وتجنبها مناهيه التي يسخطها و
يمقتها وان تكون هذه الاستقامه على الفعل والترك تعظيما لله سبحانه
وامره وايمانا به واحتسابا بالمثوبه وخشيه لعقابه لاطلا التنقيص الخلق فين
له ومدحهم وهربا من ذمهم وازدرايهم وطلبا للجاه والمنزله عندهم
فان هذا دليل على غايه الفقر من الله والبعد منه والله افقر شئ الى الخلق
فسلامه النفس من ذلك واتصافها بضده دليل غناها لانها
اذا اذعنت منقاده لامر الله طوعا واختيارا وحبه وايمانا وا
حتسابا بحيث تصير لذتها وراحتها ونعيمها وسرورها في القيام
بعبوديته كما قال النبي يا بلال ارحنا بالصلوة وقال حبب الي من
دنياكم النساء والطيب وجعلت قره عيني في الصلوة فقره العين
فوق كل محبه فجعل النساء والطيب مما يحبه واخبر ان قره العين التي يتمتع
القلب بالوصول اليها وتحصل له فرحه وسروره وبهجته انما
هي الصلوة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له واقبال
عليه فكيف لا يكون قره العين وكيف تقر عين المحب بسواها فاذا
حصل للنفس هذا الحظ الجليل فاي فقر تحس معه وراي غنى فاقها حتى
تلتفت اليه ولا يحصل لها هذا حتى ينقلب طبعها ويصير محالفا لطبعه
القلب فتصير بذلك مطمئنه بعد ان كانت لوامه وانما تصير مطمئنه
بعد تبدل صفاتها وانقلاب طبعها لاستغناء القلب بما وصل اليه من
نور الحق سبحانه فجرى ان ذلك النور في سمعه وبصره وشعره وبشره وعظمه
ولحمه ودمه وسايره مفاصله واحاط بجهاته من قوته ولحمته وعيبته وسياره

الألوكة
www.alukah.net

وبامرء على هواه وحسن اختياره لنفسه لهوى واد للناس فى واد
خاضع متواضع سليم القلب سلس القياد للحق سريع القلب الى ذكر الله برئ من
من الدعاوى لا يدعى بلسانه ولا بقلبه ولا بحاله زاهد فى كل ما سوى الله راغب فى كل
ما يقرب الى الله قريب من الناس ابعد شئ منهم يأنس بما يستوحش منه ويستوحش
مما يأنسون به منفرد فى طريق طلبه لا تقيده الرسوم ولا تعلقه القوايد ولا يقرع
بموجود ولا يأسف على مفقود من جالسه قرت عينه به ومن رآه ذكرته رويته بالله
سبحانه قد حمل كله ومؤنته عن الناس واحتمل اذاهم بكف اذاه عنهم وبذل لهم
نصيحته وسبل لهم عرضه ونفسه لا لمعاوضة ولا لذلة وعجز لا لخل فيما لا يعنيه ولا
يتحمل بما لا ينقصه وصفه الصدق والعفة والايثار والتواضع والحلم والوقار
والاحتمال لا يتوقع لما يبذله للناس منهم عوضا ولا مدحه لا يعانيه ولا لاخاص
ولا يطالب ولا يرى له على احد حقا ولا يرى له على احد فضلا مقبل على شانه مكرم لاخانه
بخيل بزمانه حافظا للسانه مسامحا فى ليله ونهاره ويقظته ومنامه لا يضيع عصا
السير عن غايته حتى يصل الى مطلبه قد رفع له على الحب منار اليه وناداه داعى الا
شتياق فاقبل بكليته عليه اجاب منادى المحبة لدعاه حتى على الفلاح وصل
السير فى بيداء الطلب فحمد عند الوصول مسراه وانما يحمد القوم السرى عند الصباح

فحى على خيرات عدن فانها منازلك الاولى وفيها الخيم ولكنا سبى العدو فهل ترى
نعود لها او طالما رسلم وحى على روضاتها وحياضها وحى على عيش بها لين سائم
وحى على يوم المزيد ومرحبا الحبيب طوبى للذى هو منهم وحى على وادى بها هو افيح
وترعة من اذ فر لمسك اعظم مبانيه من نور هناك وفضة ومن خالص العقيان لا تتفصم
ومن حولها كثبانا مسك ومقاعد لمن دونهم هذا النهار للعظم يرون به الرحمن جل جلاله
كروية البدر التم لا يتوهم اوالشمس صحو ليس دون افقها ضباب ولا غيم هناك يغيم
وبشاشة عن عيشهم وسرورهم وارواحهم تحوى عليهم وتقسم اذا هم نور ساطع قد بدا لهم
فقبل ارتموا ابصاركم فاذا هم برجهم من فوقهم وهو قابل سلام عليكم طبتم وسلم

فيا عجبا

فيا عجبا ما عذر من هو مؤمن بهذا ولا سمع له ويقدم فبادر اذا ما دام امرؤ العمر فسحة
وعندك مقبول وصرفك قيم فما فرحت بالوصل نفس تطيبه ولا فاز قلب بالمنى لا ينعم
تجد وسارع واغتنم ساعة السرى فقى زمن الامكان سعى وشمر وسر سرعا فاسبل خلفك مسرع
وهيهات ما منه مفر ومهزم فمهما تولى يا اخى او تنزلته عليها القدوم او عليك يستقدم
وان تك قد عاقتك سعدى فقلبك المنى رهن بها متسلم وقد ساعدت الوصل عبرك فاعلمى
لها منك والوشى بها يتنمم فدعها وسل النفس عنها بحيله من العقر فى روضاتها الدر نقسم
ومن تحتها الانهار تخفق دائما وطير الامانى فوقها يترنم وقد ذللت منها القطوف فمن يرد
حضاها ينله لينف شاء وينعم وقد فتحت ابوابها وتزينت لخاطبها فالحسن فيها مقسم
اقام على ابواب دار سعادة تغنم هلموا الى دار السعادة ادخلوا وقد طاب من انزلتموه مقيلها
فطوبى لمن حلو بها وتنعما وقد غرس الرحمن بستانه لكم من الناس والرحمن بالخير انعم
فما كان من عرس لاله فانه سعيد والا فالشقا فتحتم فيا سرعن السير الله ربكم
فعوجا على تلك الربوع وحلوا وقوما بها واسألوا من تخيموا فحى محبه فيكم يعيشوا وتسلموا
قضى الله رب العالمين بحكمة بان الهوى يحمى الطريق ويحرس وحكم اصل الحذر ومداره عليه
وفوز للحبى ومغنم وتحفى عظام الصعب بعد عمائه واشواقه وقف عليه محرم
فيا ايها العلب الذى ملاك الهوى اعنه حيام هذا البلوى وحيام لا تصحو وقد قرب المدا
ودقت كؤوس السر والناس نوم بلى سوف تصحو حين تكشف الغطا ويبدو لك الامر الذى كنت تكتم
ويا موقد النار الغرى حضوها وحرك لظاها بين جنبيك يضرم اهذا نجا العلم الذى انت تعلم
وهذا الذى قد كنت ترجو وتطمع وهذا هو الحظ الذى قد رضيته لنفسك فى الدارين لو كنت تفهم
وهذا هو الزنج الذى قد لبسته لعمرك لا زنج ولا الاصل يسلم نخلت بشى لا يضرك لا بزل
وجرب شى مخله لا يقوم وبعت نعيما لا انقضاء له ولا تطير لحسين عن قليل سعادة
فهلا عكست الامر ان كنت حازما ولكن اضعف الحزم لو كنت تعلم وتهدم ما بنى لك جاهدا
فانت مدى الايام تبنى وتهدم وعند مراد الحق تفنى وتكبت وعند مراد النفس تسعد وتنعم

الألوكة
www.alukah.net

وخلفه وامامه وصارت ذاته نورا وصار عمله نورا وقوله نورا ومدخله نورا
ومخرجه نورا وكان في مبعثه ممن اتم الله نوره فتقطع به الجسر واذا وصلت
النفس الى هذه الحال استغنت بها عن التطاول الى الشهوات التي توجب
اقتحام الحدود المسخوط والتقاعد عن الامور المطلوبة المرغوبة فان
فقرها الى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن المرغوب المطلوب ايضا
فتقاعدها عن المطلوب منها موجب لفقرها الى الشهوات وكل منهما
موجب للاخر وتركك الاوامر اقوى لها في افتقارها الى الشهوات فانه بحسب
قيام العبد بالامر يدفع عنه جيوش الشهوة كما قال تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا وفي
القراءة الاخرى يدافع فكمال الدفع والمدافعة بحسب قوة الايمان و
ضعفه واذا صارت النفس حرة طيبة مطمئنة عنه بما اغناها به مالكها
وفاطرها من النور الذي وقع في القلب ففاض منه اليها استقامت بذلك
الغنى عما الامر المرغوب وسلمت به عن الامر المسخوط وبريت من المرايا
ومدار ذلك كله على الاستقامة بباطنا وظاهرا ولهذا كان الدين كله في
قوله تعالى فاستقم كما امرت وقال سبحانه ان الذين قالوا ربنا ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فصل وهذه الاستقامة ترقيها الى الدرجة
الثالثة من الغنى وهو الغنى بالحق تبارك وتعالى عن كل ما سواه وهي اعلا
درجات الغنى فاول هذه الدرجة ان تشهد ذكر الله عز وجل اياك قبل ذكرك له
وان الله تعالى ذكرك في ذكره من مخلوقاته ابتداء قبل وجودك وطاعتك
وذكرك فقدر خلقك ورزقك وعملك واحسانه اليك ونعمه عليك حيث
لم تكن شيأ البته وذكرك تعالى بالاسلام فوفقك له واختارك له دون
من خذله قال تعالى هو سماكم المسلمين من قبل فجعلك اهلا لما لم تكن اهلا له

قط

٤٣

قط وانما هو الذي اهلك بسابق ذكره فلولا ذكره لك بكل جميل اولا كم
لم يكن لك اليه سبيل ومن الذي ذكرك بالیقظة حتى استيقظت وغيرك في
رقدة الغفلة مع النوام ومن الذي ذكرك سواه بالتوبة حتى وفقك لها
واوقعها في قلبك وبعث دواعيك واحي عزماتك الصادقة عليها حتى
تبت اليه واقبلت عليه فذقت حلاوة التوبة وبردها ولذتها ومن الذي
ذكرك سواه بمحبته حتى هاجت من قلبك لواعجها وتوجهت نحوه سبحانه
ركائبها وعمر قلبك بمحبته بعد خراب وانسك بقربه بعد طول الوحشة
والاغتراب ومن تقرب اليك اولا حتى تقربت اليه ثم اثابك على هذا
التقرب تقربا اخر فصار التقرب منك محفوفا بتقربين منه تعالى
تقربا قبله وتقربا بعده والحب منك محفوفا بحبين منه حب قبله
وحب بعده والذكر منك محفوفا بذكرين ذكر قبله وذكر بعده فلولا
سابق ذكره اياك لم يكن من ذلك كله شيء ولا وصل الى قلبك ذرة مما
وصل اليه من معرفته وتوحيده ومحبته وخوفه ورجائه والتوكل
عليه والانابة اليه والتقرب اليه فهذه كلها اثار ذكره لك ثم انه
سبحانه ذكرك بنعمه المتوالية المتواصلة بعد بعد الانفاس فله
عليك في كل طرفة عين ونفس نعم عديدة ذكرك بها قبل وجودك و
تعرف بها اليك وتحبب بها اليك مع غناه التام عنك وعن كل
شيء وانما ذلك محض احسانه وفضله وجوده اذ هو الجواد المفضل
المحسن لذاته لا لمعاوضة ولا لطلب جزاء منك ولا لحاجة دعته الى ذلك
كيف وهو الغني الحميد فاذا وصل اليك ادنى نعمة منه فاعلم انه ذكرك
بها فلتعظم عندك اذكره لك بها فانه ما حقرك من ذكرك با
حسانه وابتدائك بمعروفه وتحبب اليك بنعمته هذا كله مع غناه

طوله

عنك فاذا شهد العبد ذكر ربه تعالى له ووصل بشاهده الى قلبه شغله ذلك
عما سواه وحصل لقلبه به غنى عال لا يشبهه شئ وهذا كما يحصل للملوك الذي
لا يزال اسناده وبريده يذكره ولا ينساه فحق تحصل له بشعوره بذكر اسناده
له غنى زائدا على انعام سيده عليه وعطاياه السنية له فهذا هو غنى ذكر الله للعبد وقد
قال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى من ذكرني في ملا ذكرته في ملا
خير منهم فهذا ذكر ثان بعد ذكر العبد لربه غير الذكر الاول الذي ذكره به حتى
جعل ذكرا وشعور العبد بكلى الذكرين يوجب له غنى زائدا على انعام ربه
عليه وعطاياه له وقد ذكرنا في كتاب الكلم الطيب العمل الصالح من فوائد الذكر
استجلاب ذكر الله سبحانه لعبده وذكرنا فيها من مائة فائدة تتعلق بالذكر كل
فائدة منها لا حظ لها وهو كتاب عظيم النفع جدا والمقصود ان شعور
العبد وشهوده لذكر الله له يغني قلبه ويسد فاقته وهذا بخلاف من نسي الله
فنسيهم فان الفقر من كل ضرر حاصل لهم وما يظنون انه حاصل لهم من الغنى فهو
الغنى وهو من اعظم اسباب فقرهم فصل الدرجة الثانية من درجات الغنى
بالله عز وجل دوام شهود اولية تعالى وهذا الشهود عند ارباب السلوك اعلى
واعلى مما قبله والغنى به اتم من الغنى المذكور لانه من مبادي الغنى بالحقيقة لان
العبد اذا فتح الله لقلبه شهود اولية سبحانه حيث كان ولا شئ غيره وهو الاله
الحق الكامل في اسمائه وصفاته الغني بذاته عما سواه المحمود بذاته قبل ان
يخلق من يحمده ويعبده ويحمد نهو معبود محمود حتى يقوم له الملك وله الحمد
في الازل والابد لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الجلال منعوتا بنعوت
الكمال وكل شئ سواه فانما كان به وهو سبحانه بنفسه ليس بغيره فهو القيوم
الذي قيام كل شئ به ولا حاجة به في قيوميته الى غيره بوجه من الوجوه فاذا
شهد العبد سبقه تعالى بالاولية ودوام وجوده الحق وغيب هذا
عما سواه من المحدثات فني في وجوده من لم يكن كأنه لم يكن وبقي من لم يزل
واضمحلت الممكنات في وجوده الازلي الابدي بحيث صارت كالظلال الذاهبة

يبسطها

يبسطها ويقبضها فيستغني العبد بهذا المشهد العظيم ويتعزز بها عن وقائع
وحاجاته وان كان افضل عندهم مما قبله لان الشهود الذي قبله قد شابه مشيرة
الى وجود العبد وهذا الشهود الثاني سائر الموجودات كلها سوى الاول تعالى قد
اضمحل وفنيت فيه وصارت كالا شئ اذ ليس هو الا العدم فاثبتها اولية الحق سبحانه فبقي العبد
محو الصرفا وعدما محضا وان كانت اعيانه مستحضرة وشاخصة اليها لكنها لما نسبت الى
اولية الحق عز وجل اضمحلت وفنيت وبقي الواحد الحق الذي لم يزل باقيا فاضمحل ما
دون الحق تعالى في شهود العبد كما هو مضمحل في نفسه وشهد العبد حينئذ ان كل
شئ ما سواه باطل وان الحق المبين هو الله وحده لا رب ان الغنى بهذا الشهود
اتم من الغنى بالذي قبله وليس هذا مختصا بشهود اولية تعالى فقط بل جميع ما يرد
للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها
وفيما هو بصدد بتها فمن شهد مشهد علو الله على خلقه ووفقه لعبادته واستوائه
على عرشه كما اخبر به لعرف الخلق واعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه
الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب اليه مناجيا له مطرقا واقفا بين يديه وقوف
العبد الذليل بين يدي الملك العزيز فيشعر بان كل عمله وعمله صاعد اليه معروض عليه
مع خاصته واوليائه فيستحي ان يصعد اليه من كل ما يخزيه ويفضحه هناك ويشهد
نزول الامر والمراسيم الالهية الى اقطار العوالم كل وقت بانواع التدبير والتصرف من
الامانة والاحياء والتوليه والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء
وارساله وتقلب الدول ومداولة الايام بين الناس الى غير ذلك من التصرفات
في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه ثم اسمائه نافذة فيها كما شاء يدبر الامر من
السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فمن اعطي
هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به وكذلك من شهد مشهد العلم
المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وان ولا في قرار البحار
والاحاطة باطباق الجبال بل احاط بذلك علما وتفصيلا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود

كله

وعند خلاق الامر فحتى بالقضا ظهيرا على الرحمن للجبر تزعم
تموه تلك النفس عن سوء فعلها وتعتب اقدار الاله وتظلم
وتزعم مع هذا بانك عارف كذبت يقينا بالذى انت تزعم
وما انت الا جاهل غير ظالم وانك بين الجاهلين مقلم
اخ الكان هذا نصح عبد لنفسه فمن ذا الذى منه الهدى يتعلم
وفى مثل هذا الحال قد قال من مضى واحسن فيما قاله المتكلم
فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم
ولو تبصر الدنيا وما هى ستبورها رايت جميع الحى فى نوم مسيبر
كحلم لطيف مر فى النوم وانقضى المنام وراح الطيف والصب مغرم
وظل ارتماه الشمس عند طلوعها سيقلص فى وقت الزوال ويقصم
ومن هو ضيف طاب منها مقيلها فولت سريعا والحرور تضرم
فجرها مما لا مقر وفى بها غريبا تعشى فيها سعيدا وتسلم
اوان يسيل قال فى ظل دوحة وراح وخلى ظلها يتقسم
اخى سفر لا يستقر قراره الى ان يرى اوطانه ويسلم
فيا عجبا كم مصرع وعظت به بنيها ولكن عن مصارعها عموا
ستقتلهم بالكاس الحت حتى اذا انتشوا ستقتلهم كؤوس السم والقوم قد ظموا
واعجب ما فى العبد رؤية هذه العظائم منها وهو فيها مقيم
واعجب من ذا ان احبابها الاولى تهين وللاعداء ترعى وتكرم
وذلك برهان على ان قدرها جناح بعوض او اذق والا ارم
وحسبك ما قال الرسول عن الذى لها ولدار الخلد والحق يفهم
كما بين حل الانسان فى اليم اصبعا وينزعها منه فما ذا يغم
لبيت سعرى نعل البيتين ليلة على حذر منها وامرى لنحكم

وهل اردن ماء الحيوة وارتوى على ظمأ من حوضه وهو مفعم
وهل يبدون اعلامهم بعد ما سفت عليها السوافى تستبين وتعلم
وهل افرشن خدى ثرى عتباتهم خضوعا لهم كما برقوا ويرحموا
وهل ارين نفسى طريحا بباهم ولم امانى الحب فوق نحو
فوا اسفى تفنى الحيوة وتنقضى وعتبكم باق بقيتم وعشتم
فما منكم بد ولا عنكم غنى ومالى من صبر فاسلوا عنكم
ومن شاء فليغضب سواكم فلا اذى اذا كنتم عنى عبدكم قد رضيتم
وعقبى اصطبارى فى رضاكم حميدة ولكنها عندكم عقاب ومغرم
وما انا بالشاكى لما قد رضوته ولكننى ابغى بهم واسلم
وحسبى انتسابى من بعيد اليكم وذلك حظ مثله يتنعم
اذا قيل هذا عبدهم وحبهم تهلل بشرى ضاحكا يتبسم
وها هو قد ابدى الضراعة قائل لكم بلسان الحال والحال يعلم
احبتنا عطفا علينا فانتم بنا ظمأ والمورد العذب انتم
فيا ساهيا فى غمرة الجهل والهوى صريع الامانى عن قليل سيندم
افق قد دنى الوقت الذى ليس بعده سوى جنة او جمرة تتضرم
وبالله اعتصم واستمسكا هى العروة الوثقى التى ليس تفصم
فمسك بها مسك البخيل عياله وعض عليها بالنواجذ تسلم
واياك ما احدث الناس بعدها فمرتكبها نهبة الحوادث اوخم
وهيهى جوابا عند ما تسمع النداء من الله يوم العرض ماذا اجبتم
به رسلى ما انتم فمن اجب سواهم سيخزى عند ذاك ويندم
وخذ من تقى الرحمن اسبغ جنة ليوم به تبدو اعيانا جهنم
وينصب ذاك الجسر فوق متنها فحاو ونحدوس وناج مسلم
وياتى اله العالمين لوعده فيفصل ما بين العباد فنحكم

من جوانحه خواطره وارادته وجميع احواله وعزماته وجوارحه علم ان حركاته الظاهره
والباطنه وخواطره وارادته وجميع احواله الظاهره مكشوفه لديه عالميه له
ناظر اليه لا يخفى عليه منها شئ وكذلك اذا اشعر قلبه صفه سمع سبحانه لاصوات
عباده على اختلافها وجهرها وخفائها وسواء عنده في السر القول ومن جهر به
ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الاصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هي
عند كصوت واحد كلها كما ان خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزله نفس واحده
وكذلك اذا شهد معنى اسمه البصير من حيث تجلى الذي يرى دبيب النمله السوداء على الصخره
الصماء في حندس الظلماء ويرى تفاصيل خلق الذره الصغيره ولحمها وعروقها
ولحمها وحركتها ويرى مد البعوضه جناحها في ظلمه الليل واعطى هذا المشهد حقه
من العبوديه فحرس حركاته وسكناته ويتقي الله ممن يراه سبحانه ومشاهده
لا يغيب عنه منها شئ وكذلك اذا شهد مشهد القيوميه الجامع لصفات الافعال
وانه قائم على كل شئ وقايم على كل نفس وانه تعالى هو القايم بنفسه المقيم لغيره القايم
عليه بتدبيره وربوبيته وفقره وايصال جزء الحسن اليه وجزاء المسئ اليه
وانه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع
اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل لا تاخذه سنه ولا نوم و
لا يضل ولا ينسى وهذا المشهد من ارفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبيه
واعلى منه مشهد الالهيه الذي هو مشهد الرسل واتباعهم الحنفا وهو شهاده
ان لا اله الا هو وان الهيه ما سواه باطل ومحال كما ربوبيه ما سواه كذلك
فلا احد سواه يستحق ان يوله ويعبد ويصلى له ويسجد ويستحق نهايه
الحب مع نهايه الذل لكمال اسمايه وصفاته وافعاله فهو المطاع وحده
على الحقيقه والمالوه وحده وله الحكم وحده فكل عبوديه لغيره باطله
وعناء وضلال وكل حب لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى لغيره فقر وفاقه

وكل

لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من السر القول ومن جهر به جل جلاله

وكل عز لغيره ذل وصغار وكل تكثير بغيره قله وذلك فكما استحال ان يكون للخلق
رب غيره فكذلك استحال ان يكون لهم اله غيره فهو الذي انتهت اليه الرغبات
وتوجهت اليه نحوه الطلبات ويستحيل ان يكون معه اله اخر فان الاله على الحقيقه
هو الغني الصمد الكامل في اسمايه وصفاته الذي حاجه كل احد اليه ولا حاجه به
الى احد وقيام كل شئ به وليس قيام بغيره ومن المحال ان يحصل في الوجود اثنان
كذلك ولو كان في الوجود الهان لفسد نظامه اعظم فساد واختل اعظم
اختلال كما يستحيل ان يكون له فاعلان متساويان كل منهما مستقل بالفعل فان
استقلالهما ينافي استقلالهما واستقلال احدهما يمنع ربوبيه الاخر فتوحيد الا
الربوبيه اعظم دليل على توحيد الالهيه ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن اكثر
مما وقع بغيره لصحه دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها ولاعتراف
اهل الارض بتوحيد الربوبيه وكذلك كان عباد الاصنام يقرون به وينكرون
توحيد الالهيه ويقولون اجعل الالهه الها واحدا مع اعترافهم بان الله
وحده هو الخالق لهم والسموات والارض وما بينهما وانه المنفرد بذلك
كله فارسل الله تعالى يذكرهم بما في فطرهم الاقرار به من توحيد ربوبيته وحده لا شريك
له وانهم لو رجعوا الى فطرهم وعقولهم لدلتهم على امتناع اله اخر معه واستحالة
وبطلانه فمشهد الالوهيه هو مشهد الحنفا وهو مشهد جامع للاسماء والصفات
وحظ العبد بحسب حظه من معرفه الاسماء والصفات وكذلك كان الاسم
الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله فان هذا الاسم هو الجامع ولهذا
تضاف الاسماء الحسنى كلها اليه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار
من اسماء الله ولا يقال الله من اسماء الرحمن قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى
فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها وكل مشهد سواه فانما هو مشهد
لصفه من صفاته فمن اتسع قلبه لمشهد الالهيه وقام بحقه من التعبد
الذي هو كمال الحب بكمال الذل والتعظيم والقيام بوظايف العبوديه

الألوكة
www.alukah.net

فقره غناه بالاله الحق وصار من اغنى العباد ولسان حال مثل هذا يقول
غنيت بلا مال عن الناس كلهم وان الغنى العالى عن الشئ لابه فيالله من غنى ما اعظم
خطره واجل قدره تضاءلت دونه الممالك فهاد وفقا صارت بالنسبة اليه كالظل الزائل من
الخايل له والطيف الموانس في المنام الذى يانى به حديث النفس ويطرده الانتباه من
النوم فصل الدرجة الثالثة هى درجات الغنى بالرب سبحانه الغنى بوجوده فلا
الغنى اعلا درجات الغنى لان الغنى الاول والثانى كانا من اثار ذكر الله والتوجه فافاض
على القلب من صدق التوجه انوار الصفات المقدسة فاستغنى القلب بذلك وحصل له
ايضا انوار الشعور بكفاية وكفايته لعبده وحسن وكالته وقيوميته تبديره
وحسن تدبيره فاستغنت النفس بذلك ايضا واما هذا الغنى الثالث الذى هو
الغنى بالحق فهو من اثار وجود الحقيقة ونعوتها يكون بعد ترقيه من اثار الصفات
الى اثار وجوده الذات واغا يكون هذا الوجود بعد مكاشفة عين اليقين عند
ما يطلع فجر التوحيد فهذا اوله وكماله عند طلوع شمسه فيبتدئ صباب الوجود
الفانى وتشرق شمس الوجود الباقى فيقطع لها كل صباب وهذا عبارة عن
نور يقذف في القلب يكشف له بذلك النور عن عظمة الذات كما كشف له
بالنور الذى قبله عن عظمة الصفات فاذا كان النور من اثار صفات الذات
وصفات الافعال يعنى القلب والنفس مما ظهر بما يكشف له الانوار
من انوار قدس الذات المتقدسة بالجلال والاكرام فهذا غنى لا ينال له الوصف
ولا يدخل تحت الشرح فيستغنى العبد الفقير بوجود سيده الغنى الرحيم
فبالله من فقر يقضى ومن غنى يدوم ومن عيش الذ من الغنى فلا تستعجز
نفسك عن البلوغ الى هذا المقام فبينك وبينه صدق الطلب وانما
هى عزيمة صادقة وبغضة حرص لنفسه عندها قدر وقيمة يغار عليها

عليها ان يبيعها بالدون وقد جاء في الاثر الالهى يقول الله عز وجل يا ادم خلقتك
لنفسى فلا تتلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبنى تجدنى فان وجدتنى
وجدت كل شئ وان فتك فاتك كل شئ وانا احب اليك من كل شئ فمن طلب الله
بصدق وجده ومن وجده اغناه وجوده فاصبح حرا فى غنى ومعانة على وجهه
انواره وضياؤه وان فاته مولاه جل جلاله تباعد ما يرجوا وطال عناؤه
ومن وصل الى هذا الغنى قرت به كل عين لانه قد قرت عينه بالله والفوز بو
جوده ومن لم يصل اليه تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وقد قال صلى الله
عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله
ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له ومن اصبح والاخرة اكبر همه جعل الله غناه
فى قلبه وجمع شمله واتته الدنيا وهى راغمة وكان الله بكل خير اليه اسرع
فهذا هو الفقر الحقيقى والغنى الحقيقى واذا كان هذا غنى من كانت الاخرة
اكبر همه فكيف من كان الله سبحانه وتعالى اكبر همه فهذا من باب التنبيه
والاولى فصل فى ذكر كلمات عن ارباب الطريق فى الفقر والغنى قال يحيى
ابن معاذ الفقر ان لا تستغنى بشئ غير الله ورسمه عدم الاسباب كلها قلت
ليريد عدمها فى الاعتماد عليها والطمانينة بها لا عدمها بالنفس
التى سبق مسببها بالاولية وتفرده بالازلية وسئل محمد ابن عبد الله الوراق
عن الافتقار الى الله سبحانه والاستغناء به فقال اذا صح الافتقار الى الله تعالى
صح الاستغناء به واذا صح الاستغناء به صح الافتقار اليه فلا يقال ايهما اكمل لانه
لا يتم احدهما الا بالاخر قلت الاستغناء بالله هو عين الفقر اليه وهما عبارتان
عن معنى واحد لان كمال الغنى به هو كمال العبودية وحقيقة العبودية كمال الا

ويا خذ للمظلوم اذ ذاك حقه ... ويا توج من قد كان للخلق يظلم
وينشر ديوان الحساب وتوضع ... الموازين القسط الذى لا يظلم
فلا تجزم تخشى هناك ظلامة ... ولا تحسن من اجره الذر يهضم
وتشهد اعضاء المسى بما جنى ... كذاك على فيه المهيمن تختم
وياليت شعرى كيف حالك عند ... ما تطاير كتب العالمين وتقسم
اتاخذ باليمنى كتابك ام بسرك ... خلف الظهر منك بسلم
وتقرا فيه كل شئ عملته ... فيشرف منك الوجه او هو يظلم
تقول كتابى هاؤم اقرؤه ... لعلى فيبشر بالجنات حقا وتعلم
وان تك الاخرى فانك قائل ... لا ليتنى لم اوته فهو مغرم
فلا والذى شق القلوب واودع ... المحبة فيها حيث لا تتصرم
وجعلها قلب المحب وانه ... ليضعف عن حمل القميص ويا لم
وذللها حتى استكانت لصوله ... المحبة لا تلوى ولا تتلعثم
وذلل فيها انفسا دون ذلها ... حياض المنايا فوقها هى حوم
لقد فاز اقوام وحاز وامرانحا ... بتركهم الدنيا والاقبال منهم
على ربهم طول الحياة وحبهم ... على نهج ما قد سنه فهم هم الطعام
تاهلة تشوقه عضوه العدم حاجة العدم اليها اعظم من حاجته الى الطعام
والشراب والنفس تالى الروح التى بين جنبيه اعلم ان كل حى سوى الله فهو فقير الى
جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة التى من جنس النعيم واللذة والمضرة من
جنس الالم فلا بد من امرين احدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذى
يتنعم به ويتلذذ به والثانى هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع
لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه فههنا اربعة اشياء امر محبوب
مطلوب الوجود والثانى امر مكروه مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى
حصول المطلوب والرابع الوسيلة الى دفع المكروه فهذه الامور الاربعة
المحبوب

ضرورية للعبد بل ولكل حى سوى الله لا يقوم صلاحه الا باذا عرف هذا فالله سبحانه
هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له وهو وحده المعين
للعبد على حصول مطلوبه فلا معبود سواه ولا معين على المطالب غيره
وما سواه هو المكروه المطلوب بعده وهو المعين على دفعه فهو سبحانه
الجامع للامور الاربعة دون ما سواه وهذا معنى قول العبد اياك نعبد
واياك نستعين فان العباده تتضمن المقصود المطلوب على وجه اكمل
الوجوه والمستعان هو الذى يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه
فالاول من مقتضى الوهيته والثانى من مقتضى ربوبيته لان الاله هو الذى يوله
فيعبد لحبه وانابه واجلالا واكراما والرب هو الذى يرب عبده فيعطيه خلقه
ثم يهديه الى جميع احواله ومصالحه التى بها كماله ويعديه الى اجتناب المفاسد
التى بها فساده وهلاكه وفى القرآن سبعة مواضع تنتظم هذين الاصلين احدها
قوله اياك نعبد واياك نستعين الثانى قوله عليه توكلت واليه انيب الثالث
قوله فاعبده وتوكل عليه الرابع قوله عليك توكلنا واليك انبنا الخامس
قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده السادس قوله عليه توكلت و
اليه متاب السابع قوله واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ومما يقرر هذا ان الله خلق الخلق لعبادته
الجامع لمعرفته والانابه اليه ومحبته والاخلاص له فبذكره تطمئن قلوبهم
وبرؤيته فى الاخرة تقر عيونهم ولا شئ يعطيهم فى الاخرة احب اليهم من
النظر اليه ولا شئ يعطيهم فى الدنيا احب اليهم من الايمان به و
محبته له ومعرفتهم به وحاجتهم اليه وعبادتهم له وتالههم له وحاجتهم
اليه بل اعظم فى خلقه لهم وربوبيته لهم ورزقه لهم فان ذلك هو الغاية
المقصوده التى بها سعادتهم وفوزهم وبها ولاجلها يصيرون عاملين
متحركين والا صلاح لهم لا فلاح ولا نعيم ولا لذة ولا سرور بدون ذلك محال
فمن اعرض عن ذكر ربه فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وهذا

الألوكة
www.alukah.net

الافتقار الله من كل وجه وهذا الافتقار هو عين الغنى به فليس هنا شيآن يطلب
تفضيل احدهما على الآخر وانما يتوهم كونهما شيئين بحسب المستغنى عنه والمفتقر اليه فى حقيقة واحدة ومقام واحد يسمى غنى بالنسبة الى فراغه عن الوجود
لغيره وهو بالنسبة الى قصر همته وحبسها على الله سبحانه فى همة شاقة
عن شئ وانصلت بغيره فسيرها عن الغير غنى وسيرها الى الله فقر فاذا
وصلت اليه استغنت به بكمال فقرها اليه اذ بصيرها بعد الوصول فقيرة
اخرى غير فقرها الاول وانما يكمل فقرها بهذا الوصول وسئل رويم عن الفقر
فقال التفسير فى احكام الله تعالى قلت ان اراد الحكم الدينى فصحيح
وان اراد الحكم الكونى القدرى فلا يصح هذا الاطلاق بل لابد فيه من تفصيل
كما تقدم بيانه وارسال النفس فى احكامه التى يسخطها وبعضها وارسالها
فى احكامه التى تحب مشاركتها وملاقتها باحكامه خروج عن العبودية وقيل
نعت الفقير ألا يملك شيأ ولا يملكه احد وقيل حفظ سره واداء فرضه وصيانة فقره قلت
حفظ السر كما انه صيانة له من الاغيار وغيرة عليه ان ينكشف لمن
لا يعرف قدره ولا يؤمن عليه واداء الفرض قيام بادآء الحق العبودية وصيانة
الفقر حفظه عن لوث مساكنة الاغيار وحفظه عن كل سبب يفسده
وكتمانه ما استطاع وقال ابراهيم ان ادهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى
وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر وسئل يحيى بن معاذ عن الغنى
فقال هو الامن بالله عز وجل وسئل ابو حفص عما ينبغى ان يتوخى الفقير
على ربه تعالى فقال ينبغى للفقير ان لا يتوخى على ربه بشئ سوى فقره وقال بعضهم
ان الفقر الصادق ليخشى من الغنى حذارا ان يدخله فيفسد عليه فقره
كما يخشى الغنى الحريص من الفقر ان يدخله فيفسد عليه غناه وقال بشر ابن
الحارث افضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى القبر قلت ومن هاهنا

قال

قال انما يلبسها لواحد العبد ما ذا انت لابسه فقال خلقا سابغا جبة جزعا
فقر وصبرها ثوباه تحتهما وعلى يرى الفه الاعياد والجمعا
والدهر لى مائم ان غبت يا ابقى والعبد ما دمتلى مرآى ومستمعا وسيل
ابن الجلا متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يتنغص عليه بقيه منه فقيل
له كيف ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له قلت معنى هذا
انه لا يبقى عليه بقية من نفسه فاذا كان لنفسه فليس له بل قد اضاع حقه وضيع
سعادتها وكمالها واذا لم يكن لنفسه بل كان كله لربه فقد احرز كل حظ
له وحصل لنفسه سعادتها فانه اذا كان لله كان الله له واذا لم يكن لله لم
يكن الله له فكيف تكون نفسه له فهذا من الذين خسروا انفسهم وقيل حقيقة
الفقر ان لا يستغنى الفقير فى فقره بشئ الا بما اليه فقره وقال ابو حفص احسن
ما توسل به العبد الى مولاه دوام الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة
فى جميع الافعال وطلب القوت من وجه حلال وقال بعضهم ينبغى للفقير ان
لا يشبع همته خطوة قلت يشير الى تعلق همته بواجب وقته وانه لا
يتخطى همته واجب الوقت قبل كماله وايضا يشير الى قصر امله وان همته
غير متعلقة بوقت لحادث نفسه ببلوغه وايضا يشير الى جمع الهمة
على حفظ الوقت وان لا يضعفها بتقسيمها على الاوقات وقيل اقل ما يلزم
الفقير فى فقره اربعة اشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله
وذكر يونس وقال ابو سهل الحشاب منصور الفقر انما هو فقر
وذل فقال منصور بل فقر وعز فقال ابو سهل فقر وثرى فقال منصور
بل فقر وعرش قلت اشار ابو سهل الى البداية ومنصور الى الغاية
قال الجنيد اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق والا تلقه بالعلم يوحشه فقلت يا ابا
القاسم كيف يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم الفقير اذا كان صادقا
فى فقره وطرحت عليه العلم دأب كما يذوب الرصاص فى النار وقال ابو

المظفر القرميسي الفقير هو الذي لا يكون له الى الله حاجة قال ابو القاسم القشيري
وهذا اللفظ فيه ادنى غموض على من سمعه على وصف الغفلة عن مرئي العوض وانها
اشار فايله الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيارات والرضى بما يجريه الحق سبحانه
تعالى وبعد فهو كلام مستدرك خطأ فان حاجات هذا العبد الى الله بعدد
الانفاس اذ حاجاته ليست كحاجات غيره من اصحاب الحظوظ والاقسام بل
حاجات هو الاخرى حاجة هذا العبد كتقلبه في بحر فان حاجته الى الله في كل طرفة
عين ان يحفظ عليه حاله ويثبت قلبه ويوقيه في مقامات العبودية ويصرف عنه
ما يفسدها عليه ويعرفه مناذل الطريق ومكامنها واوقاتها وتعريفه
مواقع رضاه ليفعلها ويعزم عليها ومواقع سخطه ليعزم على تركها واجتنابها
فاي حاجات اكثر واعظم من هذه فالصواب ان يقال الفقير هو الذي حاجاته
الى الله بعدد الانفاس او اكثر فالعبد له في كل نفس ولحظ وطرفة عين على
حوائج الى الله لا يشعر بكثير منها فافقر الناس الى الله من شعر بهذه الحاجات
وطلبها من بعدها بطريقها وان كان لا بد من اطلاق تلك العبارة على ان
منها كما يدل عليه قال هو الذي لا حاجة له الى الله تخالف موصاته وتحط عن مقام
العبودية الى منزلة الاستغناء واما ان يقال لا حاجة له الى الله فسخط قبيح
واما حمل ابي القاسم كلامه على اسقاط المطالبات وانتفاء الاختيار
والرضى بمجاري الاقدار فانما يحسن في بعض الحالات وهو في القدر الذي
يجري عليه بغير اختياره ولا يكون مامورا بدفعه ومنازعته بقدر اخر
كما تقدم واما اذا كان مامورا بدفعه ومنازعته بقدر هو احب الى الله منه
وهو مامور به امر ايجاب او استحباب فاسقاط المطالبات وانتفاء الا
حتيار فيه والسعي في الفرار الى الله سبحانه بلوغ على الفرار قبل بلد
ضعف الفقير عدم الاملاك والخروج عن احكام الصفات قلت بل بلد
عدم اضافة شيء اليه اضافة ملك وان يخرج عن احكام صفات نفسه و

بدلها

بدلها باحكام صفات مالكه وسيده مثال ان يخرج عن حكم ضعفه وقدرته واختياره
التي توجب له دعوة الملك والتصرف والاضافات وتبقى باحكام صفة القدرة الازلية
التي توجب له العجز والفقر والفاقة كما في دعاء الاستخارة اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر
وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب فهذا انصاف باحكام الصفات العلى في العبد
وخروج عن احكام صفات النفس وقال ابو حفص لا يصح لاحد الفقر حتى يكون
العطاء احب اليه من الاخذ وليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم وانما السخاء ان
يعطي المعدم الواجد وقال بعضهم الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة الى شيء
من الاشياء سوى ربه تبارك وتعالى وسئل سهل ابا عبد الله متى يستريح الفقير
فقال اذا لم ير لنفسه على الوقت الذي هو فيه وقال ابو بكر ابن طاهر من حكم
على الفقير ان لا يكون له ربه وان كان لا بد فلا جاور ربه كفايته وسئل بعضهم
عن الفقير الصادق فقال الذي لا يملك ولا يملك وقال ذو النون دوام الفقر الى الله
مع التخليط احب الي من دوام الصمت مع الحي في الله اعلم [illegible] فقر
الفقر خفاء الفقر المتخلي من الدنيا نظرا واطلاعا الخالي عنها تعففا لا يستغني بها
كثرا ولا يستكثر منها تملكا وان كان مالكا لها بعد الشرط لم تضره بل هو فقير
غناه في فقره وغنى فقره في غناه ومن نعته ايضا ان يكون [illegible] من حاله و
هو خروجه عن المال نهبا وتوكه الالتفات اليه تسليما وتنزيه مسكنته
الاحوال والرجوع عن مواقفها فلا يستغني بها اعتمادا عليها ولا
يفتقر اليها مساكنة لها ومن نعته انه يعمل على مواقيت الله في الفقر الذي
والتوكل والانابة فهو عامل على مراد الله منه لا على موافقة هواه وهو تحصيل
مراده من الله فالفقير خالص يكابده الى الله سبحانه ليس لنفسه ولا لهواه
في حاصل الحظ ولا نصيب بل عمله بقيام شاهد الحق وفناء شاهد نفسه
قد غيبه شاهد الحق عن شاهد نفسه محقوق بالله بمراد الله فهو له على
الله وهمته لا تقف دون شيء سواه قد مني بحبه عن حب من سواه

الألوكة
www.alukah.net

لا يغفر الله لمن اشرك به شيأ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولهذا كانت لا اله الا الله
افضل الحسنات وكان توحيد الالوهية الذي كلمته لا اله الا الله راس الامر
فاما توحيد الربوبية الذي اقر به كل المخلوقات فلا يكفي وحده وان
كان لابد منه وهو محجوج على من انكر الالوهية حق الله على العباد ان
يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحقهم عليه اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم
وان يكرمهم اذا قدموا عليه وهذا كما انه غاية محبوب العبد ومطلوبه
وبه سروره ولذته ونعيمه فهو ايضا محبوب الرب من عبده ومطلوبه
الذي يرضى به ويفرح بتوبة عبده اذا رجع اليه والعبودية وطاعته
اعظم من فرح من وجد راحلته التي عليها طعامه وشرابه في ارض مهلكة
بعد ان فقدها وايس منها وهذا اعظم فرح يكون وكذلك العبد
لاحد له اعظم من فرحه بوجود ربه واسفه له وطاعته له واقباله
عليه وطاعته له وتنعم بالتوجه الى الله سبحانه ومن عبد غيره
واحبه وان حصل له نوع من اللذة والمودة والسكون اليه والفرح به و
السرور بوجوده فمفسدة ذلك به ومضرته وعطبه اعظم من مفسدة اكل
طعام المسموم اللذيذ الشهي الذي هو عذب في مذاقه لكنه في عاقبته
عذاب اليم كما قال ابو بكر كانت في الشباب لاهلها عذابا فصارت في المشيب
عذابا اليما لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون
فان قوام السموات والارض والخليقة بان تاله الاله الحق فلو كان فيهما
الهة اخرى غير الله لم يكن الها حقا اذ الاله الحق لا شريك له ولا مثل له
فلو تالهت غيره لفسدت كل الفساد باشتغاء ما به صلاحها اذ صلاحها بتاله
الاله الحق كما انها لا توجد الا باستنادها الى الرب الواحد القهار ويستحيل ان
تستند الى في وجودها الى ربين متكافئين فكذلك يستحيل ان تستند في
تقاربها وصلاحها الى الهين متشاكسين اذا عرف هذا فاعلم ان حاجة
العبد الى ان يعبد الله وحده لا شريك له شيأ في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه

ولا

ولا في التوكل عليه ولا في ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النذر له ولا في الخضوع
له ولا في الذل له والتعظيم والسجود والتقرب اعظم من حاجة الجسد الى روح
والعين الى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فان حقيقة العبد
قلبه وروحه ولا صلاح لها الا الها الحق الذي لا اله الا هو فلا تطمئن في الدنيا
الا بذكره وهي كادحة اليه كدحا فملاقيته ولا بد لها من لقائه ولا صلاح لها الا
بمحبتها وعبوديتها له ورضاه والكرامة لها ولو حصل للعبد من اللذات
والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك بل ينتقل من نوع الى نوع ومن
شخص الى شخص وينتغص بعضه في وقت فيعذب به ولا بد في وقت آخر
وكثير ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذ
بل قد يعود نعيمه الى انتقامه هو وجوده عند وبضد ذلك انما حصل له
بما يشتهيه من جنس ما يحصل للحرب من لذة الاظفار التي تحك في تدمي
الجلد وحرقة وتزيل في ضرره وهو يعرف ذلك مالا في حكمها من لذة اللذة
وهكذا ما تعذب به القلب من حب غير الله هو عذاب عليه ومضرة و
الم في الحقيقة لا تزيل لذته على لذة حك الجرب والعاقل يوازن بين الا
مرين ويؤثر ارجحهما والله الموفق المعين وله الحمد البالغة كما له التفرد
السابغة والمقصود ان الى العبد الذي لا بد له منه في كل حالة وكل دقيقة
وكل طرفة عين هو الاله الحق الذي كل ما سواه باطل الذي ايما كان فهو
معدوم ضرورة وحاجته اليه لا يشبهها ضرورة ولا حاجة بل هي فوق
كل ضرورة واعظم من كل حاجة ولهذا قال امام الحنفاء لا احب الافلين
والله اعلم فصل وهذا مبني على اصلين احدهما ان نفس الاعيان
مالله وعبادته ومحبته واخلاص العمل له وافراده بالتوكل عليه هو غذاء
الانسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه اهل الايمان وكما دل عليه القرآن
لا كما يقوله من يقوله ان عبادته تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب

الألوكة
www.alukah.net

ولذته بل الجرد الاستحسان والاستلذاذ كما يقوله من يسكر والحكمة والتعليل او الاجل التعويض بالاجر فيما فى ايصاله اليه بدون معاوضة منه تكدر او لاجل تهذيب النفس برياضتها واستعدادها لقبول العقليات كما يقوله من ينقرب الى البهائم من الفلاسفة بل الامر اعظم من ذلك كله واجل بل او امر المحبوب قوة العيون وسرور القلوب ونعيم الارواح ولذات النفوس وبها كمال النعيم وقرة عين المحب فى الصلوة والحج وفرح قلبه وسروره ونعيمه فى ذلك وفى الصيام والذكر والتلاوة واما الصدقة فمحبب من المحب واما الجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الله والصبر على اعداء الله سبحانه فالله يذكر امر اخر لا ينالة الوصف ولا يدرك من ليس له نصيب منه وكل من كان به اقوم كان نصيبه من اللذة اذ به اعظم ومن غلظ فهمه وكثف طبعه عن ادراك هذا فليتامل اقدام القوم على قتل ابائهم وابنائهم واحبابهم ومفارقة اوطانهم وبذل نفوسهم لاعدائهم ومحنهم للقتل وايثارهم له على البقاء وايثارهم لوم اللائمين وذم الخلق على مدحهم وتعظيمهم ووقوع هذا من البشر بدون امر يوجد وقته عليه من حلاوته ولذته وسروره ونعيمه ممتنع والواقع شاهد بذلك بل ما يقام بقلوبهم من اللذة والسرور والنعيم اعظم مما يقوم بقلب العاشق الذى يحل ما يجده من موافقة رضى معشوقه فحصول مثل هذا يتبع له ما يعلم من سرور معشوقه به فيا منكر هذا تاخر فانه حرام على الخفاش ان يبصر الشمس فمن كان مراده وحبه الله وحياته فى موافقته ومحبته ونعيمه فى التوجه اليه وذكره وطمانينته به وسكونه اليه وحده عرف هذا واقر به والاصل الثانى ان كمال النعيم فى الدار الاخرة ايضا انما هو برويته سبحانه وسماع كلامه وقربه ورضوانه لا كما يزعم من يزعم ان الله لا لذة فى الاخرة الا بالمخلوق من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح بل اللذة والنعيم التام فى حظهم من الخالق تعالى اعظم مما يخطر بالبال ويدور

فى الخيال وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه الامام احمد فى مسنده وابن حبان والحاكم فى صحيحها واسالك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ولهذا قال تعالى فى حق الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فعذاب الحجاب اعظم انواع العذاب الذى يعوذ به اعداء الله النظر الى وجه الله الكريم اعظم انواع اللذات التى يتمتع بها اولياؤه ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رويته وسماع كلامه والانوا منه وقربه وهذان الاصلان ثابتان بالكتاب والسنة وعليهما اهل العلم والايمان ويتكلم فيهما مشايخ الطريق العارفون وعليهما اهل السنة والجماعة وهما من فطرة الله التى فطر الناس عليها وتحتوى على من ينكرهما بالنصوص والاثار تارة وبالذوق والوجد تارة وبالفطرة تارة وبالقياس والامثال تارة وقد ذكرنا بمجموع هذه الطرق فى كتابنا الكبير فى المحبة الذى سميناه الورد الصافى فى المحبة واقسامها وانواعها واحكامها وبيان وجوب تعلقها بالاله الحق دون ما سواه وذكرنا من ذلك مايزيد على مائة وجه ومما يوضح ذلك ويزيده تقريرا ان المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع بل ربه تبارك الذى خلقه ورزقه وبصره وهداه واسبغ عليه نعمه وحبب اليه بعضها ومع غناه عنه ومع بغض العبد اليه بالمعاصى مع فقره اليه فاذا امسه الله بضر فلا كاشف له الا هو واذا اصابه بنعمة فلا راد لها ولا مانع كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو واذا اصابه بنعمة فلا راد لها وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فالعبد لا ينفع ولا يضر ولا يعطى ولا يمنع الا باذن الله تعالى الامر كله لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا هو يقلب القلوب ويصرفها كيف شاء المتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع والخفض والرفع ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا الوجه اظهر لعموم الناس من الوجه الاول ولهذا هو طبوا

به في القرآن اكثر من الاول لكن من تدبر طريقة القرآن تبين له ان الله سبحانه
يدعو عباده بهذا الوجه الاول ولهذا الوجه يقتضي التوكل على الله
والاستعانة به والدعاء ومسألته دون ما سواه ويقتضي ايضا محبته
وعبادته لاحسانه الى عباده بما انعم عليهم فاذا احبوه واحبوه وتوكل عليه
من هذا الوجه دخل في الوجه الاول وهكذا من نزل به بلاء عظيم وفاقة
شديدة او خوف مقلق لجعل يدعو الله ويتضرع اليه حتى فتح له من الباب
مناجاته وباب الايمان به والانابة اليه ما هو احب اليه من ازالة الحاجة التي قصدها
اولا لكنه لم يكن يعرف ذلك اولا حتى يطلبه ويشتاق اليه فعرفه اياه بما
اقامه له من الاسباب التي اوصلته اليه والقرآن مملوء من ذكر هذه الحاجة
العبد الى الله دون ما سواه ومن ذكر نعمائه عليهم ومن ذكر ما وعدهم به
في الاخرة من صنوف النعيم واللذات وليس عند المخلوق شيء من هذا فهذا
الوجه يحقق التوكل على الله والشكر له ومحبته على احسانه ومما يوضح ذلك
ويقويه ان تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه اذ اخذ منه القدر الزائد
على حاجته المعينة له على عبوديته لله ومحبته وتفرغ قلبه له فانه ان نال
من الطعام والشراب فوق حاجته ضره واهلكه وكذلك من النكاح
واللباس وان احب شيئا لغير الله فلا بد ان يسيء به او يفارقه فالضرر
حاصل له ان وجده وفقده فان فقده تعذب بالفراق وتالم وان وجده
حصل له من الالم اكثر مما حصل له من اللذة وهذا امر معلوم بالاعتبار
والاستقراء ان كل من احب شيئا دون الله لغير الله فان مضرته اكثر
من منفعته وعذابه اعظم من نعيمه يزيد ذلك ايضا ان اعتماده
على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته فانه يخذل من تلك الجهة
وعذابه ايضا معلوم بالاعتبار والاستقراء فانه ما علق العبد رجاءه و
توكله بغير الله الا خاب من تلك الجهة ولا استنصر بغير الله الا خذل قال الله
تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم

ويكونون

ويكونون عليهم ضدا وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا
يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون وقال علي امام الحنفاء انه
قال للمشركين انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ولما كان
غاية صلاح العبد في عبادة الله وحده واستعانته وحده كان في عبادة
غيره والاستعانة بغيره غاية مضرته ومما يوضح الامر في ذلك وبينه
ان الله سبحانه غني حميد كريم رحيم فهو محسن الى عبده مع غناه عنه
يريد به الخير ويكشف عنه الضر لحاجة منفعه الله سبحانه ولا لدفع مضرة
بل رحمة واحسانا وجودا محضا فانه رحيم لذاته محسن لذاته جواد لذاته كريم
لذاته كما انه غني لذاته قادر لذاته حي لذاته فاحسانه وجوده وبره ورحمته
من لوازم ذاته لا يكون الا كذلك كما ان قدرته وغناه من لوازم ذاته فلا
يكون الا كذلك واما العباد فلا يتصور ان يحسنوا الا لحظوظهم فاكثر
ما عندهم للعباد تحبوه ويعظموه ليحلبوا له منفعة وتدفعوا عنه مضرة وذلك
من تسليط الله واذنه لهم به فهو في الحقيقة ولي هذه النعم ومسديها ومجريها
على ايديهم ومع هذا فانهم لا يفعلون ذلك الا لحظوظهم من العبد فانهم اذا
احبوه طلبوا ان ينالوا اغراضهم من محبته سواء احبوه لجماله الباطن او الظاهر
فاذا احبوا الانبياء والاولياء طلبوا لقاءهم فهم يحبون التمتع برؤيتهم وسماع
كلامهم ونحو ذلك وكذلك من احب انسانا لشجاعته او رياسته او جماله او كرمه
فهو يحب ان ينال حظه من تلك المحبة ولولا التذاذه بها لما احب ذلك وان جلبوا
له منفعة او دفعوا عنه مضرة كمرض وعدو ولهذا دعاؤهم يطلبون العوض اذا لم
يعط العبد ما سأل الله فاجناد الملوك وعبيد الممالك واجراء المتاجر واعوان
الرئيس كلهم انما يسعون في نيل اغراضهم به لا يعرج اكثرهم على قصد
منفعة المخدوم الا ان يكون قد علم وهذب من جهة اخرى فيدخل ذلك في الجهة

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتقديره تخليقا اعتبارا بما يؤل فيكون قوله صورها وخلق سمعها وبصرها اى قدر ذلك وكتبه واعلم به ثم يفعله به بعد الاربعين الثالثة او يكون به اى بالاربعين المراد به الاربعين الاولى حقيقة التصوير فيها فتتعين حمله على تصوير خفى لادراك احساس البشر فان النطفة اذا جاوزت الاربعين انتقلت علقة وحينئذ يكون اول ابتداء التخليق فيكون مع هذا المبدا ابتداء التصوير الخفى الذى لا ينافيه الحس ثم اذا مضت الاربعون الثالثة صورت التصوير المحسوس المشاهد فاحد التقديرات الثلاثة متعين ولا بد للاجل غير هذا الشقاء اذ العلقة لا سمع فيها ولا بصر ولا جلد ولا عظم وهذا التقدير الثالث الذى يليق بالفاظ الحديث واشبه وادل على القدر والله اعلم بمراد رسوله على انا لا نشكك ان التخليق المشاهد والتقسيم الى الجلد والعظم والحم انما يكون بعد الاربعين الثالثة والمقصود ان كتابة الشقاوة والسعادة وما هو لاق كان عند اول تخليقه وحمل وجهل رابعها وهو ان النطفة فى الاربعين الاولى لا تعرض لها ولا يعنى بشانها فاذا جاوزتها وقعت فى اطوار التخليق طورا بعد طور ووقع حينئذ التقدير والكتابة بحديث بن مسعود صريح بان وقوع ذلك بعد الطور الثالث عند تمام تكوينها مضغة وحديث حذيفة ابن اسيد وغيره من الاحاديث المذكورة امامه ووقوع ذلك بعد الاربعين ولم يوقت فيها التقدير بل اطلقها وقيدها ووقتها فى حديث ابن مسعود والمطلق والمقيد يحمل المطلق على المقيد بلا ريب فاخبر بما يكون بالنطفة بعد الطور الاول من تفاصيل شانها وتخليقها وما يقدر لها وعليها وذلك يقع فى اوقات متعددة وكله بعد الاربعين الاولى وبعضه متقدم على بعض كما ان كونها علقة تتقدم على كونها مضغة متقدم على تصويرها والتصوير متقدم على نفخ الروح مع ذلك فيصح ان يقال ان النطفة بعد الاربعين تكون علقة ومضغة ويصور خلقها ويركب فيها العظام والجلد وشق لها السمع والبصر وينفخ فيها الروح وكتب شقاوتها وسعادتها وهذا لا يقتضى وقوع ذلك كله عقب الاربعين الاولى من غير فصل وهذا وجه حسن جدا والمقصود ان تقدير الشقاوة والسعادة والخلق والرزق يسبق خروج العبد الى دار الدنيا فاما ساكنه الجنة والنار وهو فى بطن امه ففى الصحيحين عن ابى هريرة قال قال رسول الله ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة الحديث وفى صحيح البخارى

عن ابى

عن ابى سعيد عن النبى قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالخير وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله وفى سنن ابن ماجه عن عدى ابن حاتم انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عدى اسلم تسلم قلت وما الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وتؤمن بالاقدار كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها وفى صحيح البخارى من حديث الحسن عن عمران بن حصين قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم مالى فاعطى بعضا ومنع آخرين فلما ذكر له انهم عتبوا فقال انى اعطى الرجل واذع الرجل والذى ادع احب الى من الذى اعطى اقواما لما فى قلوبهم من الجزع والهلع واكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنا والخير الحديث وفى الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شىء وفى الصحيح عن ابن عباس ان النبى قال لاشج عبد القيس ان فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله خلقت تخلقت بهما ام جبلت عليهما قال بل جبلت عليهما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم جف القلم بما انت لاق رواه البخارى تعليقا وذكر البخارى ايضا عن ابن عباس فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون قال سبقت لهم السعادة وفى سنن ابى داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن مسعود وحذيفة ابن اليمان وابى ابن كعب وزيد ابن ثابت ان الله لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو انفقت مثل احد ذهبا فى سبيل الله ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار وقاله زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى سنن ابى داود عن الحضرمى الشامى قال قال عبادة بن الصامت يا بنى انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله قال ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة يا بنى سمعت رسول الله يقول من مات على غير هذا فليس منى وفى الصحيحين عن على قال كنا فى جنازة فيها رسول الله بقيع الغرقد

الدنيا او يكون فيه طبع عدل واحسان من باب المكافاة والرحمة والا فالمقصود
بالقصد الاول هو منفعة نفسه وهذا من حكمة الله التي اقام بها مصالح
خلقه اذ قسم بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ... اذا تبين هذا ظهر ان احدا من
المخلوقين لا يقصد منفعتك بالقصد الاول بل انما يقصد منفعته بك
وقد يكون عليك في ذلك ضرر اذا لم يراع فيه العدل فاذا دعوته فقد
دعوت من ضره اقرب من نفعه والله سبحانه هو يريد لك
ولمنفعتك لا لينتفع بك وذلك منفعة لا محض اضرار فيها فتدبر
هذا حق التدبر واحرق المراعاة لملاحظة نفسك ان ترجو المخلوق
او تطلب منه منفعة لك فانه لا يريد ذلك البتة بالقصد الاول بل انما
يريد انتفاعه بك عاجلا او اجلا فهو يريد بقصده لا يريدك ويريد ان ينفع
نفسه بك لا ينفعك بنفسه فتامل ذلك فان فيه منفعة عظيمة وراحة
ياسا من المخلوقين وسدا لباب عبوديتهم وفتحا لباب عبودية الله وحده
فما اعظم حظ من عرف هذا المقام ورعاها حق رعايتها ولا يجلنك هذا على
جفوة الناس وترك الاحسان اليهم واحتمال اذاهم بل احسن اليهم لله لا لارجاع
فكما لا تخافهم لا ترجوهم وعاملهم ذلك ان غالب الخلق يظلمون ادراك حاجتهم
بل وان كان ذلك ضررا عليك فان صاحب الحاجة معذور لا يرى الا قضاءها فهم
لا يبالون بمضرتك اذا ادركوا منك حاجتهم بل لو كان فيها هلاك دينك
واخرتك لم يبالوا بذلك وهذا انما يميزه العاقل بعلم انه عداوة في صورة
صداقة وانه لا اعداء للعاقل اللبيب من هذه العداوة فهم يريدون ان
يضروك كما لكن بنفع بطنك ويعصر اضلاعك في نفعهم ومصالحهم
بل لو اتيح لهم اعلك لحزروك كما يحزرون الشاة وكم يذبحونك كل وقت
بغير سكين لمصالحهم وكم اتخذوك جسرا وعبروا بك الى اوطارهم

وانت

وانت لا تشعر وكم بعت اخرتك بدنياهم وانت لا تعلم ورعاعات وكم بعت
حظك من الله بحظوظهم منك ورضاك صغر البدين وكم فوتوا عليك
من مصالح الدارين وقطعوك عنها وحالوا بينك وبينها وقطعوا طريق
سفرك الى منازلك الاولى ودارك التي دعيت اليها وقالوا الحق
احبابك وخدمك وشيعتك واعوانك والساعون في مصالحك و
كذبوا والله انهم لاعداء في صورة اولياء وحرب في صورة مسالمين
وقطاع طريق في صورة اعوان فواعوناه ثم واعوثاه بالله الذي يغيث
ولا يغاث يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون فالسعيد الراشد من عامل الله فيهم ولم يعاملهم في الله
وخاف الله فيهم ولم يخفهم في الله ورضي الله سبحانه فيهم ولم يرضهم بسخط
الله وراقب الله فيهم ولم يراقبهم في الله وآثر الله عليهم ولم يؤثرهم على
الله وامات خوفهم ورجاءهم وحبهم من قلبه واحيى حب الله وخوفه و
رجاءه فتبين هذا هو الذي يتعين عليهم ويتعين معاملتهم كلهم كذلك بشرط ان
يصبر على اذاهم ويتحمل مغرما ويتحمل اضرارا وخسارا ومما يوضح الامر ان
المخلوق لا يقدر ولا حتى منهم ان يدفع عنك مضرة البتة الا باذن الله ومشيئة
وقضاءه وقدره فهو مجبور في الحقيقة الذي لا ياتي بالحسنات الا هو ولا
يذهب بالسيئات الا هو وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله قال ابن عبد الله بن عباس واعلم ان الخليقة
لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو
اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك واذا كانت
هذه حالة الخليقة فتعليق الخوف والرجاء بهم ضار غير نافع والله اعلم

فصل وجماع هذا انك اذا كنت غير عالم بمصلحتك ولا قادر
عليها ولا مريد لها كما ينبغي فغيرك اولى ان لا يكون عالما بمصلحتك ولا

قادر عليها ولا مريد لها والله سبحانه هو يعلم ولا تعلم وتقدر ولا تقدر و
يعطيك من فضله لا معاوضة ولا لينفعه بوجهاتك ولا ليتعاظمه ذلك
ولا ليتعزز به ولا لخوف الفقر ولا لنقص حزائنه على سعة الانفاق ولا
لحسن ثناء عند الخلق منه اليك واستغنائه بحمدك اذا احرجه اثر ذلك
في غناه وهو يحب الجود والبذل والعطاء والاحسان اعظم مما تحبه
الاخذ والانتفاع بما ساء لله فاذا احببته عبدك فاعلم ان هناك امرين
لثالث لهما احدهما ان تكون انت الواقف في طريق مصالحك وانت
المعوق لوصول فضله اليك وانت تحرمه طريق نفسك وهذا هو الا
غلب على الخليقة فان الله سبحانه قضى فيما قضى به ان ما عند لا ينال الا بطاعته
والله ما استجلبت نعم الله بمثل طاعته ولا استديمت بمثل شكره ولا عوقت وامتنعت
بمثل معصيته وكفرانه اذا انعم عليك سلبك النعمة فانه لم يسلبها الجل منه ولا
استبقاها عليك وانما انت المتسبب في سلبها عنك فان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وذلك ان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وان الله سميع عليم فما ازيلت نعم الله بغير معصيته سعيا
اذا كنت في نكد فارعها فان المعاصي تزيل النعم فاوفك من نفسك وبلاك
من نفسك وانت فحل الحقيقة الذي بالغت في عداوتك وبلغت من معاداة نفسك
ما لا يبلغ العدو منك كما قيل ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
من التخبي فان هذا شانك مع نفسك وانت تشكو الحين البري من الشكاية
وتتهم اخذاريك وتعاتبهم وتلومهم فقد ضيعت فرصتك وفرطت في حظك
وعجزت ايدك عن اسباب سعادتك واراد تهائم فعدت تعانت القدر بلعان
الحال والقال فانت المعنى بقول القايل وعاجز الراي مضياع لفرصته
حتى اذا فات امر عاتب القدرا ولو شعرت بوارك وعلت من اين ذهبت
ومن ان اصبت لامكنك تدارك ذلك ولكن قد فسدت الفطرة وانتكس القلب
واطفاء الهوى مصابيح العلم والايمان منه فاعرضت عن اصل بلائك ومصيبتك
منه واقبلت تشكو امرا من كل احسان دقيق او جليل وصل اليك منه فاذا شكوته
الى خلقه كنت كما قال بعض العارفين وقد راى رجلا يشكو الى آخر ما اصابه ونزل
به يا هذا اتشكو ان يرحمك الى من لا يرحمك واذا عرتك مصيبة فاصبر لها

صبر

صبر الكرام فانه بك ارحم واذا شكوت الى ابن آدم انما تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم
واذا اعيتك الحيلة حقيقة الامر وعرف من اين اتى ومن اي الطرق اعتيد على سرحته وملى ايجا
تغدو شكوى متاعد وسلب استحى من نفسه ان لم يستحي من الله ان يشكو احدا من
خلقه او يتظلم او يرى مصيبته وافته من غير قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال اولما اصابتكم قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم هذا ومن الخاطب بهذا الخطاب وقال وما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فان اصررت على اتهام القدر وقلت
فالسبب الذي اصبت به والبت منه ورهبت منه قد سبق به القدر والحكم وكان
في الكتاب مسطورا فلا بد منه على الرغم مني وكيف لي ان انفك منه وقد اودع الكتاب
الاول قبل خلق الخليقة والكتاب الثاني قبل خروجي الى هذا العالم واتى ظلمات الا
حشاء حين امر الملك بكتب الرزق والاجل والسعادة والشقاوة فلو حرصت
الى سعادتي ما جريت حتى بقي ما بقي بيني وبينها شبر لغلب علي الكتاب فادركني
الشقاوة فاحيله من قلبه بيد غيره يقلبه كيف يشاء ويصرفه كيف اراد ان شاء
ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وهو الذي يحول بين المرء وقلبه وهو الذي
يثبت قلب العبد اذا شاء ويزلزله اذا شاء فالقلب مربوب متعبد تحت سلطانه
لا يحرك الا باذنه ومشيته قال اعلم الخلق به صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه
ثم قال اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وكان اكثر يمينه لا ومقلب
القلوب وقال بعض السلف مثل القلب مثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا
لبطن فما حيلة قلب هو بيد مقلبه ومصرفه وهل له مشيئة بدون مشيئته كما
قال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وروى عبد العزيز ابن ابي حازم
عن ابيه عن سهل بن سعد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل افلا
يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وعلام جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بلى والله يا رسول الله ان عليها لاقفالها ولا يفتحها الا الذي اقفلها
ولقد عمر ابن الخطاب طلبه ليستعمله وقال لم يمل ذلك الا من عقل وقال طاوس
ادركت تسعين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر وقال
ايوب السختياني ادركت الناس وما كلامهم الا ان قضى ان قدر وقال عطاء
عن ابن عباس في قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال كتب الله اعمال

الألوكة
www.alukah.net

فجاء رسول الله فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمخصرة في الارض ثم رفع راسه فقال
ما منكم من احد من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها في النار او في الجنة الا قد كتبت
شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يا نبي الله اولا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن
كان من اهل السعادة ليكونن الى السعادة ومن كان منا من اهل الشقوة ليكونن الى
الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر اما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة
فييسرون للشقاوة ثم قرا نبي الله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وفي السنن الاربعة عن مسلم ابن
يسار الجهني ان عمر ابن الخطاب سئل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عنها فقال رسول الله خلق
الله ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل
الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله ان الله تعالى اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا
خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به
النار وفي الترمذي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض
جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب و
قال الترمذي حديث حسن صحيح وذكر الطبراني من حديث مالك ابن عبادة ان
رسول الله قال لابن مسعود لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وذكر عن
طارق ابن شهاب عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا
ومبلغا وليس الي من الهدى شيء وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء وقال
ابن وهب انا عبد الرحمن ابن سلمان عن عقيل عن عكرمة عن ابن عباس قال خرج النبي
فسمع ناسا من الصحابة يذكرون فقال الكم قد اخذتم في شعبتين بعيدتي الغور فيهما
هلك اهل الكتاب من قبلكم ولقد اخرج يوما كتابا فقال هذا كتاب من الله الرحمن الرحيم فيه
تسمية اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل على اخرهم لا ينقص منهم
احد فريق في الجنة وفريق في السعير وفي الترمذي عن ابن عباس قال ردفت رسول الله

يوما

يوما فقال يا غلام الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سالت فاسال الله واذا
استعنت فاستعن بالله رفعت الاقلام وجفت الصحف لو جهدت الامة على ان
ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتهدت الامة على ان يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب
وان مع العسر يسرا وفي بعض روايات الحديث في غير الترمذي فلو ان الناس اجتمعوا
على ان يعطوك شيئا لم يعطه الله لم يقدروا عليه ولو ان الناس اجتمعوا على ان يمنعوك
شيئا قدره الله لك وكتبه لك ما استطاعوا فاعبد الله مع الصبر على اليقين وقال علي بن الجعد ثنا
عبد الواحد البصري عن عطاء ابن ابي رباح قال سالت بن عبادة بن الصامت كيف كانت وصية
ابيك حين حضره الموت قال جعل يقول يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم
حتى تعبد الله وحده وتؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا ابه كيف لي ان اومن بالقدر خيره وشره
قال تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطاك لم يكن ليصيبك فان مت على غير
هذا دخلت النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب
فجرى تلك الساعة بما كان وما هو كائن الى الابد وذكر الطبري من حديث بقية ثنا ابو بكر
العبسي عن زيد ابن ام حبيب ومحمد بن يزيد قالا ثنا نافع عن ابن عمر قال قالت ام سلمة يا رسول الله
لا تزال نفسك في كل عام وجعا من تلك الشاة المسمومة التي اكلتها قال ما اصابني من شيء منها الا وهو
مكتوب علي وادم في طينته وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس في خطبة النبي الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وفي صحيحه ايضا عن زيد ابن ارقم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ات نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها وفي صحيحه ايضا عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في دعاء الاستفتاح اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئ الاخلاق لا يصرف عني سيئها الا انت وفي الترمذي والمسند من حديث عمران ابن حصين
ان النبي صلى الله عليه وسلم علم اباه هذا الدعاء اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي وروى سفيان
الثوري عن خالد الحذاء عن عبد الله بن الحارث قال قام عمر بن الخطاب خطيبا فقال في خطبته
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وعنده الجاثليق يسمع ما يقول قال
فنفض ثوبه كهيئة المنكر فقال عمر ما يقول قالوا يا امير المؤمنين يزعم ان الله لا يضل احدا

www.alukah.net

بني آدم وما هم عاملوه الى يوم القيمة قال والملائكة تستنسخ ما يعمل بنو آدم
يوما بيوم فذلك قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وفي الآية قول آخر ان
استنساخ الملائكة هو كما تهم لا يعملون حتى آدم بعد ان يعملوه وقد قال وهو
الاظهر ان الآية تعم الامرين فنامر الله سبحانه فتستنسخ عن ام الكتاب اعمال
بني آدم ثم يكتبونها عليهم اذا عملوها فلا تزال على ما نسخه من ام الكتاب
من ام ذره ولا تنقصها وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى انا كل
شيء خلقناه بقدر خلق الله الخلق كله بقدر وخلق الخير والشر خير الخير
السعادة وشر الشر الشقاوة وفي تخريج مسلم عن ابي الاسود الديلي قال جاء
عمران ابن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم
ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون عما اتاهم نبيهم وثبت
به الحجة قال قلت بل شيء قضي عليهم ومضى قال افيكون ذلك ظلما قال ففزعت
من قوله ظلما شديدا وقلت انه ليس شيء الا خلقه وملكه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فقال يرحمك الله انما سألتك لاحرز عقلك انا رجل من مزينة او جهينة
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم
فيه اشيء قضي عليهم ومضى او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم قال فيما قضي
عليهم ومضى فقال الرجل ففيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان خلقه الله
لاحدى المنزلتين فيستعمله لها وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها وقال مجاهد في قوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون
قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وقال تعالى وهديناه النجدين وقال
الضلالة قال ابن عباس ان الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا وقال
سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال
يحول بين المؤمن والكافر ومعاصي الله ويحول بين الكافر والايمان وعاصم الله وقال
ابن عباس وما لك وما عيني السلفي قوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم قال خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف
للاختلاف وقال تعالى ولو شاء الله ما اقتتلوا ولو شئنا لاتينا كل نفس
هداها ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى ولو شاء ربك ما فعلوه وقال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي نصيبهم مما
كتب لهم وقال عز ذكره سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال

الحسن

قال الحسن وغيره الشرك والتكذيب وقال كلا ان كتاب الفجار لفي سجين قال محمد
ابن كعب القرظي رفع الله كتاب الفجار في اسفل الارضين فهم عاملون عالمون
رفع عليهم في ذلك الكتاب ورفع كتاب الابرار فجعله في عليين فهم يرون بهم
حتى يجعلوا عما قدر رفع عليهم في ذلك الكتاب وقال ابن عباس تبتغي تبتلي
لهب عما جرى من القلم في اللوح المحفوظ وقال مجاهد في قوله وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا قال عن الحق وفي قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
كالجعبة فيها السهام وقال ابن عباس في قوله تعالى واضله الله على علم قال اضله في سابق
علمه وقال في قوله تعالى حكاية عن عدوه ابليس فبما اغويتني قال اضللتني وقال في قوله
ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال من قضيت له ان صال الجحيم وقال عمر
ابن عبد العزيز لولا اراد الله ان لا يعصى لم يخلق ابليس وقد فصل لكم وبين لكم ما اتاكم
عليه بفاتنين الا من قدر له ان يصلى الجحيم وقاله وهيب ابن خالد قال قلت للحسن
الهدى خلق آدم يعني السماء ام للارض فقال الابل للارض قال قلت ارايت لو اعتصم
من الخطيئة فلم يعلها اكان يترك في الجنة قال سبحان الله كان لا بد من ان يعلها وقال تعالى
وجعلناهم ائمة يدعون بامرنا وقال وجعلنا هامنة يدعون الى النار وقال ولورددوا لعادوا
لما نهوا عنه وقال تعالى اخذتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
وقال زيد ابن اسلم والله ما قالت القدرية كما قال الله ولا كما قال اهل السلم ولا كما قال اهل
الجبر ولا كما قال اهل النار ولا كما قال ابليس ربما اغويتني قال الله وما
كنت متخذ المضلين عضدا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال شعيب وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله وقال اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله وقال اهل النار غلبت علينا شقوتنا وقال اخوهم ابليس ربما اغويتني و
قال مجاهد في قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال مكتوب في عنقه شقي او سعيد
وقال ابن عباس في قوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا يقول ومن يرد
الله ضلالته لم يغن عنه شيئا وذكر الطبري وغيره من حديث سويد ابن سعيد
عن سلم ابن مصعب عن ابي حمزة عن ابي الضحى عن ابن عباس صعد النبي صلى الله
عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم بسط يده اليمنى فقال بسم الله الرحمن الرحيم كتاب
من الله الرحمن الرحيم لاهل الجنة باسمائهم وانسابهم ابائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل

الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره
وفي الصحيحين حديث ابن مسعود في الخلق وفيه فوالذي لا اله غيره ان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وذكر الطبراني عن الحسن بن علي الطوسي بسنده
ابن يزيد الاصفاطي البصري حدث البصرة قال رأيت رسول الله في النوم فقلت
يا رسول الله حدثني عبد الله بن مسعود حدثني الصادق المصدوق اعني حديث
القدر فقال اي والله الذي لا اله الا هو حدث رحم الله عبد الله بن مسعود حديثه
حدث به ورحم الله زيد بن وهب حديث حدث به ورحم الله الاعمش حدث
به ورحم الله من حدث به قبل الاعمش ورحم الله من حدث به بعد الاعمش وفي
صحيح مسلم عن ابن مسعود الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من وعظ بغيره
وقد روى حديث تقدير السعادة والشقاوة في بطن الام من حديث عبد الله بن مسعود
وانس ابن مالك وعبد الله ابن عمر وعائشة ام المؤمنين وحذيفة ابن اسيد وابي هريرة
وقال ابو الحسن علي ابن عبد الحافظ سمعت عبد الله ابن ابي حيثمة يقول سمعت
عمر ابن علي الفلاس يقول لحديث من شقي سمر رأى الى بغداد في حاجة لي فمررت
انا امشي في بعض الطريق واذا بجمجمة قد خرجت فاخذتها فاذا على الجمجمة مكتوب
شقي وانا ملكه الى خلف وهؤلاء كلهم ائمة حفاظ ذكره الطبراني في
الصحيحين حديث علي عن النبي ما منكم من احد الا كتب مقعده من النار ومقعده
من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا ونذع العمل فقال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من
كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
وفي الصحيحين عن عمران بن حصين ان النبي سئل اعلم اهل الجنة من اهل النار قال نعم
قيل ففيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له وفي صحيح مسلم عن عائشة
قالت دعي رسول الله الى جنازة غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا
عصفور من عصافير الجنة لم يدرك السوء ويعمله قال او غير ذلك ان الله تعالى خلق

الالوكة
www.alukah.net

اوهم على اخرهم لا ينقص منهم ولا يزاد فيهم من ربكم وقد سلك بأهل السعادة طريق
الشقاوة حتى يقال كانهم هم بل هم هم ما اشبههم بهم بل هم هم فيذرهم ما سبق
لهم من الله من السعادة فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها قبل موته بفواق ناقة وقد سبق لسلك
اهل الشقاوة طريق السعادة حتى يقال كانهم هم بل هم هم ما اشبههم بهم بل هم هم فيذرهم
ما سبق لهم من الله فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ولو قبل موته بفواق ناقة فصاحب الجنة
مختوم له بعمل اهل الجنة وان عمل عمل اهل النار وصاحب النار مختوم له بعمل اهل النار وان
عمل بعمل اهل الجنة ثم قال رسول الله الاعمال بخواتيمها وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس
في قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وفي قوله
ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
وقوله وجعلنا في اعناقهم اغلالا وقوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ونحو هذا
من القرآن وان رسول الله كان حريصا ان يؤمن جميع الناس وتارة يعوه على الهدى
فاخبره الله انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ثم قال لنبيه
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله ان نشأ ننزل عليهم من
السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ثم قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقوله ليس لك من الامر شيء وفي صحيح
مسلم عن طاوس ادركت ناسا من اصحاب رسول الله يقولون كل شيء بقدر و
سمعت عبد الله ابن عمر يقول قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله
مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وعرشه على الماء
وفي صحيحه ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله المؤمن القوي خير واحب الى الله
من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا
تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفي صحيحه ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله
ان النذر لا يقدم لابن ادم شيئا لم يكن الله قدره ولكن النذر يوافق القدر
فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن يريد ان يخرجه وفي حديث جبريل وسؤاله النبي عن

احد اقال كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو اضلك وهو يدخلك النار انشاء الله اما
والله لولا وثبا عهد كفك لضربت عنقك ان الله خلق الخلق فخلقنا اهل الجنة وما هم
عاملون وخلق اهل النار وما هم عاملون قال هولاء لهذه وهولاء لهذه وذكر الطبري في
الي ذكر الصدف قال خلق الله الخلق فكانوا في قبضته فقال لهذي في عيسى ادخلوا
الجنة بسلام وقال لهذي في يد الاخرى ادخلوا النار ولا ابالي فذهبت الى يوم القيمة
وقال ابن عمر جاء رجل الى ابي بكر فقال ارايت الزنا بقدر الله قال نعم قال فان الله قدره
علي ثم يعذبني قال نعم يا ابن اللخا اما والله لو كان عندي احد من اصحاب امرت ان يحثا انفك
وذكر عن علي انه ذكر عنده القدر يوما فادخل اصبعه السبابه والوسطى في فيه فوقم بهما
باطن يديه فقال اشهد ان هاتين الرقمتين كانتا في ام الكتاب وذكر عنه انه قال
قال ان احدكم لن يخلص الايمان الى قلبه حتى يستيقن تعسا غير طي ان ما اصابه لم
يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كله وذكر البخاري عن ابن
مسعود انه قال في خطبته الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من وعظ بغيره وقال
ابن مسعود لان اعض على جمر او ان اقتض علي حتى يبرد في احب الي من ان اقول
لشيء قضاه الله ليته لم يكن وقال لا يطعم رجل طعم الايمان حتى يومن بالقدر ويعلم ان ما
اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال الاعمش عن ابن مسعود ان العبد ليهم بالامر
من التجارة والامارة حتى تيسر له نظر الله اليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة
اصرفوا عنه فاني ان سويته له ادخلته النار قال فيصرفه الله عنه قال فيقول من
ان ذهبت او نحو هذا وما هو الا فضل الله سبحانه وذكر الزهري عن ابراهيم ابن
عبد الرحمن ابن عوف ان عبد الرحمن ابن عوف مرض مرضا شديدا اغمي عليه وافاق
فقال اغمي علي قالوا نعم قال انه اتاني رجلان غليظان فاخذا بيدي فقالا انطلق
نحاكمك الى العزيز الامين فانطلقا بي فتلقاهما رجل فقال اين تريدان به
فالا نحاكمه الى العزيز الامين فقال دعاه فان هذا ممن سعدت له السعادة
وهو في بطن امه وقال ابن جريج عن ابن طاوس عن ابيه قال اشهد لسمعت ابن
عباس يقول القدر والكيس بقدر وقال مجاهد قيل لابن عباس ان ناسا يقولون في
القدر قال يكذبون بالكتاب ان حدثت بعض احدهم لا تصدقوه ان الله عز وجل

كان على عرشه قبل ان يخلق شيئا فخلق القلم فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة فما يجري الناس
على امر حدثوني عنه وقال ابن عباس اضا القدر نظام التوحيد فمن وحد الله ولم
يومن بالقدر كان كمن لم يوحد الله قضا نقضا للتوحيد ومن وحد الله وآمن بالقدر
كانت العروة الوثقى لا انفصام لها وقال عطا بن ابي رباح كنت عند ابن عباس
فجاءه رجل فقال يا ابن عباس ارايت من صدني عن الهدى واوردني دار الضلا لم
والردى الا تراه قد ظلمني فقال ان كان الهدى شيا كان لك عنده فمنعكه فقد
ظلمك وان كان الهدى هو له يوتيه من يشاء فلم يظلمك ثم فلا تجالسني وقال
عكرمة عن ابن عباس كان الهدهد دليل سليمان على الماء فقلت له فكيف ذاك
الهدهد ينصب له الخبر عليه التراب فقال اغضل الله عنك اذا جاء
ذهب البصر وقال الامام احمد نا اسماعيل نا ابو هرون العنزي نا ابو سليمن الازدي
عن ابي يحيى مولى بني عمر قال اتيت ابن عباس ومعي رجلان من الذين ينكرون
القدر وينكرونه فقلت يا ابن عباس ما نقول في القدر فان هولا يسالونك
عن القدر ان زنى وان شرب وان سرق قال فحسر قميصه حتى اخرج منكبيه وقال
يا يحيى لعلك من الذين ينكرون ويكذبون به والله لو اعلم انك منهم او هذين
معك لخاصمتكم ان زنى فبقدر وان سرق فبقدر وان شرب الخمر فبقدر وضحك عن
ابن عمر ان يحيى بن يعمر قال له ان ناسا يقولون لا قدر وان الامر انف فقال اذا لقيت او
لقيك فاخبرهم ان ابن عمر بري منهم وانهم برا منه ووقد تقدم قول ابي ابن كعب وحذيفة
وابن مسعود وزيد ابن ثابت لو انفقت مثل احد هبا في سبيل الله ما قبل منك حتى
تومن بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك وان مت
على غير ذلك دخلت النار وتقدم قول عبادة بن الصامت لن تومن حتى تومن بالقدر خيره
وشره وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك وقال ابو عبادة عن ابي
السوار عن الحسين بن علي قال قضا القضا وجف القلم وامور تقضا في كتاب الله جل وقال عمر
ابن العاص اسع عجبي الى ثلاث الى رجل يقر من القدر وهو لاقيه ويرى في عين اخيه
القذا فيعينها ويكون في عينيه مثل الجذع فلا يعينها ويكون في دابته الظ فيقومها
حمده ويكون في نفسه الظغ فلا يقومها وقال ابو الدرداء اذكروه الايمان اربع الصبر
للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب وقال الحارث المحاسبي سالنا
سفيان ما الايمان بالقدر فقال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن

خلقهم
الجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب اباءهم وخلق للنار اهلا خلقهم
لها وهم في اصلاب اباءهم وفي الصحيحين عن ابن عباس عن ابي ابن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا
ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا وفي مسند الامام احمد عن عبد الله ابن
عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله يقول ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم القى
عليهم من نوره وفي لفظ فجعلهم في ظلمة فاصابهم من نوره فالقاه على
تلك الظلمة فمن اصابه النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف
القلم على علم الله وذكر رشدين بن سعد عن ابي عبد الرحمن بن قتادة السلمي
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ادم واخرج الخلق من ظهره فقال
هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي قال فقيل على ما نعمل قال
على مواقع القدر وذكر ابو داود في كتاب القدر عن عبد الله ابن مسعود
انه مر على رجل فقالوا هذا وما لوا منه فقال عبد الله ارايتم لو قطعتم
يده كنتم تستطيعون ان تخلقوا له يدا قالوا لا قال فلو قطعتم رجله الم
تكونوا تستطيعون ان تخلقوا له رجلا قالوا لا قال فلو قطعتم راسه الم
تستطيعوا ان تخلقوا له راسا قالوا لا قال فكذلك لا تستطيعون ان تغيروا
خلقه لا تستطيعون ان تغيروا خلقه ان النطفة اذا وقعت في الرحم بعث الله
اليها ملكا فكتب اجله وعمله ورزقه وشقي او سعيد وذكر وكيع عن ابن مسعود مرفوعا
ايضا مثله وفي الصحيحين عن ابن مسعود ايضا قال ان احدكم يجمع خلقه
في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك
ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه واجله
وعمله وشقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وفي لفظ ان النطفة
تقع في الرحم اربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك فيقول اي رب اذكر او انثى
فيكتب الله ما هو قاض ثم يقول اي رب اشقي او سعيد فيكتب ما هو لاق بين عينيه
وفي الصحيحين عن ابن مسعود ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان

في بطن امه وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود عن النبي ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه
اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم ينفخ فيه الروح
ويبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد وفي
حديث ابن مسعود ان هذا التقدير وهذه الكتابة في الطور الرابع من اطوار الخليقة
عند نفخ الروح فيه وفي الاحاديث التي ذكرت ايضا انفا ان ذلك في الاربعين الاولى
قبل كونه علقة ومضغة وفي رواية في صحيح اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة
بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وفي رواية ان ذلك
يكون في بضع واربعين ليلة والله اعلم فصل الجمع بين هذه الروايات ان
للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة وانه يقول يارب هذه نطفة هذه علقة هذه
مضغة في اوقاتها كل وقت يقول فيه ما صارت اليه بامر الله وهو اعلم بها منه
وبكلام الملك فتصرف في اوقات احدها حين يخلقها الله نطفة ثم ينقلها علقة
وهو اول اوقات علم الملك بانه ولد لانه ليس كل نطفة تصور ولا ذلك بعد الا
ربعين الاولى في اقل الطور الثاني ولهذا والله اعلم وقعت الاشارة الى اول
سورة انزلها على رسوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اذ خلق من
علقة هو اول مبدأ الانسانية وحينئذ يكتب رزقه واجله وعمله وشقاوته وسعادته
ثم الملك فيه تصرف اخر في وقت اخر وهو تصويره وتخليق سمعه وبصره وجلده
عظمه ولحمه وذكوريته وانوثيته وهذا انما يكون في الاربعين الثالثة قبل نفخ
الروح فيه فان نفخ الروح لا يكون الا بعد تمام تصويره فههنا تقديران وكتابتان
التقدير الاول عند ابتداء تعلق التخليق في النطفة وهو اذا مضى عليها سبعة
واربعون يوما دخلت في طور العلقة ولهذا في حديث الروايات اذا مر بالنطفة ثنتان
واربعون ليلة والتقدير الثاني الكتابة اذا كمل تصويره وتخليقه وتقدير اعضائه
وكونه ذكرا او انثى فالتقدير الاول تقدير لما يكون للنطفة بعد الاربعين والتقدير
الثاني تقدير لما يكون للجنين بعد تصويره ثم اذا ولد قدر رزقه ولاذنه كل سنة
يلقاه في تلك السنة وهو ما يقدر ليلة القدر من العام الى العام فهذا التقدير خص

من

من التقدير الثاني والثاني اخص من الاول ونظير هذا ان الله قدر مقادير الخلايق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ثم قدر مقادير هذا الخلق حين
خلقهم واوجدهم ثم يقدر كل سنة في ليلة القدر ما يكون في ذلك العام وهكذا تقدير
امر النطفة وشقاوتها وسعادتها يقع بعد تعلقها بالرحم وبعد كمال تصوير الجنين وقد
تقدم ذلك تقدير شاهدا قبل خلق السموات والارض نحو تقدير بعد تقدير
ونظير هذا ايضا رفع الاعمال وعرضها على الله فان عمل العام يرفع في شعبان
كما اخبر به الصادق المصدوق انه شهر يرفع فيه الاعمال قال فاحب ان يرفع عملي
وانا صايم ويعرض عمل الاسبوع يوم الاثنين والخميس كما ثبت ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم ويعرض عمل الاسبوع اليوم الاثنين في آخره والليل في اخره كما
في حديث ابي موسى الذي رواه البخاري عن النبي ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل بهذا
الرفع والعرض اليومي خص من العرض يوم الاثنين والخميس والعرض فيهما اخص من العرض
في شعبان ثم اذا انقضى الاجل رفع العمل كله وعرض على الله وطويت الصحف وهذا عرض
اخر وهذه المسايل العظيمة القدر هي من اهم مسايل الايمان بالقدر وصلوات الله وسلامه
على كاشف الغمر وهادي الامة محمد صلى الله عليه وسلم فان قيل ما تقولون في قوله
اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها
وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء و
يكتب الملك ثم يقول يارب اجل فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك وهذا بعض الفاظ
مسلم في الحديث وهذا يوافق الرواية الاخرى يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول الملك يارب اشقي او سعيد ويوافق الرواية الاخرى
ان النطفة تقع في الرحم اربعين ليلة ثم تتصور عليها الملك وهذا يدل على ان تصويرها
عقيب الاربعين الاولى قبل الاربعين الثانية ان التصوير المحسوس وخلق الجلد والعظم واللحم
انما يقع في الاربعين الثالثة لا يقع عقيب الاولى هذا امر معلوم بالضرورة فاما ان يكون
المراد بالاربعين في هذه الالفاظ الاربعين الثالثة وسمي المضغة فيها نطفة اعتبارا بما يؤول
اليها وما كانت عليه او يكون المراد بها الاربعين الاولى وسمي كتابة تصويرها وتخليقها

ليصيبك وقال سلمان ايضا ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه ذرا رك
الى يوم القيمة وكتب الاجال والاعمال والارزاق والشقوة والسعادة فمن علم على السعادة
فعل الخير ومجالس الخير ومن علم الشقاوة على الشر ومجالس الشر وقال ابن
عبد الله لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره ما اصابه لم يخطيه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وقال هشام عن ابيه عن عائشة ان العبد لينوم الزمان بعمل اهل الجنة وانه عند الله
مكتوب من اهل النار والآن ذكر كثير من ان تذكروا اشارة الى بعضها اشارة

فصل فالجواب ان ها هنا مقامين مقام ايمان وهدى ونجاة ومقام ضلال و
ردى وهلاك زلت فيه اقدام فهوت باصحابها الى دار الشقا فاما مقام الايمان والهدى و
النجاة فمقام اثبات القدر والايمان به واسناد جميع الكاينات الى مشيته ربها وبارئها وفاطرها
وان ما شاء كان وان لم يشاء الناس وما لم يشأ لم يكن وان شاء الناس وهذه الآثار التي ذكرت كلها
تحقق هذا المقام وتبين ان من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد وليس جلباب الشرك بل
لم يؤمن بالله ولم يعرفه وهذا في كل كتاب انزله الله على رسوله واما المقام الثاني وهو
مقام الضلال والردى والهلاك فهو الاحتجاج به على الله وجعل العبد ذنبه على ربه وتنزيه
نفسه الجاهلة الظالمة الامارة بالسوء وجعل ارحم الراحمين واعدل العادلين واحكم الحاكمين
والاغنى الاغنياء ضد على العباد من ابليس كما صرح به بعضهم واحتج عليه بما خصه فيه
من الاقتحام محمد والانطاق لحاجته ومخالفته حتى يقول قائل هؤلاء القائلون الم مكتوفا وقال له
اياك اياك ان تبتل بالماء ويقول قائلهم دعاني وسد الباب وني فصل الى
دهولي بسبيل بنوالي قصتي ويقول الآخر وضعوا اللثم للبراة على اذ روى عدن
ثم لاموا البراة اذ خلعوا عنهم الرسن لو اراد واصيانتي ستروا وجهك الحسن وقال
بعضهم وقد ذكر له من يخاف من افساده فقال لحمس بيات لا اخاف على افسادهن غيره
وصعد رجل يوما على سطح داره فاشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل واخذهما اليها
ليحدهما فقال الغلام ان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك فقال لعلك بالقضاء
والقدر احب الي من كل شيء ثم حر لوجه الله ورأى اخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه
فضرب فقيل بضرب المرأة وهي تقول القضاء والقدر فقال ياعدو الله انت بين وتقدر بين
تمثل هذا فقالت اوه تركت السنة واخذت بمذهب ابن عباس فتنبه ورمى السوط
من يده واعتذر اليها وقال لولاك لضللت ورأى اخر رجلا يفجر بامرأته فقال ما هذا

فقالت هذا قضاء الله وقدره فقال الخيرة فيما قضى الله فلقب بالخيرة فيما قضى الله و
كان اذا دعي به غضب وقيل لبعض هؤلاء اليس هو لا يعول ولا يرضى لعباده
الكفر فقال دعنا من هذا رضيه واحبه واراده وما افسدنا غيره ولقد بالغ بعضهم
في ذلك حتى قال القدر عذر لجميع العصاة واما مثلنا في ذلك كما قيل

اذا مرضنا ايتنا كم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر وبلغ بعض هؤلاء
ان عليا مر بقتلى النهروان فقال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل من غرهم فقال
الشيطان والنفس الامارة بالسوء والاماني فقال هذا القائل كان عليا قدريا والا
فالله غرهم وفعل بهم ما فعل واوردهم تلك الموارد واجتمع جماعة من هؤلاء يوما
فتذاكروا القدر فجرى ذكر الهدهد وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فقال كان
الهدهد قدريا اضاف العمل اليهم والتزيين الى الشيطان وجميع ذلك فعل الله
وسئل بعض هؤلاء عن قوله تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
امنعه شيء اله ما منعه فقال نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولقيه
عليه قال له فما معنى قوله وما دا علمهم لو امنوا بالله اذ كان هو الذي منعهم قال
استهزاء نعم قال فما معنى قوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم قال قد فعل
ذلك بهم من غير ذنب جنوه بل ابتداهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للاية
معنى وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال ان كنت عاصيا لامر
فانا مطيع لارادته وجرى عند بعض هؤلاء ذكر ابليس وابائه وامتناعه من السجود
لادم فاخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال الى متى هذا اللوم ولو خلي لسجد ولكن
منع واخذ يعتم عذره فقال بعض الحاضرين تبا لك سائر اليوم اذ ذهب عنك
الشيطان وتلوم الرحمن وجاء جماعة الى منزل رجل من هؤلاء فخلوا به فلما رجع
قال كنت اصلح بين قوم فقيل له واصلحت بينهم قال اصلحت ان لم يفسد الله فقيل
له يوسالك احسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك ومر لص مقطوع اليد
على بعض هؤلاء فقال مسكين مظلوم اجيره على السرقة ثم قطع يده عليها وقيل لبعضهم
ارى الله كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه قال والله قد فعل ذلك ولكن
لا يحسن ان يتكلم واراد رجل من هؤلاء السفر فودع اهله وبكى فقيل استودعهم الله
واستحفظهم اياه فقال ما اخاف عليهم غيره وقال بعض هؤلاء ذنبة اذنبها احب الي

الألوكة
www.alukah.net

من عباده الملائكة قيل ولم قال لعلمي بان الله قضاها على وقدرها ولم يقضها الا لحكمة
لي فيها وقال بعض هؤلاء العارفين لا تنكر منكرا لا ستصارة سر الله في القدر
ولقد دخل شيخ من هؤلاء بلدا فاول ما ابتلاه به من الزيارات زيارة المواجير المشتملة
على البغايا والمخنثين فجعل يقول كيف انتم في قدر الله وسمعت شيخ الاسلام ابن تيميه
يقول عابت بعض شيوخ هؤلاء فقال لي الطبع نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب
والكون كله مراده فاي شيء يبغض منه قال فقلت له اذا كان المحبوب قد ابغض بعض من
في الكون وعاداه ولعنهم فاجتمعت انت وابليس كلاكما للمحبوب اوعدوا له قال
فعانقني الضم جيدا وقرى قاري بحضرتي بعض هؤلاء قاري يا ابليس ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي فقال هو والله منعه ولو قال ابليس ذلك كان صادقا وقد اخطا ابليس الحجة
ولو كنت حاضرا لقلت له انت منعته وسمع بعض هؤلاء قاريا يقول واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فقال ليس من هذا شيء بل اضلهم واعماهم قالوا فما معنى الاية
قال يحرقه بحرق بها فقال الله اكبر على هؤلاء الملاحدة اعداء الله حقا الذين ما
قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه ولا نزهوه عما
لا يليق به ويضيفونه الى عباده ويضيفونهم اليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
وطاقتهم وهؤلاء حصماء الله حقا الذين جاء فيهم الحديث فيقال يوم القيمة ابن خصماء
الله فيقوم من بهم فالنار قال شيخ الاسلام ابن تيميه فيحصرون ناصيته
ويدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية سوادهم وشعوا لها صلوا
به الله وما رواه للشر بعد وسمعته يقول القدرية المجوس هذه الامة وعلى
لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاثة تفاته وهم القدرية الطبيعية والمعارضون
به للشرع الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا وهم القدرية المشركة والمخاصمون به
للرب سبحانه وهم اعداء الله وخصومه وهم القدرية الابليسية وشيخهم ابليس و
هو اول من احتج على الله بالقدر فقال بما اغويتني ولم يعترف بالذنب ويقول به
كما اعترف به آدم فمن احق بالذنب وباء به ونزه ربه فقد اشبه اباه آدم ومن
اشبه اباه فما ظلم ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد اشبه ابليس ولا
ريب ان هؤلاء القدرية النفاة انما نفوه تنزيها للرب وتعظيما له

ان يقدر

الابليسية والمشركة من القدرية

ان يقدر الذنب ثم يلوم عليه ويعاقب ونزهوه ان يعاقب العبد على ما لا صنع للعبد فيه
البتة بل هو بمنزلة طوله وقصره وسواده وبياضه ونحو ذلك كما حكي عن بعض الجبرية
انه حضر مجلس بعض الولاة فاتى بطرار اخول فقال له الوالي ما ترى فيه فقال
اضربه خمسة عشر يعني سوطا فقال له بعض الحاضرين من ينفي الجبر بل ينبغي
ان يضرب ثلاثين سوطا خمسة عشر لطرة وشلها لحوله فقال الجبري كيف يضرب
على المحول ولا صنع له فيه فقال كما يضرب على الطر ولا صنع له فيه عندك فبهت
الجبري واما القدرية الابليسية والمشركية وكثير منهم منسلخ عن الشرع
عدو لله ورسله لا يقر بامر ولا نهي وذلك ورائه عن شيوخه الذين قال الله فيهم
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن
وان انتم الا تخرصون وقال تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين وقال تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال
الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين
فهذه اربعة مواضع في القرآن بين الله سبحانه فيها ان الاحتجاج بالقدر من فعل المشركين
المكذبين للرسل وقد افترق الناس في الكلام على هذه الايات اربع فرق الفرقة
الاولى جعلت هذه الحجة صحيحة وان للحجج بها الحجة على الله تعالى فرقة هؤلاء وفرقة
فرقة كذبت بالامر والوعد والوعيد ورعمت ان الامر والنهي والوعد والوعيد
بعد هذا يكون ظلما والله لا يظلم من خلقه احدا وفرقة صدقت بالامر والنهي والوعد
والوعيد وقالت ليس ذلك بظلم والله يتصرف في ملكه كيف يشاء ويعذب العبد
على ما لا صنع له فيه بل بعدله على ما فعله هو سبحانه لا على فعل عبده اذ العبد لا فعل له
له والملك ملكه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال هؤلاء الكفار انما قالت
هذه المقالة التي حكاها الله عنهم استهزاء منهم وقولهم الاعتقاد للقضاء و
القدر واسناد الجميع الكائنات الى مشيئته وقدرته ثم لم ينكر ذلك عليهم ومضمون
قول هذه الفرقة ان هذه حجة صحيحة اذا قالوها على وجه الاعتقاد لا على جهة

الا بمشيئة فيكون للمشركين على الله الحجة وفي هذا القول فساد وبطلان الفرقة
الثانية حملت هذه الايات على ابطال القضاء والقدر والمشيئة العامة اذ لو
صح المشيئة العامة وكان الله قد شاء منهم الشرك والكفر وعبادة الاوثان
لكانوا قد فعلوا الحق وكان الله يصد فهم عليه ولم يكن عليهم محنث وصفهم بالحرص
الذي هو الكذب ونفى عنهم العلم دل على ان هذا الذي قالوا ليس بحق وانهم كاذبون
فيه اذ لو كان على ما قالوا صادقين في الاخبار به ولم يقل لهم هل عندكم من علم وجعلت
هذه الفرقة هذه الايات حجة لها على التكذيب بالقضاء والقدر وزعمت بها ان يكون
في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون وانه لا قدرة له على افعال عباده من الانس والجن
والملائكة ولا على افعال الحيوانات وانه لا يقدر ان يضل احدا ولا يهديه ولا يوفقه
اكثر مما فعل به ولا يعصمه من الذنوب والكفر ولا يلهمهم رشدهم ولا يجعل في قلبه
الايمان ولا هو الذي جعل المصلي مصليا والبر برا والفاجر فاجرا والمؤمن مؤمنا
والكافر كافرا بل هم الذين حصلوا انفسهم كذلك فهذه الفرقة شاركت الفرقة
التي قبلها في التي والحرب والعداوة بين الشرع والقدر فالاولى تحيزت الى القدر
وحاربت الشرع والثانية تحيزت الى الشرع وكذبت القدر والطائفتان
ضالتان واحداهما اضل من الاخرى والفرقة الثالثة امنت بالقضاء والقدر
وقرت بالامر والنهي وتزلوا كل واحد منزلته فالقضاء والقدر يومن به ولا
يحتج به والامر والنهي يمتثل ويطاع فالايمان بالقضاء والقدر عندهم من علم
التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله والقيام بالامر والنهي موجب شهادة ان
محمدا رسول الله وقالوا من لم يقر بالقضاء والقدر ويقم بالامر والنهي فقد كذب
بالشهادتين وان نطق بهما بلسانه ثم افترقوا وجه هذه الايات فرقتين
فرقة قالت انما انكر عليهم استدلالهم بالمشيئة العامة والقضاء والقدر على
رضاه ومحبته لذلك فجعلوا مشيئته له وتقديره له دليلا على رضاه به ومحبته له
اذ لو كرهه وابغضه لحال بينه وبينهم فان الحكيم اذا كان قادرا على دفع ما
يكرهه ويبغضه دفعه ومنع من وقوعه واذا لم يمنع من وقوعه لزم اما عدم
قدرته واما عدم حكمته وكلاهما ممتنع في حق الله فعلم محبته للمخبر عليه من عباده
غير ومن الشرك به وقد وافق هو الاخر من قال ان الله يحب الكفر والفسوق

والعصيان

والعصيان ويرضى بها ولكن خالفهم في الله نفع عنها وامر باضدادها ويعاقب عليها
فوافقهم في نصف قولهم وخالفهم في الشطر الاخر وهذه الايات من اكبر الحجج على
بطلان قول الطائفتين وان مشيئة الله تعالى العامة وقضاءه وقدره لا يستلزم
محبته ورضاه لكل ما شاء وقدره وهولاء المشركون لما استدلوا بمشيئته على
محبته ورضاه كذبهم وانكر عليهم واخبر انه لا علم لهم بذلك وانهم خارصون
مفترون فان محبة الله ورضاه به انما يعلم بامره به على لسان رسوله لا بمجرد خلقه
له فانه خلق ابليس وجنوده وهم اعداؤه وهو سبحانه يبغضهم ويلعنهم وهم
خلقه فهكذا في الافعال خلق خيرها وشرها وهو يحب خيرها وبامر به ويثيب
عليه ويبغض شرها وينهى عنه ويعاقب عليه وكلاها خلقه ولله الحكمة البالغة
التامة في خلقه ما يبغضه ويكرهه من الذوات والصفات والافعال كما صادر
عن حكمته وعلمه كما هو صادر عن قدرته ومشيئته وقالت الفرقة الثانية انما انكر عليهم
معارضة الشرع بالقدر ودفع الامر بالمشيئة فلما قامت عليهم حجة الله وتوجهت عليهم امره
ونهيه دفعوه بقضائه وقدره فجعلوا القضاء والقدر ابطالا لدعوة الرسل ودفعا
للاحكام وانه وشاركهم في ذلك اخوانهم ودرستهم الذين يحتجون بالقضاء والقدر على
المعاصي والذنوب في نصف قولهم وخالفوهم في النصف الاخر وهو اقرارهم بالامر
والنهي فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم
اعيانهم واسلافهم اما في جميع تركتهم واما في كثير منها واما في جزء منها وهدى
الله بفضله ورثة انبيائه ورسله لميراث نبيهم واصحابه فلم يومنوا ببعض
الكتاب ويكفروا ببعض بل امنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة
وانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانه مقلب القلوب ومصرفها كيف شاء
وانه هو الذي جعل مؤمنا والمصلي مصليا والمتقي متقيا وجعل امته الهدى تحمد
بامره واعدة الضلالة يدعون الى النار وانه الحكم كل نفس بحبورها وتقواها وانه
يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وانه هو الذي وفق
اهل الطاعة لطاعته فاطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه وانه حال بين الكافر
وبين قلوبهم فانه يحول بين المرء وقلبه فكفر وانه ولو شاء لوفقهم فامنوا
به واطاعوه وانه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وانه لو شاء

الألوكة
www.alukah.net

تحصل لا عرف هذا الشر ووجود الشي لا يكون الا مع وجود لوازمه وانتفاء
اضداده فانتفاء لوازمه يكون منتفيا لعينه وحينئذ فقد يكون هذه
هذه النفوس الفاجرة ومضادتها مشروطا بلوازم لم تحصل او بانتفاء اضداد
لم تنتف فان قيل فهلا حصلت تلك اللوازم وانتفت تلك الاضداد فجوابه
هو السوال الاول وقد بينا ان لوازم هذا الخلق وهذه النشاة وهذا العالم
لا بد منها فلو قدر عدمها لكان هذا العالم بل عالم اخر ونشاة اخرى وخلقا اخر
وبينا ان هذا السوال كقولنا ان يقال هلا تجرد الشمس عما يحصل منها من حر وسموم
تغريق وتعويق وتحريق واذى وهلا تجرد طبع الحيوان عما يحصل له من الم وموت وغير ذلك وهلا تجردت
واذى وهلا تجردت طبيعة الحيوان عما يحصل له من الم وموت وغير ذلك وهلا تجردت
الولادة عن مشقة الحمل والطلق والم الوضع وهلا تجرد بدن الحيوان عن توليد الآلام و
الاوجاع واحتياجه في طباعه الموجبة لتغذيه حواله وهلا تجرد تحصيل العلم عما فيها من
البرد الشديد القاتل والحر الشديد المؤذي فهل يقبل عاقل هذا السوال او يوردوه وهل
هذا الا عنت له ان يقال لم كان المخلوق فقيرا محتاجا والغني والخالق صفة نقص فهلا
يتجرد منها وخلقت عليه خاصة الغني المطلق والكمال المطلق افهل يكون مخلوقا
او كان غنيا غنى مطلقا ومعلوم ان لوازم الخلق لا بد منها فيه ولا بد للعلو من سفل
وكرسي ولوازم العلو من السعة والاضاءة والبهجة والخيرات وما هناك من الارواح
العلوية النيرة المناسبة لها وما يليق بها ويناسبها من الابتهاج والسرور
والفرح والقوة والتجرد من علائق المواد السفلية لا بد منها ولوازم السفل و
الكرسي من الضيق والحصر ولوازم ذلك من الظلمة والغلظ والشر وما
هناك من الارواح السفلية المظلمة الشريرة واعمالها وآثارها لا بد منها
عالمان علوي وسفلي ومحلان وساكنان تناسبها مساكنها واعمالها و
طبايعها وقد خلق كلا من المحلين معمورا باهله وساكنيه حكمة بالغة وقدرة
ظاهرة وكل من هذه الارواح لا يليق بها غير ما خلقت له مما ينا سبها و
يشاكلها قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته اى على ما يشاكله ويناسبه ويليق به

كما يقول الناس كل اناء بالذي فيه ينضح فمن اراد من الارواح الخبيثة السفلية ان تكون مجاورة
للارواح الخبيثة العلوية في مقام الصدق بين الملاء الاعلا فقد اراد ما تاباه حكمة
احكم الحاكمين ولو ان ملكا من ملوك الدنيا جعل خاصته وحاشيته سفلة الناس
وسقاطهم وغير هم الذين تناسب اقوالهم واعمالهم واخلاقهم في الجهل والرداة و
الدناة لمدح الناس في ملك وقالوا لا يصلح للملك كما الظن بمجاورة الملك الا
عظم ملك الملوك في داره وعشرهم برويه وجهه وسماع كلامه ومرافقتهم
للملاء الاعلى الذين هم اطيب خلقه واذكاهم واشرفهم فليليق بذلك الرفيق الاعلى
والمحل الاسنى والدرجات العلى روح سفليه ارضيه قد اخلدت الى الارض وعكفت على
على ما تقتضيه طبائعها مما يشاكلها فيه بل قد تزيد على الحيوان البهيم وقصرت همتها
عليه واقبلت بكليتها عليه لا ترى نعيما ولا لذة ولا سرورا الا ما وافق طباعها من مآكل
ومشارب ومناكح من اين كان وكيف اتفق فالفرق بينها وبين الحمير والكلاب و
البقر بانتصاب القامة ونطق اللسان والاكل باليد والاقاليم القلب والطبع على قلوب
هذه الحيوانات وطباعها وربما كانت طباع الحيوانات خيرا من طباع هؤلاء
واسلم واقبل للخير ولهذا جعلهم الله سبحانه شر الدواب فقال تعالى ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون فهل يليق بحكمة العزيز الحكيم ان يجمع بين خير البرية وانقى
الخلق وبين شر البرية وشر الخلق في دار واحدة يكونون فيها على حال واحدة
من النعيم لا العذاب قال الله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون فانكر
عليهم الحكم بهذا وانى يحسن الاختيار لا يخرج الاختيار لكنه العقول على
ان هذا مما تحكم الفطر وتاباه العقول السليمة وقال تعالى لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون وقال ام نجعل الذين امنوا و
عملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقال قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب بل الواحد من
الخلق لا يستوي اعلاه واسافله فلا يستوي عقبه وعبده ولا راسه ورجله و
لا يصلح احدهما لما يصلح له الاخر فالله عز وجل لما خلق الخبث والطيب و
السهل والحزن والضار والنافع وهذه اجزاء الارض منها ما يصلح جلاء للعين

لامن من في الارض كلهم جميعا ايمانا يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم وانه
لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
والقضاء والقدر عندهم اربع مراتب جاء بها بنيهم واخبروهما عن ربهم تعالى
الاولى علمه السابق بما هم عاملوه قبل ايجادهم الثانية كتابته ذلك في الذكر عنده
قبل خلق السموات والارض الثالثة مشيئته الشاملة لكل موجود فلا خروج لكائن
عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه الرابعة خلقه له وايجاده وتكوينه فانه لا خالق
الا الله والله خالق كل شيء فالخالق عندهم واحد وما سواه مخلوق ولا واسطة
عندهم بين الخالق والمخلوق وهو مع ذلك حكيم والله حكيم في كل ما فعله و
خلقه وان مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقتضت صدوره كذلك وخلقه
وان حكمته حكمة حق عائدة اليه قائمة به كسائر صفاته وليست عبارة عن
مطابقة علمه للمعلوم وقدرته للمقدور كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها
دون حقيقتها بل هي امر وراء ذلك وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق
محبته وحمده ولاجلها خلق فسوى وقدر فهدى واماث واحيا واسعد واشقى و
اضل وهدى ومنع واعطى وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة اليها فاثبات
الفعل مع نفيها اثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال اذ انتفي الغاية
مستلزم لنفي الوسيلة فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة ونفي
قيام الفعل والحكمة به نفي لحقائق الحقيقة اذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمه
لا يقوم بالحي شيء لا يعقل وذلك يستلزم انكار ربوبيته والهيته
وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد له عنه وان ابى التزامه واما من اثبت
حكمة وافعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة وما جاءت به الرسل لم
يلزم من قوله محذور البتة بل قوله حق ولازم الحق حق كائنا ما كان و
المقصود ان ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم امنوا بالقضاء
والقدر والحكم والغايات المحمودة في افعال الرب وامره وقاموا مع
ذلك بالامر والنهي وصدقوا بالوعد والوعيد فامنوا بالحق الذي من
تمام الايمان به اثبات القدر والحكمة والامر الذي من تمام الايمان به
الايمان بالوعد والوعيد وحشر الاجساد والثواب والعقاب فصدقوا

بالخلق

بالخلق والامر ولم يفعلوا ما يفعله نواز مهما كما فعلت القدرية المحوسبة وا
لقدرية المعارضة للامر بالقدر وكانوا اسعد الناس بالحق واقربهم
عصبة في هذا الميراث النبوي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم واعلم ان الايمان بحقيقة القدر والشرع والحكمة لا يجتمع
الا في قلوب خواص الخلق ولب العالم وليس الشان في الايمان بالفاظ هذه
المسميات وجحد حقائقها كما يفعل كثير من طوائف الضلال فان القدرية
تؤمن بلفظ القدر ومنهم من يرده الى العلم ومنهم من يرده الى الامر الديني
وتجعل قضاءه وقدره هو نفس امره ونهيه وتفسر مشيئة الله لافعال
عباده بامره لهم بها وهذا حقيقة انكار القضاء والقدر ولذلك الحكمة
فان الجبرية تؤمن بلفظها وتجحد حقيقتها فانهم تجعلونها مطابقة
علمه تعالى لمعلومه تعالى وارادته لمراده تعالى فهي عندهم وقوع الكائنات
على وفق علمه وارادته والقدرية النفاة لا يرضون بهذا بل يرتفعون عن طبقته
ويثبتون حكمة لله على ذلك لكنهم ينفون قيامها بالفاعل الحكيم و
يجعلونها مخلوقا من مخلوقاته كما قالوا في كلامه وارادته فهؤلاء كلهم
اثروا بلفظ الحكمة وجحد معناها وحقيقتها وكذلك الامر والشرع فان
من انكر كلام الله وقال ان الله لم يتكلم ولا تكلم ولا قال ولا يقول ولا يحب شيئا
ولا يبغض شيئا وجميع الكائنات محبوبة له وما لم يكن فهو مكروه له ولا يحب
ولا يرضى ولا يغضب ولا فرق في نفس الامر بين الصدق والكذب والبر
والفجور والسجود للاصنام والشمس والقمر والنجوم والسجود لله ولم يكلف احدا
ما يقدر عليه بل كل ما يفعله تكليف ما لا يطاق ولا قدرة للمكلف عليه
البتة وتجوز ان يعذب رجالا اذ لم يكونوا نساء ويعذب نساء اذ لم يكونوا
رجالا وسودا حيث لم يكونوا بيضا وبيضا حيث لم يكونوا سودا وتجوز
ان يظهر المعجزة على ايدي الكذابين ويرسل رسولا يدعو الى الباطل وعبادة
الاوثان ويامر بقتل النفوس وانواع الفجور ولا ريب ان هذا يرفع الشرائع

الألوكة
www.alukah.net

والامر والنهي بالكلية ولولا يناقض القايلين به لكانوا مسلمين مواديين الرسل
ولكن مشى الحال بعض المشي تعسا فضمهم وهو جزلهم من طرد اصولهم والعقول
عموجها والمقصود انه لم يوف بالقضا والقدر والحكمة والامر والنهي والوعد والوعيد
حقيقة الايمان الا اتباع الرسل وورثتهم والقضا والقدر منشاه عن علم الرب
وقدرته ولهذا قال الامام احمد القدر قدرة الله والسحسن ابن عقيل هذا
الكلام من احمد غاية الاستحسان وقال انه شفى بهذه الكلمة واوضح بها
عن حقيقة القدر ولهذا كان المنكرون للقدر فرقتين فرقة كذبت بالعلم
السابق ونفته وهم غلاة القدرية الذين كفرهم السلف والائمة وبدعوا سلم الصحابة
وفرقة جحدت كمال القدرة وانكرت ان يكون افعال العباد مقدورة لله تعالى وصرحت
بان الله لا يقدر عليها فانكرت هولا كمال قدرة الرب وانكرت الاخرى كمال علمه وقا
بلهم الجبرية فحافظت على اثبات القدر والعلم وانكرت الحكمة والرحمة ولهذا
كان مقصد الخلق والامر والقضا والشرع عن علم الرب وعزته وحكمته ولهذا يقرن
تعالى بين الاسمين والصفتين من هذه الثلاثة كقوله وانك لتلقى القران
من لدن حكيم عليم وقال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز الحكيم وقال في حم فصلت بعد ذكر خلق العالم ذلك تقدير العزيز
العليم وذكر نظير هذا في الانعام فقال فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم فارتباط الخلق بقدرته التامة يقتضي ان
الخلق موجود عن قدرته وارتباط بعلمه التام يقتضي احاطته به وتقدمه عليه
وارتباط بحكمته يقتضي وقوعه على اكمل الوجوه واحسنها واشتماله على الغايه
المحموده المطلوبه للرب سبحانه وكذلك امره بعلمه وحكمته وعزته فهو عليم بخلقه
وامره حكيم في خلقه وامره عزيز في خلقه وامره ولهذا كان الحكيم من اسمايه
الحسنى فالحكم من صفاته العلى والشرع الصادر عن امره مبناها على
الحكمة والرسول المبعوث بها مبعوث بالكتاب والحكمة والحكمة هي سنة
الرسول وهي تتضمن العلم بالحق والعمل به والحث عنه والامر به فكل
هذا يسمى حكمة وفي الحث الحكمة ضالة المؤمن وفي الحديث ان من الشعر
الاثر

حكمة

حكمة وكما ان الخلق مقدور عن علمه وقدرته ومشيته فكذلك الامر خارج عن علمه
وحكمته وهو محمود على جميع ما في الكون من خير وشر حمدا استحقه لذاته وصدر عنه
خلقه وامره فمصدر ذلك كله عن الحكمة فانكار الحكمة انكار الحمد في الحقيقة والله اعلم

واما بيان هذا بيانا وجود الحكمة في كل ما خلقه الله وامر به وبيان انه عليه
حسن من جهة اضافته اليه سبحانه وانه من تلك الاضافة خير وحكمة وان جهة الشر منه من جهة
اضافته الى العبد كما قال صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح لبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك فهذا النفي يقتضي امتناع اضافة الشر اليه تعالى بوجه فلا يضاف
الى ذاته ولا صفاته ولا اسمايه ولا افعاله فان ذاته منزهة عن كل شر وصفاته كذلك اذ
كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه واسماوه كلها حسنى ليس
فيها اسم ذم ولا عيب وافعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة واحسان وعدل والخروج عن
ذلك البته وهو المحمود على ذلك كله فتستحيل اضافة الشر اليه وحقيقة ذلك ان
الشر ليس هو الا الاثم والعقوبة وعقوبا تفاكما في خطبته صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا فتضمن ذلك الاستعاذة من
شرور النفوس ومن سيات الاعمال وهي عقوبا تفاوعلى هذا فالاضافة على معنى اللام من
باب اضافة المتغايرين او يقال المراد السيات من الاعمال فعلى هذا الاضافة بمعنى من
وهي من باب اضافة النوع الى جنسه والدليل على الاول قوله تعالى وهم السيات ومن تق
السيات يومئذ فقد رحمته قال شيخنا وهذا الشبه الا اذا اريد السيات من الاعمال فان
اريد ما وقع منها فالاستعاذة انما تكون من عقوبا تفاذ الواقع لا يمكن رفعه وان
استعاذ منها قبل وقوعها لئلا يقع فهذا هو الاستعاذة من شر النفس وايضا فلا يقال
في هذه التي لم توجد بعد سيات اعمالنا فانها لم تكن بعد اعمالا اصلا عن ان تكون
سيات واضافة الاعمال الينا تقتضي وجودها اذ ما لم يوجد بعد ليس هو من اعمالنا
الا ان يقال من سيات الاعمال التي اذا عملناها كانت سيات ولمن رجح التقدير
الثاني ان يقول العقوبات ليست لجميع الاعمال بل للمحرمات منها والاعمال منها
اعم وحملها على المحرمات خاصة خلاف ظاهر اللفظ خلافا ما اذا كانت الاضافة على معنى
من فتكون الاعمال على عمومها والسيات بعضها فتكون السيات على عمومها
والاعمال على عمومها ويترجح ايضا ان الاستعاذة تكون قد اشتملت على اصول الشر

الألوكة
www.alukah.net

ومنها ما يصلح للاتون والنار وهذا ونحوه يعرف كمال القدرة وكمال الحكمة فكمال
القدرة تخالف الاضداد وكمال الحكمة تقتضي بلها منازلها ووضع كل منها في موضعه
والعالم من لا يلتفت الحرب بين المسلمين قدرة الله وحكمته فان امحى بالقدر قدح في
الحكمة وعطلها وان امحى بالحكمة قدح في القدرة ونقضها بل يربط القدرة با
لحكمة ويعلم ان خلق لها لجميع ما خلقه الله وخلقه كما انه لا يكون الا بقدرته ومشيته
كذلك لا يكون الا بحكمته واذا كان لا سبيل للعقول البشرية الى الاحاطة بهذا
تفصيلا فيكفيها الايمان بالعلم وتشاهد منه ثم يستدل على الغايب با
لشاهد ويعتبر ما علمنا بما لم نعلم وقد ضرب الله الامثال لعباده في كتابه وبين
لهم ما في لوازم ما خلق لهم وانزل عليهم من العيش الذي به حيوتهم واقواتهم وحيوة
الارض والدواب وما خلقه لهم من المعادن التي بها صلاح ابدانهم واقواتهم وصنا
يعرفهم من الشر والخير ومن المحمود بالاضافة الى الخير الحاصل بذلك فقال تعالى انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال
فاخبر سبحانه ان الماء سبب لحياة الارض اذ لم سال فلابد ان يحمل السيل من
الغثاء والوسخ وغيره زبدا عاليا على وجه السيل فالذي لا يعرف ما تحت الزبد
يقصر نظره عليه ولا يرى الا غثاء ووسخا ونحو ذلك ولا يرى ما تحته من مادة //
الحيوة وكذلك ما يستخرج من المعادن من الذهب والفضة والحديد والنحاس
وغيرها اذا اوقد عليها في النار ليتهيا الانتفاع بها خرج منها خبث ليس
من جوهرها ولا ينتفع به وهذا لابد منه فيها وهذا وقد ذم تعالى من ضعف
بصيرته من المنافقين وعمى عانى القرآن مما يتنال كل سعادة وعلم وهدى
وصلاح وخير في الدنيا والاخرة ولم يجاوز بصره وسمعه وعوده وعيده وبرهانه
وصواعقه وما اعد الله لاعدايه من عذابه ونكاله وخزيه وعقابه الذي هو
بالاضافة الى ما فيه من حيوة القلوب والارواح والمعارف الالهية وتبين
طرق العبودية التي هي غاية كمال العبد وهو المقصود لتكميل ذلك وتمامه
قال تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

وتركهم

وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا فهكذا حال
كل من قصر نظره في بعض مخلوقات الرب سبحانه على ما لابد منه من شر وري حدا
بالاضافة الى الخير الكثير ولو لم يكن في هذه النشاة الانسانية الا خاصته
واوليائه من رسله وانبيائه واتباعهم لكفى بها خيرا ومصلحة وسعادة لهم وان
كانوا اضعاف اضعاف اضعافهم فهم كالعشب والزبد له وغثاء السيل تابعا
بكثرتهم ولا يقدح في الحكمة الالهية بل وجود الواحد الكامل من هذا النوع يغتفر معه
الالاف مولدة من النوع الاخر فانه اذا وجد واحد يوازن البرية ويرجح عليها
كان الخير الحاصل بوجوده والحكمة والمصلحة اضعاف الشر الحاصل من وجود
اضداده وابنت وانفع واحب الى الله من فواته لتفويت ذلك الشيء لما قال
له وهذا كالشمس وان الخير الحاصل بها ينفع الخلق اكثر وابلث واصلح من تفو
يته بتفويت الشر المقابل له بحيث لو ان نفع الشمس وصلاح النبات والحيوان وما
من نفع الرسل وصلاح الوجود بهم بل ابن ذلك من نفع سيد ولد آدم وصلاح
الدارين والدين والدنيا والاخرة به وقد ضرب للنفس الانسانية وما فيها
من الخير والشر مثل بديع وآل طاحون شديد الدوران الى شيء خطفه
القاه تحته وافسده وعنده قيمه الذي يريده وقد اجرى الله العادة لينتفع به ولا يضر
احدا فربما جاء الغث الذي لا يعرف فيتقرب منه فيخرق ثوبه او يدنه او يؤذيه
فاذا اقبل صاحبه لم يجعله ساكنا لا يؤذي من اقترب منه قال هذه صفة
اللازمة الذي كان بها دولابا وطاحونا ولو جعل على غير هذه الصفة لم
تحصل به الحكمة المطلوبة منه وكذلك وكذا اذا اوقد نارا الاتون التي تحرق
ما وقع فيها وعندها وقادحاذق تحتها فاذا اغفل عنها افسدت واذا
اراد احد ان يقرب منها نهاه وحذره فاذا استغفل من قرب منها حتى
احرقته لم يقل لصاحب النار هلا قلت حرها ليلا تفسد من يقرب منها وحرقه

www.alukah.net

كله وهي شر النفس الكامن فيها الذي لم يخرج الى الفعل وشر العمل الخارج الذي سولته النفس
فالاول شر الطبيعة والصفة التي في النفس والثاني شر العمل المتعلق بالكسب والارادة ويلزم من المعافاة من هذين الشرين المعافاة من موجبهما وهو العقوبة فتكون
الاستعاذة قد شملت جميع انواع الشر باطنه وظاهره وهذا هو اللائق بهذا
الموقف جوامع الكلم فان هذا من جوامع كلمه الذي اوتيه العظيمة الشان التي لا يعرف
قدرها الا اهل العلم والايمان واذا عرف هذا وانه ليس في الوجود شر الا الذنب
وموجباتها وكونها ذنوبا تاتي من نفس العبد فان سبب الذنب الظلم والجهل
وهما من نفس العبد كما ان سبب الخير والحمد العلم والحكمة والغنى وهي امور ذاتية للرب
وذات الرب سبحانه مستلزمة للحكمة والخير والجود وذات العبد مستلزمة للجهل والظلم
وما فيه من العلم والعدل فانما حصل له بفضل الله عليه وهو امر خارج عن نفسه
اراد الله ممن اعطاه هذا الفضل فصدر منه من الاحسان والبر والطاعة ومن
اراد به شرا امسك عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها فصدر منه موجب
الجهل والظلم من كل شر وفجور وليس منعه لذلك ظلما منه سبحانه فانه فضل وليس من منع
فضله ظالما لاسيما اذا منع من محل لا يستحقه ولا يليق به وايضا فان هذا الفضل هو
توفيقه وارادته من نفسه ان يلطف بعبده ويوفقه ويعينه ولا يخلي بينه وبين نفسه
وهذا محض فعله وفضله وهو سبحانه اعلم بالمحل الذي يصلح لهذا الفضل ويليق به
ويتم به ويزكو به وقد اشار تعالى الى هذا المعنى بقوله وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
فاخبر سبحانه انه اعلم من يعرف قدر هذه النعمة ويشكره عليها فان اصل الشكر هو
الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة فمن لم يعرف المنعم بها
لم يشكرها ايضا ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كمن يجحد المنعم لا النعمة
المنعم عليه بها فقد كفرها ومن عرف النعمة والمنعم واقر بها ولم يجحدها ولكن
لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه لم يشكرها ايضا ومن عرفها وعرف المنعم
بها واقر بها وخضع للمنعم بها واحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه طاعته
فهذا هو الشاكر لها فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو سبيل
الى المنعم ومحبته والخضوع له كما في صحيح البخاري في بشداد ابن اوس قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي
لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء لك بذنبي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة
ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فقوله ابوء لك بنعمتك علي
يتضمن الاقرار والانابة الى الله بعبودية فان المباءة التي يبوء اليها الشخص اي يرجع
اليها رجوع استقرار والمباءة هي المستقر ومنه قوله من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده
من النار اي ليتخذ مقعده من النار مباءة تلزمه ويستقر فيه لا كالمنزل الذي
ينزل ثم يرحل عنه فالعبد يبوء الى الله بنعمته عليه ويبوء بذنبه ويرجع اليه بالاعتراف بهذا
وبهذا رجوع مطمئن الى ربه منيب اليه ليس رجوع من اقبل عليه ثم اعرض عنه بل
رجوع من لا يعرض عن ربه بل لا يزال مقبلا عليه اذ كان لا بد له منه فهو معبوده وهو
مستعانه لاصلاح له الا بعبادته فان لم يكن معبوده هلك وفسد ولا يمكن ان يعبد
الا بمعاونته وفي الحديث مثل المؤمن من مثل الفرس في اخيته يجول ثم يرجع الى آخيته
كذلك المؤمن يجول ثم يرجع الى الايمان فقوله ابوء يتضمن اني وان جلت كما
تجول الفرس اما بالذنب واما بالتقصير في الشكر فاني راجع منيب اواب اليك
رجوع من لا غنى له عنك وذكر النعمة والذنب لان العبد دائما يتقلب بينهما
فهو بين نعمة من ربه وذنب منه كما هو في الاثر الالهي اني ارحم خريف نازل
وشرك الي صاعد اتحبب اليك بالنعم وانا غني عنك ولم تتبغضني الى بالمعاصي وانت فقير الي ولا يزال الملك الكريم يعرج الي منك بعمل قبيح و
كما ذكر رجل من الحسن البصري شاب لا يرى الا وحده فساله الحسن عن ذلك فقال
اني احدث بين نعمة من الله وذنب مني فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب
استغفارا فذلك الذي شغلني عن الناس او كما قال فقال له انت افقه من
الحسن فالخير كله من الله كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وقال ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون فضلا من الله ونعمة وقال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا

الألوكة
www.alukah.net

على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وهولاء المنعم عليهم هم المذكورون فى قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فالنعم كلها نعم الدنيا والدين وثواب الاعمال فى الدنيا والاخرة منّ الله ومنّه وفضله على عبده وهو سبحانه وان كان اجود الاجودين وارحم الراحمين واكرم الاكرمين فانه احكم الحاكمين واعدل العادلين لايضع الاشياء الا فى مواضعها اللائقة بها والايتاء فضل جوده ورحمته وفضله حكمته و عدله ولو راى العقلاء واحدا منهم قد وضع المسك فى الحشوش والاخلية ووضع النجاسات والقاذورات فى مواضع الطيب والنظافة لاستشنع تكبيرهم عليه والقدح فى عقله ونسبوه الى السفه وخلاف الحكمة وكذلك لو وضع العفو بدّ موضع الاحسان والاحسان موضع العقوبة لسفهوه وقدحوا فى عقله كما قال القايل ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى وكذلك لو وضع الدواء موضع الغذاء و الغذاء موضع الدواء والاستفراغ حيث يكون اللايق به عدمه والامساك حيث يليق الاستفراغ وكذلك وضع الماء موضع الطعام ووضع الطعام موضع الماء وامثال ذلك مما يخل بالحكمة بل لو اقبل على الحيوان البهيم يريد تعليمه مالم تخلق له من العلوم والصنايع فمن بهت حكمته العقول والالباب كيف ينبغى له ان يضع الاشياء فى غير مواضعها اللائقة بها ومن المعلوم ان اجل نعمه على عبده نعمة الايمان به ومعرفته ومحبته وطاعته والرضى به والانابة اليه والتوكل عليه والتزام عبوديته ومن المعلوم ايضا ان الارواح منها الخبيث الذى لاخبث منه ومنها الطيب وبين ذلك وكذلك القلوب منها القلب الشريف الزكى والقلب الخسيس الخبيث وهو سبحانه خلق الاضداد كما خلق الليل والنهار والبرد والحر والدواء

والدواء والعلو والسفل وهو اعلم بالقلوب الزاكية والارواح الطيبة التى تصلح لاستقرار هذه النعم فيها وايداعها عندها ونفر كوابذرها فيها فتكون تخصيصه لها بهذه النعم كتخصيص الارض الطيبة القابلة للبذر بالبذر فليس من الحكمة ان يبذر البر فى السخور والرمال والسباخ وفاعل ذلك غير حكيم فما الظن ببذر الايمان والقران والحكمة ونور المعرفة والبصيرة فى المحال التى هى اخبث المحال فالله سبحانه اعلم حيث تجعل رسالاته اصلا وميراثا فهو اعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيودعها الى عباده بالامانة والنصيحة وتعظيم المرسل والقيام بحقه والصبر على اوامره والشكر لنعمه والتقرب اليه ومن لايصلح لذلك وكذلك هو سبحانه اعلم بمن يصلح من الامم لوراثة رسله والقيام مخلافتهم وحمل مابعثوه به عن ربهم قال عبد الله بن مسعود ان الله نظر فى قلوب العباد فراى قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب اهل الارض فاختصه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد فراى قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته وفى اثر يقول اسرائيل ان الله تعالى قال لموسى الذى ما اخترتك بكلامى قال لا يارب قال لانى نظرت فى قلوب العباد فلم ار فيها اخضع من قلبك لى او نحو هذا فالرب سبحانه اذا علم من محل اهليته لفضله ومحبته ومعرفته وتوحيده حبب اليه ذلك ووضعه فيه وكتبه فى قلبه ووفقه لرعايته عليه ويسر له طرقه واغلق دونه الا بواب التى تحول بينه وبين ذلك ثم تولاه بلطفه وتدبيره وتيسيره وتربيته اعظم من تربية الوالد الشفيق الرحيم الحسن لولده الذى هو احب شئ اليه فلا يزال يعامله بلطفه ويخصه بفضله ويوثره برحمته ويعينه بمعونته ويوليه بتوفيقه ويريه مواقع احسانه اليه وبره به ويزداد العبد به معرفة وله محبة واليه انابة وعليه توكلا ولا يتولى مع غيره ولا يعبد معه سواه وهذا هو الذى عرفه قدر النعمة وعرف المنعم واقر بنعمته وصرفها فى مرضاته واقتضت حكمة الرب وجوده وكرمه واحسانه ان يذر فى هذا القلب بذر الايمان والمعرفة وسقاه ماء التوبة والعمل الصالح واطلع عليه من نور شمس الهدايه وصرف عنه الافات المانعة من حصول الثمرة فانبتت ارضه الزاكية من كل زوج كريم كما فى الصحيح من حديث

www.alukah.net

فانه يقول هذه صفتها التي لاتحصل المقصود منها الابها ولو جعلتها دون ذلك لم
تحرق الحجارة الكلس ولم تطبخ الآجر ولم تنضج الاطعم الغليظ ونحو ذلك فما حصل من
الدولاب والطاحون ومن النار من نفعها هو من فضل الله ورحمته وما يحصل لها من شر
هو من طبيعتها التي خلقت عليها التي لاتكون نارا الا بها فلو خرجت عن تلك الطبيعة
لم تكن نارا وكذلك النفس فما يحصل لها من شر هو منها ومن طبيعتها ولوازم
نفسها وعدمها وما حصل لها من خير يحصل بفضل الله ورحمته والله خالقها و
خالق كل شئ قام بها من قدرة وارادة وعلم وعمل وغير ذلك واما الامور العدمية
فهي باقية على ما كانت عليه من العدم والانسان جاهل ظالم بالضرورة كما قال تعالى وحملها الا
نسان انه كان ظلوما جهولا فان الساحر من بطن امه لا يعلم شيأ والظلم هو النقص كما قال
تعالى آتت اكلها ولم تظلم منه شيأ اى لم تنقص منه شيأ وهي ظالمة لنفسها فهي الظالمة المظلومة
اذا كانت منقوصة من كمالها بعدم بعض الكمالات او الشر هي نفسها وبعدم الكمالات التي عدمت
كان وجودها سببا لكمالات اخر فصار عدمها مستلزما لعدم تلك الكمالات التي هي لها
سعادة في الجملة فان احد الوجودين قد يكون مشروطا بالاخر فيستحيل وجوده بدونه
لان عدم الشرط يستلزم عدم المشروط فاذا عدمت النفس هذا الكمال المستلزم لكمال
اخر مثله او اعلى منه وهي موصوفة بالنقص الذي هو الظلم والجهل ولوازمها من اصل
الخلقة صارت مستلزمة للشر وقوته شرها وضعفه بحسب قوتها وضعفها
في ذاتها وتامل اول نقص دخل على ابي البشر وسرى الى ولده كيف كان من
عدم العلم والعزم قال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
والنسيان سواء كان عدم العلم او عدم الصبر كما فسرناها هاهنا فهو امر
عدمي ولهذا قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فانما اذا اعترف بنقصه حط
نفسه مما حصل لها من عدم العلم والصبر بالنسيان الذي اوجب فوات حظه
من الجنة ثم قال وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فانه سبحانه ان
لم يغفر السيئات الوجودية فيمنع آثارها وعقابها ويقي العبد من ذلك والا خرة

آثارها

آثارها ولابد كاثار الطعام المسموم ان لم تتداركه المداوي بشرب الترياق ونحوه
والا اضر ولابد وان لم يرحمه سبحانه بايجاد ما يصلح به النفس وتصير عالمة
بالحق عاملة به والا حصر فالمغفرة تمنع الشر والرحمة توجب الخير فالرب سبحانه
ان لم يغفر للانسان فتقيه السيئات وبرحمه فيوقيه الحسنات والا هلك ولا
اذا كان ظالما لنفسه طلوما بنفسه فان نفسه ليس عندها خير يحصل لها منها
وهي متحركة بالذات فان لم تتحرك الى الخير تحركت الى الشر فضرت صاحبها و
كونها متحركة بالذات من لوازم كونها نفسا لان ما ليس حساسا متحركا
بالارادة فليس نفسا في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء حارث
وهمام فالحارث الكاسب العامل والهمام الكثير الهم والهم مبدأ الارادة فالنفس
لا تكون الا مريدة عاملة فان لم توفق للارادة الصالحة والا وقعت في الارادة
الفاسدة والعمل الضار وقد قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين فاخبر سبحانه ان الانسان خلق على
هذه الصفة وان من كان على غيرها فلاجل ما زكاه الله به من فضله واحسانه قال
تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال طاووس وقتادة ضعيف في مخلقه وعزمه
لا يصبر عن النساء وقال الحسن هو خلقه من ماء مهين زمال الزجاج ضعف عزمه
عن قهر الهوى والصواب ان ضعفه يعم هذا كله وضعفه اعظم من هذا واكثر
فانه ضعيف الرأيه ضعيف القوة ضعيف الارادة ضعيف العلم ضعيف الصبر
والافات اليه مع هذا الضعف اسرع من السيل في صبب الحدور فبالاضطرار
لابد له من حافظ معين يقويه ويعينه ويبصره ويساعده وان تخلى عنه هذا
المستعد المعين فالهلاك اقرب اليه من نفسه وخلقه على هذه الصفة هو من
الامور التي يحمد عليها الرب سبحانه ويثنى عليه بها وهو موجب حكمته وعزته
فكل ما يحدث من هذه الخلقة وليس عنها فهو بالنسبة الى الخالق سبحانه خير
وعدل وحكمة اذ مصدر هذه الخلقة عن صفات كماله من غناه وعلمه وعزته و
حكمته ورحمته وبالنسبة الى العبد تنقسم الى خير وشر وحسن وقبيح كما يحدث
بالنسبة اليه طاعة ومعصية وبرا وفجورا بل اخص من ذلك مثل كونه صلاة

الملك

ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب
ارضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها طائفة
اجادب امسكت الماء فسقى الناس ورعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك
ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به ومثل من لم يرفع
لذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به ممثل القلوب بالارض التي هي محل النبات والثمار و
مثل الوحي الذي وصل اليها من باريها وفاطرها بالماء الذي ينزل على الارض من السماء ارض
طيبة قابلة للماء والنبات فلما اصابها الماء انبتت ما انتفع به الادميون والبهائم اقوات
للمكلفين وغيرهم وهذه هي القلب القابل لهدى الله ووحيه المستعد لذكاية منه
وعمرته وغايته وهذا خير قلوب العالمين ومن الارض ارض صلبة منخفضة غير منتفعة
ولا قابلة لحفظ الماء واستقراره فيها فيها قوة للحفظ وليس فيها قوة للنبات فلما
حصل فيها الماء امسكته وحفظته فورده الناس فشربوا منه وشربوا ما شاؤوا وسقوا منه
زرعهم وهذا مثل القلب الذي حفظ الوحي وضبطه وادى الى من هو احق به منه وافقه
منه واعرف بمراده وهذا في الدرجة الثانية ومن الارض ارض قيعان وهي المستوية
التي لا تنبت اما لكونها سبخة او رملا ولا يستقر فيها الماء فاذا وقع عليها الماء
ذهب ضائعا لم تمسكه لشرب الناس ولم تنبت بنفسها كلا لانها غير قابلة لحفظ الماء
ولا لانبات الكلا والعشب وهذا حال اكثر الخلق وهم الاشقياء الذين لم يقبلوا هدى
الله ولم يرفعوا به رأسا ومن كان بهذه المثابة فليس من المسلمين بل لابد لكل
مسلم ان يزكو الوحي في قلبه فينبت من النحل الصالح والكلم الطيب وينفع نفسه وغيره
بحسب قوة ذلك فمن لم ينبت قلبه شيئا من الخير البتة فهذا من اشقى الاشقياء وصلوات
الله وسلامه على من الهدى والبيان والشفاء والعصمة في كلامه وفي امثاله والمقصود
ان الله سبحانه اعلم بمواقع فضله ورحمته وتوفيقه ومن يصلح لها ممن لا يصلح وان حكمته
تابى ان تضع ذلك عند غير اهله كما تابى ان تمنعه ممن يصلح له وهو سبحانه
الذي جعل المحل صالحا وجعله اهلا وقابلا لهذه الاعداد والامداد ومنه السبب
والمسبب ومن اعترض بقوله فهلا جعل المحال كلها كذلك وجعل القلوب على قلب
واحد فهو من اجهل الناس واضلهم واسفههم وهو بمنزلة من يقول لم

خلق

خلق الاضداد وهلا جعلها كلها شيئا واحدا فلم خلق الليل والنهار والفوق والتحت
والحر والبرد والداء والدواء والشياطين والملائكة والروائح الطيبة والكريهة و
الحلو والمر والقبيح والحسن وهل يشفي خاطر من له ادنى مسكة من عقل مثل هذا
السؤال الدال على جهل سائله وفساد عقله وهل ذلك الا موجب ربوبيته و
الهيته وملكه وقدرته ومشيئته وحكمته وسبحانه ان يتخلف موجب صفات كماله
عنها وهل حقيقة الملك الا الامر والنهي والاثابة والاعداء وهل تمام الحكمة وكمال
القدرة الا خلق المضادات والمختلفات وترتيب آثارها عليها وايصال ما
يليق بكل منها اليه وهل ظهور الآيات وصفاته في العالم الا من لوازم ربوبيته
وملكه فهل يكون رزاقا وغفارا وعفوا ورحيما وجليلا ولم يوجد من يرزقه
ولا من يغفر له ويعفو عنه ويحلم عنه ويرحمه وهل انتقامه الا من لوازم ربوبيته
وملكه فمن يستقيم ان لم يكن له اعداء ينتقم منهم ويري اولياءه كمال قدرته
عليهم واختصاصه اياهم دون غيرهم بكرامته وثوابه وهل في الحكمة الالهية
تعطيل الخير الكثير لاجل شر جزوي يكون من لوازمه فهذا الوقت الذي
تحيى به الله البلاد والعباد والشجر والدواب كم الحس من مسافر وعنع من التصار
وحصار ويهدم من بنا ويعوق عن مصالح ولكن ان هذا مما تحصل به من
المصالح وهل هذه المفاسد في جنب مصالحه الا كقطرة في بحر وهل تعطيله ليلا
تحصل به هذه المفاسد الا موجبا لاعظم المفاسد والهلاك وهذه الشمس
التي سخرها الله لمصالح العباد وانضاج ثمارهم وافواههم وتربية الاجسام
والابدان بالحيوانات والطير وفيها من المنافع والمصالح ما فيها كم تؤذي
مسافرا وعيد حرها وكم تخيف راعيه وكم تخطف حيوانا وكم
تحبس عن مصالح وكم تنشف من مورد ومحرق من زرع ولكن ان نفع
هذا في جنب ما فيها من المنافع والمصالح الضرورية والحكمة تعطيل
الخير الكثير لاجل الشر اليسير شر كثير وهو خلاف موجب الحكمة الذي
منزه الله سبحانه عنه قلت لشيخ الاسلام فقد كان من الممكن خلق هذه الامور
مجردة عن المفاسد مشتملة على المصالح الخالصة فقال خلق هذه الطبيعة بلوازمها

لوازمها ممتنع فان وجود الملزوم بدون لازمه محال ولو خلقت على غير هذا الوجه
لكانت غير هذه ولكان عالما اخر غير هذا قال و من الاشياء ما يكون ذاته مستلزمة
لنوع من الامور لا ينفك عنه كالحركة مثلا المستلزمة لكونها لا تبقى فانا
قيل لم لم يخلق الحركة المعينة باقية قيل لان ذات الحركة تتضمن النقلة
من مكان الى مكان والتحول من حال الى حال فاذا قدر ما ليس كذلك لم
يكن حركة ونفس الانسان هي ذاتها جاهلة عاجزة فقيرة كما قال
تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا واعانها بالعلم
والقدرة والغنى من الله بفضله ورحمته فما حصل لها من كمال وخير
فمن الله وما حصل لها من عجز وفقر وجهل يوجب الظلم والشر فهو منها وهي حقيقتها
وهذه امور عدمية وليس لها من نفسها وجود والكمال والامور العدمية من لوازم
وجودها ولو جعلت على غير ذلك لم تكن هي هذه النفس الانسانية بل مخلوقا اخر
فحقيقة نفس الانسان جاهلة ظالمة فقيرة محتاجة والشر الذي يحصل لها نوعان
عدم وجود فالاول بعدم العلم والاعمال والصبر وارادة الخيرات وعدم العمل بها
وهذا العدم ليس له فاعل اذ العدم المحض لا يكون له فاعل لان تاثير الفاعل انما
هو امر وجودي وكذلك عدم استعدادها للخيرات والكمالات هو عدم محض
ليس له فاعل فان العدم ليس شيئا اصلا وما ليس بشيء لا يقال انه مفعول الفاعل
ولا يقال انه من الله انما يحتاج الى الفاعل الامور الوجودية ولهذا من قوله
المسلمين كلهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فعل كان بمشيئته كان
وما لم يكن فلعدم مشيئته والعدم يقال لعدم السبب او الشرط تارة و
لوجود المانع اخرى وقد يقال علة العدم عدم العلة وبعض الناس يقول
الممكن لا يترجح احد طرفيه على الاخر الا بمرجح فلا يوجد الا بسبب
ولا يعدم الا بسبب قال والتحقيق في هذا ان العدم ليس له فاعل
ولا علة فاعلة اصلا اذا اضيف الى عدم السبب او عدم الشرط فمعناه
فمعناه الملازمة اي عدم العلة استلزم عدم المعلول وعدم الشرط
استلزم عدم المشروط فاذا قيل عدم لعدم علته اي عدم علته مستلزمة

لعدمه

لعدمه والنفس تطلب سبب العدم فتقول لم يوجد كذا فيقال لعدم كذا وايضا
عدم المعلول الى عدم علته الا اضافة تاثير ولكن اضافة استلزام و
تعريف واما التعليل بالمانع فلا يكون الا مع قيام السبب اذا جعل المانع مقتضيا
للعدم واما اذا اريد قياس الدلالة فوجود المانع يستلزم عدم الحكم سواء
كان المقتضي موجودا او لم يكن والمقصود ان ما عدمته النفس من كمالها فانها
لا تقتضي الا العدم اي عدم استعداد نفسها وقوتها هو السبب في عدم هذا الكمال
فانه كما يكون احد الوجودين سببا للاخر فكذلك احد العدمين يكون سببا للعدم
الاخر والموجود الحادث يضاف الى السبب المقتضي لاحداثه واما المعدوم فلا
يحتاج استمراره على العدم الى فاعل لحدوث العدم بل يكفي في استمراره عدم مشيئة
الفاعل المختار فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لانتفاء مشيئته فانتفاء مشيئته
كونه سبب عدمه وهذا معنى قولهم عدم علة الوجود علة العدم وبهذا الاعتبار
الممكن القابل للوجود والعدم لا يترجح احد طرفيه على الاخر الا بمرجح فيرجح عدمه
عدم مرجحه ومعنى الترجيح لا يسبه هاهنا الا استلزام لا التباس كما
تقدم فظهر استحالة اضافة هذا الشر الى الله عز وجل واما الشر الثاني وهو الشر
الوجودي كالعقايد الباطلة والارادات الفاسدة فهي من لوازم ذلك العدم
فانه متى عدم العلم النافع والعمل الصالح من النفس لزم ان يخلفه الشر والجهل
وبوجبهما ولا بد لان النفس لا بد لها من احد الضدين فاذا لم تشتغل بالضد
النافع الصالح اشتغلت بالضد الضار الفاسد وهذا الشر الوجودي هو
من خلق الله تعالى اذ لا خالق سواه وهو خالق كل شيء لكن كل ما خلقه الله
فلا بد ان يكون له في خلقه حكمة لاجلها خلقه فلو خلقه لغير حكمة فانت تلك الحكمة ليس
في الحكمة تقويت هذه الحكمة التي هي احب اليه واسعد من الخير الحاصل بفواتها
فان في وجودها من الحكمة والغايات التي يحمد عليها ما هو اعظم واجل
عدمها من ذلك وجود الملزوم بدون لازمه ممتنع وليس في الحكمة تقويت هذه
الحكمة العظيمة لاجل ما يحصل للنفس من الشر مع ما حصل من الخيرات التي لم تكن

وصيانا وجاورنا وصوفة واكلا وشربا اذ ذاك موجب حاجته وظله وجهله
وفقره وضعفه وموجب امر الله له ونهيه ولله سبحانه الحكمة البالغة والنعمة
السابغة والحمد المطلق على جميع ما خلقه وامر به وعلى عالم خلقه ما لوشاء
خلقه وعلى توفيقه الموجب لطاعته وعلى خذلان الموقع في معصيته وهو
سبحانه سبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة واحسن كل شئ خلقه واتقن
كل ما صنع وما يحصل للنفوس المشريه من الضرر والاذى فله في ذلك سبحانه اعظم
حكمه مطلوبه وتلك الحكمة انما تحصل على الوجه الواقع المقدر عما خلق لها من الاسباب
التي لاتنال غاياتها الابها فوجود هذه الاسباب بالنسبه الى الخالق الحكيم سبحانه هو
من الحكمة ولهذا يقرن سبحانه في كتابه بين اسمه الحكيم واسمه العليم تارة وبين
وبين اسمه العزيز تارة كقوله والله عليم حكيم والله عزيز حكيم وقوله وكان الله
عزيزا حكيما وكان الله عليما حكيما وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان
العزة تتضمن القوة ولله القوة جميعا ويقال عز يعز بفتح العين اذا اشتد وقوى
ومنه ارض العزاز الصلبه الشديدة وعز يعز بكسر العين اذا امتنع عن يرومه
وعز يعز بضم العين اذا غلب وقهر فاعطوا القوى الحركات وهي الضمه لاقوى
المعاني وهو الغلبه والقهر للغير واضعفها وهي الفتحه لاضعف هذه المعاني
وهو كون الشئ في نفسه صلبا ولا يلزم من ذلك ان يمتنع عن يرومه والحركة
المتوسطه وهي الكسرة للمعنى المتوسط وهو القوى الممتنع عن غيره ولا يلزم
منه ان يقهر غيره ويغلبه فاعطوا الاقوى للاقوى والاضعف للاضعف و
المتوسط للمتوسط ولاريب ان قهر المريد عما يريده من اقوى اوصاف القادر
فان قهره عن ارادته وجعله غير مريد كان اقوى انواع القهر والعز ضد الذل والذل
اصله الضعف والعجز فالعز يقتضي كمال القدرة ولهذا يوصف به المؤمن ولا يكون
ذما لله بخلاف الكبر قال رجل للحسن البصري انك متكبر فقال لست بمتكبر ولكني
عزيز وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ
اسلم عمر وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام باحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب
او ابي جهل ابن هشام وفي بعض الآثار ان الناس يطلبون العزة في ابواب الملوك

ولا

ولا يجدونها الا في طاعة الله عز وجل وفي الحديث اللهم اعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك و
قال بعضهم من اراد عزا بلا سلطان وكثره بلا عشيرة وغنى بلا مال فليتنقل من ذل المعصية
الى عز الطاعة والعزة من جنس القدرة فالعزة من جنس القدرة والقوة وقد ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي
خبر فالقدرة ان لم تكن معها حكمة بل كان القادر انما يفعل ما يريده بلا نظر في العاقبة والحكمة
المحمودة يطلبها بارادتها وقصدها بفعله كان فعلها فساد كصاحب شهوات الغي
والظلم الذي يفعل بقوته ما يريده من شهوات الغي في بطنه وفرجه ومن ظلم الناس فان
هذا وان كان له قوة وعزة لكن لما لم يقترن بها حكمة كان ذلك معونة على شر و
فساد وكذلك العلم كما انه لا بد ان يقترن به الحكمة والا فالعالم الذي لا يريد ما تقتضيه
الحكمة وتوجبه بل يريد ما يهواه لسفه غاو وجهله عون له على الشر والفساد هذا اذا كان
عالما قادرا مريدا له ارادة من غير حكمة وان قدر انه لا ارادة له لحال فهذا اولا
ممتنع كوجود ارادة من الحي فان وجود الشعور بدون حب ولا بغض ولا ارادة ممتنع
كوجود ارادة بدون الشعور واما القدرة والقوة اذا قدر وجودها بدون ارادة
مع كونه الجماد فان القوة الطبيعية التي هي مبدأ الفعل والحركة وقد قال بعض الناس
ان لجملها شعور يليق به واحتج بقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وبقوله حدارا بريدان
ينقض وهذه مسئلة كبيرة تحتاج الى كلام لا يليق بهذا الموضع والمقصود ان
العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بها الكمال والصلاح وانما يحصل ذلك بالحكمة
معها واسم سبحانه الحكيم يتضمن حكمته في خلقه وامره في ارادته الدينية والكونية وهو
حكيم في كل ما خلقه وامر به والناس في هذا المقام اربع طوائف الطائفة الاولى
الجاحدة لقدرته وحكمته فلا يثبتون له سبحانه قدرة ولا حكمة كما يقول من ينفي
كونه تعالى فاعلا مختارا وان صدور العالم عنه بالايجاب الذاتي لا بالقدرة والا
ختيار وهولاء لا يثبتون حكمة سموها عناية الهية وهم من اشد الناس تناقضا
اذ لا يعقل حكيم لا قدرة له ولا اختيار وانما سموا ما في العالم والمصالح والمنافع عنايه
الهية من غير ان يرجع منها الى الرب سبحانه ارادة ولا حكمة وهولاء كما انهم مكذبون

لجميع الرسل والكتب فهم مخالفون لصريح العقل والفطرة قد سبوا الرب سبحانه الى
اعظم النقص وجعلوا كل قادر مريد مختارا اكمل منه وان كان من كان بل سلبهم
القدرة والاختيار والفعل عن رب العالمين شر من شرك عباد الاصنام به بكثير
وشر من قول النصارى انه تعالى هو ثالث ثلاثة وان له صاحبة وولدا فان
هؤلاء اثبتوا له قدرة وارادة واختيارا ولكن جاءوا بحكم ووصف مع ذلك مما لا يليق
به واما اولئك فنفوا ربوبيته وقدرته بالكلية واثبتوا له الحقايق لكنهم لم يعنوا
والطايفة الثانية اقروا بقدرته وعموم مشيئته للكاينات وحدوث حكمته ومالة
في خلقه من الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه التي تفعل لاجلها وبامر لاجلها
لحظوظ على القدر وحدث الحكمة وهؤلاء هم النفاة للتعليل والاسباب و
القوى والطبايع في المخلوقات فعندهم لا يفعل لشيء ولا لاجل شيء وليس في القرآن
عندهم لام تعليل ولا باء تسبب وكل لام توهم التعليل فهي عندهم لام العاقبة
وكل باء تشعر بالتسبب فهي عندهم بالمصاحبة وهؤلاء سلطوا نفاة القدر
عليهم بما نفوه من الحكمة والتعليل والاسباب فاستطالوا عليهم بذلك وحدوا
مقالا واسعا بالشناعة فقالوا وشنعوا ولعمر الله انهم لمحقون في اكثر ما شنعوا
عليهم به اذ نفي الحكمة والتعليل والاسباب له لوازم في غاية الشناعة والتزامها
مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء والطايفة الثالثة اقروا بحكمته واثبتوا الاسباب
والعلل والغايات في افعاله واحكامه وحدث عمال قدرته فنفت قدرته على شطر
العالم وهو اشرف ما فيه من افعال الملايكة والجن والانس وطاعاتهم بل عندهم
هذه كلها لا تدخل تحت مقدوره سبحانه ولا يتوصف بالقدرة عليها ولا هي
داخلة تحت مشيئته ولا ملكه وليس في مقدوره عندهم ان يجعل المؤمن مؤمنا
والمصلي مصليا والموفق موفقا بل هو الذي جعل نفسه كذلك وعندهم ان
افعال العباد من الملايكة والجن والانس كانت بغير مشيئته واختياره فتعالى
الله عن قولهم وهؤلاء سلطوا عليهم نفاة الحكمة والتعليل والاسباب
فمن قولهم كل ممزق ووجدوا طريقا وسبيلا الى الشناعة عليهم وابدوا وانتقضوا
فقالوا وشنعوا ورموا بكل داهية لنفي قدرة الرب سبحانه على شطر الملك

ثم لوازم في غاية الشناعة والقبح والفساد والتزامها مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء
ونفي التقابل بين النقيضين بين فسادا وذلك بين التناقض وهو احسن حالا منهم و
بين التزام تلك العظايم التي تخرج عن الايمان كما كان نفاة الحكمة والاسباب والغايات
كذلك فهدى الله الطايفة الرابعة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم فامنوا بالكتاب واقروا بالحق جميعه ووافقوا كل واحد من
الطايفتين على ما معهما من الحق وخالفوهم فيما قالوه من الباطل فامنوا بخلق الله
وامره بقدره وشرعه وان لله سبحانه المجد على خلقه وامره وانه له الحكمة البالغة و
النعمة السابغة وانه على كل شيء قدير فلا يخرج عن مقدوره شيء من الموجودات
اعيانها وافعالها وصفاتها كما لا يخرج عن علمه فكل ما تعلق به علمه من العالم تعلقت
به قدرته ومشيته فامنوا مع ذلك بان لله الحجة على خلقه وانه لا حجة لاحد عليه بل لله
الحجة البالغة وانه لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم بل كان
تعذيبهم منه عدلا منه وحكما لا بمحض المشيئة المجردة عن السبب والحكمة كما تقوله الجبرية
ولا يجعلون القدر حجة لانفسهم ولا لغيرهم بل يومنون به ولا يحتجون به و
يعلمون ان الله سبحانه انعم عليهم بالطاعات واضافها من نعمته عليهم وفضله واحسانه
وان المعاصي من نفوسهم الظالمة الجاهلة وانهم هم خالفوا وهم الذين اجترحوها
ولا يحملونها على القضا والقدر مع علمهم بشمول قضايه وقدره لما في العالم من خير
وشر وطاعة وعصيان وكفر وايمان وان مشيئة الله سبحانه محيطة بذلك كما حاطة علمه
به وانه لو شاء لا يعصى ما عصي وانه تعالى اعز واجل من ان تعصى قسرا وانما
اقل من ذلك واهون وانه ما شاء كان وكل كاين فهو بمشيئته وما لم يشا لم يكن وما
لم يكن فلعدم مشيئته فله الخلق والامر وله الملك والحمد وله القدرة التامة والحكمة
الشاملة التابعة في المفعول عن الحكمة والحجة البالغة فهذه الطايفة هم اهل البصر التام
والاولى لهم العين المطلق والثانية والثالثة كل طايفة منهما اعمى عين عين ومن هذا
منشا العمى من العين العمياء الى العين الصحيحة فاعماها فاستبصر تكرار هذه
الكلمات من تعلم شدة الحاجة اليها وضرورة النفوس اليها فلو تكررت ما تكررت

الألوكة
www.alukah.net

فلخاصه النعاني محل الضرورة والله المستعان فلم [illegible] وجمع هذين الاصلين العظيمين
اصل ثالث هو عقد نظامها وجامع شملها وتحقيقه واثباته على وجهه تم بنا هذين
الاصلين وهو اثبات الحمد كله لله رب العالمين فانه المحمود على ما خلقه وذكر وجهه انه
وقع عنه فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم واياتهم وكفرهم وهو المحمود على
خلق الابرار والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل واعدائهم وهو المحمود
على عدله في اعدائه كما هو المحمود على فضله وانعامه على اوليائه فكل ذرة من ذرات الكون
شاهدة بحمده ولهذا تسبح بحمده السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا
يسبح بحمده وكان في قوله النبي صلى الله عليه وسلم عند الاعتدال من الركوع ربنا ولك
الحمد ملاء السماء وملاء الارض وملاء ما بينهما وملاء ما شئت من شيء بعد فله سبحانه
الحمد حمدا يملأ المخلوقات والفضاء الذي بين السموات والارض ويملأ ما يقدر بعد
ذلك ما شاء الله ان يملأ بحمده وذلك يحتمل امرين احدهما ان يملأ ما خلق الله
بعد السموات والارض والمعنى الثاني الحمد ملاء ما خلقته وملاء ما خلقه بعد ذلك
الثاني ان يكون المعنى ملاء ما شئت من شيء بعد يملأه حمدك اي تقدر يملو
بحمدك وان لم يكن موجودا ولكن يقال المعنى الاول اقوى لان قوله ما شئت
من شيء بعد يقتضي انه شيء يشاءه وما شاء كان والمشيئة متعلقة بعينه لا بمجرد
ملاء الحمد له فتامله لكنه اذا شاء كونه فله الحمد ملاءه فالمشيئة راجعة الى المملوء
بالحمد فلا بد ان يكون شيئا موجودا يملأه حمده وايضا فان قوله من شيء بعد
يقتضي انه شيء شاءه سبحانه بعد هذه المخلوقات كما خلق بعد ذلك من
مخلوقاته من الهيم وما بعدها ولو اريد تقدير خلقه لقيل وملاء ما شئت
من شيء مع ذلك لان المقدر يكون مع الخلق فانه لم يقل ملاء ما شئت ان
يملأه الحمد بل قال ما شئت والعبد قد يحمد احدا به وانشاءه ووصفه بانه
يملأ ما خلقه الرب سبحانه وما شاءه بعد ذلك وايضا فقوله وملاء ما شئت
من شيء بعد يقتضي اثبات مشيئة تتعلق بشيء بعد ذلك وعلى الوجه الثاني
قد تتعلق المشيئة بملاء المقدر وقد لا تتعلق وايضا فاذا قيل ما شئت من

شيء

من شيء بعد ذلك كان الحمد ماليا لما هو موجود يشاءه الرب داعيا ولا ريب ان له
الحمد داعيا في الاولى والاخرة واما اذا قدر ما يملأه الحمد وهو غير موجود فالمقدر
لاحد لها وما من شيء منها الا يمكن تقدير شيء بعده وتقدير ما لا نهاية له لتقدير
الاعداد ولو اريد هذا المعنى لم تحتج الى تعليقه بالمشيئة بل قيل ملاء ما لا يتناهى
فاما ما يشاءه الرب فلا يكون الا موجودا مقدرا وان كان لا اخر لنوع الحوادث
وبقي ما يبقى منها فهذا كله مما يشاءه بعد وايضا فالحمد هو الاخبار بمحاسن المحمود
على وجه المحبة له ومحاسن المحمود تعالى اما قائمة بذاته واما ظاهرة في مخلوقاته
فاما المعدوم المحض الذي لم يخلق ولا خلق فقط فذلك ليس بمحاسن ولا غيرها فلا يحامد
ضد البتة فالحمد لله الذي يملأ المخلوقات ما وجد منها وما يوجد هو حمد يتضمن الثناء
عليه بكماله القائم بذاته والمحاسن الظاهرة في مخلوقاته واما ما لا وجود له فلا يحامد فيه
ولا مذام فجعل الحمد ماليا له جعله ماليا لا حقيقة له وقد اختلف الناس في معنى كون الحمد
يملأ السموات والارض وما بينهما فقالوا فان الحمد من قبيل المعاني والاعراض التي لا يملأ
بها الاجسام ولا يملأ الا الاجسام والصواب انه لا يحتاج الى هذا التكلف البارد
فان ملاء كل شيء بحسب المالي والمملوء فاذا قيل امتلأ الاناء ماء وامتلأت الجفنة
طعاما فهذا الامتلاء نوع واذا قيل امتلأت الدار رجالا وامتلأت المدينة خيلا ورجالا
فهذا نوع اخر واذا قيل امتلأ الكتاب سطورا فهذا نوع اخر واذا قيل امتلأت
مسامع الناس حمدا او ذما لفلان فهذا نوع اخر كما في اثر معروف اهل الجنة من امتلاء
مسامعهم من ثناء الناس عليه واهل النار من امتلاء مسامعهم من ذم الناس له وقال
عمر ابن الخطاب في عبد الله ابن مسعود كنيف ملئ علما وقال فلان علمه قد ملاء الدنيا
وكان يقال ملاء ابن ابي الدنيا الدنيا علما ويقال صيت فلان قد ملاء الدنيا وضيق
الافاق وحبه قد ملاء القلوب وبغض فلان قد ملاء القلوب وامتلأ قلبه رعبا
وهذا اكثر من ان يستوعب شواهده وهو حقيقة في بابه وجعل الملاء والامتلاء
حقيقة في بابه للاجسام خاصة تحكم باطل ودعوى لا دليل عليها البتة والاصل
الحقيقة الواحدة والاشتراك كما ليس هذا موضع تقريره والمقصود ان الرب
اسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء واوصافه كلها كمال ليس فيها صفة

الم الاولين والاخرين ولايزال موصوفا بصفات الجلال منعوتا بنعوت الكمال منزها عن
اضدادها من النقايص والتشبيه والامثال فهو الحي القيوم الذي لكمال حيوته وقيوميته
لاتاخذه سنة ولانوم مالك السموات والارض الذي لكمال ملكه لايشفع عنده الا
الا باذنه العالم بكل شئ الذي لكمال علمه يعلم مابين ايدي الخلايق وما خلفهم ولايحيطون
ورقة الا بعلمه ولايتحرك ذرة الا باذنه يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لايطلع
عليها الملك ويعلم ما سيكون منها حيث لايطلع عليه القلب البصير الذي لكمال بصره
يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة واعضاها ولحمها ودمها ولحمها وعروقها ويرى
دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى ماتحت الارضين السبع كما يرى مافوق
السموات السبع السبع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الاصوات
فلا يختلف عليه اصوات المختلف ولاتشتبه عليه ولايشغله سمع عن سمع ولاتغلطه
المسايل ولايبرمه كثرة السايلين قالت عايشة الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات
لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله وانى ليخفى على بعض كلامها فانزل الله عز وجل
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير
القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويجعل المؤمن مؤمنا والكافر
كافرا والبر برا والفاجر فاجرا وهو الذي جعل ابراهيم والد ايمة يدعون اليه
ويهدون بامره وجعل فرعون وقومه ايمة يدعون الى النار ولكمال قدرته لايحيط
احد شئ من علمه الا بما شاء سبحانه ان يعلمه اياه ولكمال قدرته خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسه من لغوب ولا يعجزه احد من خلقه ولا يفوته بل هو في
قبضته ان كان فان فزعه فانما يطوى المراحل في يديه كما قيل ٥ وكيف لمن عنك بذبذ
اذا كان يطوى في يديه المراحلا ٥ ولكمال غناه استحال اتخاذ الولد والصاحبة و
الشريك والشفيع بدون اذنه اليه ولكمال عظمته ولعلوه وسع كرسيه السموات والارض ولم
يسعه ارضه ولاسموته ولم يحط به مخلوقاته بل هو العالي على كل شئ وهو بكل شئ محيط ولا
تنعد كلماته ولا تبيد بل لو كان ان البحر عدد من بعده سبعة ابحر مدادا واشجار الارض اقلاما
فكتب بذلك المداد وتلك الاقلام لنفد المداد وفنيت الاقلام ولم تنفد كلماته اذهي غير

مخلوقة ويستحيل ان يفنى غير المخلوق بالمخلوق ولو كان كلامه مخلوقا كما قاله من لم يقدره حق
قدره ولا اثنى عليه بما هو اهله لكان احق بالفنا من هذا المداد وهذه الاقلام لانه
اذا كان مخلوقا فهو نوع من انواع مخلوقاته ولا يحتمل المخلوق افناء هذا المداد وهذه
الاقلام وهو باق غير فان وهو سبحانه يحب رسله وعباده المؤمنين ويحبونه
بل لا شئ احب اليهم منه ولا اشوق اليهم من لقايه ولا اقر لعيونهم من رويته ولا
احظى عندهم من قربه وانه سبحانه له الحكمة البالغة في خلقه وامره وله النعمة السابغة
على خلقه وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وانه ارحم بعباده من الوالدة بولدها وانه
افرح بتوبة عبده من واجد راحلته الذي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة بعد
فقدها والياس منها وانه سبحانه لم يكلف عباده الا وسعهم وهو دون طاقتهم فقد
يطيعون الشئ ويضيق عليهم بخلاف وسعهم فانه يسعهم ويسهل عليهم ويفضل
قدرهم عنه كما هو الواقع والله سبحانه لا يعاقب احدا بغير فعله ولا يعاقبه على فعل غيره
ولا يعاقبه بترك ما لا يقدر على فعله ولا على فعل ما لا قدرة له على تركه وانه حكيم كريم
جواد ماجد محسن ودود صبور شكور يطاع فيشكر ويعصى فيغفر لا احد اصبر
على اذى سمعه منه ولا احب اليه المدح منه ولا احب اليه العذر منه ولا احب اليه
الاحسان منه فهو محسن يحب المحسنين شكور يحب الشاكرين جميل يحب الجمال طيب
يحب كل طيب نضيف يحب النظافة عليم يحب العلما من عباده كريم يحب الكرما قوى
والمؤمن القوى احب اليه من المؤمن الضعيف يحب الابرار عدل يحب اهل العدل حي
ستير يحب اهل الحيا والستر عفو عفو يحب من يعفو عن عباده ويغفر لهم صادق يحب
الصادقين رفيق يحب الرفق جواد يحب الجواد واهله رحيم يحب الرحما وتر يحب
الوتر يحب اسماه وصفاته ويحب المتعبدين له بها ويحب من يسأله بها ويدعوه بها
ويحب من يعرفها ويعقلها ويثنى عليه بها ويحمده ويمدحه بها كما في الصحيح عن النبي لا احد
اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه ولا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين
ومنذرين وفي حديث اخر صحيح لا احد اصبر على اذى سمعه من الله يجعلون له ولدا وهو
يرزقهم ويعافيهم والحمد لله سبحانه وصفاته امر عباده بموجبها ومقتضاها فامرهم
بالعدل والاحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم

فعل المعلوات

نقص وافعاله كلها حكمة ليس فيها حكم خال عن الحكمة والمصلحة وله المثل الاعلى في
والارض وهو العزيز الحكيم موصوف بصفة الكمال مذكور بنعوت الجلال منزه عن
التشبيه واتمثال منزه عن اضداد صفات كماله منزه عن الموت المضاد للحيوة
وعن السنة والنوم والسهو والغفلة المضاد للقيوميه وموصوف بالعلم منزه عن
اضداده كلها من النسيان والذهول وعزوب شئ عن علمه موصوف بالقدرة
التامة منزه عن ضدها من العجز واللغوب والاعيا موصوف بالعدل منزه عن
الظلم موصوف بالحكمة منزه عن العبث موصوف بالسمع والبصر منزه عن
اضدادهما من الصمم والبكم موصوف بالعلو والفوقيه منزه عن ضد ذلك
موصوف بالغنى التام منزه عما يضاده بوجه من الوجوه ومستحق للحمد كله
فيستحيل ان يكون غير محمود كما يستحيل ان يكون غير قادر ولا حاق ولا
حى وله الحمد كله واجب لذاته فلا يكون الا محمودا كما لا يكون الا قادرا وفاعلا
ذا فعل الحمد كله ويستحيل ان يكون على ضده له معنيان احدهما انه محمود على كل شئ
وبكل ما يحمد به المحمود التام وان كان بعض خلقه يحمد ايضا كما يحمد رسله وانبياءه
واتباعهم فذلك من حمده تبارك وتعالى بل هو المحمود لذاته الاول والاخر والظاهر والباطن وما
نالوه من الحمد فانما نالوه بحمده فهو المحمود اولا واخرا وظاهرا وباطنا وهذا كما انه
بكل شئ عليم وقد علم عبده من علم ما لم يكن يعلمه بدون تعليمه وفي الدعاء المأثور اللهم
لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله اسالك من
الخير كله واعوذ بك من الشر كله وهو سبحانه له الملك وحده الذي ما من المملكة بعض
خلقه وله الحمد وقد اثنى عليه من الحمد ما شاء وكما ان ملك المخلوق داخل في ملك محمده
ايضا داخل في حمده فما من محمود يحمد على شئ ما دق او جل الا والله المحمود عليه
بالذات والاولويه ايضا واذا قال الحامد اللهم لك الحمد فالمراد به انت المستحق
لكل حمد ليس المراد به الحمد الخارجي فقط المعنى الثاني ان يقال لك الحمد كله اي الحمد
التام الكامل فهذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركه والتحقيق ان له الحمد بالمعنيين
جميعا وله عموم الحمد وكماله وهذا من خصائصه سبحانه فهو المحمود على كل حال
وعلى كل شئ اكمل حمد واعظمه كما ان له الملك التام العام فلا علك كل شئ الا هو
وليس الملك التام الكامل الا لله واتباع الرسل يشهدون له كمال الملك وكمال

الحمد

الحمد فانهم يقولون انه خالق كل شئ وربه ومليكه لا يخرج عن خلقه وقدرته ومشيئة
شئ البتة فله الملك كله والقدرة كلها والعباد يخرجون من ملكه افعال العباد تخرجون
سائر حركات الملائكة والجن والانس عن ملكه واتباع الرسل يجعلون ذلك كله داخلا
في ملكه وقدرته ويثبتون كمال الحمد ايضا وانه المحمود على جميع ذلك وعلى كل ما خلقه وخلقه
لاجله فيه من الحكم والغايات المحمودة المقصودة بالفعل واما نفاه الحكمة والاسباب
من مثبتي القدر فهم في الحقيقة لا يثبتون له حمدا كما لا يثبتون له الحكمة فان الحمد من لوازم
الحكمة والحكيم انما تكون في حق من يفعل شيئا لشئ فيريد بما يفعله الحكمة الناشئة
من فعله فاما من لا يفعل شيئا لشئ البتة فلا يتصور في حقه الحكمة وهولاء يقولون
ليس في افعاله واحكامه لام تعليل وما اقترن بالمفعولات من قوى وطبايع و
مصالح فانما اقترنت بها اقترانا عاديا لا ان هذا كان لاجل هذا والانشاء السبب
لاجل المسبب بل لا سبب عندهم ولا مسبب البتة ان هو الا محض المشيئة و
صرف الارادة التي ترجح مثلا على مثل بل لا مرجح اصلا وليس عندهم في الاجسام
طبايع وقوى ولا في السبب الحرارة اقتضاء ولا في العين قوة امتازت بها على الرجل
تبصر بها ولا في القلب قوة يعقل بها امتاز بها على الظهر بل حض سبحانه
احد الحسي بالرؤية والعقل والذوق تخصيصا لمثل على مثل بلا سبب
اصلا ولا حكمة فهولاء لم يثبتوا له كمال الحمد كما لم يثبت له اولئك كمال الملك وكلا
القولين منكر عند السلف وجمهور الامة ولهذا كان منكر الاسباب
والقوى والطبايع يقولون العقل نوع من العلوم الضروريه كما قال القاضي
ضياء ابو بكر ابن الطيب وابو يعلى ابن الفراء اتباعهما وقد نص احمد
على انه غريزة وكذلك الحارث المحاسبي وغيرهما واولئك لا يثبتون غريزة
ولا قوة ولا طبيعة ولا سببا وابطلوا مسميات هذه الاسماء جملة وقالوا انما
في الشريعة من المصالح والحكم يشرع الرب سبحانه ما شرع من الاحكام لاجلها بل اتفق
اقتران احدها بالاخر اقترانا عاديا كما قالوا انظر في ذلك في المخلوقات سواء والعلل عندهم
امارات محضة لمجرد الاقتران الاتفاقي وهم فريقان احدهما لا يعترفون على المنا

سبات

ولا يشترون العلل بها الله وانما يعتمدون على تاثير العلة بنص او اجماع فان فقد
يرجعون الى الاقيسة الشبهية والفريق الثاني اصلحوا المذهب فعللوا الاصلاح و
قربوه بعض الشيء وان الوا تلك النقرة عنه فاثبتوا الاحكام بالعلل والعلل بالمنا
سبات والمصالح ولم يكنهم الكلام في الفقه الا بذلك ولكن جعلوا اقتران الح
احكام تلك العلل والمناسبات امارات ذلك الاقتران وهو الذي يستدلون على
اثبات علم الرب عز وجل في مخلوقاته من الاحكام والاتقان والمصالح وهذا تناقض
بين منهم فان ذلك انما يدل اذا كان الفاعل يقصد ان يفعل الفعل على وجه
مخصوص لاجل الحكمة المطلوبة منه واما من لم يفعل لاجل ذلك الاحكام والاتقان
وانما اتفق انه صنعه لانه عادة فان ذلك الفعل لا يدل على العلم في افعال
الحيوانات من الاحكام والاتقان والحكم ما هو معروف لمن تامله ولكن ملزم لم
تكن تلك الحكم والمصالح مقصودة لفاعل دل على علمها والمقصود ان هؤلاء اذا قالوا
انه تعالى لا يفعل لحكمة امتنع عندهم ان تكون الاحكام دليلا على العلم وايضا فعلى
قولهم يمتنع ان يحمد على ما فعله لانه ما حصل للعباد من نفع فهو سبحانه لم يقصد
خلقه بنفعهم ولا خلقه لمنفعتهم ومصالحهم بل انما اراد بمجرد وجوده لا لاجل كذا
ولا نفع احد ولا ضره فكيف يتصور في حق من يكون فعله ذلك حمدا ولا
تحمد على فعل عدل ولا على ترك ظلم لان الظلم عندهم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت
المقدور ولا ذلك لا يمدح احد على تركه وكل ما امكن وجوده فهو عندهم عدل
فالظلم مستحيل عندهم اذ هو عبارة عن الممتنع المستحيل لذاته الذي لا يدخل تحت
المقدور ولا يتصور فيه ترك اختياري فلا يتعلق بحمد واخباره تعالى عن نفسه
بقيامه بالقسط حقيقة عندهم مجرد كونه فاعلا لان هناك شيا هو قسط في نفسه
يمكن وجود ضده وكذلك قوله وما ربك بظلام للعبيد نفي عندهم ما هو مستحيل في
نفسه والحقيقة له كجعل الجسم في مكانين في آن واحد وجعله موجودا معدوما في
آن واحد فهذا ونحوه عندهم هو الظلم الذي ينزه عنه وكذلك قوله يا عبادي اني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فالذي حرمه على نفسه هو
المستحيل الممتنع لذاته كالجمع بين النقيضين وليس هناك ممكن يكون
ظلما في نفسه وقد حرمه على نفسه ومعلوم انه لا يمدح المحمود على ترك ما لو اراده
لم يقدر عليه وايضا فانه قال وجعلته بينكم محرما فالذي حرمه على نفسه هو
الذي جعله محرما بين عباده وهو الظلم المقدور الذي يستحق تاركه الحمد والثنا
والذي اوجب لهم هذا مناقضة القدرية المجوسية ورد اصولهم وهدم قواعدهم

ولكن

ولكن رد واما طلا بباطل وقابلوا بدعة ببدعة وسلطوا عليهم خصومهم سجالا مرة
يغلبون ومرة يغلبون لم يستقر لهم نصرة واما النصرة الثابتة لاهل السنة
المحضة الذين لم يتجيزوا الى فئة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلتزموا غير ما
جاء به ولم يوصلوا اصلا ببدعة يسلطون عليهم به خصومهم بل اصلهم ما دل عليه
كتاب الله وكلام رسوله وشهدت به الفطرة والعقول

والمقصود بيان شمول حمده سبحانه وحكمته لكل ما يحمد من احسان ونعمة وان
متحان وبليه وما يقتضيه من طاعته ومعصيته وانه تعالى محمود على ذلك كله مشكور
حمد المدح وحمد الشكر اما حمد المدح فانه محمود على كل ما خلق اذ هو رب العالمين و
الحمد لله رب العالمين واما حمد الشكر فلان ذلك كله نعمة في حق المؤمن اذا اقترن
بواجبه والاحسان والنعمة اذا اقترنت بالشكر صارت نعمة والامتحان والبلية
اذا اقترنا بالصبر كان نعمة والطاعة فمن اجل نعمة واما المعصية فاذا اقترنت
بواجبها من التوبة والاستغفار والانابة والذل والخضوع فقد ترتب عليها من آثار
المحمودة والغايات المطلوبة ما هو نعمة ايضا وان كان سببها مسخوطا مبغوضا
للرب سبحانه ولكنه يحب ما ترتب عليها من التوبة والاستغفار وهو سبحانه
افرح بتوبة عبده من الرجل اذا ضل راحلته بارض دويه مهلكة عليها طعامه و
شرابه فايس منها ومن الحيوة فنام نومة فاستيقظ فاذا بها قد تعلق خطامها في اصل
شجرة فجاء حتى اخذها فالله افرح بتوبة العبد حين يتوب اليه من هذا براحلته فهذا
الفرح العظيم الذي لا يشبهه شيء احب اليه سبحانه من عدمه والاسباب ولوازم لا بد منها
وما يحصل بتقدير عدمه من الطاعات وان كان محبوبا له فهذا الفرح احب اليه بكثير ووجوده
يدل لا زمه ممتنع فله من الحكمة في تقدير اسبابه وموجباته حكمة بالغة ونعمة سابغة هذا بالا
ضافة الى الرب سبحانه واما بالاضافة الى العبد فانه قد يكون كمال عبوديته وخضوعه موقوفا على
اسباب لا يحصل بدونها فتقدير الذنب عليه اذا اتصل به التوبة والانابة والخضوع والذل
والانكسار ودوام الافتقار كان من النعم باعتبار غايته وما يعقبه وان كان من البلا
والامتحان باعتبار صورته ونفسه والرب سبحانه محمود على الامرين فان اتصل بالذنب الا
ثار المحبوبة للرب سبحانه من التوبة والانابة والذل والانكسار فهو عين مصلحة
العبد والاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية وان لم يتصل به ذلك فهذا الكون

الألوكة
www.alukah.net

حمده في العالم العلوي والسفلي وبنيه على هذا كله في كتابه وحمد نفسه عليه فشرع حمده
واسباب حمده وجعلها تارة وقولا اخرى ليتعرف الى عباده ويعرفهم كيف
يحمدونه وكيف ينثون عليه وليحبب اليهم ذلك وتجهم اذا عرفوه واحبوه
وحمدوه قال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا
من لدنه ويبشر المومنين وقال الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة
وهو الحكيم الخبير وقال الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقال وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون وقال هو الحي لا اله الا هو فادعوه
مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون واخبر عن حمد خلقه له بعد فصل بينهم
والحكم لاهل طاعته بثوابه وكرامته والحكم لاهل معصيته بعقابه واهانته وقضى بينهم با
لحق وقيل الحمد لله رب العالمين واخبر عن حمد اهل الجنة له وانهم لم يدخلوها الا
بحمده كما ان اهل النار لم يدخلوها الا بحمد فقال اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ودعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال عن اهل النار ويوم ينادي بهم فيقول
اين شركائي قالوا الذين كنتم ترعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا
برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون وقال فاعترفوا بذنبهم
فسحقا لاصحاب السعير وشهدوا على انفسهم بالكفر والظلم وعلموا انهم كانوا كاذبين
في الدنيا مكذبين بايات ربهم مشركين به جاحدين للالهية مفترين عليه وهذا
اعتراف منهم بعدله فيهم واخذهم ببعض حقه عليهم واخبر عن طلبهم الرجعة اما
دخلوا النار بعدله وحمده وانما عوقبوا بافعالهم وبما كانوا قادرين على فعله
وتركه لا كما يقول الجبرية وتعطيل هذه الحكمة مما لا سبيل للعقول البشرية

والشكر والحمد والاناة والتثبت وما كان سبحانه يحب اسمائه وصفاته كان احب الخلق الى
بالصفات التي يحمد ويقصدهم اليه من اتصف بالصفات التي يكرهها فانما يبغض من
اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لان اتصافه بها ظلم اذ لا يليق به هذه الصفات
والاتصاف منا فيها بالصفات العبد وخروج من اتصف بها عن ربقة العبودية به
ومشاركة لمنصبه ومرتبته وتعديه طوره وحده وهذا خلاف ما تقدم من الصفات
كالعلم والعدل والرحمة والاحسان والصبر والشكر فانها لاتنافي العبودية بل اتصاف
العبد بها من كمال عبوديته اذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج
بها عن دائرة العبودية والمقصود ان الله سبحانه لكمال اسمائه وصفاته هو
موصوف بكل صفة كمال منزه عن كل نقص له كل ثناء حسن ولا يصدر عنه الا
كل فعل جميل ولا يسمى الا باحسن الاسماء ولا ثناء على الا باكمل الثناء وهو المحمود
المحبوب المعظم ذو الجلال والاكرام على كل ما قدره وخلقه وعلى كل ما امر به ونهى عنه
ومن كان له نصيب من معرفة اسمائه الحسنى واستقراء اثارها في الخلق والامر
رأى الخلق والامر منتظما حق انتظام ورأى سريان اثارها فيهما وعلم
بحسب معرفته بها ما يليق بجلاله وجلاله ان يفعله وما لا يليق فاستدل باسمائه
على ما يفعله وما لا يفعله فانه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته فاذا رأى في
بعض الاحكام جورا وظلما او سفها وعبثا ومفسدة او ما لا يوجب حمدا وثناء قطع
انه ليس من احكامه ولا دينه وانه بريء منه ورسوله فانه انما امر بالعدل الذي هو
والمصلحة الخالص والحكمة التي لا يشوبها عبث والسفه وانما بعث رسوله بالحنيفية السمحة
لا بالغلظة والشدة وبعثه بالحمد الذي لا يشوبه قسوة فانه ارحم الراحمين ورسوله رحمة
مهداة للعالمين ودينه كله رحمة وامته الامة المرحومة وتكلمه موجب اسمائه
الحسنى وصفاته العلى وافعاله الحميدة فلا تخبر عنه الا بحمده ولا تثني عليه الا باحسن الثناء
كما لا يسمى الا باحسن الاسماء وقد نبه سبحانه على شمول حمده لخلقه وامره بان حمد
نفسه اول الخلق واخره وعند الامر والشروع وحمد نفسه على ربوبيته لهم
للعالمين وحمد نفسه على تفرده بالالهية وعلى حياته وحمد نفسه على امتناع اتصافه
بما لا يليق بكماله من اتخاذ الولد والشريك وموالاة احد من خلقه لحاجة اليه
وحمد نفسه على علوه وكبريائه وحمد نفسه في الاولى والاخرة واخبر عن سريان

www.alukah.net

الامن خبث نفسه وشره وعدم استعداده لمجاورة ربه بين الارواح الزكيه الطاهرة في
الملأ الاعلى ومعلوم ان هذه النفس فيها من الشر والخبث ما فيها فلا بد من خروج ذلك
منها من القوة الى الفعل ليترتب على ذلك الاثار المناسبه لها ومساكنة من يليق مساكنتهم
ومجاورة الارواح الخبيثه في المحل الاسفل فان هذه النفوس اذا كانت مهياة لذلك
فمن الحكمة ان تستخرج منها الاسباب التي توصلها الى ما هي مهياة له ولا يليق
بها سواه والرب سبحانه محمود على ذلك ايضا كما هو محمود على انعامه و
احسانه على اهل الاحسان والانعام القابلين له فما كل احد قابلا لنعمته تعالى محمد
وحكمته تقتضي ان لا يودع نعمه واحسانه وكنوزه في محل غير قابل لها ولا تنفي الاان
يقال فما الحكمة في خلق هذه الارواح التي هي غير قابله لنعمته فقد تقدم من الجواب
عن ذلك فان خلق الاضداد والمقابلات وترتيب اثارها عليها
موجب ربوبيته وحكمته وعلمه وعزته وان تعذر عدم ذلك هضم من جانب
الربوبيه وايضا فان هذه الحوادث نعمة في حق القوي منها اذا وقعت فحق
ما مور ان يدعها بقلبه ويده ولسانه او بقلبه ولسانه فقط او بقلبه فقط وما
مور ان جاهد ربها بحسب الامكان فيترتب له على الانكار والجهاد من مصالح قلبه
ونفسه وبدنه ومصالح دنياه واخرته ما لم يكن ينال بدون ذلك والمقصود بالقصد الاول
وله اعام نعمة تعالى على اوليائه ورسله وخاصته فاستعمل اعدائه فيما تكمل به
النعمة على اوليائه غاية الكمال وكان في تمكين اهل الكفر والفسوق والعصيان
من ذلك ايضا الى ان كمال الذي يحصل لهم بعاداة هؤلاء وجهادهم والانكار
عليهم والموالاة فيه والمعاداة فيه وبذل نفوسهم واموالهم وقواهم له فان عامة
العبودية لا تحصل الا بالمحبة الصادقة وانما تكون المحبة صادقة اذا بذل فيها المحب
ما يملكه من مال ورياسة وقوة في مرضاة محبوبه والتقرب اليه فاذا بذل له روحه كان
هذا اعلى درجات المحبة ومن المعلوم ان من لوازم ذلك الذي لا تحصل الا بها ان يخلق
دواعيا واسبابا واعمالا واخلاقا وطبايع تقتضي معاداة من يحبه ويريد مرضاته لها
وعند ذلك يتحقق المحب الصادق في غيرها فكل احد يحب الاحسان والراحة
والنعمة واللذة ويحب من يوصل اليه ذلك فيحصل له ولكن الشان في امر وراء هذا

وهو

وهو محمد سبحانه ومحبة ما يحبه مما هو كراهة شاق الى النفوس واشق شيء عليها الابتلاء بها فعند
حصول اسباب ذلك يتبين من يحب الله لذاته ويحب ما يحب ممن يحبه لا حظ
لحظوظ النفس فقط من المآكل والمشارب والمناكح والرياسة فان اعطي منها رضي وان منعها
سخط وعتب على ربه وربما شكاه وربما تزك عبادته فلو لا خلق الاضداد وتسليط
اعدائه وامتحان اوليائه لم يتخرج خاص العبودية من عبيده الذين هم
عبيده ولم يحصل لهم عبودية الموالاة فيه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه و
العطاء له والمنع له ولا عبودية بذل الارواح والاموال والاولاد والقوى وجهاد اعدائه
وبصرته ولا عبودية مفارقة الناس احوج ما يكون اليهم عنده لاحله في مرضاته والتحبب
اليهم وهو ري محاب نفسه وملاذها بايديهم فيرضى عفارتهم ومشافتهم وايثارهم
من الامر الخف عليهم فلولا الاضداد والاسباب التي توجب ذلك لم تحصل هذه الاثار
وايضا فلولا تسليط الشهوة والغضب وداعيهما على العبد لم تحصل له فضيلة الصبر
وجهاد النفس وشحها من حوضها وشهواتها محبة لله وايثارا لمرضاته وطلبا
للزلفى لديه والقرب منه وايضا فلولا ذلك لم تبق هذه الشاة الانسانية انسانية بل
كانت ملكية فان الله تعالى خلق خلقه اطوارا خلق الملائكة عقولا لا شهوات لها ولا
طبيعة تتقاضى منها خلاف ما تراد منها من مادة نورية لا تقتضي شيئا من الاثار و
الطبايع المذمومة وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها وخلق الثقلين
الجن والانس وركب فيهم العقول والشهوات والطبايع المختلفة الاثار مختلفة حسب
موادها وصورها وتركيبها وهؤلاء هم اهل الامتحان والابتلاء المعرضون للثواب
والعقاب ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على طبيعة وخلق واحد ولم يفاوت بينهم
لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة وموجب الربوبية ومقتضى الالهية ولو كان
الخلق كله طبيعة واحدة ونمطا واحدا لوجد الملحد مقالا وقال هذا مقتضى الطبيعة
ولو كان فاعلا بالاختيار لتنوعت افعاله ومفعولاته ولفعل الشيء وضده والشيء وخلافه
وكذلك لولا شهود هذه الحوادث المشهوده لوجد الملحد ايضا مقالا وقال لو كان لهذا
العالم خالق مختار لوجدت فيه الحوادث على حسب ارادته واختياره كما روى
الحكماء وغيرهم فلو كان اصحاب محمد يقولون جل ربنا العظيم انه لو لم يتغير هذا

الألوكة
www.alukah.net

الخلق لقال السائل لم لو كان لهذا العالم خالق لما حادث سنا هو ليل اذ جاء نهاره
سنا هو نهار اذ جاء ليل هو ضحوا اذ جاء غيم وسنا هو غيم اذ جاء ضحو ونحو هذا من
الكلام ولهذا يستدل سبحانه بالحوادث تارة وباختلافها تارة اذ هذا وهذا يستلزم
ربوبيته وقدرته واختياره ووقوع كل الكائنات على وفق مشيئته فتنوع افعاله و
مفعولاته من اعظم الادلة على ربوبيته وحكمته وعلمه ولهذا خلق سبحانه النوع لا
نساني اربعة اقسام احدها لا من ذكر ولا انثى وهو خلق ابيهم واصلهم آدم الثاني
الا خلقه من ذكر بلا انثى كخلق امهم حوى من ضلع من اضلاع آدم من غير ان
يحمل بها انثى او يشتمل عليها بطن الثالث خلقه من انثى بلا ذكر كخلق المسيح
عيسى ابن مريم الرابع خلق سائر النوع الانساني من ذكر وانثى وكل هذا لمجرد
عباده على كمال قدرته ونفوذ مشيئته وكمال حكمته وان الامر ليس كما
تظنه اعداؤه الجاحدون له الكافرون به من ان ذلك امر طبيعي لم يزل هكذا
ولا يزال وانه ليس للنوع اب ولا ام وانما لبعض الارحام تدفع وارض تنبت و
طبيعة تفعل ما يرى ويشاهد ولم يعلم هؤلاء الجهال الضلال ان الطبيعة
قوة وصفة وقوة الى محل تحتاج الى حامل لها وانها من ادل الدلايل على وجود
من طبعها وخلقها واودعها الاحكام وجعل فيها هذه الاسرار العجيبة فالطبيعة
مخلوق من مخلوقاته ومملوك من مماليكه وعبد من عبيده مسخرة لامره تعالى منقادة
لمشيئته ودلايل الصنعة وامارات الخلق والحدوث وشواهد الفقر والحاجة شاهدة
عليها بانها مخلوقة مصنوعة لا تخلق ولا تفعل ولا تتصرف في ذاتها ونفسها
فضلا عن اسناد الكائنات اليها والمقصود ان تنويع المخلوقات واختلافها
فيها من لوازم الحكمة والربوبية والملك وهو ايضا من موجبات الحمد فله الحمد
على ذلك كله اكمل حمد واتمه وايضا فان مخلوقاته هو موجبات اسمائه وصفاته
فان كل اسم وصفة اثر لازم من ظهوره فيه واقتضائه له فيمتنع تعطيل
آثار اسمائه وصفاته كما يمتنع تعطيل ذاته عنها وهذه الآثار لها متعلقات
ولوازم يمتنع ان لا يوجد حكما تقدم البتة عليه وايضا فان تنويع اسبابه
الحمد او مطلوب للرب محبوب له فكما تنوع اسباب الحمد تنوع الحمد

بتنوع

بتنوع عليها وكثر بكثرتها ومعلوم ان سبحانه محمود على انتقامه من اهل الاجرام
والاساءة كما هو محمود على انواعه لاهل العدل والاحسان فهو محمود على هذا
وعلى هذا مع ما يتبع ذلك من حمده على حلمه وعفوه ومغفرته وبره بحقوقه
ومسامحه خلقه بها والعفو عن كثير من جنايات العبيد فتنهم باليسير
من عقابه وانتقامه على الكثير الذي عفا عنه وانه لو عاجلهم بعقوبته
واخذهم بحقه لقضى اليهم اجلهم ولما ترك على ظهرها من دابة ولكنه بسعة
رحمته غضبه وعفوه انتقامه ومغفرته عقابه فله الحمد على عفوه وانتقامه و
على عدله واحسانه ولا سبيل الى تعطيل حمد ولا الى بعضها فليتدبر اللبيب هذا
الموضع حق التدبر وليعط حقه يطلعه على ابواب عظيمة من اسرار القدر وتضبط
به على رياض مونقة مغشية وحدايق موثقة واليه الموفق الهادي للصواب وايضا
فان الله سبحانه نوع الادلة الدالة عليه والتي تعرف عباده به غاية التنوع
وصرف الايات وضرب الامثال ليقيم عليهم حجته البالغة ويتم عليهم نعمته
السابغة ولا يكون لاحد بعد ذلك حجة عليه سبحانه بل لله الحجة كلها له والنعمة كلها
له والقدرة كلها له فاقام عليهم حجته ولو شاء لسوى بينهم في الهداية كما قال تعالى
فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فاخبر ان لله الحجة البالغة التي
بلغت الى صميم القلب وخالطت العقل واخذت به فلا يمكن العقل دفعها ولا
جحدها ثم اخبر انه سبحانه قادر على هداية الخلق ولو شاء ذلك لفعله لكمال قدرته
ونفوذ مشيئته ولكن حكمته تابى ذلك وعدله يابى تعذيب احد واخذه بلا
حجة فاقام الحجة وصرف الايات وضرب الامثال ونوع الادلة ولو كان الخلق
كلهم على طريقة واحدة من الهداية لما حصلت هذه الامور والتنوعت هذه الا
دلة والامثال ولا ظهرت عزته سبحانه في انتقامه من اعدائه وبغضه اوليائه
عليهم ولا حجته التي اقامها على صدق انبيائه ورسله ولا كان للناس اية في
فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين
ولا كان للخلق اية باقية ما بقيت الدنيا في شان موسى وقومه وفرعون وقومه

الى الاحاطة به ولا الى التعبير عنه ولكن بالجملة فكل صفة عليا والاسم حسن وثناء جميل وكل
حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال واكرام فهو لله عز وجل على اكمل الوجوه و
اتمها واذ وهما وجميع ما يوصف به يذكر به ويخبر عنه فهو محامده له وثنا وتسبيح و
تقديس فسبحانه ونحمده لا يحصي احد من خلقه ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وفوق ما
يثنى به عليه خلقه فله الحمد اولا واخرا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لكرم وجهه
وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جده فهذا تنبيه على احد نوعي حمده وهو حمد الصفات
والاسماء والنوع الثاني حمد النعم والالاء وهذا مشهود للخليقة برها وفاجرها مومنها
وكافرها من جزيل مواهبه وسعة عطاياه وكرم ايادية وجميل صنايعه وحسن معاملته
لعباده وسعة رحمته لهم وبره ولطفه وحنانه واجابته لدعوات المضطرين وكشف
كربات المكروبين واغاثة الملهوفين ورحمته للعالمين وابتدايه بالنعم قبل السوال
من غير استحقاق بل ابتدا منه مجرد فضله وكرمه واحسانه ودفع النقم والبلايا بعد
انعقاد اسبابها وصرفها بعد وقوعها ولطفه تعالى في ذلك باتصاله الى من اراده باحسن
الالطاف وتبليغه من ذلك الى ما لا تبلغه الامال وهدايته خاصته وعباده الى سبيل دار
السلام ومدافعته عنهم احسن الدفاع وحمايتهم من مراتع الاثام وحبب اليهم الايمان وزينه
في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين وكتب في
قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وسماهم المسلمين قبل ان تخلقهم وذكرهم قبل ان يذكروه
واعطاهم قبل ان يسالوه وحبب اليهم نعمه مع غناه عنهم وتبغضهم اليه للمعاصي وقفز
هم اليه ومع هذا كله فاعد لهم دار راعد لهم فيها من كل ما تشتهيه الانفس وتلذ الا
عين وملاها من جميع الخيرات واودعها من النعيم والحبرة والسرور والبهجة
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم ارسل اليهم الرسل يدعونهم
اليها ثم يسر لهم الاسباب التي توصلهم اليها واعانهم عليها ورضي منهم باليسير في
هذه المدة القصيرة حلا بالاضافة الى بقاء دار النعيم وضمن لهم ان احسنوا ان
يجعلهم بالحسنة عشرا وان اساءوا واستغفروه ان يغفر لهم ووعدهم ان يمحوا ما حفوه
من السيات بما يفعلونه بعدها من الحسنات وذكرهم بالايه وتعرف اليهم باسمايه
وامرهم بما امرهم به رحمة منه بهم واحسانا لاجله منه اليهم ونهاهم عما نهاهم عنه

حمايه وصيانه لهم لا بخلا منه وخاطبهم بالطف الخطاب واجلاه ونصحهم باحسن النصح
ووصاهم باكمل الوصايا وامرهم باشرف الخصال ونهاهم عن اقبح الاقوال والاعمال
وصرف لهم الايات وضرب لهم الامثال ووسع لهم طرق العلم به ومعرفته وفتح لهم ابواب
الهدايه وعرفهم الاسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه وخاطبهم باللطف
الخطاب وسميهم باحسن اسمايهم كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله جميعا
ايها المومنون يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم قل لعبادي واذا سالك عبادي
عني فاني طبعهم بخطاب الوداد والحب واللطف كقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و
الارض لا اله الا هو فانى توفكون يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعد
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته
لعلكم تهتدون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اعدوي وعدوكم اولياء تلقون
اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل يا ايها الذين
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
واليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم

الألوكة
www.alukah.net

وفلق البحر لهم ودخولهم جميعا فيه ثم الخاموسي وفوه لم يعرف منهم احد واغرق
فرعون وقومه لم يخف منهم احد فهذا التعرف الى عباده وهذه الايات وهذه العزة
والحكمة لا سبيل الى تعطيلها البتة ولا توجد بدون لوازمها وايضا فان حقيقة
الملك انما تتم بالعطا والمنع والاكرام والاهانة والاثابة والعقوبة والغضب و
الرضى والتوكيلة والعزل واعزاز من يليق به العز واذلال من يليق به الذل قال
تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب و
قال تعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويكشف عاما ويمرض مظلوما ويأخذ ظالما ويفك عانيا ويغني فقيرا ويجبر كسيرا
ويشفي مريضا ويقيل عثرة ويستر عورة ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويعطي سائلا و
يذهب بدولة ويأتي بأخرى ويداول الايام بين الناس ويرفع اقواما ويضع اخرين
يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والارض بخمسين الف عام الى
مواقيتها فلا يتقدم شئ منها عن وقته ولا يتأخر بل كل منها قد احصاه كما احصاه كتابه
[illegible] كلامه جل
[illegible] نفذ فيه حكمه وسبق به علمه وهو متصرف في الملك كما اراد جل
تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك لا ينازع في ملكه منازع ولا يعارض
فيه معارض متصرف في الملك دبر بين العدل والاحسان والحكمة والمصلحة
والرحمة فلا يخرج تصرفه عن ذلك وفي تفسير الحافظ ابي بكر احمد بن موسى ابن
مردويه من حديث الحاكم نا اسحق بن سليمان عن معوية بن يحيى عن يونس بن
ميسرة عن ابي ادريس عن ابي الدرداء انه سيل عن قوله تعالى كل يوم هو في شان فقال
سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع اخرين وفيه ايضا من حديث حماد بن سلمة نا الزبير ابو عبد
السلام عن ابوب بن عبد الله بن مكرز عن ابيه قال قال عبد الله ابن مسعود ان
ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه ايلج عليه شئا غرا

ساعة تعرض عليه اعمالكم بالامس ثلاث ساعات من اول النهار فيطلع منها على
ما يكره فيغضب فيكون اول من يعلم بغضبه حملة العرش فيسبح حملة العرش
وسرادقات العرش والملايكة المقربون وسائر الملايكة وينتج حين يهلل الفزع
فلا يبقى خلق لله في السموات ولا في الارض الا سمعه الا الثقلين ويسجون ثلاث
ساعات حتى يتلى الرحمن رحمة فتلك ست ساعات ثم يدعوا بالارحام فينظر فيها
ثلاث ساعات يصورهم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فتلك تسع ساعات ثم يدعوا بالارزاق
فينظر فيها ثلاث ساعات فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فتلك ثنا عشرة
ساعة ثم قرأ عبد الله كل يوم هو في شان ثم قال هذا شانه وشان ربكم عز وجل
وذكره الطبراني في المعجم الكبير من وجه اخر وهذا من عظيم تصرفه في ملكه
سبحانه فلو قدر تصرفه على وجه واحد ونمط واحد لم يكن تصرفا تاما والمقصود
ان الملك والحمد في حقه متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده فهو محمود في
ملكه وله الملك والقدرة مع حمده فما يستحيل خروج شئ من الموجودات عن ملكه
وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه
وامره لينبه عباده على ان مصدر خلقه وامره عن حمده فهو محمود على كل ما خلقه
وامر به حمد شكر وعبودية وحمد ثناء ومدح وتجمعهما التبارك فتبارك الله
يشمل ذلك كله ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله لا اله الا الله الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين فالحمد اوسع الصفات واعم المدائح والطرق الى العلم به في
غاية الكثرة والسبيل الى اعتبار ما في ذرات العالم وجزئياته وتفاصيل
الامر والنهي واسعة جدا لان جميع اسمائه تبارك وتعالى حمد وصفاته حمد وافعاله
حمد واحكامه حمد وعدله وانتقامه من اعدائه حمد وفضله واحسانه الى اوليائه حمد
والخلق والامر انما قام بحمد ووجد بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده فحمده سبب
ذلك وغايته ومظهره وحامله فحمده روح كل شئ وقيام كل شئ بحمده وسريان حمده في كل
موجود وظهور اثاره فيه امر مشهود بالابصار والبصائر من الطرق الدالة على
شمول معنى الحمد وانبساطه على جميع المعلومات معرفة اسمائه وصفاته واقرار العبد

الألوكة
www.alukah.net

بان للعالم الها حيا حاما لكل صفة كمال واسم حسن وثناء جميل وفعل كريم والله
سبحانه له القدرة التامة والمشية النافذة والعلم المحيط والسمع الذى وسع الا
صوات والبصر الذى احاط بجميع المبصرات والرحمة التى وسعت جميع المخلوقات
والملك الاعلى الذى لايخرج عنه ذرة من الاذرات والغنا التام المطلق من جميع الجهات
والحكمة البالغة المشهوده اثارها فى الكاينات والعزة الغالبة بجميع الوجوه
والاعتبارات والكلمات التامات النافذات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من جميع
البريات واحد لاشريك له فى ربوبيته ولا فى الهيته ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته
ولا فى افعاله وليس له من يشركه فى ذرة من ذرات ملكه او يخلفه فى تدبير خلقه او
يحجبه عن داعيه او مؤمليه وسايليه او يتوسط بينهم وبينه يتلبس اوفريه
او كذب بما يكون بين الدعايا وبين المملوك ولو كان كذلك لفسد نظام الوجود
وفسد العالم باسره ولو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا ولو كان معه للهم اخرى كما
يقوله اعداوه المبطلون لوقع من التقصير فى التدبير وفساد الامر كله ما لايثبت
معه حال ولا يصلح عليه وجود ومن اعظم نعمه علينا وما استوجب حمد عباده
له ان جعلنا عبيدا له خاصه ولم يجعلنا ربنا متقسمين بين شركاء متشاكسين
ولم يجعلنا عبيدا لآلهة شتى الافكار لايسمع اصواتنا ولا يبصر افعالنا ولا
يعلم احوالنا ولا يملك لعابديه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا
تكلم قط ولا يتكلم ولا يامر ولا ينهى ولا ترفع اليه الايدى ولا تعرج الملايكة
والروح اليه ولا يصعد الكلم الطيب ولا يرفع اليه العمل الصالح وانه ليس داخل
العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا امامه
ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مجانبا له ولا مباينا ولا هو مستوعلى عرشه ولا هو
فوق عباده وحظ العرش من حظ الحشوش والاخلياء ولا تنزل الملايكة من
عنده بل لاينزل من عنده شى ولا يصعد اليه شى ولا يقرب منه شى ولا يحب ولا يحب
ولا يلتذ المؤمنون بالنظر الى وجهه الكريم فى دار الثواب بل ليس له وجه يرى
ولا يد يقبض بها السموات واخرى يقبض بها الارض ولا له فعل يقوم به
ولا حركة تقوم به ولا كلم موسى تكليما ولا تجلى للجبل فجعله دكا هشيما ولا تجى يوم

القيمة لفصل القضا ولاينزل كل ليلة الى سماء الدنيا لاسائل عن عبادى غيرى ولايفرح
بتوبة عبد اذا تاب اليه ويجوز فى حكمته تعذيب انبيايه ورسله وملايكته واهل
طاعته اجمعين من اهل السموات والارضين وتنعيم اعدايه من الكفار به والمحاربين
له والمكذبين له ولرسله والكل بالنسبة اليه سوا ولا فرق البته الا انه اخبر انه لا
يفعل ذلك فامتنع لاخباره بانه لايفعله لا لانه فى نفسه منافى لحكمته ومع ذلك فرضاه
عين غضبه وغضبه عين رضاه ومحبته كرامته وكراهته محبته ان هو الا اراده محضة
ومشيه صرفه يشاء بها لا لحكمة ولا لغاية ولا لاجل مصلحة ومع ذلك يعذب عباده
على مالم يعملوه ولا قدرة لهم عليه بل يعذبهم على نفس فعله الذى فعله هو وشبه البهيم
ويعذبهم اذا لم يفعلوا فعله ويلوم مقهر عليه ويجوز فى حكمته ان يعذبه رجالا اذا لم يكونوا
نساء ونساء حيث لم يكونوا رجالا وطوالا حيث لم يكونوا قصارا وبالعكس و
سودا اذا لم يكونوا بيضا وبالعكس بل تعذيبه لهم على مخالفته هو من هذا
الجنس اذ لا قدرة لهم البته على فعل ما امروا به ولا ترك ما نهوا عنه فله الحمد والمنه والثنا
الحسن الجميل اذ لم يجعلنا عبيدا لمن هذا شانه فنكون مضعفين بين اثارب
تقصد ولا صمد تتوجه اليه وتعبد ولا اله تعول عليه ولا رب نرجع اليه بل قلوبنا
تنادى فى طرق الحيرة من دلنا وجمع علينا باصنعا لا هو داخل العالم ولا خارجه
ولا مباين له ولا مجانب له ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا ينزل من عنده شى
ولا يصعد اليه شى ولا كلم احدا ولا يكلمه احد ولا ينبغى له ان يعاقب بالقتل و
الضرب والحبس من ذكرها او اخبر بها او اشتغاله او نسبها اليه او عرفه بها
بل التوحيد انصرف بحدها وتغطيه عنها ونفى قيامها به وانتفاء بها وما لم
يدركه عقولنا من ذلك فالواجب نفيه وحده وتكفير من اثبته واستحلال دمه
وماله او تبديعه وتضليله وتفسيقه وكل ما كان النفى ابلغ كان التوحيد اتم فليس كذا و
ليس كذا ابلغ فى التوحيد من قولنا هو كذا وهو كذا فلله العظيم اعظم حمد واعذ واكمله
على ما منّ به من معرفته وتوحيده والاقرار بصفاته العلى واسمايه الحسنى وافرار قلوبنا
بانه الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة رب العالمين فوق السموات والارض

الناس فاوكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله
حق قدره ان الله لقوي عزيز واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا فتحت هذا الخطاب الى عادتي ابليس وطردته من سمائي واعدته من قرني
اذ لم يسجد لابيكم ادم ثم اشتم يا بنيه تولونه وذريته من دوني وهم اعدا لكم فليتامل
اللبيب مواقع هذا الخطاب وشده لصوقه بالقلوب والتباسه بالارواح واكثر
القران جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن واللطف والنصيحة
البالغة واعلم عباده انه لا يرضى لهم الا اكرم الوسايل وافضل المنازل واجل العلوم
والمعارف قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا
يرضه لكم وقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف
عنكم وخلق الانسان ضعيفا وتفصل سبحانه الى عباده من مواضع الطف و
التهم التي تسبيها اليه من لم يعرفه حق معرفته ولا قدره حق قدره من تكليف
عباده ما لا يقدرون عليه ولا طاقة لهم بفعله البته ويقيدهم ان تشركوه و
وامنوا به وخلق السموات والارض وما بينهما الا لحكمة والا لفائدة وانه لم يخلق
خلقه لحاجة منه اليهم ولا ليتكثر بهم من قلة ولا ليتعزز بهم كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ما جبر
انه لم يخلق الجن والانس لحاجة منه اليهم ولا ليربح عليهم لكن خلقهم جودا واحسانا
ليعبدوه فيربحوا هم عليه كل الارباح كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم ومن
عمل صالحا فلانفسهم يمهدون وما امرهم بالوضوء والغسل من الجنابة الذي يحط
عنهم اوزارهم ويكفرون به عليه ويرفع به درجاتهم فال تعالى ما يريد الله ليجعل

عليكم

عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال في الاضاحي
والهدايا لا ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال عقيب امرهم
بالصدقة ونهيهم عن اخراج الردي من المال ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم با
خذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد يقول انا غني عما تنفقون انا
ينالني منه شيء حميد مستحق الحامد كلها فانفاقكم لا يسد منه حاجة ولا يوجب له
حمدا بل هو الغني بنفسه الحميد بنفسه واسمايه وصفاته وانفاقكم انما نفعه لكم و
عايدته عليكم ومن المتعين على من لم يباشر قلبه حلاوة هذا الخطاب وجلالته ولطف
موقعه وجذبه للقلوب والارواح ومخالطته لها ان يعالج قلبه بالتقوى ويستفرغ منه
المواد الفاسدة التي حالت بينه وبين حظه من ذلك ويتعرض الى الاسباب التي تنال به
ما من صدق الرغبة والالحاح الى الله ان يحيي قلبه ويزكيه ويجعل فيه الايمان والحكمة
فالقلب الميت لا يذوق طعم الايمان ولا يجد حلاوته ولا يتمتع بالحبوب الطيبة لافي الدنيا
ولا في الاخرة ومن اراد مطالعة اصول النعم فليتسرح الفكر في رياض القران وليتامل
ما اعد الله فيه من نعمه وتعرف بها الى عباده من اول القران الى اخره حين خلق اهل
النار وابتلاهم بابليس وجنوده وتسليط اعدايهم عليهم وامتحانهم بالشهوات والا
رادات والهوى لتعظم النعمة عليهم بخالقها ومحاربة فالله على عباده واوليايه
اعم نعمه واكملها في كل ما خلقه من محبوب ومكروه ونعمه ومحنه وفي كل ما اجراه في الا
رض ووقايعه باعدايه واكرامه لاوليايه وفي كل ما قضاه وقدره وتفصيل ذلك لا يفي
به اقلام الانبيا واوراقها ولا قوى العباد وانما هو التنبيه والاشاره ومن استقرا
الاسماء الحسنى وجدها مدائح وثنا تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها و
تعجز الاوهام عن الاحاطة بالواحد منها ومع ذلك فلله سبحانه محامد ومدايح
وانواع من الثنا تفوق بها الخواطر ولا تحسن في الضمايير والالحاظ لتوسل
ولا سخت في قلوب دعاء اعرف الخلق بربه واعلمهم باسمايه وصفاته ومحامد
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من
خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري
وجلا حزني وذهاب همي وغمي وفي الصحيح عند صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعه

لما يجد بين يدى ربه قال فيفتح على من محامد لا شئ لا احسنه الآن وكان يقول فى سجوده
اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فلا يحصى احد من خلقه ثناء عليه البته وله اسماء واوصاف وحمد
وثناء لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل ونسبه ما يعلم العباد من ذلك الى ما تعلمونه كنقره
عصفور فى بحر فان قيل فكيف يصنعون بما شاهد من انواع الابتلاء والامتحان والالم للاطفال والحيوانات ومن هو خارج عن التكليف ومن لا ثواب ولا عقاب عليه
وما يقولون فى الاسيا الدالة على ذلك من المستقم والقابض والحافظ ونحوها قيل قد
تقدم من الكلام فى ذلك ما يكفى بعضه لذى اللب السليم والعقل المستقيم واما من
تمسك فخراته وانتكس قلبه وضعفت بصيرة عقله فلو ضرب له من الامثال ما
ضرب فانه لا يزيده الا عمى وتحيرا ولحن نزيد ما تقدم ايضاحا وبيانا اذ بسط هذا
المقام اولى من اختصاره ومعول تو علمت ان جميع اسماء الرب سبحانه حسنى اصفاته
كمال وافعاله حكم ومصالح وله كل ثنا وكل حمد ومدحه وكل خير عنده وله وبيده والشر
ليس اليه بوجه من الوجوه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولا فى اسمائه وان كان
فى مفعول الله فهو خير بحا اضافته اليه وشر باضافته الى من صدر عنه ووقع به فتمسك
بهذا الاصل فى الافتقار فى كل دقيق وجليل وحكه على كل ما يرد عليك وحاكم اليه
واجعله اجنتك التى ترجع اليها وتعتمد عليها واعلم ان لله خصائص فى خلقه ورحمة
وفضلا يختص به من شاء وذلك موجب ربوبيته والهيته وحمده وحكمته
فاياك ثم اياك ان تصغى الى وسوسة شياطين الانس والجن والنفس الجاهلة الظالمة انه هلا سوى بين عباده فى تلك الخصائص وقسمها بينهم على السواء فان هذا
من الجهل والسفه من المعترض به وقد بينا فيما تقدم ان حكمته تابى ذلك و
تمنع منه ولكن اعلم ان الامر قسمه بين فضله وعدله يختص برحمته من يشاء و
تقصد بعذابه من يشاء وهو المحمود على هذا وهذا فالطيبون من خلقه مخصوصون
بفضله ورحمته والخبيثون مقصودون بعذابه ولكل واحد قسط من الحكمة
والابتلاء والامتحان وكل مستعمل فيما هو له مهيا وله مخلوق وكل ذلك خير ونفع
ورحمة للمومنين فان الله تعالى خلقهم للخيرات فهم لها عاملون واسعلهم فيها

فلم

فلم يدركوا ذلك الا به ولا استحقوه الا بما سبق لهم من مشيته وقسمته فكذلك
لا يضرهم الا دوا ولا السموم بل مثى وسوس لهم العدو واغتالهم بشى من ذلك او
مسهم شى من طيف تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا
واقعوا معصية صغيرة او كبيرة عاد ذلك عليهم رحمة وانقلب فى حقهم دواء وبدل
حسنة بالتوبة النصوح والحسنات الماحية لانه سبحانه عرفهم بنفسه وبفضله وبان قلوبهم
بيده وعطفها اليه حيث نقض عزائمهم وقد عزموا ان لا يعصوه واراهم عزته فى قضائه
وبره واحسانه فى عفوه ومغفرته واشهدهم نفوسهم وما فيها من النقص والظلم
والجهل واشهدهم حاجتهم اليه وافتقارهم وذلهم وانه ان لم يعف عنهم ويغفر
لهم فليس لهم سبيل الى النجاة ابدا فانهم لما اعطوا من انفسهم العزم ان لا يعصوه و
عقدوا عليه قلوبهم ثم عصوه بمشيته وقدره عرفوا بذلك عظيم اقتداره وجميل ستره
اياهم وكرم حلمه عنهم وسعة مغفرته لهم بعد عفوه وحنانه وعطفه ورافته وانه
حليم ذو اناة لا يعجل ورحيم سبقت غضبه وانهم متى رجعوا اليه بالتوبة وجدوه
غفورا رحيما حليما كريما يغفر لهم السيات ويقيلهم العثرات ويودهم بعد التوبة
وتحبهم فتضرعوا اليه حينئذ بالدعاء وتوسلوا اليه بذل العبودية وعز الربوبية
وتعرف سبحانه اليهم بحسن اجابته وجميل عطفه وحسن امتنانه فى ان الهمهم دعاه
ويسرهم للتوبة والانابة واقبل بقلوبهم اليه بعد اعراضها عنه ولم تمنعه معاصيهم
وجناياتهم من عطفه عليهم وبره لهم واحسانه اليهم فتاب عليهم قبل ان يتوبوا اليه
واعطاهم قبل ان يسالوه فلما تابوا اليه واستغفروه وانابوا اليه تعرف اليهم تعرفا
آخر فغفر لهم رحمته وحسن عائدته وسعة مغفرته وكرم عفوه وجميل صفحه وبره
وامتنانه وكرمه وسعه مبادرته قبولهم بعد ان كان منهم ما كان من طول الشرود
وسدد النفور والايضاع فى طرق معاصيه واشهدهم مع ذلك حمده العظيم وبره العميم
وكرمه فى ان خلى بينهم وبين المعصية فنالوها بنعمته واعانته ثم لم يحل بينهم و
بين ما يوجبه من الهلاك والفساد الذى لا يرجى معه فلاح بل تداركهم بالدواء
الناجى الشافى فاستخرج منهم داءه لو استمر معهم لاخرجهم الى الهلاك بتزيادهم

www.alukah.net

فروح الرجاء فقد فقد في قلوبهم واخبر انه عند ظنونهم به ولو اشهدهم عظم الخبايه
وقبح المعصيه وعضبه ومقته على من عصاه فقط لاورثهم ذلك المرض القاتل و
الداء العضال من اليأس من روحه والقنوط من رحمته وكان ذلك عين ضلالهم
ولكن رحمهم قبل البلاء وفي حشو البلاء وبعد البلاء وجعل تلك الآثار التي توجبها المعصيه
من المحن والبلاء والشدايد رحمة لهم وسببا الى عود رجائهم ونيل الزلفى والكرامة عنده
فاشهدهم بالجنايه عزة الربوبيه وذل العبوديه وزراهم باثارها الى منازل قربه
ونيل كرامته فهم على كل حال يتحنون عليه ويتقلبون في كرمه واحسانه وكل قضاء
يقضيه للمؤمن فهو خير له يسوقه الى كرامته وثوابه وكذلك عطاياه الدنيويه
نعم منه عليهم فاذا استرجعها ايضا منهم وسلبهم اياها انقلبت من عطايا الى
حرمة كما قيل ان الله ينعم على عباده بالعطايا الفاخره فاذا استرجعها كانت عطايا
للاخره والرب سبحانه قد جعل لقلوب المؤمنين العارفين وظهر لها بقدرته وجلاله
وكبريائه ومضاء مشيته وعظيم سلطانه وعلو شانه وكرمه وبره واحسانه وسعة
مغفرته ورحمته وما القاه في قلوبهم من الايمان باسمايه وصفاته الى حيث احتملت
القوى البشريه من ذلك ووراء مما لم تحتمله قواهم ولا تخطر ببال ولا يدخل في
خلد مما لا سبيل لما عرفوه اليه فاعلم ان الذين كان قسمهم انواع المعاصي والذنوب
وفنون الكفر والشرك والتعلق في غضبه وسخطه وتملكهم وارداهم شاهدة
عليهم بالمعاصي والكفر مقرة بان لا حجة عليهم وان حقه تملكهم ولا يملك احد منهم
النار الا وهو شاهد بذلك مقر به معترف باعتراف طابع لا مكره
شهادة بعضهم على انفسهم وشهادة اوليائه عليهم والمومنون يشهدون فيهم
بشهادة اخرى لا يشهد بها احد غيرهم ولو شهد بها وبالوانها لما نالت رحمته
اقرب اليهم من عقوبته فيشهدون انهم عبيده وملكه وانه اوجدهم ليظهر بهم مجده و
ينفذ فيهم حكمه ويمضي فيهم علمه ويحق عليهم كلمته ويصدق فيهم وعيده ويبين
فيهم سابق علمه ويعمر بهم داره ومساكنهم التي هي محل عدله وحكمته وشهد اوليائه
عليهم ملكه وعز سلطانه وصدق رسله وكمال حكمته وتمام نعمته عليهم وكذلك

اختصم

اختصم به ومن اي شيء حماهم وصانهم واي شيء صرف عنهم وانه لم يكن لهم اليه وسيلة قبل و
جودهم يتوسلون بها اليه ان يجعلهم من اصحاب الشمال وان يجعلهم من اصحاب اليمين
ويشهد له سبحانه بان ما كان منه اليهم وفيهم مما يقتضيه اتمام كلماته الصادق والعدل
وصدق قوله وتحقق مقتضى اسمايه فهو محض حقه وكل ذلك منه حسن جميل اعليه ان يحمد
واكمله وافضله وهو حكم عدل وقضاء فصل وانه الحمود على ذلك كله فلا يتحقق منه ظلم ولا
جور ولا عبث بل ذلك عين الحكمه ومحض الحمد وكمال الظهور في حقه وعز اوليائه وملكه
اعلم ومراده افعاله كما فعل بالبدن وضروب الانعام التي تعبها مناسك اوليائه وقربين
عباده وان كان ذلك بالنسبة الى الانعام هلاكا واتلافا فاعلم ان الكفار المشركون به الجاحدون
اولاه ان يكون قربانهم وهو قربان اوليائه وضحايا المجاهدين في سبيله كما قال
حسان بن ثابت
متطهرون يرونه قربانهم بدما من علقوا به من الكفار
وكذلك ما ضحى خالد بن عبد الله القسري بشيخ المشبهه الزنديق جعد ابن درهم فانه خطبهم
في يوم اضحى فلما اكمل خطبته قال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم
انه زعم ان الله لم يتخذ موسى تكليما ولم يتخذ ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الجعد
علوا كبيرا ثم نزل فذبحه فكان تضحيته ذكر ذلك البخاري في كتاب خلق الافعال
فهذا شهود اوليائه من شان اعدائه ولكن اعداؤه في غفلة عن هذا الاشهاد وانه والله يشهد
به ولو شهدوه وافقوا به لادركتهم حنانه ورحمته ولكن لما حجبوا عن معرفته ومحبته و
توحيده واثبات اسمايه الحسنى وصفاته العلى ووصفه بما يليق به وتنزيهه عما لا يليق به
صاروا اسوء حالا من الانعام وضربوا بالحجاب وابعدوا عنه باقصى البعد واخرجوا من
نوره الى الظلمات وغيبت قلوبهم في الجهل به وبكماله وجلاله وعظمته في غايات ليتم
عليهم امره وينفذ فيهم حكمه والله عليم حكيم والله اعلم فصل والله
سبحانه مع كونه خالق كل شيء هو موصوف بالرضى والغضب والعطاء والمنع والخفض
والرفع والرحمة والانتقام فاقتضت حكمته سبحانه ان خلق دار الطالبي رضاه العا
بطاعته المؤثرين لامره القايمين بحمايه وهي الجنة وجعل فيها كل شيء مرضي و
ملاها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ وجعل الخير يجذ افيه فيها و
جعلها محلا لكل طيب من الذوات والصفات والافعال وخلق دارا اخرى لطالبي

كما ثبت لها عوائكم من الجبر به قدره مجرده عن حكمة وحمد وغاية يفعل لاجلها
بل جعلوا حمده وحكمته اقتران افعاله بما اقترن به من المصالح عادة
ووقوعها مطابقة لمشيئته وعلمه فقط فقد حوا بذلك في تمام حمده وقام حزب الله
وحزب رسوله انصار الحق بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير حق القيام وراعوا هذه الكلمة حق رعايتها
علما ومعرفة وبصيرة ولم يلتفتوا لحزب بين حمد وملك بل اثبتوا له الملك التام
الذي لا يخرج عنه شيء من الموجودات اعيانها وافعالها والحمد التام الذي وسع
كل معلوم وشمل كل مقدور وقالوا ان له في كل ما خلقه وشرعه حكمة بالغة
ونعمة سابغة لاجلها خلق وامر ويستحق ان يثنى عليه ويحمد لاجلها كما يثنى عليه
ويحمد لاسمائه الحسنى ولصفاته العلى فهو المحمود على ذلك كله ام حمد والحمد لما اسما
اشتملت عليه صفاته من الكمال واسمائه من الحسن وافعاله من الحكم والغايات
المقتضية لحمده المطابقة لحكمته الموافقة لمحابه فانه سبحانه كامل الذات كامل الا
سما والصفات لا يصدر عنه الا كل فعل كريم مطابق للحكمة موجب للحمد يترتب
عليه من محابه ما فعل لاجله وهذا امر ذهب من طائفتي الجبرية والقدرية
وحال بينهم وبينه اصول فاسدة اصلوها وقواعد باطلة اسسوها من
تعطيل بعض صفات كماله كما عطل الفريقان حقيقة محبته وقالوا الله لا
يحب ولا يحب بل حقيقة محبته عند الجبرية مشيئته وارادته ومحبة العباد له
ارادتهم لما خلقه من النعيم في دار الثواب فالمحبة عندهم انما تتعلق بمخلوقاته
لا بذاته وحقيقة محبته وكراهته عند القدرية امره ونهيه ومحبة العباد له
محبتهم لثوابه المنفصل واصل الفريقان انه لا يقوم بذاته حكمة ولا غاية
يفعل لاجلها ثم اختلفوا فقالت الجبرية لا يفعل لغاية ولا لحكمة اصلا
وتكاسلت القدرية بعض التكاسل فقالت يفعل الغاية وحكمة
لا ترجع اليه ولا تقوم به ولا يعود اليه منها وصف واصل الفريقان ايضا

انه لا يقوم بذاته فعل البتة بل فعله عين مفعوله فعطلوا افعاله القائمة به
وجعلوها نفس المخلوقات المشاهدة التي لا يقوم به فلم يقم به عندهم فعل البتة
كما عطل غلاة الجهمية صفاته فلم يثبتوا له صفة تقوم به وان تناقضوا وكما
عطلت السينائية اتباع ابن سينا ذاته فلم يثبتوا له ذاتا زائدة على وجود مجرد لا
يقارن ماهية ولا حقيقة واصلت الجبرية انه تعالى لا ينزه عن فعل مقدور يكون
قبيحا بالنسبة اليه بل كل مقدور ممكن فهو جائز عليه وان علم عدم فعله بما سمع
والا فالعقل يقضي بجواز عليه فلا ينزه عن ممكن مقدور الا ما دل عليه بالسمع فيكون
تنزيهه عنه لانتفيه في نفسه بل لان وقوعه يتضمن الخلف في خبره وخبر رسوله ووقوع
الامر على خلاف علمه ومشيئته فهذا حقيقة التنزيه عند القوم واصل القدرية ان ما
حسن من عباده يحسن منه وما يقبح منهم يقبح منه مع تناقضهم في ذلك غاية التناقض
فاقتضت هذه الاصول الفاسدة والقواعد الباطلة فروعا ولوازم كثيرة منها
مخالفة صريح العقل وسليم الفطر كما هو مخالف لما اخبرت به الرسل عن الله فجعل
ارباب هذه القواعد والاصول قواعدهم واصولهم محكمة وما جاء به الرسول
متشابها ثم اصلوا اصلا في رد هذا المتشابه الى المحكم وقالوا الواجب في ما خالف
هذه القواطع العقلية بزعمهم من الظواهر الشرعية احد الامرين اما تخريجها على ما
يعقله العقلاء ان المتكلم لم يرده بكلامه من المجازات البعيدة والالغاز المعقدة ووحشي
اللغات والمعاني المهجورة التي لا يعرف احد من العرب عبر عنها بهذه العبارة ولا
تكلمها لغة القوم البتة وانما هي محامل انشأوها هم ثم قالوا احمل اللفظ عليها فانا
نشأل محامل من تلقاء انفسهم وحكموا على الله ورسوله ان اراد تفهيمنا كلامه وانشأنا
منكرا وقالوا ولو اراد ذلك لضاق علينا المجال وغلبتهم النصوص وبصرتهم شواهد
الحقيقة من اطرادها وعدم فهم العقلاء سواها وحملها على طريقة واحدة وتنوع الا
لفاظ الدالة على الحقيقة واختلافها بقرائن من السياق والتاكيد وغير ذلك يقطع
كل سامع بان المراد حقيقتها وما دلت عليه قالوا الواجب ردها وان لا يشتغل بها
وان احسنوا العبارة والظن قالوا الواجب تفويضها وان نكل علمها الى الله من

الألوكة
www.alukah.net

اسباب غضبه وسخطه الموبقين لاعراضهم وحظوظهم على مرضاته العاملين
بانواع مخالفته القائمين بما يكره من الاعمال والاقوال الواصفين له تعالا
يليق به الجاحدين لما اخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله وهي
جهنم واودعها كل شئ مكروه وسجنها كل شئ موذ ومولم وجعل الشر محذافيرها
فيها وجعلها محل كل خبيث من الدواب والصفات والاقوال والاعمال فهاتان
الداران هما دار القرار وخلق دارا ثالثة وهي كما ملينا هاتين الدارين ومنها
يتزود المسافرون اليها وهي دار الدنيا ثم اخرج اليها من اعمار الدارين بعض
ما اقتضته اعمال اربابها وما استدل له عليها حتى كانها راى عين ليصير
الايمان بالدارين من الخبر رحمته وان كان غيبا وجه شهادة تستانس به
النفوس وتستدل به فاخرج سبحانه الى هذه الدار من اثار رحمته من الثمار
والفواكه والطيبات والملابس الفاخرة والصور الجميلة وسائر ملاذ النفوس
ومشتهاها ما هو نخبة من نخبات الدار التي جعل ذلك كله فيها على وجه الكمال
فاذا راى المسلمون ذكرهم بما هناك من الخير والسرور والعيش الرخي كما قيل
فاذا راى المسلمون نعتوا حور الجنان لدى النعيم الخالد فشمروا اليه وقالوا اللهم لا
عيش الا عيش الاخرة واحدثت لهم رؤيته عزمات وهمما وجدا وتشويقا الى النعيم
يذكر بالنعيم والشئ يذكر بجنسه فاذا راى احدهم ما يعجبه ويروقه ولا سبيل له اليه قال
موعدك الجنة وانما هي عشية او ضحاها لوجود تلك المشتهيات والملذ وذات في
هذه الدار رحمة من الله يسوق بها عباده المؤمنين الى تلك الدار التي هي اكمل منها
وزاد العلم من هذه الدار اليها فهي زاد وعدة ودليل واثر من اثار رحمته التي اودعها
تلك الدار فالمؤمن يعتبر بروئتها الى ما امامه ويشير سائق عزماته الى تلك نفسه
ذواقة تواقة اذا ذاقت شيئا منها تاقت الى ما هو اكمل منه حتى تتوفى الى النعيم
المقيم في جوار الرب الكريم واخرج سبحانه الى هذه الدار ايضا من اثار غضبه
ونقمته من العقوبات والالام والمحن والمكروهات من الاعيان والصفات
ما يستدل بجنسه على ما في دار البلية الشقاء من ذلك مع ان ذلك من اثار

النفسين

النفسين انشا والصنف الذين اذن الله سبحانه بحكمته لجهنم ان تتنفس بهما فاقتضت
تلك النفسات اثارا ظهرت في هذه الدار كانت دليلا وعبرة عليها وقد اشار
تعالى الى هذا المعنى ونبه عليه بقوله في نار الدنيا التي جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
تذكره بذكرها الاخرة ومنفعة للنازلين بالقواء وهم مسافرون يقال اقوى
الرجل اذا نزل بالقي والقوى وهي الارض الخالية وخص المقوين بالذكر وان كانت
منفعتها عامة للسافرين والمقيمين تنبيها لعباده والله اعلم بمراده من كلامه على
انهم كلهم مسافرون وانهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا مقيمين ولا مستوطنين به
وانهم عابرو سبيل وابناء سفر والمقصود ان سبحانه اشهدهم في هذه ما اعد لاوليائه
واعدائه في دار القرار واخرج الى هذه الدار من اثار رحمته وعقوبته ما هو عبرة
ودلالة على ما هناك من خير وشر وجعل هذه العقوبات والالام والمحن والبلايا
سياطا يسوق بها عباده المؤمنين فاذا راوها حذروا كل الحذر واستدلوا
بما راوه منها وشاهدوه على ما في تلك الدار من المكروهات والعقوبات و
كان وجودها في هذه الدار واشهادهم اياها واخافتهم باليسير منها رحمة منه
بهم واحسانا اليهم وتذكره وتنبيها ولما كانت هذه الدار ممزوجا خيرها بشرها
واذاها براحتها ونعيمها بعذابها اقتضت حكمة احكم الحاكمين ان خلص خيرها
من شرها وحضه بدار اخرى هي دار الخيرات المحضة ودار السرور المحض فتلك
هذه الدار حكم الامتزاج والاختلاط وخلط فيها بين الفريقين وابتلى بعضهم
ببعض وجعل بعضهم لبعض فتنة حكمه بالغة بهرت العقول عزة
قاهرة فقام بهذا الاختلاط سوق العبودية كما يحبه ويرضاه ولم يكن
تقوم عبودية التي يحبها ويرضاها الا على هذا الوجه بل العبد الواحد
جمع فيه بين اسباب الخير والشر وسلط بعضه على بعض ليستخرج منه
ما يحبه من العبودية التي لا تحصل الا بذلك فلما حصلت الحكمة المطلوبة من هذا
الامتزاج والاختلاط اعقبه بالتمييز والتخليص فميز بينهما بالدارين وجعل

شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعل لكل دار ما يناسبها واسكن فيها من يناسبها وخلق المؤمنين المتقين المخلصين
لرحمته واعلاهم الكافرين لنقمته والمخلطين للامرين فهؤلاء اهل الرحمة وهؤلاء
اهل النقمة وهؤلاء اهل النجدة والرحمة وقسم اخر لا يستحقون ثوابا ولا عقابا ورتب
على كل قسم من هذه الاقسام الخمسة حكم اللايق به واظهر فيه حكمته الباهرة
ليعلم العباد كمال قدرته وحكمته وانه تخلق ما يشاء ويختار من خلقه من يصلح لا
حسانه وانه يضع ثوابه موضعه وعقابه موضعه وتجمع بينهما في المحل المقتضي
لذلك ولا يظلم احدا ولا يبخسه شيئا من حقه ولا يعاقبه بغير جنايته هذا مع
ما في ضمن هذا الابتلاء والامتحان من الحكم الراجعة الى العبد انفسهم من اخراج
صبرهم وشكرهم وتوكلهم وجهادهم واستخراج كما لانتهم الكامنة في نفوسهم
من القوة الى الفعل ودفع الاسباب بعضها ببعض وكسر كل شيء بمقابلته ومضادته
بضده ليظهر عليه اثار القهر وسمات الضعف والعجز ويتيقن العبد ان القهار
لا يكون الا واحدا وانه يستحيل ان يكون له شريك بل القهر والوحدانية متلازمان فالملك
والقدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار وما سواه مربوب مقهور له ضد
ومناف ومساو كخلق الرياح وسلط بعضها على بعض تضادها وتكسر سورتها
وتذهب بها وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره وخلق النار وسلط
عليها الماء يكسرها ويطفيها وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته و
خلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها وينفتها وخلق آدم وذريته وسلط
عليهم ابليس وذريته وخلق ابليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل
مشرد ويطردونهم كل مطرد وخلق الحر والبرد والشتاء والصيف وسلط كلا منهما
على الاخر يذهبه ويقهره وخلق الليل والنهار وقهر كلا منهما بالاخر وكذلك الحيوان
على اختلاف ضروبها حيوان البر والبحر لكل منهم مضاد ومغالب فاستبان
للعقول والفطر ان القاهر الغالب لذلك كله واحد وانه ما تمام ملكه ايجاد
العالم على هذا الوجه وربط بعضه على بعض واخراج بعضه الى بعض وقهر

بعض

بعضه ببعض وابتلاء بعضه ببعض وامتحان خيره بشره وجعل شره خيره الفذ
ولهذا يدخل الى كل مؤمن من يوم الفقه كافر فيقال له هذا فداؤك من النار وهكذا
المؤمن في الدنيا يسلط الله من الابتلاء والامتحان والمصايب ما يكون فداه
من عذاب الله وقد تكون تلك الاسباب فداء له من شرور اكثر منها في هذا
العالم ايضا فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التدبر يتبين له حكم اللطيف
الخبير فصل وقد تقرر ان الله سبحانه كامل الصفات له الاسماء الحسنى ولا يكون
عن الكامل في ذاته وصفاته الا الفعل الحكم وهو سبحانه خلق عباده على الفطرة وكل
مولود فانما هو على الفطرة التي فطر الخلائق عليها ولكن الابوان والكافلان للمولود هم
يخرجونه عن الفطرة ويعدلون بهم عنها ولو تركوهم لما اختاروا عليها غيرها
ولكن اخرجوهم عن سنن الحنيفية وافسدوا فطرهم وقلوبهم وهكذا بالاضداد
والاعيار تخرج بعض المخلوقات عن سنن الاتقان والحكمة ولولا ذلك لا
ضداد والاعيار لكانت في مرتبتها كالمولود في فطرته ولذلك امثلة الاول
ان الماء خلقه الله طاهرا مطهرا فلو ترك على حالته التي خلق عليها لم يخالطه ما
يزيل طهارته لم يكن الا طاهرا ولكن يخالطه اضداده من النجاسة والاقذار تغيره
او صافه وتخرجه عن الحالة التي خلق عليها فكانت تلك النجاسات والقاذورات
بمعنى ابوي الطفل وكافله الذين يهودونه وينصرونه ويمجسونه ويشركونه
كما ان الماء اذا فسد بمخالطة النجاسة والقاذورات لم يصلح للطهارة فكذلك
القلوب اذا فسدت وطرها بالاعيار لم تصلح لحضرة القدس امثال الثاني
الشراب المعتصر من العنب فانه طيب تصلح للدواء ولاصلاح الغذاء والنافع
التي تصلح لها فلو خلي على حاله لم يكن الا طاهرا طيبا ولكن افسد بتخمير
والطيب فصار اخبث كل شيء والخمر فلو انقلب خلا او زال تغير الماء عاد
بمنزلة رجوع الكافر الى فطرته الاولى فان الحكم اذا ثبت لعلة زال بزوالها
والله اعلم امثال الثالث الاغذية الطيبة النافعة اذا خالطها باطن

غير ان يحصل لنا بها هدى او علم او معرفة بالله واسمائه وصفاته او ينتفع بها في باب واحد
من ابواب الايمان بالله وما يوصف به وما ينزه عنه بل نجرى الفاظها على المستنا و
لا يعتقد حقيقتها مخالفة للقواطع العقليه فسموا اصولهم الفاسده وشبههم
الباطله التي هي كبيت العنكبوت وكما قال فيها القايل شعر

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

قواطع عقليه مع
اختلالها فهم فيها وتناقضهم فيها ومناقضتها لصريح المعقول وصحيح المنقول و
سموا كلام الله ورسوله ظواهر سعيدا زالة لحرمته من القلوب ومنعا للتعلق به
والتمسك بحقيقته في باب الايمان والمعرفة بالله واسمائه وصفاته فعبروا عن كلامهم
بانه قواطع عقليه فيظن الجاهل بحقيقته انه اذا خالفه فقد خالف صريح المعقول
وخرج عن حد العقلا وخالف القاطع وعبروا عن كلام الله ورسوله بانه ظواهر
فلا جناح على من صرفه عن ظاهره وكذب بحقيقته واعتقد بطلان الحقيقه بل
هذا عندهم هو الواجب والله يشهد الله عباده الذين اوتوا العلم والايمان ان الامر
بعكس ما قالوه وان كلامه وكلام رسوله هو الشفا والعصمه والنور والهادي
والعلم العاطف لعلوه والله هو المشتمل على القواطع العقليه السمعيه والبراهين
العقليه وان كلام هولاء المتهوكين الحيارى المتضمن لخلاف ما اخبر به
عن نفسه واخبر به عنه رسوله هو الشبهات الفاسده والخيلات الباطله وانه
كالسراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهولاء هم اهل العلم حقا الذين شهد الله لهم
به فقال ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط
العزيز الحميد ومن سواهم من الصم البكم الذين قال الله فيهم وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما
يتذكر اولوا الالباب وكان ما شهد به من ذلك بالعقل والفطره لا بمجرد الخبر بل جاء اخباره
الرب واخبار رسوله مطابقا لما في فطرهم السليمه وعقولهم المستقيمه فتطابق على ايمانهم به

الشريعه المنزله والفطرة المكمله والعقل الصريح فكانوا هم العقلا حقا وعقولهم هي العيار في
خالفها فقد خالف صريح المعقول والقواطع العقليه ومن اراد معرفه هذا فليقف اكتاب سمحا
وهو بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح فانه كتاب لم يعرف العالم له نظيرا في بابه فانه
هدم فيه قواعد اهل الباطل من اساسها فخرت عليهم سقوفه من فوقهم وشيد فيه قواعد اهل
السنة والحديث واحكمها ورفع اعلامها وقررها بجميع الطرق التي تقرر بها الحق من العقل
والنقل والفطر والاعتبار فجاء كتاب لا يستغني عنه نفسه من اهل العلم عنه فجزاه الله عن
اهل العلم والايمان افضل الجزاء وجزى العلم والايمان عنه كذلك

فصل

عدنا الى تمام
الكلام في كيفيه دخول الشرعي القضا الالهي وبيان طرق الناس في ذلك والخلاف في ايلام
الاطفال والبهايم وقالت البكريه وهم اتباع بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد الصوفي
ان البهايم والاطفال لا تالم البته والذي حملهم على هذا موجب التعليل والحكمه ولم يوفوا ما قالت
الجبريه من نفي ذلك ولا ما قالت المعتزله من حديث الاعواض وما وعوه عليه ولم يكفهم
القول بمذهب التناسخيه القايلين بان الارواح الفاجره الظلمه تودع في الحيوانات التي
تناسبها فينالها من الم الضرب والعذاب بحسبها ولا ذهب المحوس من اسناد الشر والخير
الى اليزدان مستقلين كل منهما بذهب مخالفه ولا يقول من يقول ان البهايم مكلفه ما موره
منهيه مثابه معاقبه وان في كل امة منها رسول ونبي منها وهذه الاقوال كلها باطله
خرق على مخالفتها لرسولها وفيها لم نجد ولا بد من التزام ما ذهبوا اليه من انكار وقوع الا
لام لها ووصولها اليها وتلك قدره على هم الناس بانهم كابروا الحس وجحدوا الضروره مع
وان العلم بخلاف ما ذهبوا اليه ضروري وكم من انصف القوم لا سبيل الى شبهه هولاء الى
جحد الضروره مع كثره تقولهم ربما راوا ان الطفل والبهيمه لا يدرك الالام حسبما
يدركها العقلا فان العاقل اذا ادرك تالم جوارحه واحتد به تالم قلبه وطال حزنه و
كثر هم روحه وغمها واشتد فكره في ذلك وفي الاسباب الجالبه له والاسباب الدافعه
له وهذه الالام زايده على مجرد الم الطبيعه ولا ريب ان البهايم والاطفال لا يحصل لها
تلك الالام كما يحصل للعاقل المميز فان اراد القوم هذا فهم مصيبون وان اراد وا
انها لا تشعر بها مالا لام البته وانها لا تحس بها فمكابره ظاهره فان الواحد منا يعلم با
ضطرار انه كان نايما في طفوليته يمس النار له ويالضرب وغير ذلك وقاسم طايف

الحيوان واستقرت هناك خرجت عن حالتها التي خلقت عليها والتي بسببها تحفظ المخالطة والمجاورة خبثا وفسادا لم تكن فيها لسلوكها في غير طريقها التي بها كمالها ولما انزل الله الماء طاهرا نافعا فاخرج الارض وسالت به اوديتها او حدث خلاله بينهما بسبب هذه المخالطة والممازجة انواع الثمار والفواكه والزروع والنخيل والزيتون وسائر الاغذية والاقوات واوجد مع ذلك المر والشوك والحنظل وغير ذلك واللفاح واحد ولكن الام مختلفة تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ثم انه سبحانه يصرف ما اخرجه من هذا الماء ويقلبه وتحيل بعضه الى بعض وينقل بعضه بالمخالطة والمجاورة عن طبيعته الى طبيعة اخرى وهذا كما خلق كل دابة من ماء ثم خالف بين صورها وقواها ومنافعها واوصافها وما يصلح لها وامشى بعضا على بطنه وبعضا على رجلين وبعضا على اربع حكمة بالغة وقدرة باهرة وكذلك سبحانه يقلب الليل والنهار ويقلب ما يوجد فيهما ويقلب احوال العالم كما شاء وسلك بذلك مسلك الحكمة البالغة التي بها يتم مراده ويظهر ملك الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا القرآن المجيد عدته ومقصوده الاخبار عن صفات الرب سبحانه واسمائه وافعاله او انواع صنعه والتقدم الى عباده بامره ونهيه على السنة رسله وتصديقهم بما اقامه من الشواهد والدلالات على صدقهم وبراهين ذلك ودلائله وتبيين مراده من ذلك كله وكان من تمام ذلك الاخبار عن الكافرين والمكذبين وذكر ما اجابوا به رسلهم وقابلوا رسالات ربهم ووصف كفرهم وعنادهم وكيف كذبوا على الله وكذبوا رسله وردوا امره ومصالحه فكان في اخبارك ذلك من العلوم والمعارف والبيان ووضوح شواهد الحق وقيام ادلته وتنوعها وكان موقع هذا من خلقه موقع تسبيحه تعالى وتنزيهه من اشياء عليه وان اسماءه الحسنى وصفاته العلى هي موضع الحمد ومن تمام حمده تسبيحه وتنزيهه عما وصفه به اعداؤه والجاهلون بما يليق به وكان في تنوع تنزيهه عن ذلك من العلوم والمعارف وتقرير صفات الكمال وتعديد انواع الحمد

في بيان محاسن الشيء وكماله عند معرفة تقريره ما يضاده وتخالفه ولهذا كان تسبيحه من تمام حمده وحمده من تمام تسبيحه ولهذا كان التسبيح والتحميد قرينين وكان ما نسبه اليه اعداؤه والمعطلون لصفات كماله من علوه على خلقه وتكلمه كلامه الذي تكلم به على رسله وغير ذلك مما نزه عنه نفسه وسبح به نفسه وكان في ذلك ظهور حمده لخلقه وتنوع اسبابه وكثرة شواهده وسعة طرق الثناء عليه به وتقرير عظمته ومعرفته في قلوب عباده فلولا معرفة الاسباب التي يسبح وينزه وتعالى عنها وخلق من يصفها اليه ويصفه بها لما قامت حقيقة التسبيح ولا ظهر لقلوب اهل الايمان عن اي شيء يسبحونه وعما ينزهونه فلما راى في خلقه من قد نسبه الى ما لا يليق به وجد من كماله ما هو اولى به سبحانه حينئذ تسبيح مجلى له معظم لما نزه له عن امر قد نسبه اليه اعداؤه والمعطلون لصفاته ونظير هذا اشتمال كلمة الاسلام وهي شهادة ان لا اله الا الله على النفي والاثبات فكان في الاتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الاثبات وتحقيق معنى الالهية وتجريد التوحيد الذي يقصد بنفي الالهية عن كل ما ادعيت فيه سوى الاله الحق تبارك وتعالى فتجريد هذا التوحيد من القلب واللسان يتضمن اثبات الالهية لغير الله عما قاله اعداؤه المشركون به ونفيه وابطاله من القلب واللسان من تمام التوحيد وكماله وتقريره وظهور اعلامه ووضوح شواهده وصدق براهينه ونظير ذلك ايضا ان تكذيب اعداء الرسل وردهم ما جاءوهم به كان من الاسباب الموجبة ظهور براهين صدق الرسل ودفع ما احتج به اعداؤهم عليهم من الشبه الداحضة وذحض حججهم الباطلة وتقرير طرق الرسالة وايضاح ادلتها فان الباطل كلما ظهر فساده وبطلانه اسفر وجه الحق واستنارت معالمه ووضحت سبله وتقررت براهينه فكسر الباطل ودحض حججه واقام الدليل على بطلانه من ادله الحق وبراهينه فتامل كيف اقتضى الحق وجود الباطل وكيف تم ظهور الحق بوجود الباطل وكيف كان كفر اعداء الرسل بهم وتكذيبهم لهم ورد لغوهم ما جاءوا به وهو من تمام صدق الرسل وثبوت رسالات الله وقيام حجه على العباد ولنضرب لذلك مثالا يتبين به وهو ملك له عبد قد توحد في العالم بالشجاعة والبسالة والناس بين مصدق ومكذب

فمن قابل هو كذلك ومن قابل هو بخلاف ما يظن به فانه لم يقابل الشجعان ولا واحد
الاقران ولو بارز الاقران وقابل الشجعان لظهر امره وانكشف حاله فسمع به شجعان
العالم وابطاله فقصدوه من كل اوب واتوه من كل قطر فاراد الملك ان يظهر لرعيته
ما هو عليه من الشجاعة فمكن تلك الشجعان من منازلته ومقاومته وقال دونكم
واياه وشانكم به فهل تسليط الملك لاوليائه على عبده ومملوكه الا لاعلاء شانه و
اظهار شجاعته في العالم وتخويف اعدائه به وقضاء الملك اوطاره به وكما يترتب
على هذا الاظهار شجاعة عبده وقوته وحصول مقصوده بذلك فكذلك يترتب
عليه ظهور كذب من ادعى مقاومته وظهور عجزهم وفضيحتهم وخزيهم والعلم
ليسوا ممن يصلح لمهمات الملك وحوائجه فاذا عدل بهم عن مهماته وولاياته وعدل
بها عنهم كان ذلك مقتضى حكمة الملك وحسن تصرفه في ملكه وانه لو استعملهم
في تلك المهمات لتشوش امر المملكة وحصل الخلل والفساد والله اعلم حيث
جعل رسالته وهو اعلم بالشاكرين والمقصود ان خلق الاسباب المضادة
للحق واظهارها في مقابلة الحق من ابين دلالته وشواهده فكان في خلقها
من الحكم ما لو فاتت لفاتت تلك الحكمة وهي احب الى الله من تفويتها لتدبير
تفويت هذه الاسباب والله اعلم فصل وللناس في دخول الشر في القضاء
الالهي طرق فنذكرها ونذكر اصولها التي تفرعت عليها هذه الطرق قبل
ذلك فنقول الناس قاربان احدهما قول اهل الاسلام واتباع المرسلين كلهم ان
الله سبحانه فعال لما يريد يفعل باختياره وقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم
يكن وهو الذي يعبر عنه متكلمو المتكلمين كونه فاعلا بالاختيار والفريق الثاني
قول من نفى ذلك وقال صدور العلم عنه تعالى صدورا ذاتيا كصدور النور عن الشمس
والحرارة عن النار والتبريد عن الماء وسمى المتكلمون هذا الايجاب الذاتي ومصدره
موجبات الذات وهذا قول الفلاسفة المشائين وهو الذي تذكره بن الخطيب و
غيره عن الفلاسفة ولا يحكى عنهم غيره وانما هو قول المشائين وقد بينا تناقضهم و
فاضلهم من سبقنا الى الاسلام بعض التقريب مع مباينته لما جاءت به الرسل وما دل
عليه صريح المعقول والفطرة والفريقان متفقون على ان مصدر الكائنات

باسرها

باسرها خيرها وشرها من جميع الوجوه وكمال صرف ووجود الشر في العالم مشهود
والخير لا يصدر عنه الا خير ولا حرم اختلفت طرق الناس في كيفية دخول
الشر في القضاء الالهي وتنوعت الى اربعة طرق الطريق الاولى طريق
نفاة التعليل والحكم والاسباب فانهم نازعوا في اثبات هذا الباب
واثبتوا مشيئة محضة لا غاية لها ولا سبب ولا حكمة يفعل لاجلها ولا توفيق
فعل المختار لها على مصلحة ولا حكمة ولا غاية لها بفعل بل كل مقدور يحسن
منه فعله ولا حقيقة عندهم للقبيح الا المستحيل لذاته الذي لا يوصف بالقدرة عليه وهو لا
نعلم مسمى الرحمة والحكمة وان اقروا بلفظ لا حقيقة له وكان شيخهم الجهم بن صفوان
يقف باصحابه على المجذومين وهم يتقلبون في بلائهم فيقول ارحم الراحمين يفعل مثل
هذا يعني انه ليس في الحقيقة رحمة وانما هو محض مشيئة وصرف ارادة مجردة عن
الحكمة والرحمة وهؤلاء قالوا اصحاب الطريق الثاني وهم الذين اثبتوا له حكمة
وغاية وقالوا لا يفعل شيئا لا لحكمة وغاية مطلوبة ولكن جرى على هذا سنة الله في
شرعه وله شرعه وضعها بعقولهم وظنوا ان ما يحسن من خلقه يحسن منه
وما يقبح منهم يقبح منه فجعلوا ما اشتمل له من الحكم والرحمة من جنس ما هو للخلق
ولهذا كانوا اشبه الافعال كما ان من شبهه بخلقه في صفاته فهو مشبه الصفات
فاقتضى التشبيه نصفين هؤلاء في افعاله واخوانهم في صفاته وقالوا انه تعالى لو خص
بعض عبيده على بعض باعطائه توفيقا وقدرة وارادة لم يعطها الاخر لكان ظالما الذي
منعه وقالوا لو شاء من عباده افعال المعاصي لكان منزها عنه كما في الشاهد ولو شا
منهم الكفر والفسوق والعصيان ثم عذبهم عليه لكان ظالما في الشاهد ايضا فان
السيد اذا اراد من عبده شيئا ففعل العبد ما اراد سيده فانه اذا عذبه عده الناس
ظالما فجعلوا العدل في حقه ما جنس العدل في حق عباده والظلم الذي ينزه عنه كما
الظلم الذي ينزهون عنه وجعلوا ما يحسن منه من جنس ما يحسن منهم وما يقبح منه
من جنس ما يقبح منهم وقالوا لو اراد الشر لكان شريرا كما في الشاهد فان مريد الشر
شرير وقالوا لو ختم على قلوب اعدائه واسماعهم وحال بينهم وبين قلوبهم واسماعهم

الألوكة
www.alukah.net

كل ما يتالم به العقل والبهيمة ليس من قبل الله ولا فعل له فيه الالم لما ثبت من حكمته
وهذا اشبه قولهم في افعال الحيوان انها ليست من خلق الله ولا كانت بمشيته لكن
هذا اشد فسادا من ذلك فان هذه الالام حوادث لا تتعلق باختيار من قامت به
ولا بارادته فلا بد لها من محدث اذ وجودها حادث بلا محدث محال والله خالقها
بالسبب المفضية اليها فخالف السبب خالق للمسبب فان اراد هو لا نفى فعلها عن الله
مباشرة من غير توسط بسبب اصلا فهذا قد يكون حقا وان ارادوا انها غير
منسوبة الى قدرته ومشيته العبد فباطل وذهبت طايفة الى ان في كل نوع من انواع
الحيوانات انبيا ورسلا وانها مستحقة للثواب والعقاب وان ما ينزل بعض
الالام جزاء لها وعقوبات على معاصيها ومخالفتها واحتجوا بقوله وما من
دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم وقال تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير وقالت طايفة من المتناسخية ان الله خلق خلقه كلهم جملة
واحدة بصفة واحدة ثم امرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة
تبتلى بالذبح والقتل كالدجاج والغنم والابل والبقر والبراغيث والقمل فاسلط على
هذه البهايم من الالام فهو للارواح الادمية التي اودعت هذه الاجساد فمن كان منهم
زانيا اورانيه كوفي بان جعل في بدن حيوان لا يمكنه الجماع كالبغال ومن كان منهم
عفيفا عن الزنا مع ظلمه وغشمه كوفي بان جعل في بدن قيس او عصفور او دبسي
ومن كان منهم جبارا عنيدا كوفي بان جعل في بدن قمله او قراده ونحوها الى ان تقبض
منهم ثم يردوف فمن عصى منهم بعد ذلك رد عليه ايضا ذلك التناسخ هكذا ابدا حتى
يطيع طاعة لا معصية بعدها ابدا فينتقل الى الجنة من وقته او يعصى معصية لا طاعة
معها فينتقل الى جهنم من وقته وقد ذهب بعض اهل هذا المذهب من المنتسبين الى الاسلام
رجل يقال له احمد بن حايط طرد الاصول القدريه وشريعتهم التي شرعوها لله فلا
وجبوا بها عليه وحرموا وذهب الجوس الى ان هذه الالام والشرور من الاله الشرير
المظلم فلا يضاف الى الاله الخير العادل ولا يدخل تحت قدرته ولهذا كان اشبه اهل
البدع بهم القدريه النفاه وقالت الزنادقة والدهرية كل ذلك من تصرف الطبيعة

وفعلها

وفعلها وليس لذلك فاعل مختار مدبر بمشيته وقدرته ولا بد في النار من احراق ونفع وفي
الماء من اغراق ونفع وليس وراء ذلك شيء فهذه مذاهب اهل الارض في هذا المقام
ولما انتهى ابو عيسى الوراق الى حيث انتهت اليه ارباب المقالات طاش عقله ولم
يتسع لحكمة ايلام الحيوان وذبحه صنف كتابا باسماء النوح على البهايم فاقام عليها
المايم وناح وباح باح بالزندقة الصراح ومن كان على المذهب الاعمى البصير والبصيرة كلب
معرة النعمان المكنى بابي العلا المعري فانه امتنع من اكل الحيوان زعما لظلمه بالايلام والذبح
واما ابن خطيب الري فانه سلك في ذلك طريقة من سبكه من طريقة المتكلمين وطريقه
الفلاسفة المشابين وهذيانها وتخبطها واعترف في اخرها بانه لا سبيل الى الخلاص عن
التي اوردها على نفسه بالالتزام الله تعالى موجب بالذات لا فاعل بالقصد والاختيار
فاقر على نفسه بالعجز عن اجوبة تلك المطالبات الا بانكار قدرة الله ومشيته وفعله
الاختياري وذلك تحد لربوبيته فزعم انه لا يمكن تقدير حكمته الا بتحد ربوبيته وتخ
تذكر كلامه بالفاظه كما في مباحثه المشرقية الفصل السادس في كيفية دخول الشر
في القضا الالهي وقبل الخوض فيه لا بد من تقديم مقدمتين المقدمة الاولى الامور التي
يقال لها انها شر اما ان تكون امورا عدمية او امورا وجودية فان كانت امورا
عدمية فهي على اقسام ثلاثة لانها اما ان تكون عدما لامور ضرورية للشيء في وجوده
مثل عدم الحيوة واما ان تكون عدما لامور نافعة قريبة من الضرورة كالاعمى وان
لا تكون كذلك كعدم العلم بالفلسفة والهندسة واما الامور الوجودية التي يقال
انها شرور وهي كالحرارة المفرقة لاتصال العضو واعلم ان الشر بالذات هو عدم
ضرورية الشيء وعدم منافعه مثل عدم الحيوة وعدم البصر وما من حيث هما
كذلك شر فاذن ليس لها اعتبار آخر يجعلها يكونان شرين واما عدم الفضايل
المستغنى عنها مثل عدم العلم بالفلسفة فظاهر ان ذلك ليس بشر واما الامور الوجودية
فانها ليست شرورا بالذات بل بالعرض من حيث انها تتضمن عدم امور ضرورية
او نافعة ويدل عليه انا لا نجد بشيا من الافعال التي يقال لها شر الا وهو كما قال ما
لنسبه الى الفاعل واما شريته فبالقياس الى شيء آخر فالظلم مثلا يصدر عن قوة ظالمة

الألوكة
www.alukah.net

عن الايمان وجعل على ابصارهم غشاوة وجعل من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا ثم عذبهم لكان ظالما لهم لان احدا لو فعل ذلك بعبده ثم عذبه لكان
ظالما له فهو لاء المشبه حقا في الافعال فعدلهم تشبيه وتوحيدهم تعطيل فجمعوا بين التشبيه والتعطيل وهولاء قسموا الشر الواقع في العالم الى قسمين
احدهما شر وهي افعال العباد وما تولد منها وهذه لا دخل عندهم في القضا
الالهي ثم نها للرب تسبتها اليه ولا يدخل عندهم تحت قدرته ولا مشيئته ولا تكوينه
والثاني الشرور التي لا تتعلق بافعال العباد كالسموم والامراض وانواع الالام وكا
بليس وجنوده وغير ذلك من شرور المخلوقات كالام الاطفال وذبح الحيوان
فهذا النوع هو الذي كذب على القدرية اصولهم وشوش عليهم قواعدهم وقالوا
ذلك كله حسن لما فيه من اللطف والمصلحة العاجلة والآجلة قالوا اما الالام
والامراض فمفعوله لغرض صحيح وهو ما تضمن الرب سبحانه لمن اصابه بها من
العوض الوافي قالوا وذلك يجري مجرى استيجار اجير في فعل شاق فانه يغرض
الاستيجار اخرج الاستيجار عن كونه عبثا وبالاجرة اخرجه عن كونه ظلما فكان
حسنا قالوا فان قيل اذا كان الله قادرا على التفضل بالعوض وباضعافه دون
توسط الالام فاي حاجة الى توسطه وايضا فاذا حسن الالم لاجل العوض فهل
تحسن منا ان يولم احدنا بغير اذنه لعوض يصل اليه فالجواب ان الله سبحانه
لا يمرض ولا يولم الا من يعلم من حاله انه لو اطاعه على الاعواض التي تصل اليه لرضي با
لالم ولرغب فيه لوفور الاعواض وعظمها وليس كذلك الشاهد استيجار الاجير
من غير اختياره قالوا وليس كذلك ايلام احدنا لغيره لاجل التعويض فان
من قطع يد غيره او رجله ليعوضه عنها لم يحسن ذلك منه لان العوض يصل
اليه وهو مقطوع اليد الرجل وليس من العقلاء من يختار ملك الدنيا مع ذلك والله
يوصل الاعواض في الاخرة الى الاحياء وهم كمال شيء خلقه واتمه اعضاء فلذلك
افترق الشاهد والغايب في هذا قالوا فان فرضتموه في ضرب وجلد مع سلامة
الاعضاء فيحسن لانه عيب فان فرض فيه مصلحة ورضي المضروب بذلك وعظمت
الاعواض عنه فهو حسن في العقل لا محالة قالوا وسر الامر ان بالعوض يخرج الالم

عن

عن كونه ظلما لانه نفع عظيم موقوف على مضرة الالم وباعتبار كونه لطفا في الدين يخرج عن
كونه عبثا قالوا وقد رأينا في الشاهد حسن الالم للنفع فانه يحسن في الشاهد
ايلام انفسنا وانفسها في طلب العلوم والارباح التي لا تصل اليها الا بنوع من
خشن من التعب والمشقة قالوا وهذا الوجه هو الذي حسن لاجله ايلام الا
طفال والبهايم فانه ايلام للنفع فان ايلام الاطفال لا تستقيم الا على الاسباب الحالبة
للالام وكذلك نقول سواء انما تكمل لذلك وايلام الحيوان لنفع الادمي غير فيه قالوا
واما الالم المستحق للعقوبة فانه حسن في الشاهد ولكنه غير متحقق في الغايب بالنسبة
الى الاطفال والبهايم لعدم تكليفها ولكن لا بد في ايلامها من مصلحة ترجع اليها وهي ما يحصل
لهم من العوض في الاخرة قالوا ويجب اعادتها لاستيفاء ذلك الحق الذي لها وهي العوض
على الايلام التي حصلت لها قالوا ووجودها بعد الاعادة موقوف ونعيم الاطفال والمجانين
دايم واختلفوا في البهايم فقال بعضهم يدوم عوضهم وقال اخرون بانقطاعه فانهم
يصيرون ترابا قالوا فان لم يكن للبهايم عوض يجب لاجله ان تعاد لم تجب اعادتها عقلا
ويحسن اعادتها وما يحسن قد يفعله الله وقد لا يفعله وهل يجوز الالام للتعويض
المجرد فيه قولان لهم مبنيان على اصل اختلفوا فيه وهو انه هل يحسن منه سبحانه
التفضل بمثل العوض ابتداء فصار بعضهم الى امتناعه كما يمتنع التفضل بمثل الثواب
الذي استحقه عندهم وهم مجمعون على امتناعه ليلا يسوي بين العامل وغيره وصار من
ينتمي الى التحصيل منهم الى ان التفضل بمقدار الاعواض ممكن غير ممتنع فمن قال
بامتناع التفضل بمقدار العوض جوز وقوع الالام للتعويض المجرد ومن جوز
التفضل بالامثال الاعواض لم يجعل الحسن عنده الالام المجرد التعويض
بل قالوا انما يحسن لوجهين لا بد من اقترانهما احدهما التزام التعويض والثاني
اعتبار غير المولم بتلك الالام وكونها الطافا في زجر غاو وعن غوايته اذا
شاهدها في غيره وذهب عباد الصيمري منهم الى ان الالام تحسن لمجرد الا
الاعتبار من غير تعويض لمن اصابته ورد عليه جماهير القدرية ذلك قالوا
والالام التي يفعلها سبحانه اما ان تكون مستحقة كعقوبات الدنيا وعذاب

الألوكة
www.alukah.net

الاخرة واما التعويض واما الاصلح الراجح قالوا وما يفعله في الاخرة منها فكله للاستحقاق
وما يفعله في الدنيا فللعوض والمصلحة وقد يفعله عقوبة واما ما شرع من اسباب
الالم فعقوبات محضة واما مشايخ المعتزلة فقالوا انما حسن منه سبحانه الايلام لانه
المنعم بالصحة والحيوة ولانه في حكم من اعار تلك المنفعة لمن لا يملكها فله قطعها
اذا شاء ولانه قادر على التعويض لم نقدر وليس كذلك الواحد قالوا فاذا اسر
استرجع عاريته الصحة والحيوة خلفها الالم ولابد واطالوا الكلام في الالام و
اسبابها وما يحسن منها وما يقبح وعلى اي وجه يقبح وحصروا انفسهم غاية الحصر
فاستطالت عليهم الجبرية بالاسولة والمضايقات والجؤهم الى مضايق تضايق عنها
ان يوجهها الابي واخجلوا العقلا منهم بابدا تناقضهم والزموهم الزامات لابد من
التزامها او ترك المذهب وسئل ابو الحسن الاشعري اما على الجبائي عن ثلاثة
اخوة لاب وام مات احدهم صغيرا وبلغ الاخر فاختار الاسلام وبلغ الاخر فا
ختار الكفر فاجتمعوا عند رب العالمين ورفع درجة البالغ المسلم فقال اخو
الصغير يارب ارفع درجتي ابلغ منزلة اخي فقال انك لا تستحق ان اجاك
بلغ فعلي انما لا استحق هذه الدرجة فقال يارب فهلا احييتني حتى ابلغ فا
عمل عملا فقال كانت تلك المصلحة تقتضي اخترامك قبل البلوغ لاني علمت انك
لو بلغت لاخترت الكفر فكانت المصلحة في قبضك صغيرا قال فصاح الثالث
بين اطباق النار فقال يارب فهلا فعلت معي هذا الاصلح وقبضتني صغيرا
كما قبضت اخي صغيرا فما جواب هذا ايها الشيخ فلم نجد اليه جوابا قالوا واذا
علم سبحانه من بعض العبيد انه لا يختار الاسلام وانه لا يكون الا كافرا فمسلط
في الارض فاي مصلحة لهذا العبد وايجاده قالوا واي مصلحة لابليس وذريته
الكفار في ايجادهم فان قلتم تعرضهم للثواب قيل لكم كيف يعرضهم لامر
قد علم انهم لا يفعلونه لانه لا يقع منهم البتة ومن هنا انكر غلاتهم العلم
القديم وكفرهم السلف بذلك واقربه منهم فاوارده به مبطل لمذهبه

واصله

واصله في وجوب مراعاة الصلاح والاصلح وهذا معنى قول السلف ناظروا القدرية
بالعلم فان جحدوه كفروا وان اقروا به خصموا والوا واما حديث العوض على
الالام فالرب سبحانه قادر على ايصال تلك المنافع بدون توسط الالام قالوا وهذا
بخلاف المستأجر فان له منفعة وحاجة في توسط تعب الاجير واستيفاء منفعته
فاما من تعالى عن الانتفاع بخلقه ولا يحتاج الى احد منهم البتة فلا يفعل في حقه
ذلك قالوا واما وقوع الالام على وجه العقوبات فذلك اغا يحصل في الشاهد
لحصول التشفي من الجناة واطفاء نار الغيظ والغضب بالانتقام منهم وذلك
لحاجة المعاقب الى العقاب والتشفي به وقياس الغايب على الشاهد في ذلك
ممتنع قالوا واما الايلام للاعتبار بان يعتبر الغير بالالم الواقع بغيره فيكون
ذلك اذعى له الى الاذعان والانقياد فلا يجب ان الصبي اذا شاهد المعلم يضرب غيره
على لعبه وتفريطه كان ذلك مصلحة واعتبارا له ولعله ان ينتفع بضرب ذلك الغير
اكثر من انتفاعه المضروب او حيث لا ينتفع المضروب ولكن اغا حسن ذلك اذا
كان المضروب مستحقا للضرب فاين استحقاق الاطفال والبهايم قالوا وكذلك
تمكينه تعالى عباده ان يولم بعضهم بعضا ويضر بعضهم بعضا مع قدرته على منع
الولم والمضار اي مصلحة لمن مكن من ذلك وقدر عليه وهل كانت مصلحة الا
تعريفه وان يحال بينه وبين القدرة على الاذاء وصون العباد قالوا فهذه الشريعة
التي وضعوها هي رب العباد واوجبتم جبتم عليه ما اوجبتم وحرمتم عليه ما حرمتم و
حتمتم عليه في تصرفه في ملكه بغير ما اصلح وفرض بعقولكم وارائكم تشبيها
له وعملا خلقيا حسن منهم وقبح مع انها شريعة باطلة ما انزل الله بها
من سلطان فانظروا نظرة وهابا بل انتم متناقضون فيها غاية التناقض
خارجون فيها عما يوجبه كل عقل صحيح وفطرة سليمة فلا للتشبيه والتمثيل طريق
ولا بالتعويض قلتم ولا على حقيقة الحكمة والحمد وقد بالغتم له نوع حكمة
لا يقوم به ولا يرجع اليه بل هي قائمة بالخلق فقط وقد حتم بها في نظام ملكه

الاسود ما فانها بنى من ضروريات ذاتها والاسن كما لا تقاوما الذى كله شر او الغالب فيه شر او
المساوى فهو غير موجود لان كل ما فى الشى بمعنى عدم الضروريات والمنافع لا بمعنى عدم الكمال
الزايد واذ عرفنا بالشر ذلك فلا شك ان ذلك مغلوب والخير غالب لان الامراض وان
كثرت الان الصحة اكثر منها فالحرق والغرق والخسف وان كانت قد تتكثر الا ان السلامة
اكثر منها فاما الذى يكون خيره غالبا على شره فالاولى فيه ان يكون موجود الوجهين الاول
انه ان لم يوجد فلا بد وان يفوت الخير الغالب وفوت الخير الغالب شر غالب فاذن يكون
الشر هو الغالب من الخير فى وجوده يكون الخير اغلب من الشر ويكون وجود هذا القسم اولى
من عدمه
مثاله النار فى وجودها منافع كثيرة وايضا مفاسد كثيرة مثل احراق الحيوانات و
لكنا اذا قابلنا منافعها بمفاسدها كانت مصالحها اكثر بكثير من مفاسدها ولو لم
توجد لفاتت تلك المصالح وكانت مفاسد عدمها اكثر من مصالح فلا جرم وجب ايجادها
وخلقها الثانى وهو الذى يكون خيره ممزوجا بالشر ليس الا الامور التى تحت كرة القمر
فلا شك انها معلولات العلل العالية فلو لم يوجد هذا القسم لكان يلزم من عدمها عدم علتها
الموجبة لها وهى خيرات محضة فيلزم من عدمها عدم الخيرات المحضة وذلك شر محض
فاذا الابد من وجود هذا القسم فان قيل لم لم يخلق الخالق هذه الاشياء عرية عن كل الشرور
فنقول لانه لو جعلها كذلك لكان هذا هو القسم الاول وذلك مما قد وقع منه ربقى فى العقل
قسم اخر وهو الذى يكون خيره غالبا على شره وقد بينا ان الاولى بهذا القسم ان يكون
موجودا قال وهذا الجواب لا يجدى لان لقايل ان يقول ان جميع تلك الخيرات والشرور
انما يوجد باختيار الله وارادته مثلا الاحتراق الحاصل عقيب النار ليس موجبا من
النار بل الله اختار خلقة عقيب مماسة النار واذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة
النار باختيار الله وارادته فكان يمكنه ان يختار خلق الاحراق عند ما يكون خيرا
والاختيار خلقه عند ما يكون شرا والخلاص عن هذه المطالبة الابيبان كونه سبحانه
فاعلا بالذات لا بالقصد والاختيار ويرجع الكلام فى هذه المسئلة الى مسئلة القدم و
الحدوث تحلت لم يبق عند الرازى الا مذهب الفلاسفة المشائين القائلين بالموجب بالذات او مذهب القدرية المعتزلة القايلين بوجوب رعاية الصلاح
والاصلح او مذهب الجبرية نفاة الاسباب والعلل والحكم وكانا لحق عنده متردد

الغلبة وهى القوة الغضبية والغلبة هى كما لها وغايتها خلقها فهذا الفعل بالقياس
الى الحاكم لا شك ان صدق عنه فهو بالقياس اليها شر واما كان شر للمظلوم
لفوات اغراض وغيره عنده والنفس الناطقة كمالها الاستيلاء على هذه القوة فعند
قهر القوة الغضبية يفوت النفس ذلك الاستيلاء والاجرم كان شرا لها ولذلك
النار اذا احرقت فان الاحراق كمالها ولكونه شرا بالنسبة الى من زالت سلامته
بسببها ولذلك القتل وهو استعمال الآلة القطاعة فى قطع رقبة انسان فان كون
الانسان قابلا على استعمال الآلة ليس شرا له بل خيرا وكذلك كون الآلة قطاعة
هو خير لها وكذلك كون الرقبة قابلة للانقطاع كل ذلك خيرات ولكن
القتل شر من حيث انه متضمن لزوال الحياة فثبت بما ذكرنا ان الامور الوجودية
ليست شرا بالذات بل بالعرض والله اعلم المقدمة الثانية ان الاشياء اما
ان تكون مادية اولا تكون فان لم تكن مادية لم يكن فيها ما بالقوة فلا يكون فيها
شر اصلا وان كانت مادية كانت فى معرض الشر وعروض الشر لها اما ان يكون فى
ابتداء تكوينها او بعد تكوينها اما الاول فهو اما ان يكون المادة التى تتكون
انسانا او فرسا يعرض لها من الاسباب ما يجعلها رديه المزاج رديه التشكل
والخلقة فوداة مزاج ذلك الشخص ورداءة خلقته ليس لان الفاعل جرم بل لان
المنفعل له لم يقبل واما الثانى وهو ان يعرض الشى للشى وطروطار عليه بعد تكونه
فكذلك العارى اما شى عن المكمل من الاكال مثل تراكم السمن واطلال الحال
الشاهقات اذا صار مانعا من تاثير الشمس فى النبات واما شى يفسد مثل البرد
الذى يصل الى النبات فيفسد بسبب ذلك استعداده للنشو والنمو واذا عرفت ذلك
فقد بينا ان الشر بالحقيقة اما عدم ضروريات الشى واما عدم منافعه فنقول الموجود اما
ان يكون خيرا من كل الوجوه او شرا من كل الوجوه او خيرا من وجه وشرا من وجه وهذا على
تقدير اقسام فانه اما ان يكون خيره غالبا على شره او يكون شره غالبا على خيره او متساويا
خيره وشره فهذه اقسام خمسة اما الذى يكون خيرا من كل الوجوه فهو موجود ما والذى يكون
كذلك لذاته فهو الله تبارك وتعالى واما الذى يكون لغيره فهو العقول والافلاك لان هذه

بين هذه المذاهب الثلاثة فتارة يرجح مذهب المتكلمين وتارة مذهب الطائفتين وتارة
يلقي الحرب بين الطائفتين ويقف في النظارة وتارة يتردد بين الطائفتين وانتهى الى
هذا المصنف ورأى انه لا خلاص له منه الا بالتزام طريق الحيرة وهي غير مرضية عند
وان كان في كتب الكلاميين يعتمد عليها ويرجع في مباحثه اليها وطريق المعتزلة القائلين
برعاية الصلاح وهي مقطوعة غير مطردة لم يجد بدا من تحيره الى اعداء الملة القائلين
بان الله لا قدرة له ولا مشيئة ولا اختيار ولا فعل يقوم به ومعلوم ان هذه المذاهب
باسرها باطلة متناقضة وان كان بعضها ابطل من بعض وانما الجاه الى القول
القول بانكار الفاعل المختار في هذا المقام تسليم لهم الاصول
الفاسدة والقواعد الفاسدة الباطلة التي قادت الى التزام بعض انواع الباطل
ولو اعطى الدليل حقه وضم ما مع كل طائفة من الحق الى الحق الذي مع الطائفة الاخرى وتحيز الى
الى ما جاءت به الرسل على علم وبصيرة وتقرير لما جاؤا به بجميع طرق الحق تخلص
من تلك المطالبات مع اقراره بان رب العالمين فعال لما يريد يفعل بمشيئته وقدرته و
حكمته وان له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وان تقدير تحريك الثلج مما خلقت عليه
من الاحراق والماء حال مما خلق عليه والريح والتعويص البشرية مما هيأت له و
خلقت عليه مناف للحكمة المطلوبة للرب سبحانه وان هذا تقدير العالم اخر
غير هذا العالم وتعطيل الاسباب التي نصبها الله سبحانه مقتضيات لمسبباتها وان تلك
الاسباب مظهر حكمته وحمده وموضع تصرف لخلقه وامره فتقدير تعطيلها تعطيل
للخلق والامر هو اشد مناقاة للحكمة وابطالا لها واقتضاء هذه الاسباب مسبباتها
كاقتضاء الغايات لاسبابها فتعطيلها منها قدح في الحكمة وتعويت لمصلحة العالم
التي عليها نظامه وقوامه ولكن الرب سبحانه قد يخرق العادة ويعطلها عن
مقتضياتها احيانا اذا كان فيه مصلحة راجحة على مفسدة فوات تلك المسببات كما
عطل النار التي القي فيها ابراهيم وجعلها عليه بردا وسلاما عن الاحراق مع ما في ذلك من
المصالح العظيمة وكذلك تعطيل الماء عن اغراق موسى وقومه وعما خلق عليه من

الاسالة

الاسالة والتقاطر فانه بعض هو لما فيه من المصالح العظيمة والايات الباهرة
والحكمة التامة التي ظهرت في الوجود وترتب عليها من مصالح الدنيا والاخرى ما ترتب
فكذلك سائر افعاله سبحانه يعلم انه شهد عباده بذلك انه صنع الاسباب وان الا
سباب خلقه وآياته عليك تعطيلها عن مقتضياتها وآثارها وان جعلها كذلك لم
يعن من ذاتها ونفسها بل هو الذي جعلها كذلك واودع فيها من القوى والطبايع
ما اقتضت به آثارها والله ان شاء ان يسلبها اياها سلبها لا كما يقول اعداؤه من
الفلاسفة والطبايعيين وزنادقة الاطباء انه ليس في الامكان تجريد هذه الاسباب
عن آثارها وموجباتها ويقولون لا تعطيل في الطبيعة وليست الطبيعة عندهم
مربوبة معمورة تحت قهر قاهر وتسخير مسخر يصرفها كيف شاء بل هي
المتصرفة المدبرة ولا كما يقول من نقص علمه ومعرفته باسرار مخلوقاته وما
اودعها من القوى والطبايع والخواص والاسباب التي ربط بها خلقه وآياته
وثوابه وعقابه فجحد ذلك كله ورد الامر الى مشيئة محضة مجردة عن الحكمة
والغاية وعن ارتباط العالم بعضه ببعض وارتباط الاسباب بمسبباتها والقوى
بمحالها ثم المحذور اللازم من انكار الفاعل المختار الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته
قوق كل محذور فان القايل بذلك يجعل هذه الشرور باسرها لازمة له لزوم
الظل لحامله والحرارة للنار ولا يمكنه دفعها ولا تخليص الحرارة منها فهم فروا من
اضافة الشر الى خلقه ومشيئته واختياره ثم الزموه اياه واضافوه اليه اضافة
لا يمكن ازالتها مع تعطيل قدرته ومشيئته وخلقه وعلمه بتفاصيل احوال عباده
وفي ذلك تعطيل ربوبيته للعالمين ففروا من محذور بالتزام عدة محاذير وا
استجاروا من الرمضاء بالنار وهذا كما نزه الجهمية عن استواء على عرشه وعلوه
على مخلوقاته فانه فر من التحيز والجهة ثم جعلوه سبحانه في كل مكان فخالطا
للقاذورات والاماكن المكروهات وكل مكان ينافي العالي من مجاورته ففروا
من تخصيصه بالعلو فعموا به كل مكان وما علمت الفرعونية بطلان هذا
المذهب فروا الى شر منه فاحلوا داخل العالم وخارجه منه الله وقالوا ليس
فوق العرش رب يعبد ولا اله يصلى له ويسجد ولا ترفع اليه الايدي ولا يصعد

اليه الكلم الطيب والعمل الصالح والاعراج يحيل اليه بالعروج به الى عدم صرف ولا فرق بالنسبة اليه بين العرش وبين اسفل سافلين وبين المعلوم انه ليس موجودا في اسفل سافلين فاذا لم يكن موجودا فوق العرش فحذا اعلام له البته وتعطيل لوجوده فلا زالت الحلولية واخوانهم من الاتحادية اشباه النصارى مائلي ذلك من الاحاله قالوا بل هو هذا الوجود الساري في الموجودات الظاهر فيها على اختلاف صورها وانواعها الحسنها فهو في الماء ماء وفي الخمر خمر وفي النار نار وهو حقيقة كل شيء وماهيته فنزهوه عن استوائه على عرشه وجعلوه و جود كل موجود خسيس او شريف صغير او كبير طيب او غيره تعالى الله عما يقول اعداؤه علوا كبيرا وكذلك القائلون بقدم العالم نزهوه عن قيام الارادات والافعال المتجدده به ثم جعلوا جميع الحوادث لازمه له لا ينفك عنها و نزهوه عن ارادته لخلق العالم وان يكون صدوره عن مشيته وارادته وجعلوه لازما لذاته كالمضطر الى صدوره عنه وكذلك المعتزله لما نزهوه عن صفات كماله ليلا يقعوا في تشبيه ثم شبهوه بخلقه في افعاله وحكموا عليه بحسن ما يحسن منهم وقبح ما يقبح منهم مع تشبيهه بهائي سلب صفات كماله بالجمادات والناقصات و ان من قومن اثبات السمع والبصر والكلام والحيوة له ليلا يشبهه فقد شبهه بالاحجار التي لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ومن عطله عن صفة الكلام مما يلزم من تشبيهه بزعمه فقد شبهه باصحاب الخرس والافات المتنع منهم الكلام ومن نزهه عن نزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ودنوه عشية عرفة من اهل الموقف ومجيئه يوم القيمه للقضاء بين عباده فرارا من تشبيهه بالاجسام فقد شبهه بالجماد الذي لا يتصرف ولا يفعل ولا يجيء ولا يأتي ولا ينزل ومن نزهه عن ان يفعل لغرض او حكمة او لداع الى الفعل حذرا من تشبيهه بالفاعلين لذلك فقد شبهه باهل السفه والعبث الذين لا يقصدون بافعالهم غاية محموده ولا غرضا مطلوبا محبوبا ومن نزهه عن خلق افعال عباده وتصرفهم بالهدايه والاضلال وتخصيص من شاء منهم بفضله او منعه من شاء حذرا من الظلم بزعمه فقد وصفه باعظم الظلم

والجور حيث خلد في اطباق النيران من استنفد عمره كله في طاعته اذا فعل قبل الموت كبيرة واحده فانها تحبط جميع ذلك الطاعات وتجعلها هباء منثورا ويخلد في جهنم مع الكفار مالم يتب منها الى غير ذلك من اصولهم الفاسده وقوامه فخلك الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

هذه الورقه موضعها بعد الورقه بعدها فقد الجلد

قاعده كمال العبد وصلاحه بتخلف عنه من احد جهتين اما ان يكون طبيعته يابسه قاسيه غير لينه ولا منقاده ولا قابله لما يراد منها كالحجر فلا صلاح واما ان تكون لينه منقاده سلسه القياد لكنها غير ثابته على ذلك بل سريعه الانتقال عنه كثيره التقلب فمتى رزق العبد انقيادا للحق وثباتا عليه فليبشر فقد بشر بكل خير وذلك فضل الله يوتيه من يشاء فاعلم اذا ابتلى الله عبدا بشيء من انواع البلايا والحمى فان رده ذلك الابتلاء الحمى الى ربه وجمع عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وارادة الخير به والسنة تترا الادوام لها وان طالت فتقلع عنه حتى تقلع وقد عوض منها اجل عوض وافضله وهو رجوعه الى الله بعد ان كان شارد اعنه واقباله عليه بعد ان كان نائيا عنه وانطراحه على بابه بعد ان كان معرضا والوقوف على ابواب غيره متعرضا وكانت البليه في حق هذا عين النعمه وان ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه فرب ما كان مكروه النفوس الى محبوبها سببا ما مثله سبب وقوله تعالى في ذلك هو هو الشفاء والعصمه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون وان لم يرده ذلك البلا اليه بل شرد قلبه عنه وراء عالى الخلق واسا ذكر ربه والضراعه اليه والتذلل بين يديه والتوبه والرجوع اليه فهو علامة شقاوته وارادة الشر به فهذا اذا اقلع عنه البلا رده الى حكم طبيعته وسلطان شهوته ومرحه ووخمه فجاءت طبيعته عند القدره بانواع الاشر والبطر والاعراض عن شكر المنعم عليه بالسر كما اعرض عن ذكره وذل التضرع اليه في الضراء فبليه هذا وبال عليه وعقوبة ونقص في حقه وبليه الاول تطهير له ورحمه وتكميل وبالله التوفيق

الألوكة
www.alukah.net

والذنوب الناس في الدنيا التي تجري عليهم احكامها باراداتهم وشهواتهم متفاوتون بحسب
شهودهم لاسبابها وغايتها اعظم تفاوت وجماع ذلك ثمانية مشاهد احدها شهود
السبب الموصل اليها والغاية المطلوبة منها فقط وهو شهود الحيوانات اذ لا تشهد الا
طريق وطرها وبرد النفس بعد تناولها وهذا الضرب من الناس ليس بينه وبين
الحيوان البهيم في ذلك فرق الا دقيق الحيلة في الوصول اليها وربما ازداد عنه من
الحيوانات عليه مع تناولها واذتها الشهد الثاني من يشهد مع ذلك مجرد الحكم القدري
وجريانه عليه ولابد وهذا شهود ذلك وربما راى ان الحقيقة هي توفيه هذا الشهد
حقه ولا يتم له ذلك الا بالفناء عن شهود فعله هو جملة فيشهد الفاعل فيه غيره والمحرك
سواه فلا ينسب الى نفسه فعلا ولا يرى لها اساءة ويزعم ان هذا هو التحقيق والتوحيد
وربما ازداد على ذلك انه يشهد نفسه مطيعا من وجه وان كان عاصيا من وجه آخر يقول
انا مطيع الارادة والمشيئة وان كنت عاصيا للامر وان كان من جرى الامر تليسا و
صار الرعاع عن الخرط والزمان مع حكم الطبيعة الحيوانية فقط رأى نفسه مطيعا و
لا عاصيا كما قال قايلهم في هذا المعنى اصبحت منفعلا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات
واما الشهد الاول اقرب الى السلامة من هولاء وخير منهم وهذا الشهد بعينه هو الشهد
الذي شهد المشركون عبادة الاصنام ووقعوا عنه كما قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فهذا مشرد من اشرك با
لله ورد امره وهو مشهد ابليس الذي انتهى اليه اذ يقول لربه رب بما اغويتني لا
زينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين والله اعلم الشهد الثالث شهد الفعل
الكسبي القايم بالعبد فقط ولا يشهد الا صدوره عنه وقيامه به ولا يشهد مع ذلك
مشيئة الرب له ولا جريان حكمه القدري به ولا عزه الرب في قضايه ونفوذ امره
بل قد ففي بشهود معصيته وذنبه وفجوره ما اختزع عن شهود المشيئة النافذة
والقدر السابق اما لعدم اتساع قلبه لشهود الامرين معا امتلاء من شهود

ذنبه

ذنبه وجرمه وفعله مع انه مؤمن بقضاء الرب وقدره وان العبد افعل ولا يكون من تحت
في ملكه ما لم يسبق به مشيئة ربه وخالفوا اما الانكار القضاء والقدر جملة
وتنزيه الرب ان يقدر على العبد شيئا ثم يلومه عليه فاما الاول وان كان شهودا
صحيحا نافعا به موجبا لم ان لا يزال لاتما لنفسه مزريا عليها ناسبا للذنب والعيب
اليها معتقدا بانه يستحق العقوبة والنكال وان الله سبحانه ان عاقبه فهو العادل فيه
وانه هو الظالم لنفسه وهذا كله حق لا ريب فيه لكن صاحبه ضعيف مغلوب مع
نفسه غير معان عليها بل هو معها كالمخذول المخذول فان لم يشهد عزة الرب
في قضايه ونفوذ امره في الكون ومشيئته وانه لو شاء لعصمه وحفظه وانه لا معصوم
الا من عصمه ولا محفوظ الا من حفظه وانه هو محل الجريان اقضيته واقداره
وسوقه اليها في سلسلة ارادته ومشيته وان تلك السلسلة طرفها بيد
غيره وهو القادر على سوقه بها الى ما فيه صلاحه وفلاحه والى ما فيه هلاكه
وشقاوته فهو لغفلته عن هذا المشهد وغلبة شهود العصيان والكسر
على قلبه لا يعطي التوحيد حقه ولا الاستعانة بربه والاستغاثة به والالتجاء
اليه والافتقار والتضرع والابتهال حقه بحيث يشهد سر قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ
برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك فانه سبحانه رب
كل شيء وخالق كل شيء والمستعاذ منه واقع بخلقه ومشيئته ولو شاء لم يكن فالفرار منه اليه
والاستعاذة منه به واللجاء منه اليه ولا مهرب منه الا اليه لا اله الا هو العزيز الحكيم
واما الثاني وهو منكر القضاء والقدر فمخذول محجوب عن شهود التوحيد مصدود عن
شهود الحكمة الالهية موكول الى نفس ممنوع عن شهود عزة الرب في قضايه وكمال
مشيئته ونفوذ حكمه وعن شهود عجزه هو وفقره وانه لا توفيق له الا بالله وانه ان
لم يعنه الله مخذول وان لم يوفقه ويخلق لعزمه الرشد وفعله فهو عنه ممنوع محجوب
عن الله غليظ فانه لا حجاب اغلظ من الدعوى ولا طريق الى الله اقرب من دوام الافتقار
اليه المشهد الرابع مشهد التوحيد والامر فيشهد انفراد الرب بالخلق ونفوذ مشيئته
وتعلق الموجودات باسرها بها وجريان حكمه على الخليقة وانتهاءها الى ما سبق في علمه
وجرى به قلمه ويشهد مع ذلك امره ونهيه وثوابه وعقابه وارتباط الجزا بالاعمال

كذلك لتنوع الاستعدادات واختلافها رحمه منه وفضلا منه وهو صحيح لانبا في
ما ذكرناه من وحدة الطريق وكشف ذلك وايضاحه ان الطريق هي واحدة جامعة
لكل ما يرضي الله وما يرضيه متعدد متنوع فجميع ما يرضيه طريق واحد و
مراضيه متعدده متنوعة بحسب الازمان والامكنة والاشخاص والاحوال وكلها
طرق مرضاته فهذه هي التي جعلها الله رحمة وحكمة كثيرة متنوعة جدا لاختلاف
استعدادات العباد وقوابلهم ولو جعلها نوعا واحدا مع اختلاف الاذهان
والعقول وقوة الاستعدادات وضعفها لم يسلكها الا واحد بعد واحد ولكن
لما اختلفت الاستعدادات تنوعت الطرق ليسلك كل امرئ الى ربه طريقا يقتضيها
استعداده وقوته وقبوله ومن هنا يعلم تنوع الشرايع واختلافها مع رجوعها
كلها الى دين واحد بل تنوع الشريعة الواحدة مع وحدة المقصود وقد بينه ومنه الحديث
المشهور للانبياء اولاد علات دينهم واحد فاولاد العلات ان يكون الاب واحدا
والامهات متعددة فشبه دين الانبياء الاب الواحد وشرايعهم بالامهات
المتعددة فانها وان تعددت ترجعها الى اب واحد كلها واذا علم هذا فمن الناس
من يكون سير عمله وطريقه الذي يعد سلوكه الى الله طريق العلم والتعليم وقد فرض عليه
زمانه متفقها به وجه الله فلا يزال كذلك عاكفا على طريق التعلم والتعليم حتى
يصل من تلك الطريق الى الله ويفتح له فيها الفتح الخاص وعوت في طريق طلبه
فيحصل له الوصول الى مطلبه بعد مماته تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وقد حكى عن جماعة
كثير ممن ادركه الاجل وهو حريص طالب للقرآن انه رئي بعد موته وا
لخير انه في تكميل مطلوبه وانه يتعلم في البرزخ فان العبد يموت على ما عاش
عليه ومن الناس من يكون سير عمله الذكر وقد جعل زاده لمعاده وراس مال
لمآله حتى فتر عنه او قصر راى انه قد عجز وحسر ومن الناس من يكون سير عمله و
طريقه الصلوة حتى قصر في وردها او مضى عليه وقت وهو غير مشغول بها او
استعد لها فاظلم عليه وقته وضاق صدره ومن الناس من يكون طريقه الاحسان

والنفع المتعدد كقضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وانواع الصدقات
قد فتح له في هذا وسلك منه طريقا الى ربه ومن الناس من يكون طريقه الصوم فهو
متى افطر تغير عليه قلبه وساءت حاله ومن الناس من يكون طريقه تلاوة القرآن وهي
الغالب على اوقاته وهي اعظم اوراده ومنهم من يكون طريقه الامر بالمعروف و
النهي عن المنكر قد فتح الله له فيه وتقدمه الى ربه ومنهم من يكون طريقه الذي
تعبد فيه الحج والاعتمار ومنهم من يكون طريقه قطع العلايق وتجريد الهمة ودوام
المراقبة ومراعاة الخواطر وحفظ الاوقات ان تذهب ضايعة ومنهم الجامع الفذ
السالك الى الله في كل واد الواصل اليه من كل طريق فهو جعل وضايف عبودتيه
قبله قلبه ونصب عينيه يؤمها اين كانت ويسير معها حيث سارت قد ضرب مع
كل فريق بسهم فاين كانت العبودية وجدتم هناك ان كان علم وجدته مع اهله
او جهاد وجدته في صف المجاهدين او صلاة وجدته في القانتين او ذكر وجدته في الذا
كرين او احسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين او محبة ومراقبة وانابة الى الله وجدته في
زمرة المحبين المنيبين يدينون بالعبودية التي استقبلت ركابها و
يتوجه اليها حيث استقرت مضاربها لو قيل له ما تريد من الاعمال لقال اريد
ان انفذ اوامر الله حيث كانت واين كانت جالبة ما جلبت مقتضية ما اقتضت
حمقتي او فرقتي ليس لي سوى الاستعداد لها والقيام باوايها مراقبا لله فيها
عاكفا عليه بالروح والقلب والبدن والسر قد سلمت اليه المبيع منتظرا منه تسليم
الثمن ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فهذا هو العبد
السالك الى ربه النافذ اليه حقيقة ومعنى الوصول اليه ان يتصل به قلبه ويتعلق
به تعلق المحب التام المحبة بمحبوبه فيسلوا به عن جميع المطالب سواه فلا يبقى في
قلبه الا محبة الله واسمه وطلب التقرب اليه فاذا سلك العبد على هذا الطريق
عطف عليه ربه فقربه واصطفاه واخذ بقلبه اليه وتولاه في جميع اموره في معاشه
ودينه وتولى تربيته احسن وابلغ مما يربي الوالد الشفيف ولده فانه سبحانه

الألوكة
www.alukah.net

واقتضاها له ارتباط المسببات باسبابها التي جعلت اسبابا مقتضية له شرعا وقدرا وحكما فشهوده
توحيد الرب وانفراده بالخلق ونفوذ مشيته وجريان قضائه وقدره يفتح له باب الا
ستعاذه ودوام الالتجاء اليه والافتقار اليه وذلك يدنيه من عتبة العبودية ويظفر به
لباب فتجده اعاجز امسكينا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فشهوده
امره ونهيه وثوابه وعقابه يوجب له الحمد والتمجيد وبذل الوسع والقيام بالامر و
الرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير فيكون سيره بين شهود العزة والحكمة
والقدرة الكاملة والعلم السابق والمنة العظيمة وبين شهود التقصير والاساءة منه وتطلب
عيوب نفسه واعمالها فهذا هو العبد الموفق المعان الملطوف به الصنوع له الذي اقيم مقام
العبودية وصين له التوفيق وهذا هو مشهد الرسل فهو مشهد اسعد آدم اذ يقول ربنا
ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ومشهد اول الرسل نوح اذ
يقول رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين و
ومشهد امام الحنفا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اذ يقول الذي خلقني فهو يهدين وشيخ الانبياء و ابراهيم و
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي
اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وقال في دعائه رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني و
بني ان نعبد الاصنام فعلم صلى الله عليه وسلم ان الذي يحول بين العبد وبين الشرك وعبادة
الاصنام هو الله لا رب غيره فسأله ان يجنبه وبنيه عبادة الاصنام وهذا هو مشهد موسى اذ
يقول في خطابه له لما قتل كنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اي ان ذلك الا امتحانك واختبارك
كما يقال فتنت الذهب اذا امتحنته واختبرته وليس من الفتنة التي هي من الفعل السيء كما في
قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وكما في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
فان تلك فتنة المخلوق فمن موسى علم بالله ان يضيف اليه هذه الفتنة وانها كالفتنة في
قوله وفتناك فتونا اي ابتليناك واختبرناك وصرفناك في الاحوال التي قضاها الله
عليك من لدن ولادتك الى وقت خطابه له وانزاله عليه كتابه والمقصود ان موسى
شهد توحيد الرب وانفراده بالخلق والحكم وفعل السفها وما شرعهم الشرك فتضرع
اليه بعزته وسلطانه واضاف الذنب الى فاعله وجانيه ومن هذا قول رب اني ظلمت نفسي

فاغفر لي

فاغفر لي قال تعالى فغفرنا له انه هو الغفور الرحيم وهذا مشهد ذي النون اذ يقول
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فوحد ربه ونزهه عن كل عيب واضاف
الظلم الى نفسه وهذا مشهد صاحب الاستغفار اذ يقول في دعائه اللهم انت ربي لا اله
الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر
ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
فاقر بتوحيد الربوبية المقتضي لانفراده سبحانه بالخلق وعموم المشيئة ونفوذها
وتوحيد الالهية المقتضي لمحبته وعبادته وحده لا شريك له والاعتراف بالعبودية
المقتضي للافتقار من جميع الوجوه اليه سبحانه ثم قال وانا على عهدك ووعدك فتضمن
ذلك القيام بامره ونهيه وهو عهده الذي عهد الى عباده وتصديق وعده
وهو جواء جزائه وثوابه فتضمن التزام الامر والتصديق بالموعود وهو الايمان
والاحتساب ثم لما علم ان العبد لا يوفي هذا المقام حقه الذي يصلح لرب تعالى علق ذلك
باستطاعته وقدرته التي لا تتوهاها فقال ما استطعت اي ملتزم ذلك بحسب استطا عتي
وقدرتي ثم شهد للمشهدين المذكورين وهما مشهدا القدر والعفو وشهد التقصير
من نفسه فقال اعوذ بك من شر ما صنعت فهذه الكلمة تضمنت المشهدين معا
ثم اضاف النعم كلها الى وليها واهلها والمبتدي بها والذنب الى نفسه وعمله فقال
ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فانت المحمود والمشكور الذي هو الثناء كله والاحسان
كله ومنه النعم كلها فلك الحمد كله ولك الثناء كله ولك الفضل كله وانا المذنب المسيء
المعترف بذنبه المقر بخطيئته كما قال بعض العارفين العارف يسير بين مشاهدة
المنة منك الله ومطالعة عيب النفس والعمل فشهود المنة يوجب له المحبة لربه سبحانه
وحمده والثناء عليه ومطالعة عيب النفس والعمل يوجب استغفاره ودوام توبته و
تضرعه واستكانته لربه سبحانه ثم لما قام هذا بقلب العارف وتوسل اليه بهذا الوسيل
قال فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فصل ثم اصحاب هذا المشهد فيه
صنفان احدهما من يشهد تسليط عدوه عليه وفساد اياه وسلسله الهوى
وكبحه اياه بلجام الشهوة فهو اسير معه حيث يسوقه الى ضرب عنقه وهو مع ذلك

الألوكة
www.alukah.net

ملتفت الى ربه وناصره ووليه عالم بان نجاته فى يديه وناصيه بين يديه هو وبه وانه
لو شاء طرده عنه وخلصه من يديه فكلما قاده بعوده ولجمه بلجامه اعتزالا
التفات الى وليه وناصره والتضرع اليه والتذلل بين يديه وكلما اراد
اعتزاله وبعده عنه بابه تذكر عطفه ورحمته واحسانه وجوده وكرمه وغناه
وقدرته ورافته ورحمته فاخذت دواعى قلبه هاربة اليه منازعة على
بابه منطرحة على فنائه كعبد قد شارت يداه الى عنقه وقام ليضرب عنقه و
قد استسلم للقتل فنظر الى سيده امامه وتذكر عطفه ورأفته به ووجد فرجه
فوثب اليه معانقا وتلقى نفسه بين يديه ومد له عنقه وقال انا عبدك و
مسكينك وهذه ناصيتى بين يديك والاخلاص لى من هذا العدو الابك و
الى مغلوب فانتصر لعبدك مشهد عظيم المنفعة جليل الفايدة تحتوى من
اسرار العبودية ما لا ينال له الوصف وفوقه مشهد اجل منه واعظم واخص
سنخفى عنك العبارة وان الاشارة اليه بعض الاشارة وتقريبه الى الفهم بضرب
مثل تعبر منه اليه وذلك مثل عبد اخذ سيده بيده وقدم ليضرب عنقه بيده
فهو قد اخذ بيده وشد عينيه وقد ايقن العبد انه فى قبضته وانه هو قاتله
لا غيره وقد علم مع ذلك بره به ولطفه ورحمته ورافته وجوده وكرمه فهو
بين شدة باوصافه ويد خل عليه به قد ذهبت وهمه وشعوره كل سبب و
انقطع تعلقه بشئ سواه فهو معرض عن عدوه الذى كان سبب غضب سيده
عليه قد محى شهود ذلك من قلبه فهو مقصور النظر الى سيده وكونه فى قبضته ناظر الى ما
يصنعه منتظر منه ما يقتضيه عطفه وبره وكرمه ومثل الاول مثل عبد اسكله
عدوه وهو تحته للموت وذلك العبد يشاهد دنو اعدوه له ويتيقن بسيده
وسيده يحبه ويرحمه ولكن ما يحصل للثانى فى مشهده ذلك من الامور الغيبية
فوق ما يحصل للاول وهو منزله من قد اخذه محبوبه فهو تحته خنقه وهو
لا يشهد الا خنقه له فهو يقول اخنق خنقك فانت تعلم ان قلبى لك وفى
هذا المثل اشارة وكفاية ومن غلظ حجابه وكثفت طباعه لا ينفعه التصريح

فصلا

فصلا فى ضرب الامثال والله المستعان وعليه التكلان ولا قوة الا بالله فهذه
سته مشاهد المشهد السابع مشهد الحكمة وهو ان يشهد حكمة الله فى خليقته
بينه وبين الذنب واقداره عليه وجايه اسبابه له وانه لو شاء لعصمه وحال
بينه وبينه ولكنه خلى بينه وبينه لحكم عظيمه لا يعلم بجموعها الا الله احدها انه يحب
التوابين ويفرح بتوبتهم فلمحبته للتوبه وفرحه بها قضى على عبده بالذنب ثم اذا
كان ممن سبقت له العنايه قضى له بالتوبه الثانى تعريف العبد عزة الله سبحانه
فى قضائه ونفوذ مشيته وجريان حكمه الثالث تعريفه حاجته الى حفظه وصيانته
وانه ان لم يحفظه ويصنه فهو هالك لا بد والشياطين قد مدت ايديها اليه ليمزقه
كل ممزق الرابع استجلابه من العبد استعانته به واستعاذته به من عدوه
ومن نفسه ودعايه والتضرع اليه والابتهال بين يديه الخامس ارادته من عبده تكميل
مقام الذل والانكسار فانه متى شهد صولاحه واستقامته تنجح بانه وظن انه
وانه فاذا ابتلاه بالذنب تصاغرت عنده نفسه وتيقن وتحقق انه والله السادس
تعريفه بحقيقة نفسه وانها الظالمة الجاهلة وان كل ما فيها من علم او عمل او
حسن فمن الله من به عليه لا من نفسه السابع تعريفه عبده سعة حلمه وكرمه
فى ستره عليه فانه لو شاء لعاجله على الذنب ولفضحه بين عباده فلم يضع
معهم عيش الثامن تعريفه انه لا طريق له الى النجاه الا بعفوه ومغفرته التاسع
تعريفه كرمه فى قبول توبته ومغفرته له على ظلمه واساءته العاشر اقامة الحجة
على عبده فان له عليه الحجة البالغة فان عذبه فبعدله وبعض حق عليه بل اليسير
منه الحادى عشر ان يعامل عباده فى اساغ اليه وز لا تقع معه بما يحب ان يعامل
الله به فان الجزاء من جنس العمل ويعامل فى ذنوب الخلق معه ما يحب ان يصنعه
الله بذنوبه الثانى عشر ان يقع معاذير الخلائق وتتسع رحمته لهم مع انتهاك
امر الله فيقع عفو الله ورحمته لهم لا قسوة وغلظة عليهم الثالث
عشر ان يجامع صولة الطاعة والاحسان من قلبه فتتضاءل بوقته ورأيه
ورجحه الرابع عشر ان يعريه من رداء العجب بعمله كما قال النبى صلى الله عليه وسلم

الألوكة
www.alukah.net

الفيوم ليقوم لكل شئ من المخلوقات طابعها وعاصيها فكيف يكون قيوميته بمن اصبح
وتولاه واثره على ماسواه ورضي به من الناس حبيبا ورباو وكيلا وناصرا ومعينا وهاديا
فلو كشف على الطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لايعلم لذاب قلبه محبة له
وشوقا اليه وتقطع شكرا له ولكن حجب القلوب عن مشاهدة ذلك احلادها الى
عالم الشهوات والتعلق بالاسباب فصدت عن كمال نعيمها وذلك تقدير العزيز
العليم والاخاي قلب يذوق حلاوة معرفة الله ومحبته ثم يكون الى غيره وسكن
الى ماسواه هذا مالايكون ابدا ومن ذاق شيأ من ذلك وعرف طريقا موصلة الى
الله ثم تركها واقبل على ارادته وراحاته وشهواته ولذاته وقع في اثار المعاطب
واودع قلبه سجون المضايق وعذبه في حياته عذابا لم يعذب به احدا من العالمين
حيوته غم وهم وحزن وموته كمد وحسرة ومعاده اسف وندامة فلا فرح عليه
امره وشقت عليه نفسه واحضرت نفسه الغموم والاحزان فلا لذة الجاهلين ولا
راحة العارفين يستغيث فلا يغاث ويشتكي فلا يشكى قد ترحلت افراحه و
سروره مدبره والامه ليتضاعف احزانه وحسراته قد بدل باسه وحشه وبعزه ذلا
وبغناه فقرا وبجمعيته تشتتا وبالقرب والوصال بعدا ومقلي يظفر بقربهم والدلوه كان الانس للحاشا
ذلك بل العرف طريقا الى الله ثم تركها اتاكبا عنها على وجهه فابصر ثم عمي وعرف ثم انكر
واقبل على غيره ودعي فما اجاب وفتح له فولج ظهره الباب فقد ترك طريق مولاه و
اقبل بكليته على هواه فطوبى لبعض خطوة وتلذذ بواحدة وشق وبنه فهو مقيد
القلب عن الطلاقة في فسيح التوحيد وميادين الانس ورياض المحبة ومواد القرب
قد الحظ بسبب اعراضه عن الحق الى اسفل سافلين وحصل في عداد الهالكين
فنار الحجاب تطلع كل وقت على فؤاده واعراض الكون عنه اذا اعرض عن ربه حائل
بينه وبين مراده فهو يمشي على وجه الارض ورحمتي وحشة في جسمه وقلبه في ظلمة
من حيوته يفنى للموت ويشتهيه ولو كان فيه ما فيه حتى اذا جاءه الموت عاين تلك
الحال والعياذ بالله فلا تسأل عما حل به من العذاب الاليم بسبب وقوع الحجاب بينه

ربين

وبين مولاه الحق واحراقه بنار البعد عن قربه والاعراض عنه وقد حيل بينه و
بين سعادته وامنيته فلو توهم البعد المسكين هذه الحال وصورتها له
نفسه وارته اياها على حقيقتها لتقطع والله قلبه ولم يلتذ بطعام ولا شراب
ولخرج الى الصعدات نجارا الى الله ويستغيث به ويستغيثه في زمن الا
ستعتاب هذا مع انه اذا اثر شهواته ولذاته الفانية التي هي كخيال طيف و
مزنه صيف نغصت عليه لذتها اخوج ماكان اليها وحيل بينه وبينها اقهر
ما كان عليها وتلك سنة الله في خلقه كما قال تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون وهذا هو
عين اعراضه وايثار شهوته على مرضاة ربه فيفوق القدر عليه اسباب
مراده فيخسر الامرين جميعا ويكون معذبا في الدنيا بتنغيص شهواته
وسلط اهتمام يطلب مالم يقسم له وان قسم له منه شئ لحشوه الحزن والخوف و
الفكر والالام فهم لاينقطع وحسرة لاتنقضي وحرص لاينفد وذل لاينتهي وطمع
لايقلع هذا في هذه الدار فما في البرزخ فاضعاف اضعاف ذلك فكم حيل
بينه وبين ما يشتهي وغاية ماكان يتمناه من قرب ربه وكرامته ونيل ثوابه واحضر
جميع عمومه واحزانه اماني دار الخزي فيجيء امثاله من المجهودين المطرودين فوا
عوثاه ثم وعوثا وبغاث للمستغيثين وارحم الراحمين ومن اعرض عن الله بما
لطلبه اعرض الله عنه بالكلية ومن اعرض الله عنه لزمه الشقاء والبوس والنحس
في احواله واعماله وقارنه سوء الحال وفساده في دينه ومعاده فان القلب اذا اعرض
عن ربه دارت بها النحوس واظلمت ارجاءها وانحسفت انوارها وتهر عليها
وحشة الاعراض وصارت ماوى للشياطين وهدفا للشرور ومصبا للبلاء
فالمحروم كل المحروم من عرف طريقا اليه ثم اعرض عنها او وجد بارقة ما حيه ثم
سلبها لم يتعد الى ربه منها خصوصا ذا مال تلك الارادة الى شئ من اللذات
وانصرف بجملته الى تحصيل الاعراض الشهوات عاكفا عليها ذلك في ليله ونهاره

لو لم تزنوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وكما قال الخامس عشر ان يعريه من لباس الادلال الذي يصلح للملوك ويلبسه لباس الذل الذي لا يليق بالعباد سواء السادس عشر ان يستخرج من قلبه عبوديته بالخوف والخشية وتوابعها من البكاء والاشفاق والتذلل السابع عشر ان يعرفه معاملاته وفضله في توفيقه وعصمته فان من لا توفيق له العاقبة لا يعرف ما يقاسيه المبتلى ولا يعرف مقدار العافية الثامن عشر الله يستخرج منه محبته وشكره له اذا تاب اليه ورجع اليه فان الله يحب ويوجب له بهذه التوبة مزيد محبة وشكر ورضى لا يحصل بدون التوبة وان كان يحصل له بغيرها من الطاعات التاسع عشر لكن هذا الاثر الخاص لا يحصل الا بالتوبة التاسع عشر ان يشهد اساءته وظلمه واستكثاره القليل من نعم الله لعلمه بان الواصل اليه منها كثير على مسيء مثله فاستقلاله الكثير من عمله لعلمه بحسب الذي يصلح له ان يعمل بحاسته وذنوبه اضعاف اضعاف ما يفعله فهو دايما مستقل لعمله كائنا ما كان ولو لم يكن في فوائد الذنب الا هذه الحكمة الاخذ وحده لكان كافيا العشرون انه يوجب له التيقظ والحذر من مصايد العدو ومكايده ويعرفه من اين يدخل عليه وبماذا يحذر منه كالطبيب الذي ذاق المرض والدوا الحاذي والعشرون انه يرفع عنه حجاب الدعوى ان مثل هذا ينتفع به المرضى لمعرفته باسمائهم وادويتها الثالث والعشرون انه يرفع عنه حجاب الدعوى ويفتح له طريق الفاقة فانه لا حجاب اغلظ من الدعوى ولا طريق اقرب من العبودية فان دوام الفقر الى الله مع التخليط خير من الصفا مع العجب الرابع والعشرون ان يكون في القلب امراض هو غير لا يشعر بها فيطلب دواها فيمن عليه اللطيف الخبير ويقضي عليه بذنب ظاهر فيحدث له الم موضعه فيجتهد ويشرب الدوا النافع فيزول بذلك الامراض التي لم يكن يشعر بها وهو لم يشعر بهذه اللطيفة فغلظ حجابه كما قيل لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الاجسام بالعلل الخامس والعشرون ان يذيقه الم الحجاب والبعد بان يرتكب الذنب ليحمل بقلبه وروحه وسره اذا اقبل بقلبه اليه وجمعه عليه واقامه في طاعته فيكون التذاذه بذلك بعد ان صدر منه ما صدر بمنزلة التذاذه بذلك

بعد

بعد ان صدر منه ما صدر بمنزلة التذاذ الضمآن بالماء العذب الزلال والشديد الخوف بالامن والمحب الطويل الحجر بوصل محبوبه وان لطف الرب وبره واحسانه ليبلغ بعبده اكثر من هذا فيا بوس من اعرض عن معرفة ربه ومحبته السادس والعشرون امتحان العبد واختباره هل يصح لعبوديته وولايته ام لا فانه اذا وقع الذنب سلبه حلاوة الطاعة والقرب ووقع في الوحشة فان كان ممن يصلح اشتاقت نفسه الى لذة تلك المعاملة فحنت وانت وتضرعت واستعانت بربها ليردها الى ما عودها من بره ولطفه وان ركنت عنها واستمرأت الراحة فيما ولم تحن الى معهدها الاول والفتها ولم تحس بضد ربها وفاقتها الشديد الى مراحم فاطرها من ربها على انها لا تصلح لله وقد جاهد بعينه في اثر الحق لا احفظ السابع والعشرون ان الحكيم العليم اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الانسان وفي ذلك حكم عظيمة لصانعه تعالى ولا ريب انهما داعيان الى اثر هما وموجبها فلا بد من ترتب اثر داعي الشهوة والغضب في الانسان او بعضها ولو لم يخلق فيه هذه الدواعي لم يكن انسانا بل ملكا فالذنب من موجبات البشرية كما ان النسيان من موجباتها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل بني ادم خطاء وخير الخطائين التوابون ولا تتم الابتلا والاختبار الا بذلك والله اعلم الثامن والعشرون ان ينسيه ربه طاعته ويشغله برؤية ذنبه فلا يزال نصب عينيه فان الله اذا اراد خير اسلب ربه اعماله الحسنة من قلبه والاخطارها من لسانه وشغله برؤية ذنبه فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة فان ما تقبل من الاعمال رفع من القلب ربه ومن اللسان ذكره وقال بعض السلف ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها الجنة ويعمل السيئة فيدخل بها النار قالوا كيف يعمل قال يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه اذا ذكرها ندم واستقال وتضرع الى الله وبادر الى محوها وانكسر وذل لربه وزال عنه عجبه وكبره ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها ومن بها ويعتد بها ويتكبر بها حتى يدخل النار التاسع والعشرون ان شهود ذنبه وخطيئته يوجب له ان لا يرى له على احد فضلا ولا

الألوكة
www.alukah.net

على احد حقا فانه لا ينفد عيب نفسه وخطاها ودنوبها ولا يلقى الا خيرا من
مسلم يومن بالله واليوم الاخر واذا شهد ذلك من نفسه لم يرى لها على
الناس حقوقا من الاكرام يتقاضاها هو اياها ويذلهم على ترك القيام
بها فانها عنده احسن قدرا واقل فيه من ان يكون لها على عباد الله حقوق
يجب مراعاتها اولها عليهم وفضل يستحق ان يلزموه لاجله فيرى ان من
سلم عليه اولقيه بوجه ود احسن اليه وبذل له ما لا يستحقه فاستراح فى نفسه
واستراح الناس من تعنته وشكايته فما اطيب عيشه وما انعم باله وما اقر
عينه واين هذا من لا يزال عاتبا على الخلق شاكيا متزكيا قيامهم بحقه ساخطا
عليهم وهم عليه اسخط فسبحان ذى الحكمة الباهرة التى بهرت عقول العالمين
الثالث ان يوجب له الامساك عن عيوب الناس والفكر فيها فانه
فى شغل بعيبه ونفسه وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وويل
لمن نسى عيبه وتفرغ لعيوب الناس فالاول علامة السعادة والثانى علامة
الشقاوة الحادى والثلاثون انه يوجب له الاحسان الى الناس والاستغفار
لاخوانه الخاطئين من المؤمنين فيصير همه كله رب اغفر لى ولوالدى و
للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فانه يشهد ان اخوته الخاطئين
يصابون بمثل ما اصيب به محتاجون الى مثل ما هو محتاج اليه فكما يحب ان
يستغفر له اخوه المسلم يجب ان يستغفر هو لاخيه المسلم وقد قال بعض
السلف ان الله طاعت على الملائكة فقالوا اجعل فينا من يفسد فيها ويسفك
الدماء وامتحن هاروت وماروت جعلت الملائكة بعد ذلك تستغفر
لبنى آدم ويدعون الله لهم الثانى والثلاثون انه يوجب له سعة بطانة
وحلم ومغفرة لمن اساء اليه فانه اذا شهد نفسه مع ربه سبحانه مسيئا خاطئا
مذنبا مع فرط احسانه اليه وتوجه وشدة حاجته الى ربه وعدم استغنائه عنه
طرفة عين وهذا حاله مع ربه فكيف يليق به ان يستقيم له الخلق ويعاملونه

نحفو

بمحض الاحسان وهو لم يعاملى ربه بتلك المعاملة وكيف يطمع ان يطيعه مملوكه وولده
وزوجته فى كل ما يريد وهو يعصى ربه ليس كذلك وهذا يوجب له ان يغفر لهم ويسامحهم
ويعفو عنهم ويقضى عن الاستقصاء فى طلب حقه قبلهم كثيرا ما يتكرر فى القرآن
ذكر الانابة والامر بها كقوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له وقوله حكاية عن شعيب انه
قال وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله نبصره وذكرى لكل عبد منيب وقوله
ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من اناب وقوله عن نبيه داود وخر راكعا واناب والانابة
الرجوع الى الله وانصراف دواعى القلب وجواذبه اليه وهى تتضمن المحبة والخشية فان
المنيب محب لمن اناب اليه خاضع له خاشع ذليل والناس فى انابتهم على درجات
متفاوتة فمنهم المنيب الى الله بالرجوع اليه من المخالفات والمعاصى وهذه الانابة
مصدرها مطالعة الوعيد والحامل عليها العلم والخشية والحذر ومنهم المنيب اليه با
لدخول فى انواع العبادات والقربات فهو ساع فيها بجهده وقد حبب اليه فعل
الطاعات وانواع القربات وهذه الانابة مصدرها الرجاء ومطالعة الوعد والثواب
وحب الكرامة من الله وهولاء ابسط نفوسا من اهل القسم الاول واشرح صدورا
وجانب الرجاء ومطالعة الرحمة والمنة اغلب عليهم والاكمل من احد من الفريقين
منيب بالامرين جميعا ولكن خوف هولاء اندرج فى رجائهم فانابوا بالعبادات
ورجاء الاولين اندرج تحت خوفهم فانابتهم بترك المخالفات ومنهم
المنيب الى الله بالتضرع والدعاء والافتقار اليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها
منه ومصدر هذه الانابة شهود الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة فانزلوا
به هو انجم وعلقوا امالهم فانابتهم اليه من هذه الجهة مع قيامهم بالامر و
النهى ولكن انابتهم الخاصة اغلى من هذه الجهة واما الاعمال فلم يروا قيامها
الانابة الخاصة وامنع المنيب اليه عند الشدائد والضراء فقط انابة اضطرار
لا انابة اختيار كحال الذين قالوا فى حقهم واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون
الا اياه وقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وهولاء اكثر
قد تكون نفس ارواحهم ملتفتة على الله سبحانه معرضة عنه الى مالوف طبيعى

نحفو

وغدوه ورواحها بطا من الاوج الاعلى الى الحضيض الادنى قد مضت عليه برهة
من اوقات وكان هم الله وبغيته قربه ورضاه وايثاره على كل ما سواه عا
ذلك يصبح ويمسى ويضحى ويضى وكان الله فى تلك الحال وليه لانه اولى من تولاه
وحبيب كل احبه وولاه فاصبح سجن الهوى ثاويا وفى اسر العدو مقيما
رهين بالمعصيه ساقطا وفى ادوية الحيرة والتفرقة هائما معرضا عن المطالب
العالية الى الاعواض الخسيسة الفانية كان قلبه يجول حول العرش فاصبح محبوسا
فى اسفل الحش فاصبح كالباكى المنتف ريشه يرى حسرات كلما طار طائرا
وقد كان دهرا فى الرياض مغنيا على كل ما يهوى من الصيد قادرا الى ان اصابته من الدهر نكبه
اذا هو مقصوص الجناح حاسر فيا من ذاق شيأ من معرفة ربه ومحبته ثم اعرض
عنها واستبدل بغيرها منها يا عجبا له باى شئ تعوض وكيف قر قراره فيا طالب
الرجوع الى احبته وما تعرض وكيف اتخذ سوى احبته مسكنا اودخل قلبه لمن
عاداه مولاه من اجله وطنا ام كيف طاوعه قلبه على الاصطبار وافقد شئ ساكنه
الاغيار فيا معرضا عن حيوة الدائم ونعمه المقيم ويا بائعا سعادته العظمى بالعذاب الاليم
ويا مصيبا طا من حيوة وراحة وفوزه فى رضاه وطالبا رضى من سعادته فى ارضا سواه
انما هى لذة فانيه وشهوة منقضيه تذهب لذاتها ويبقى تبعاتها فرح ساعه لاشهر
وغم سنه بل دهر طعام لذيذ مسموم اوله لذه واخره هلاك فالعامل عليها والساعى فى
تحصيلها كدودة القز تسعى على نفسها المذاهب بما نسج عليها من المعاطب فيندم حيرا
لاتنفع الندامه ويستقيل حين لاتقبل الاستقاله فطوبى لمن اقبل على الله بكليته
وعكف عليه بارادته ومحبته فان الله يقبل عليه بتوليه ومحبته وعطفه ورحمته وان
الله كما انه اذا اقبل على عبد استنارت جهاته واشرقت ساحاتها وتبوءت
ظلاتها وظهر عليه اثار اقباله من بهجة الجلال واثار الجمال وتوجه اليه اهل الملاء الا
على بالمحبه والموالاة لانهم تبعوا هواه فاذا احب عبدا احبوه واذا والى وليا والوه
اذا احب الله العبد نادى يا جبرئيل انى احب فلانا فاحبه فينادى جبرئيل فى السماء
ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يحبه اهل الارض فيوضع له القبول

لعله
اوديه

بينهم

بينهم ويجعل الله قلوب اوليائه تعد اليه بالود والمحبه والرحمه وناهيك من توجه اليه
مالك الملك ذو الجلال والاكرام بمحبته وتقبل عليه بانواع كرامته ويلحظه الملاء الاعلى
واهل الارض بالتبجيل والتعظيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فاعلم ان السايرين الى الله والدار الاخرة على كل سايرين الى مقصد لايتم سيره ولايصل الى مقصوده
الا بقوتين قوة علميه وقوة عمليه فبالقوه العلميه يبصر منازل الطريق ومواضع السلوك
فيقصدها سايرا فيها وتجتنب اسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المزلقه
عن الطريق الموصل فقوة العلميه كنور عظيم يبثه فى ليله مظلم شديد الظلمه
فيبصر بذلك النور ما يقع الماشى فى الظلمه من مثل هذه الوهاد والمتالف ويعثر به من
الاحجار والشوك وغير ويبصر بذلك النور ايضا اعلام الطريق وادلتها المنصوبه
عليها فلا يضل عنها فلا كشف له النور عن الامرين اعلام الطريق وادلتها المنصوبه
عليهما فلا يصل ولا يصل عنها ومعاطبها وبالقوه العمليه يسير حثيثا بل السير هو حقيقة
القوة العمليه فان السير هو عمل المسافر وكذلك السايرالى ربه اذا ابصر الطريق واعلامها
وابصر المغاير والوهاد والطرق المتاكبه عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح و
بقى عليه الشطر الاخر وهو ان يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافرا فى الطريق قاطعا
منازلها منزلا بعد منزل فكلما قطع مرحله استعد لقطع الاخرى واستشعر
القرب من المنزل فهان عليه مشقة السفر وكلما سكنت نفسه من كلال السير وسواصله
الشد والرحل وعدها قرب التلاقى وبرح العيش عند الوصول فحدث لها ذلك
نشاطا وفرحا وهم نحو يقول يا نفس ابشرى فقد قرب المنزل ودنى التلاقى فلا
تنقطعى فى الطريق دون الوصول فيحال بينك وبين ما تامليه فان صبرت
وواصلت المسير اوصلت حميدة مسروره جذلة بانواع التحف والكرامات وليس
بينك وبين ذلك الا صبر ساعه فان الدنيا كلها كساعه من ساعات الاخره وعمر
درجه من درج تلك الساعه فالله الله لاتنقطع فى المفازه فهو والله المهلك والعطب
لو كنت تعلمين فان استصعبت عليك فليذكرها ما امامها من اجابها وما لديهم من
الاكرام والانعام وما خلفها من اعدابها وما لديهم من الاهانه والعذاب وانواع البلا
فان رجعت فالى اعدا بعيار جوعها وان ثوت من قالى احبابها مصيرها وان وقفت فى

ومفسانى قد حال بينها وبين انابتها بذاتها الى معبودها والهها الحق وهى ملتفتة الى
غيره ولها اليه انابة ما بحسب ايمانها به ومعرفتها له فاعلى انواع الانابات انابة
الروح بجملتها اليه لشدة المحبة الخالصة المحضة لهم عما سوى محبوبهم ومعبودهم و
حيث انابت اليه ارواحهم لم تخلف منهم شيء عن الانابة فان الاعضاء كلها رعيتها و
ملكها تابع للروح فلما انابت الروح بذاتها اليه انابة محب صادق المحبة ليس فوقه
ولا مفضل الا وفيه حب ساكن لمحبوبه انابت جميع القوى والجوارح فانابت القلب
ايضا بالمحبة والتضرع والذل والانكسار وانابت العقل بانفعاله لاوامر المحبوب
ونواهيه وتسليمها وتحكيمه اياها دون غيرها فلم يبق فيه منازعه شهوة معترضة
دونها وانابت النفس بالانقياد والانخلاع عن العوائد النفسانية والاخلاق الذميمة
والارادات الفاسدة وانقادت للامور خاضعة له وداعية فيه موثرة اياه على
غيره فلم يبق فيها منازعه شهوة تعترضها دون الامر وخرجت عن تدبيرها واختيارها
تفويضا الى مولاها الحق ورضى بقضائه وتسليما لحكمه وقد قيل ان تدبير العبد لنفسه
هو اخر الصفات المذمومة فى النفس وانابة الجسد بالاعمال والقيام بها فلم يبق من هذا الوجه
العبد المنيب عرق ولا مفصل الا وله انابة ورجوع الى الحبيب الحق الذى كل محبة سوى محبته
عذاب على صاحبها وان كانت عذوبتها فانها عذاب فى عواقبها فانابة العبد ولو
ساعة من عمره هذه الانابة الخالصة افضل واعظم ثمرة من انابة سنين كثيرة من غيره
فان انابة هذا من انابة من قبله وذلك فضل الله يوتيه من يشاء بل هذا روح منيبه
ابدا دون توارث عنه شهود انابتها باشتغال فحى كامنة فيها كمون النار فى الزناد واما
اصحاب الانابات المتقدمة فان انابة احدهم ساعة بالدعاء والذكر والابتهال فلنفسه
وروحه وقلبه وعقله التفاتات عن تلك الانابة الى محبوب بنصيب بعضه ساعة ثم يترك
ذلك مقبلا على دواعى نفسه وطبعه والله الموفق المعين لارب غيره ولا الا سواه

فاعلم ان طريق توصل الى الاستقامة فى الاحوال والاقوال والاعمال وهى شيآن
احدهما حراسة الخواطر وحفظها والحذر من اهمالها والاسترسال معها فان اصل
الفساد كله من قبلها نجى لانها هى بذر الشيطان والنفس فى ارض القلب فاذا

تكن

فاذا تمكن بذرها تعاهدها الشيطان بسقيه مرة بعد اخرى حتى تصير ارادات
ثم يسقيها حتى تكون عزائم ثم لا يزال يعالجها حتى تثمر الاعمال ولا ريب ان دفع الخواطر
ايسر من دفع الارادات والعزائم العبد نفسه عاجزا او كالعاجز عن دفعها
بعد ان صارت ارادة جازمة وهو المفرط اذا لم يدفعها وهى خاطر ضعيف كمثل
تصاعد شرارة من نار وقعت فى حطب يابس فلما علقت منه عجز عن اطفائها
فان قلت فما الطريق الى حفظ الخواطر قلت اسباب عدة احدها العلم الجازم
باطلاع الرب سبحانه ونظره الى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك الثانى حياؤك
منه الثالث اجلالك له ان يرى منك تلك الخواطر الخامس ايثارك له ان تشاركه
قلبك غيره محبته السادس خشيتك ان سولد تلك الخواطر وبشعر شرارها فتاكل
ماء القلب من الايمان ومحبة الله فيذهب به جملة وانت لا تشعر السابع ان تعلم ان تلك
الخواطر بمنزلة الحب الذى يلقى للطاير ليصاد به فاعلم ان كل خاطر منها فهو حبه فى فخ منصوب
لصيدك وانت لا تشعر الثامن ان تعلم ان تلك الخواطر الرديه لا تجتمع هى وخواطر
الايمان ودواعى المحبة والانابة اصلا بل هى ضدها من كل وجه وما اجتمعا فى قلب الا و
غلب احدهما صاحبه واخرجه واستوطن مكانه فما الظن بقلب غلبت خواطر
النفس والشيطان فيه خواطر الايمان والمعرفة والمحبة فاخرجتها واستوطنت
مكانها لو كان للقلب حياة لشعر بالم ذلك واحس غصابه التاسع ان يعلم ان
تلك الخواطر من الخور الخيال لا ساحل له فاذا دخل القلب فى غمراته غرق فيه
وتاه فى ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد اليه سبيلا فقلب تملكه الخواطر بهذه المثابة
الفلاح معذب مشغول عما لابد له العاشر ان تلك الخواطر هى وادى الحمقى واهلى الجاهلين
فلا يثمر لصاحبها الا الندامة والخزى واذا غلبت على القلب اورثته الوسواس وعزلته
عن سلطانه فاوقعت عليه رعيته والفتنه فى الاسر الطويل وكما ان هذا معلوم فى الخواطر
النفسانية فكذا الخواطر الايمانية الرحمانية هى اصل الخير كله فان ارض القلب متى
بذر فيها خواطر الايمان والخشية والمحبة والانابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب
وسقيت مرة بعد مرة وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها
اثمرت له كل فعل جميل وملأت قلبه من الخيرات واشتملت جوارحه على الطاعات واستقر

الألوكة
www.alukah.net

بها الملك في سلطانه واستقامت له رعيته ولهذا ما تحققت طائفة من السالكين
ذلك عملت على حفظ الخواطر فكان ذلك هو سيرها وحالها وهذا نافع لصاحبه
بشرطين احدهما ان لا يتركه واجبا والاسنة الثاني ان لا يجعل مجرد حفظها
هو المقصود بل لا يتم ذلك الا بان يجعل موضعها خواطر الايمان والمحبة والانابه
والتوكل والخشيه فتقرع قلبه من تلك الخواطر ويعوده باضدادها والاخير عالج
تقريعه منها معا كان خاسرا فلا بد من التفطن لهذا ومن هنا غلط اقوام من ارباب
السلوك وعلوا على القاء الخواطر وازالتها جملة فذرها فيها الشيطان انواع الشبه
والخيالات فضيعها تحقيقا وفتح رحمانيا وهجم فيها غالطون وانما هي خيالات وطرقات
شيطانيه والميزان هو الكتاب الناطق والفطره السليمه والعقل المولد
بنور النبوة والله المستعان فصل الثاني صدق التاهب للقاء الله وهذا من
انفع ما للعبد وابلغه في حصول استقامته فان من استعد للقاء الله انقطع قلبه
عن الدنيا وما فيها ومطالبها وحدث من نفسه بنيران الشهوات واخمدت فاقبل الى الله
وعكفت همته على الله وعلى محبته وايثار مرضاته واستحدثت همة اخرى وعلوما اخر وولد
ولادة اخرى تكون نسبة قلبه فيها الى الدار الاخرة كنسبة جسمه الى هذه الدار بعد ان كان
في بطن امه فتولد قلبه ولادة حقيقة كما ولد جسمه حقيقة وكما كان بطن امه حجابا لجسمه عن
هذه الدار فكذلك نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الاخره فخروج قلبه عن نفسه بارزا
الى الدار الاخرة كخروج جسمه عن بطن امه بارزا الى هذه الدار وهذا معنى ما يذكر عن المسيح انه
قال يا بني اسرائيل انكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين ولما كان اكثر الناس لم
يولدوا هذه الولادة الثانية ولا تصوروها فضلا عن ان يصدقوا بها فيقول القائل
كيف يولد الرجل الكبير ام كيف يولد القلب لم يكن لهذا الهاهنا ولا عن هذا فكيف يعزم
على الشيء من لا يعرفه ولا يصدق به ولكن اذا كشف حجاب الغفلة عن القلب صدق بذلك وعلم
انه لم يولد قلبه بعد والمقصود ان صدق التاهب للقاء الله هو مفتاح جميع الاعمال الصالحه
والاحوال الايمانيه ومقامات السالكين الى الله ومنازل السايرين اليه من اليقظه و
التوبه والانابه والمحبه والرجاء والخشيه والتفويض والتسليم وساير اعمال القلوب والجوارح
ومفتاح ذلك كله صدق التاهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد الفتاح العليم

لا اله غيره

لا اله غيره ولا رب سواه قاطع شريفه. الناس قسمان عليه وسفله فالعليون عرف
الطريق الى ربه وسلكها قاصد اللوصول اليه وهذا هو الكريم على ربه والسفاله من لم
يعرف الطريق الى ربه ولم يتعرفها وهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه ومن يهن الله فما له من مكرم
والطريق الى الله هي الحقيقه واحد لا تعدد فيه وهو صراط المستقيم الذي نصبه موصلا
لمن سلكه الله قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فوحد
السبيله لانه في نفسه واحد لا تعدد فيه وجمع السبل المخالفه لانها كثيرة متعددة
كما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن
يمينه وعن يساره ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرا
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ومن
هذا قوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فوحد النور الذي هو سبيله وجمع الظلمات
التي هي سبل الشيطان ومن فهم هذا فهم السر في افراد النور وجمع الظلمات في قوله الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور معان فيه سر لطيف من هذا
يعرفه من يعرف منبع النور كله ومن اين فاض وعاد اليه وان اصله كله واحد
واما الظلمات فهي متعددة بتعدد الحي المقتضيه لها وهي كثيره جدا لكل حي ظلمه
خاصه ولا ترجع الظلمات الى النور الهادي جل جلاله اصلا لا وصفا ولا ذاتا ولا اسما ولا
فعلا وانما ترجع الى مفعولاته فهو جاعل الظلمات ومفعولاته متعددة متكثره
بخلاف النور فانه يرجع الى العلم وصفته تعالى ان يكون كمثله شيء وهو نور
السموات والارض قال ابن مسعود ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والارض
من نور وجهه ذكره الدارمي عنه وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قلت يا رسول الله هل
رايت ربك قال نور اني اراه والمقصود ان الطريق الى الله واحد فانه الحق
والمبين والحق واحد مرجعه الى واحد واما الباطل والضلال فلا ينحصر بل كل ما
سواه باطل وكل طريق الى الباطل فهو باطل فالباطل متعدد وطرقه متعدده
واما ما يقع في كلام بعض العلماء ان الطريق الى الله متعدده متنوعه جعلها الله

الألوكة
www.alukah.net

في طريقها ادرکها اعداها فانهم وراهاني الطلب ولابد لها من تسع من هذه الاتسام العلائي
فلتختر ايها شاءت ولتجعل حديث الاحبه حاديها وسايقها ونور معرفتهم وارشادهم
هاديها ودليلها وصدق وداديهم وحبهم عذارها وشرابها ودواها ولايوحشك انفراده
في طريق سفره ولايغتر بكثره المنقطعين فانم انقطاعهم وبعاده واصل اليه دونهم
وحظه من القرب والكرامه مختص بدونهم فما معنى الاشتغال بهم والانقطاع معهم
وليعلم ان هذه الوحشه لاتدوم بل هي من عوارض الطريق فسوف تبدو اله الخيام و
سوق تخرج اليه المتلقون يطوفون بالسلامه والوصول اليهم فيا قرة عينه اذ ذاك
ويا فرحته اذ يقول باليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ولا يستوحش
مما يجده من كثافه الطبع ورطوبه النفس وبطوء سيرها وكلالها ادمن على السير واضب
عليه عدوا ورواحا وسحر اقرب من الدار وتلطفت تلك الكثافه وذابت تلك الجبا
بث والادران نظهرت عليهم همم المسافرين وسياهم فتبدلت وحشته انسا وكثافته
لطافه ودرنه طهاره فصل من الناس من يكون له القوه العلميه الكاشفه
عن الطريق ومنازلها واعلامها وعوارضها ومعايرها وتكون هذه القوه اغلب
القوتين عليه ويكون ضعيفا في القوه العمليه بيض الحقايق ولايعمل بموجبها ويرى
المتالف والمخاوف والمعاطب ولايتوقاها وهو مقتنع بالعلم مخضر العمل فاذا حضر العمل
شاركه الجهال في التخلف وغارقهم في العلم وهذا هو الغالب على اكثر المشتغلين بالعلم
بالعلم والمعصوم من عصمه الله فلا حول الا بالله ومن الناس من يكون له القوه العمليه الارادتيه
ويكون اغلب القوتين عليه وتقتضي هذه القوه السير والسلوك والزهد في الدنيا و
الرغبه في الاخره والجد والتشمير في العمل ويكون البصر عند ورود الشبهات في العقايد
والاخلاقات في الاعمال والاقوال والمقامات كما كان الاول ضعيف العقل عند
ورود الشهوات فذاك هذا من جهله وداء الاول من فساد ارادته وضعف عقله
وهذا حال اكثر ارباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق العلم بل على طريق
الذوق والوجد والعاده يرى احدهم اعمى عن مطلوبه لايدري من يعبد ولما
ذا يعبد فتاره يعبد بذوقه ووجده وتاره يعبد بعاده قومه واصحابه
من لبس معين او كشف راس او حلق لحيه ونحوها وتاره يعبد بالاوضاع

التي

التي وضعها بعض الملحدين لقوم وليس لم اصل في الدين وتاره يعبد باخذه نفسه و
بهواه كائنا ما كان وهنا طرق ومتاهات لايحصيها الا رب العباد فهولاء
كلهم عمي عن ربهم وعن شريعته ودينه لايعرفون شريعته ودينه الذي بعث به
رسله وانزل به كتبه ولايقبل من احد دينا سواه كما انهم لايعرفون صفات ربهم
التي يتقرب بها الى عباده على السنه رسله ودعاهم الى معرفته ومحبته من طريقها
فلا معرفه بالرب ولا عباده له من كملت له هاتان القوتان استقام له سيره الى
الله ورجي له الصعود وقوي على رد القواطع والموانع نحو الله وقوته فان القواطع
كثيره شاقها شديد لايخلص من جايلها الا الواحد بعد الواحد ولولا القواطع
والاقات لكان الطريق معموره بالسالكين ولوشاء الله لازالها وذهب بها
ولكن الله يفعل مايريد والوقت كالسيف فان قطعت والا قطعك
فاذا كان السير ضعيفا والهمه ضعيفه والعلم بالطريق ضعيفا والقواطع الخارجه والداخله
كثيره شديده فانه جهد البلاء ودرك الشقا وسوء القضا وشماته الاعداء الا
ان يتداركه الله برحمه منه من حيث لايحتسب فياخذ بيده ويخلصه من ايدي القواطع
والله ولي التوفيق فاعلم ان منفعه العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو
مسافر فيها الى ربه ومده سفره هي عمره الذي كتب له فالعمر هو مده سفر الانسان
في هذه الدار الى ربه ثم قد جعلت الايام والليالي مراحل لسفره فكل يوم وليله مرحله
من المراحل فلا يزال يطويها مرحله بعد مرحله حتى ينتهي السفر فالكيس الفطن
هو الذي يجعل كل مرحله نصب عينيه فيجتهد بقطعها سالما غانما فاذا قطعها
جعل الاخرى نصب عينيه ولا يطول عليه فيتقسوا قلبه ويمتد امله وتحضره التسويف
والوعد والتاخير والمطل بل يعد عمره تلك المرحله الواحده فيجتهد في قطعها بجده
ما لحضرته فانه اذا يتقن قصرها وسرعه انقضايها هان عليه العمل وطوعت له
نفسه الانقياد الى التزود فاذا استقبل المرحله الاخرى من عمره استقبلها كذلك
فلا يزال هذا دابه حتى يطوي مراحل عمره كلها فيجد سعيه وينتهي بما اعده ليوم
فاقته وحاجته فاذا طلع صبح الاخره وانقشع ظلام الدنيا يجد سراه و

الألوكة
www.alukah.net

ويغاب عنه كراه فما احسن ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه والسبان فلاحه
ثم الناس في قطع هذه المراحل قسمان قسم قطعوها مسافرين فيها الى دار الشقاء
فظلما قطعوا اسفها مرحله فريدا من تلك الدار وبعدوا عما يعلم وعن دار كرامته
فخلفوا تلك المراحل عساخط الرب ومعاداة رسله واوليائه ودينه
والسعي في اطفاء نوره وابطال دعوته دعوة وقاما مه دعوه غيرها فهو لاجعلنا اياهم
مراحل يسافرون فيها الى الدار التي خلقوا لها واستعملوها بعملها فهم محبوبون فيها
بالشياطين الموكلة بهم حتى يسوقوهم الى سائر لهم سوقا كما قال تعالى الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اى تزعجهم الى المعاصي والكفر ازعاجا وتسوقهم
سوقا القسم الثاني قطعوا تلك المراحل سايرين فيها الى الله والى دار السلام وهم ثلاثة
اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات باذن الله وهولاء كلهم مستعدون
للسير موقنون بالوصول الى الله ولكن متفاوتون في التزود وتقييد الزاد واختياره
وفي نفس السير وسرعته وبطئه فالظالم لنفسه مقصر في الزاد واخذ منها غير اخذ
منه ما يبلغه المنزل الاتي قدره وفي صفته بل مفرط في زاده الذي ينبغي له ان يتزوده ومع
ذلك فهو متزود ما يتاذى به في طريقه وتحل عنه اذاه اذا وصل المنزل لحسب
ما تزود من ذلك للموذي الضار والمقتصد اقتصر في الزاد على ما يبلغه ولم
يشد مع ذلك احمال التجارة الرابحة ولم تزود ما يضره فهو سالم غانم لكن فاته
المتاجر الرابحة وانواع المكاسب الفاخرة والسابق بالخيرات همه في تحصيل الارباح
وشد احمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل فهو يرى خسرانا ان يلاحظ شيئا مما يبلغه
ولا يتجر به فيجد ربحه يوم يتغابن التجار ما رباح تجارتهم فهو كرجل قد علم ان امامه
بلدة يكسب الدرهم فيها عشرة الى سبعمايه والكثر وعنده حاصل وله خبره بطريق
ذلك البلد وخبره بالتجارة فهو لو امكنه ان يبيع ثيابه وكل ما يملك حتى يحمل به
تجارة الى ذلك البلد لفعل فكذلك حال السابق بالخيرات باذن الله يرى خسرانا بينا
ان يمر عليه وقت في غير متجر فيتذكر بعون الله وفضله نبذة من متاجر الاصناف
الثلاثة ليعلم العبد من اي التجار هو فاما الظالم لنفسه فانه اذا استقبل مرحلة

يوم

يومه وليلته استقبلها وقد سبقت حظوظه وشهواته الى قلبه فحركت جوارحه طالبة
لها ساعيه فيها فاذا زاحمها حقوق ربه فتارة وتاره فمره ياخذ بالرخصه ومره
بالعزيمه ومره يقدم على الذنب وترك الحق تاونا ووعدا بالتوبه فهذا حال الظالم
لنفسه مع حفظ التوحيد والايمان بالله ورسوله واليوم الاخر والتصديق بالثواب
والعقاب ومرحله هذا مقطوعه بالربح والخسران وهو لاغلب منهما فاذا ورد اليقين
ميز الظالم من خسرانه وحصل ربحه وحله وخسرانه وحده وكان الحكم للراجح منهما
وحكم الله وراء ذلك لا يعدم فيه فضله وعدله فصل واما المقتصدون فانهم
دوا وظيفة تلك المرحله ولم يزيدوا عليها ولا نقصوا منها فلا حصلوا على ارباح
التجار ولا بخسوا الحق الذي عليهم فاذا استقبل احدهم مرحله يومه استقبلها
بالظهور التام والصلوة التامه في وقتها باركانها وواجباتها وشرايطها ثم
ينصرف منها الى مباحاته ومعيشته وتصرفاته التي اذن الله له فيها مشتغلا
بها قائما باعبائها مؤديا واجب الرب فيها غير متفرغ لنوافل العبادات
واوراد الاذكار والتوجه فاذا حضرت الفريضه الاخرى بادر اليها كذلك
فاذا اعملها انصرف الى حاله الاولى فهو كذلك سائر يومه فاذا جاء الليل
فكذلك الى حين النوم ياخذ مضجعه حتى ينشق الفجر فيقوم الى عذابه و
وظيفته فاذا جاء الصوم الواجب قام لحقه وكذلك الزكوة الواجبه والحج
الواجب وكذلك التطاول مع الخلق يقوم فيها بالقسط لا يظلمهم ولا
يترك حقه لهم فصل واما السابقون بالخيرات فهم نوعان ابرار
ومقربون وهولاء الاصناف الثلاثة هم اهل اليمين وهم المقتصدون و
الابرار والمقربون واما الظالم لنفسه فليس من اصحاب اليمين عند الاطلاق
وان كان مآله الى اصحاب اليمين كما انه لا يسمى مؤمنا عند الاطلاق
وان كان مصيره ومآله مصير المؤمنين بعد اخذ الحق منه وقد اختلف في قوله
جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب الاية هل ذلك راجع
الى الاصناف الثلاثة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات او تختص السبعين

www.alukah.net

صناف

الاخيرين وهما المقتصد والسابق دون الظالم على قولين فذهبت طايفة الى ان الا
الثلاثة كلهم في الجنة وهذا يروى عن ابن مسعود وابن عباس وابي سعيد الخدري و
عايشة ام المؤمنين وقال ابو اسحق السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة فكل
ناجٍ قال ابو داود الطاءي نبا الصلت ابن دينار ناعقبة بن صهبان الهنائي قال
سألت عايشة عن قوله الله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
فقالت لي يابني كلهم في الجنة فاما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله
يشهد له رسول الله بالجنة والرزق واما المقتصد فمن تبع اثره من اصحابه حتى
لحق به واما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال فجعلت نفسها معنا وقال ابن مسعود
هذه الامة يوم القيامة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحا
سبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث تجلوا بذنوب عظام فيقول
الله ما هؤلاء فيقولون كلا بكذبهم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول الله ادخلوهم
في سعة رحمتي فقال كعب تحاذت مناكبهم ورب الكعبة وتقاضلوا باعمالهم وقال
الحسن السابقون من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم
من خفت موازينه واحتج هذه الفرقة بان سبحانه سمى الكل مصطفين واخبر انه
اصطفاهم من جملة العباد ومحال ان يكون الكافر والمشرك من المصطفين لان الا
صطفاء هو الاختيار وهو افتعال من صفوة الشيء وهو خياره فعلم ان هؤلاء الا
صناف الثلاثة صفوة الخلق وبعضهم خير من بعض فسابقهم مصطفى عليهم
ثم مقتصدهم مصطفى على ظالمهم ثم ظالمهم مصطفى على الكافر والمشرك واحتجت
ايضا باثار وتقابل بما ذهبت اليه فمنها ما رواه سليمان التاذكوني
ناحصين بن بهرام عن ابن ابي ليلى عن اخيه عن ابيه عن اسامة ابن زيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال كلهم في الجنة ومنها ما رواه الطبراني نا احمد
ابن حماد بن زغبة نا يحيى ابن بكير نا ابن ابي الهيثم عن احمد بن حازم الغفاري عن صالح
مولى التوءمة عن ابي الدرداء قال قرا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فقال اما السابق فيدخل الجنة بغير حساب

واما

واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم فيحبس في طول المحشر ثم يتجاوز
الله عنه ومنها ما رواه زكريا الساجي عن الحسن ابن علي الواسطي عن ابي سعيد الخراعي
عن الحسن ابن سالم عن سعد ابن طريف عن ابي هاشم الطاءي قال قدمت المدينة فدخلت
مسجدها فجلست الى سارية فجاء حذيفة فقال الا احدثك بحديث سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمعته يقول يبعث الله تبارك وتعالى هذه الامة او كما قال ثلاثة اصناف
وذلك في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فا
لسابق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا والظالم
لنفسه يدخل الجنة برحمة الله ومنها ما رواه الطبراني عن محمد ابن اسحق ابن راهويه
نا ابي ناجرير عن الاعمش عن رجل سماه عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله
يقول في قوله فمنهم ظالم لنفسه الاية قال السابق بالخيرات والمقتصد يدخلان الجنة
بغير حساب والظالم لنفسه يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ومنها ما رواه
ابن لهيعة عن ابي جعفر عن يونس بن عبد الرحمن عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله
يقول في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله سابق
بالخيرات قال فاما السابقون فيدخلون الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا
يسيرا واما الظالمون فيحاسبون فيصيبهم عناء وكرب ثم يدخلون الجنة ثم يقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومنها ما رواه الحميدي نا سفيان نا
طعمة ابن عمرو الجعفري عن رجل قال قال ابو الدرداء لرجل الا احدثك بحديث احبك به لم
احدث به احدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الاية
قال جئت عن قال دخلوا الجنة جميعا واحتجت ايضا بالايات والاحاديث التي تشهد
بفناء الموحدين من اهل الكبائر ودخولهم الجنة واحتجت ايضا بان ظلم النفس انما
يراد بها ظلمها بالذنوب والمعاصي فان الظلم ثلاثة انواع ظلم في حق النفس باتباعها
شهواتها وايثارها لها على طاعة ربها وظلم في حق الخلق بالعدوان عليهم ومنهم
حقوقهم وظلم في حق الرب بالشرك به فظلم النفس اعاهو بالمعاصي وقد تواترت النصوص
بان العصاة من الموحدين مآلهم الى الجنة وقالت طايفة بل الوعد بالجنات اعاهو للمقتصد

الساجي

عليه وسلم

وهو اعلم

والسابق دون الظالم لنفسه فان الظالم لنفسه لا يدخل تحت الوعد المطلق والظالم لنفسه هنا
هو الكافر والمقتصد المؤمن العاصي والسابق المؤمن التقي وهذا يروى عن عكرمة
والحسن وقتادة وهو اختيار رجاعة من المفسرين منهم صاحب الكشاف ومنذر ابن سعيد
في تفسيره والرماني وغيرهم قالوا وهذه الاية متناولة لجميع اقسام الخلق شقيهم وسعيدهم
وهي نظير الواقعة قوله وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و
اصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون قالوا فاصحاب الميمنة هم
المقتصدون واصحاب المشئمة الظالمون لانفسهم والسابقون السابقون هم السابقون
بالخيرات قالوا ولم يصطف الله من خلقه ظالما لنفسه بل المصطفون من عباده صفوتهم
وخيارهم والظالمون لانفسهم ليسوا خيار العباد بل شرارهم فكيف يوقع عليهم اسم
المصطفين وتنا ولهم فعل الاصطفا قالوا وايضا وصفهم الله بهم اجاوبه والله
لا يحب الظالمين فلا يكونوا مصطفين قالوا ولان الظالم لنفسه وان كان ممن اورث
الكتاب فهو بتركه العمل بما فيه قاطع لنفسه والله سبحانه انما اصطفى من عباده من اورثه
كتابه ليعمل بما فيه فاما من بدله ولم يعمل به فليس من المصطفين من عباده قالوا ولان
الاصطفا افتعال من صفوه وهو خلاصته ولبه واصله اصتفى فابدلت التاء
طا لوقوعها بعد الصاد كالاصطباح والاصطلام ونحوه والظالم لنفسه ليس
صفوة العباد ولا خلاصتهم ولا لبهم فلا يكون مصطفى قالوا ولان الله سلم على المصطفين
من عباده فقال قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وهذا يقتضي سلامتهم من كل
شر وكل عذاب والظالم لنفسه غير سالم من هذا ولا هذا فكيف يكون من المصطفين
من عباده قال قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قالوا وايضا فطريقة القرآن
ان الوعد المطلق بالثواب انما يكون للمتقين لا للظالمين كقوله تعالى تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا فابن الظالم لنفسه هذا وقوله اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد
المتقون وقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين وقوله ان للمتقين مفازا حدايق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا الا لغو
الى قوله حسابا والقرآن مملوء من هذا ولم يجئ في موضع واحد باطلاق الوعد بالثواب
للظالم

للظالم لنفسه اصلا قالوا وايضا فقد جمع في القرآن ذكر الظالم لنفسه الذي معرض الوعيد
لا الوعد كقوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما
ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وقوله تعالى ربنا اعدل بين السفارنا وظلموا
انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق وقوله وما ظلمناهم ولكن انفسهم يظلمون وقالوا
ايضا فالظالم لنفسه هو الذي خفت موازينه ومن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت
خسارته والله تعالى في مقابلة كقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون وقوله فمن خفت
موازينه فامه هاوية وكيف يذكر وعد جنانه وكرامته للظالمين لانفسهم
للخلود موازينهم وايضا فقوله تعالى جنات عدن مرفوع لانه بدل من قوله
ذلك هو الفضل الكبير وهو بدل نكره من معرفه كقوله لنسفعن بالناصية ناصيه
كاذبه وحسن وقوعه مجي النكره موصوفه لتخصيصها بالوصف وقربها من المعرفه
ومعلوم ان المبدل منه وهو الفضل الكبير مختص بالسابقين بالخيرات والمعنى ان
سبقهم بالخيرات باذنه ذلك هو الفضل الكبير وهو جنات عدن يدخلونها وجعل
السبق بالخيرات نفس الجنات لانه سببها وموجبها قالوا وايضا فانه وصف جنتين
فيها بانهما اساور من ذهب ولؤلؤ وهذه جنات السابقين لا جنات المقتصدين
فان جنات الفردوس اربع كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جنتان
من ذهب انيتهما وحليتها وما فيها وجنتان من فضه انيتهما وحليتهما وما فيها
وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن ومعلوم
ان الجنتين الذهبيتين اعلى وافضل من الفضيتين فاذا كانت الجنتان الذهبيتان
للظالمين لانفسهم فمن يسكن الجنتين الفضيتين فعلم ان هذه الجنات المذكوره لا
تتناول الظالمين لانفسهم قالوا وايضا فان اقرب المذكورات الى ضمير الداخلين هم
السابقون بالخيرات فوجب اختصاصهم بالدخول الى الجنات المذكورات قالوا وفي
اختصاصهم بعد ذكر الاقسام بذكر ثوابهم والسكوت عن الاخرين ما هو معلوم من
طريقة القرآن اذ يصرح بذكر ثواب الابرار والمتقين والمخلصين والمحسنين ومن

الألوكة
www.alukah.net

وحجت حسنا تم ويذكر عقاب الكفار والفجار والظالمين لانفسهم ومن خفت موازينهم
وسكت عن القسم الذى فيه شقاوتان وله مادتان هذه طريقة القرآن كقوله ان الابرار
لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقوله فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وهذا كثير فى القرآن
وقالوا وفى السكوت عن شأن صاحب الشمائل تحذير عظيم وتخويف لهم فان امره
مرجا الى الله وليس عليه ضمان ولا له عنده وعد ولهذا كل الحذر وليبادر بالتوبة النصوح
التى تمحقه بالمرة فهم النجاة والفلاح قالوا وايضا فمن المحال ان يقع على احد من المصطفين
اسم الظلم مطلقا وانما يقع اسم الظلم مطلقا على الكافر كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا
مما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون
وقال والظالمون مالهم من ولى ولا نصير مع قوله الله ولى الذين امنوا والظالم لا ولى له فلا
يكون من المؤمنين قالوا وايضا من تدبر الآيات وتأمل سياقها وجدها قد استوعبت
جميع اقسام الخلق ودلت على مراتبهم فى الجزاء فذكر سبحانه ان الناس نوعان ظالم ومحسن
ثم ذكر قسم المحسن الى قسمين مقتصد وسابق ثم ذكر جزاء المحسن فلما فرغ منه ذكر الظالم
فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور
وقال ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وذكر انواع
العباد وجزاءهم قالوا وايضا فهذه طريقة القرآن فى ذكر اصناف الخلق الثلاثة كما
ذكرهم تعالى فى سورة الواقعة والمطففين وسورة الانسان فاما سورة الواقعة
فذكرهم فى اولها وفى اخرها فقال فى اولها وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى
جنات النعيم فاصحاب المشئمة هم الظالمون واما اصحاب اليمين فقسمان ابرار وهم
اصحاب الميمنة وسابقون وهم المقربون وفى اخرها فى ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم فذكر حالهم فى القيامة الكبرى فى اول السورة ثم ذكر
حالهم فى القيمة الصغرى فى البرزخ فى اخر السورة ولهذا قدم توسط قبله ذكر الموت وسكراته

الروح

فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ثم قال فان كان من المقربين
فروح الى اخرها واما فى اولها فذكر اقسام الخلق عقب قوله اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها
كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم
ازواجا ثلاثة واما سورة الانسان فقال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
فهؤلاء الظالمون اصحاب المشئمة ثم قال ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا
فهؤلاء المقتصدون اصحاب اليمين ثم قال عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا فهؤلاء
المقربون السابقون ولهذا خصهم بالاضافة اليه واخبر انهم يشربون تلك العين
صرفا محضة وانها تمزج للابرار مزجا كما قاله فى سورة المطففين فى شراب الابرار
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وقال يشرب بها المقربون ولم يقل منها
اشعارا بان ريهم بالعين نفسها خالصة لا بها وبغيرها فضمن يشرب معنى يروى فعدى
بالباء وهذا لطف ماخذ واحسن معنى من ان يجعل الباء بمعنى من ولكن شرب الفعل معنى فعل
اخر فتعدى تعديته وهذه طريقة الخلق من النحاة وهى طريقة سيبويه وائمة اصحابه
وقال فى الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا لان شرب المقربين لما كان اكمل
استغنى له الباء الدالة على شرب الرى بالعين خالصة دلالة القرآن الطف وابلغ من ان
يحيط بها البشر وقال تعالى فى سورة المطففين كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما ادراك
ما سجين كتاب مرقوم الى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال
هذا الذى كنتم به تكذبون فهؤلاء الظالمون اصحاب الشمال ثم قال كلا ان كتاب الابرار
لفى عليين وما ادراك ما عليون فهؤلاء الابرار المقتصدون واخبر ان المقربين يشهدون كتابهم
اى يكتب بحضرتهم ومشهدهم لا يغيبون عنه اعتناء واظهارا لكرامة صاحبه ومنزلته
عندربه ثم ذكر سبحانه نعيم الابرار ومجالستهم ونظرهم الى ربهم وظهور بضرة النعيم فى
وجوههم ثم ذكر شرابهم فقال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس
المتنافسون ثم قال ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون والتسنيم اعلا اشربة
الجنة فاخبر سبحانه ان مزاج شراب الابرار من التسنيم وان المقربين يشربونه منه بلا مزاج

الألوكة
www.alukah.net

ولهذا قال عينا يشرب بها المقربون كما قال في سورة الانسان سواء قال ابن عباس وغيره
يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين مزجا وهذا لان المزج اوفق ووافق العمل
فكما خلصت اعمال المقربين كلها لله خلص شرابهم وكما مزج ابرار الطاعات بالمباحات
مزج لهم شرابهم عن اخلص اخلص شرابه ومن مزج مزج شرابه ايا لاهيا في غمرة الجهل والهوى

صريعا على فرش الردى يتقلب تامل هداك الله مائم وانتبه فهذا شراب القوم حقا يركب
وتركيبه في هذه الاوان يفت فليس له بعد المنية مطلب فيا عجبا من معرض عن حيوله
وعن حظه العالي ويلهو ويلعب ولو علم المحروم اي بضاعة اضاع لامسى قلبه يتلهب
فان كان لا يدري فتلك مصيبة وان كان يدري فالمصيبة اصعب بلى سوف يدري حين يكشف الغطا
ويصبح مسلوب النوح وينسلب ويعجب ممن باع شيأ لدونه بساوى بلا علم وامر كاعجب
لاصحاب قد بعت الحيوة وطيبها بلذة حلم عن قليل سيذهب فهلا عكست الامر ان كنت حازما
ولكن اضعف الحزم والحلم يغلب تصد وتنأى كل حين وانما فاين عن الاحباب ويحك تذهب
ستعلم يوم الحشر اي تجارة اضعت اذا ذلك الموازين تنصب قالوا فهكذا هذه الايات

التي في سورة الملائكة ذكر فيها الاقسام الثلاثة الظالم لنفسه وهو من اصحاب الشمال وذكر المقتصد
المقتصد وهو من اصحاب اليمين وذكر السابقين وهم المقربون قالوا وليس في الاية ما
يدل على اختصاص الكتاب بالقرآن والمصطفين بهذه الامة بل الكتاب اسم جنس للكتب
التي انزلها على رسله فانه اورثها المصطفين من عباده من كل امة وهم الانبياء هم الذين ورثوه
اولا ثم اورثوه المصطفون من امتهم بعدهم قال تعالى ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاخبر انه اعطاهم الكتاب الذي هو هدى وذكرى لمن له قلب عقل به
الكتاب وعمل بما فيه والعامل بما فيه هو الذي اورثه الله علمه وتامل قوله تعالى وان اورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب كيف حذف الفاعل هنا وبنى الفعل المفعول لما
كان في معرض الذم لهم ونفى العلم عنهم ولما كان في سياق ذكر نعمه والآيه ومنه
عليهم قال واورثنا بني اسرائيل الكتاب ونظيره هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا ومن ذلك قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب وعملوا بما فيه ولما كان
الكلام في سياق ذمهم على اتباعهم شهوات نفوسهم وايثارهم العرض الفاني على حظهم من الآخرة

وتعاديهم

وتعاديهم في ذلك لم ينسب التوريث اليه بل نسبه الى المحل فقال ورثوا الكتاب ولم يقل اورثناهم
الكتاب وقد ذكرت نظير هذا في قوله اتيناهم الكتاب انه للمدح واورثوا الكتاب اما في
سياق الذم واما منقسم في كتاب التحفة المكية والمقصود ان الذين اورثهم الكتاب هم
المصطفون من عباده اولا واخرا قالوا واما قوله تعالى ممن ظالم لنفسه لا يرجع الى
المصطفين بل اما ان يكون الكلام قد تم عند قوله من عبادنا ثم استانف جملة اخرى و
ذكر فيها اقسام العباد وان منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق وتكون الكلام جملتين
مستقلتين بنى في احديهما انه اورث كتابه من اصطفاه من عباده وبنى في الاخرى ان من عباده
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق واما ان يكون المعنى تقسيم المرسل اليهم بالنسبه الى قبول
الكتاب وان منهم من لم يقبله وهو الظالم لنفسه منهم من قبله مقتصدا فيه ومنهم من قبله
سابقا بالخيرات باذن الله قالوا والذي يدل على هذا الوجه انه سبحانه ذكر ارساله في كل امة نذيرا
ممن تقدم هذه الامة فقال وان من امة الا خلا فيها نذير ثم ذكر ان رسلهم جاءتهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير والبينات الايات الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم والزبر
الكتب واحدها زبور بمعنى مزبور اي مكتوب والكتاب المنير من باب عطف الخاص على العام لتميزه على
المسمى العام بفضله وشرفه امتاز بها واختص بها عن غيره وهو كعطف جبريل وميكال
على الملائكة وكعطف اولى العزم على النبيين من قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم والكتاب المنير هاهنا هو التوراة والانجيل
ثم ذكر اهلاك المكذبين لكتابه ورسله فقال ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ثم
ذكر التالين لكتابه وهم المتبعون له العاملون بشواهده فقال ان الذين يتلون كتاب
الله واقاموا الصلوة الى قوله غفور شكور ثم ذكر الكتاب الذي خص به خاتم انبيائه
ورسله محمدا فقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه
ان الله بعباده لخبير بصير ثم ذكر من اورثهم الكتاب بعد اوليك وانه اصطفاهم لكتابه
اذ رده المكذبون ولم يقبلوا توريثه قالوا واما قولكم ان الاصطفا افتعال من
الصفوة وهي الخيار وهي انما تكون في السعداء فهذا بعينه حجة لنا في ان الظالم لنفسه
ليس ممن اصطفاه الله من عباده وقد تقدم تقريره قالوا واما الاثار التي رأيتموها
عن النبي في ذلك فكلها ضعيفة الاسانيد ومنقطعة لا تثبت كيف وهي معارضة باثار

فسلها وقوى منعاها لابن مردويه في تفسيره بسنده الى عبد الله بن الحسن بن احمد بن احمد بن محمد بن المغلي الادمي ناحفص بن عمر ناميارك بن فضاله
عن عبيد الله بن عمر وعن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه
قال الكفار قالوا واما النصوص الدالة على ان الموحدين يدخلون الجنة فصحيحة لا
شك فيها غير انها مطلقة ولها شروط وموانع كما ان النصوص الدالة على عذاب الكفار
صحيحة متواترة ولكن لها شروط وموانع يتوقف تحقق الوعيد عليها فكذلك نصوص الوعد
يتوقف مقتضاها على شروطها وانتفاء موانعها قالوا واما قوله ان ظلم النفس انما
يراد به ظلمها بالذنوب والمعاصي دون الكفر فليس بصحيح فقد ذكرنا في القرآن ما دل
على ان ظلم النفس يكون بالكفر والشرك ولم يبق في هذا الا قول موسى يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل وقوله وظلموا انفسهم فجعلناه احاديث ومزقناهم كل ممزق وتفاوتت
فقالت الطائفة الاولى لو تدبر القرآن حق تدبره واعطيت الايات حقها
من الفهم ورعيت وجوه الدلالة وسياق الكلام لعلم ان الصواب معها وان هذا
الاقسام الثلاثة هي الاقسام التي خلقت لها وهذا ظاهر جدا عند من عنده ادنى علم بالقرآن
الذي دلت عليه اخص من التقسيم المذكور في سورة الواقعة وان هذا التقسيم
ذلك تقسيم للناس الى شقي وسعيد وتقسيم السعداء الى ابرار ومقربين وذلك القسمة
خالد في ذكر العاصي الظالم لنفسه واما هذه الايات ففيها تقسيم الامة الى المحسن ومسيء وذلك القسمة
هو الظالم لنفسه والمحسن نوعان مقتصد وسابق بالخيرات فالى الوجود شاهد بهذا التقسيم
التقسيم بل هو اغلب اقسام الامة كيف وخلق القرآن عند ذكره وبيان حكمه ثم لما استوفى
اقسام الامة ذكر الخارجين عنهم وهم الذين كفروا فجمع الاية اقسام الخلق كلهم
وعلى ما ذهبت اليه بعض الاية قد اهملت ذكر القسم الاغلب الاكثر وكررت ذكر حكم
الطائفتين اولا وآخرا ولا ريب ان ما ذكرناه اولى لبيان حكم هذا القسم او عموم الفائدة و
ايضا فان قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا صريح في ان الذين اورثهم
الكتاب هم المصطفون من عباده وقوله فمنهم ظالم لنفسه اما ان يرجع الى الذين
اصطفاهم واما ان يرجع الى العباد ورجوعه الى الذين اصطفيناهم اولى لوجهين احدهما

ان قوله ومنهم مقتصد ومنهم سابق انما يرجع الى المصطفين لا الى العباد فلان قوله
فمنهم ظالم لنفسه ولا يقال بل الضمائر كلها تعود على العباد لان سياق الاية والاتيان
بالفاء والتقسيم المذكور كله يدل على ان المراد بيان اقسام الوارثين للكتاب لا بيان
اقسام العباد اذ لو اراد ذلك لاتى بلفظ يزيل الوهم ولا يلتبس به المراد بغيره وعلى
وجه الكلام عليكم على هذا ان يقال ومن عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا منهم وهذا معنى الكلام عندكم ولا ريب ان سياق
الاية لا يدل عليه انما يدل على انه اورث الكتاب طائفة من عباده وان تلك الطائفة
ثلاثة اقسام هذا وجه الكلام الذي يدل عليه ظاهره الثاني انك اذا قلت اعطيت
مالي ابا لغني من اولادي فمنهم تاجر ومنهم خازن ومنهم مبذر ومسرف هل يفهم من
هذا احد قط ان هذا التقسيم لجملة اولاده بل لا يفهم منه الا ان اولاده كما نوا في اخذهم
المال اقساما ثلاثة ولهذا آتى فيها بالفاء الدالة على تفصيل ما اجمله اولا كما اذا قلت
خذ هذا المال فاعط فلانا كذا واعط فلانا كذا ونظائره متعددة والوجه الاتيان
بالفاء هاهنا الا تفصيل المذكور اولا لا تفصيل المسكوت عنه والاية قد سكتت
عن تفصيل العباد الذين اصطفي منهم من اورثه الكتاب فالتفصيل المذكور ليس الا
فتامله فانه واضح قالوا واما قولكم ان الله لا يصطفي من عباده ظالما لنفسه لان الا
صطفاء هو الاختيار من الشيء صفوته وخياره الى آخر ما ذكرتم فجوابه ان كون
العبد مصطفى لله وليا له ومحبوبا له ولهذا ذلك من الاسماء الدالة على شرف منزلة العبد
ومقربته لله لا ينافي ظلم العبد نفسه احيانا بالذنوب والمعاصي بل ابلغ من ذلك ان
صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه ولهذا قال صديق الامة وخيارها للنبي على دعاء ادعوا
به في صلاتي فقال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي
مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء
والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاخبر سبحانه عن
صفات المتقين وانهم يقع منهم ظلم النفس والفاحشة لكن لا يصرون على ذلك

وقال والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فهؤلاء
الصديقون المتقون قد اخبر سبحانه ان لهم اعمالا سيئة يكفرها ولاريب ان حفظ النفس
وقال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم وقالا آدم ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال يونس لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقال تعالى لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء
فاني غفور رحيم واذا كان ظلم النفس لا ينافي الصديقية والولاية ولا يخرج العبد عن كونه
من المتقين بل يجتمع فيه الامران يكون وليا لله صديقا متقيا وهو مسيء ظالم لنفسه علم ان ظلم
لنفسه لا يخرج عن كونه من الذين اصطفاهم الله من عباده واورثهم كتابه اذ هو مصطفى
من جهة كونه من ورثة الكتاب عالما وعاملا ظالم لنفسه من جهة تفريطه في بعض
ما امر به وتعديه بعض ما نهي عنه كما يكون الرجل وليا لله محبوبا له من جهة ومبغوضا
من جهة اخرى وهذا عبد الله حمار كان يكثر شرب الخمر والله يبغضه من هذه الجهة
ويحب الله ورسوله والله يحبه ويواليه من هذه الجهة ولهذا لما لعنه النبي صلى الله عليه وسلم عن
لعنه وقال انه يحب الله ورسوله وتكلم المسألة ان الاصطفاء والولاية والصديقية و
كون الرجل من الابرار ومن المتقين ونحو ذلك كلها مراتب تقبل التجزي والانقسام والكمال
والنقصان كما هو ثابت باتفاق المسلمين في اصل الايمان وعلى هذا فيكون هذا الشخص
مصطفى من وجه ظالما من وجه لنفسه وظلم النفس نوعان نوع لا ينتقص به شيء من الايمان
والولاية والصديقية والاصطفاء وهو ظلمها بالشرك والكفر ونوع ينقص به حظه من الا
يمان والاصطفاء والولاية وهو ظلمها بالمعاصي وهو درجات متفاوتة في القدر والوصف
فهذا التفصيل يكشف قناع المسئلة ويزيل اشكالها بحمد الله قالوا واما قولكم ان قوله تعالى
جنات عدن مرفوع لانه بدل من قوله ذلك هو الفضل الكبير وهو مختص بالسابقين وذكر
حليتهم فيها من اساور من ذهب يدل على ذلك الماخر فجوابه من وجهين احدهما ان
هذا بعينه وارد عليكم فان المقتصد من اهل الجنات ومعلوم ان جنات السابقين بالخيرات
اعلى وافضل من جنانه فما كان جوابكم عن المقتصد فهو الجواب بعينه عن الظالم لنفسه فان
التفاوت حاصل من جنات الاصناف الثلاثة ويختص كل صنف بما يليق بهم ويقتضيه

مقامهم

مقامهم وعلمهم الجواب الثاني انه سبحانه ذكر جزاء السابقين بالخيرات هنا
مشوقا لعباده اليه منبها لهم على مقداره وشرفه وسكت عن جزاء الظالمين لانفسهم
لانهم والمقتصدين ليحذر الظالمون ويجد المقتصدون وذكر في سورة الانسان
جزاء الابرار منبها به على ما هو اعلى واجل منه وهو جزاء المقربين السابقين ليدل على ان
هذا اذا كان جزاء الابرار المقتصدين فما الظن بجزاء المقربين السابقين فقال ان الابرار
يشربون من كاس كان مزاجها كافورا الى قوله ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت
قواريرا من فضة الى قوله عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا فذكر هنا الاساور من الفضة والاكواب من الفضة
في جزاء الابرار وذكر في سورة الملائكة الاساور من الذهب في جزاء السابقين بالخيرات فعلم جزاء المقتصدين من سورة الانسان وعلم جزاء السابقين من سورة الملائكة
فانتظمت السورتان جزاء المقربين على اتم الوجوه والله اعلم باسرار كلامه وحكمه قالوا
وهذا هو الجواب عن قولكم ان الضمير يختص به اقرب مذكور اليه قالوا واما قولكم ان
الظالم لنفسه انما هو الكافر فقد تقدم جوابه وذكرنا ما يبطله قالوا واما قولكم
ان هذه الايات نظير ايات الواقعة وسورة الانسان وسورة الممتحنة في تقسيم
الناس الى ثلاثة اقسام اصحاب الشمال واصحاب اليمين والمقربون فلا ريب ان هذه
الاية وافية بالاقسام الثلاثة مع مزيد تقسيم اخر وهو تقسيم اصحاب اليمين الى ظالم
لنفسه ومقتصد فهي مشتملة على تلك الاقسام وزيادة قالوا واما قولكم ان الاشارة
على الاصناف الثلاثة هم السعداء اهل الجنة ضعيفة لا يقوم بها حجة فجوابه انها قد
بلغت في الكثرة الى حد يشد بعضها بعضا ونحن نسوق منها اثارا غير ما ذكرناه يعلم
به كثرتها وتعدد طرقها فروى بن مردويه في تفسيره من حديث سفيان عن الاعمش
عن رجل عن ابي ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي وسق
الي جليسا صالحا فقال ابو الدرداء ان كنت صادقا لانا اسعد بذلك منك سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم

الظن

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اما السابق بالخيرات يدخل
الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحاسب
في المقام حتى يدخله الهم والحزن ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقد ذكرنا فيما تقدم حديث ابن ابي ليلى عن
اخيه عيسى عن ابيه عن اسامة ابن زيد في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى ابن مردويه ايضا من
حديث الفضل ابن عمرو العبسي عن ميمون ابن سياه عن ابي عثمان النهدي قال سمعت
عمر بن الخطاب يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقد اعلم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات روى ايضا من حديث ابي داود عن شعبة عن الوليد بن العيزار قال
سمعت رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن ابي سعيد ان النبي قال في هذه
الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال كلهم في الجنة اوقال كلهم
بمنزلة واحدة قال شعبة احدهما رواه داود ابن ابراهيم عن شعبة به وقالوا
دخلوا الجنة كلهم بمنزلة واحدة هذا حديث صحيح الى شعبة واذا كان في حديثه
لم يطرح بل شد يديه به ورواه يحيى بن سعيد عن الوليد بن العيزار فذكره مثله
وروى محمد بن سعد عن ابيه عن عمه ثنا ابي عن ابيه عن ابن عباس في قوله ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال جعل الله اهل الايمان على ثلاث منازل
كقوله واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين والسابقون
السابقون اولئك المقربون هم على هذه المنازل قلت يريد ابن عباس ان
الله قسم اصحاب اليمين الى ثلاث منازل كما قسم الخلق في الواقعة الى ثلاث منازل
فان اصحاب الشمال المذكورين في الواقعة هم الكفار والمنكرون للبعث فكيف
يكون هذه منزلة من هو من منازل اهل الايمان ويجوز ان يريد ان الظالمين
لانفسهم المستحقين للعذاب هم من اهل الشمال ولكن ايمانهم يجعلهم آخرا

من

من اهل اليمين وروى من حديث معوية بن ابي صالح عن علي ابن ابي طالب عن ابن عباس
في هذه الآية قال هم امة محمد ورثهم الله كل كتاب انزله فظالمهم يغفر له و
مقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وروى عن
حديث عثمان ابن ابي شيبة ثنا الحسن ابن عبد الرحمن ابن ابي ليلى ثنا عمران ابن محمد ابن ابي
ليلى ثنا ابي عن الحكم عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن البراء ابن عازب او عن رجل عن البراء ابن عازب
قال قال رسول الله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
قال كلهم ناج وهي هذه الامة ورواه الفريابي ثنا سفيان عن ابن ابي ليلى عن الحكم عن رجل
حدثه عن البراء قال قال رسول الله في هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا الآية قال كلهم ناج وقال ادم ابن ابي اياس ثنا ابو حفص اله عن الازهري عن عبد الله
الخزاز سمعت سمع عثمان بن عفان يقول الا ان سابقنا اهل جهادنا الا وان مقتصدنا
اهل حضرنا الا وان ظالمنا اهل بدونا وقد تقدم حديث عايشة وابي الدرداء وحذيفة قالوا
هذه الآثار يشد بعضها بعضا وانها قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وسياق
الآية يشهد لها بالصحة فلا يعدل عنها والمقصود الكلام على المراحل العالين وكيفية
قطعهم اياها فلنرجع اليه فنقول اما الاشقيا فقطعوا تلك المراحل سايرين الى دار
الشقاء متزودين غضب الرب سبحانه ومعاداة كتبه ورسوله وما بعثوا به ومعاداة
اوليائه والصد عن سبيله ومحاربة من يدعوا الى دينه ومعاملة الذين يامرون بالقسط
من الناس واقامة دعوة غير دعوة الله التي بعث بها رسله لتكون الدعوة له وحده
فقطع هؤلاء الاشقيا مراحل اعمارهم في ضد ما يحبه الله ويرضاه واما السايرون
اليه فظالمهم قطع قطع مراحل عمره في غفلاته واتباع شهواته ولذاته على مراعاة
الرب سبحانه واوامره مع ايمانه بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر لكن نفسه مغلوبة
معه مأسورة مع حظه وهواه يعلم سوء حاله ويعترف بتفريطه ويعزم على الرجوع
الى الله فهذا حال المسلم واما من زين له سوء عمله فراه حسنا وهو غير معترف ولا مقر
ولا عازم على الرجوع الى الله والانابة اليه اصلا فهذا الالحاد اسلامه ان يكون صحيحا
ابدا ولا يكون هذا الا مسلوب القلب من الايمان ونعوذ بالله من الخذلان واما الابرار

الألوكة
www.alukah.net

المقتصدون فقطعوا مراحل سفرهم بالاهتمام باقامة امر الله وعقد القلب على ترك
مخالفته ومعاصيه فهذه همم مصروفة الى القيام بالاعمال الصالحة واجتناب الاعمال
القبيحة فاول ما يستيقظ احدهم من منامه يسبق الى قلبه القيام الى الوضوء والصلوة كما
امره الله فاذا ادى فرضه وقته اشتغل بالتلاوة والاذكار الى حين تطلع الشمس فيرتفع
الضحى ثم يذهب الى ما اقامه الله فيه من الاسباب فاذا حضر فرض الظهر بادر الى التطهير
والسعى الى الصف الاول من المسجد فاذا فرضه كما امر بكمالها بشرايطها واركانها و
سننها وحقايقها الباطنة من الخشوع والمراقبة والحضور بين يدى الرب فينصرف
من الصلوة وقد انورت فى قلبه وبدنه وسائر احواله انارة تبدو على صحائفه ولسانه وجوارحه
وتجد ثمرتها فى قلبه من الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور وقلة التكالب و
الحرص على الدنيا وعاجلها وقد نفت صلاته عن الفحشاء والمنكر وحبب اليه لقاء الله ونفرته
من كل قاطع يقطعه عن الله فهو معموم محموم كانه فى سجن حتى تحضر الصلاة فاذا حضرت قام
الى نعيمه وسروره وقرة عينه وحيوة قلبه فهو لا تطيب له الحيوة الا بالصلاة هذا وهم فى
ذلك كله يراعون لحفظ انفاسهم لا يخلون منها بما امكنهم فيقصدون من الوضوء كمال
ومن الوقت اوله ومن الصفوف اولها عن يمين الامام او خلف ظهره ويابون بعد الفريضة
بالاذكار المشروعة كالاستغفار ثلاثا وقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام وقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم
لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يسبحون
ويحمدون ويكبرون تسعا وتسعين ويختمون المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ومن اراد المزيد قرا اية الكرسى والمعوذتين عقب كل
صلاة فان فيها احاديث رواها النسائى وعزم ثم يركعون السنة على احسن الوجوه
هذا دابهم فى كل فريضة فاذا كان قبل غروب الشمس تفرغوا على اذكار المساء الواردة
فى السنة نظير اذكار الصباح الوارده فى اول النهار لا يخلون بها ابدا فاذا جاء الليل
كانوا قوامين على منازلهم من مواهب الرب سبحانه التى قسمها بين عباده فاذا اخذوا مضاجعهم

مضاجعهم اتوا باذكار النوم الوارده فى السنة وهى كثيرة تبلغ نحو من اربعين فيأتون
منها بما علموه وما يقدرون عليه من قراءة سورة الاخلاص والمعوذتين ثلاثا ثم يتمسحون
بها رؤسهم ووجوههم واجسادهم ثلاثا ويقرون اية الكرسى وخواتيم سورة البقرة
ويسبحون ثلاثا وثلاثين ويحمدون ثلاثا وثلاثين ويكبرون اربعا وثلاثين ثم يقول
احدهم اللهم انى اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امرى اليك والجاءت ظهرى
اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك الذى انزلت و
بنبيك الذى ارسلت وان شاء قال بنبيك الذى وضعت جنبى وبك ارفعه فان امسكت
نفسى فاغفرها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وان شاء قال اللهم رب
السموات السبع ورب العرش العظيم ربى ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والا
نجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شئ وانت
الاخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض
عنى الدين واغنى من الفقر وبالجملة فلا يزال يذكر الله على فراشه حتى يغلبه النوم وهو
يذكر الله فهذا منامهم عباده وزيادة له فى قربه من الله فاذا استيقظ عاد الى عادته
الاولى ومع هذا فهو قائم بحقوق العباد من عيادة المرضى وتشييع الجنائز واجابة
الدعوة واعانتهم بالجاه والبدن والنفس والمال وزيارتهم وتفقدهم وقيام بحقوق
اهله وعياله فهو منتقل فى منازل العبودية كيف نقله فيها الامر فاذا وقع منه تفريط
فى حق من حقوق الله بادر الى الاعتذار والتوبة والاستغفار ومحوه ومداواته
بعمل صالح يزيل اثره فهذا ديدنه وصيغته دائما واما السابقون المقربون فيستغرق
الله الذى لا اله الا هو اوقاتهم وصف حالتهم وعدم الانصاف به بل ما تشمئز اليه
رائحته ولكن محبة العلم تحمل على تعرف منازلهم والعلم بها وان كانت النفوس متخلفة
منقطعة عن اللحاق بهم ففى معرفة حال القوم والاعداد لها منفعة ما ان لا يزال المتخلف
المسكين مزريا على نفسه ذاما لها ومنفعة ان لا يزال منكسر القلب بين يدى ربه يعلم
ذليلا له حقيرا يشهد له منازل السابقين وهو فى زمرة المنقطعين ويشهد بضايع
الفجار وهو فى رفقة المحرومين ومنفعة انه عسى ان تنهض همته يوما الى التشبث و

الألوكة
www.alukah.net

والتعلق بساقه القوم ولو من بعد ومنها انه لعله ان يصدق في الرغبة والالحاء الى من بيده
الخير كله ان يلحقه بالقوم ويعطيه لاعمالهم وبصادق ساعة اجابه لايسال الله فيها
شيئا الا اعطاه ومنها ان هذا العلم هو من اشرف علوم العباد وليس بعد علم التوحيد
اشرف منه وهو لاينا سب الا النفوس الشريفة لايناسب النفوس الدنية الطينية
فاذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق اليه وتحبه وتأنس باهله فليبشر بالخير فقد
اهله فليقل لنفسه يا نفس فقد حصل لك شطر السعادة فاحرصي على الشطر الاخر
فان السعادة في العلم بهذا الشان والعمل به فقد قطعت نصف المسافة فهلا
تقطعين باقيها فتفوزين فوزا عظيما ومنها ان العلم بكل حال خير من الجهل فاذا
كان احد الشانين عالما بهذا الشان غير موصوف به والاخر جاهلا به غير
متصف به فهو خلو من الامرين فلا ريب ان العلم به خير من الجاهل به وان كان العالم
المتصف به خيرا منها فينبغي ان يعطى كل ذي حق حقه وينزل في مرتبته ومنها
انه اذا كان العلم بهذا الشان هو مطلوبه فلا ان ينال منه بحسب استعداده ولو لم يعط
الا بارقه ولوانه يحدث نفسه بالنهضه اليه ومنها انه لعله تجرى منه على لسانه ما ينتفع به
غيره بقصده او بغير قصده والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى ان يرحم بذلك العامل وبما
حمله فوائد العلم بهذا الشان لا تحصر فلا ينبغي ان تصغي الى من يثبطك عنه ويقول انه
لا ينفع بل احذره واستعن بالله ولا تعجز ولكن لا تغتر وفرق بين العلم والحال واياك
ان تظن ان مجرد العلم بهذا الشان قد صيرك من اهله هيهات ما اظهر الفرق بين العلم وبين
الغنى وهو فقير وبين الغنى بالفعل وبين العالم باسباب الصحه وحدودها وهو سقيم
وبين الصحيح بالفعل فاسمع الان وصف القوم واحضر ذهنك لشانهم العجب وحظهم
الجليل فان وجدت من نفسك حركه وهمه الى المشبه بهم فاجهد الله وادخل فالطريق واضح
والباب مفتوح واذا اعجبك خصال امرئ وتخلقه بكن مثل ما يعجبك

فلس على الجود والمكرمات اذا جئتها حاجب تحجبك فنهاء القوم عجيبة امرهم يخفى
الاعلى من له مشاركه مع القوم فانه يطلع من حالهم على ما يريه اياه الغور المشترك و
جمله امرهم انهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله وعمرت بمحبته وخشيته وجلاله

ومراقبته

ومراقبته فسورت المحبه في اخراهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل الا وقد دخله الحب قد
انساهم حبه ذكر غيره واوحشهم انسهم به عن سواه قد قنعوا بحبه عن حب من سواه و
بذكره عن ذكر من سواه وبخوفه ورجائه والرغبه اليه والرهبه منه والتوكل عليه والانابه اليه
والسكون اليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره فاذا وضع
احدهم جنبه على مضجعه صعدت انفاسهم الى الله ومولاه واجتمعوا اليه متذكرا صفاته
العلى واسمائه الحسنى مشاهدا له في اسمائه وصفاته قد تجلت على قلبه انوارها فانبعث قلبه
معرفة ومحبة فبات جسده في فراشه يناجي من مضجعه وقلبه قد اوى الى مولاه وحبيبه
فاواه اليه والسجود بين يديه خاضعا خاشعا ذليلا منكسرا من كل وجه من جهاته
فيالها سجدة ما اشد غمها من سجدة لا يرفع راسه منها الى يوم التلاق وقيل لبعض العارفين
اسجد القلب بين يدي ربه قال اي والله سجدة لا يرفع راسه منها الى يوم القيمه
فشتان بين قلب بيت عند ربه قد قطع في مسيره اليه بيداء الاكوان وخرق حجب
الطبيعه ولم يقف عند رسم ولا سكن الى علم حتى دخل على ربه في داره فشاهد عز
سلطانه وعظم جلاله وعلو شانه وكماله وهو مستو على عرشه يدبر امر
عباده ويصعد اليه شؤون العباد ويعرض عليه حوائجهم واعمالهم فيامر فيها بما
شاء فينزل الامر من عنده نافذا كما امر فيشاهد الملك الحق قيوما بنفسه مقيما كل
ما سواه غنيا عن كل من سواه وكل من سواه فقير اليه يساله من في السموات والا
رض كل يوم هو في شان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويفك عانيا وينصر ضعيفا ويجبر
كسيرا ويغني فقيرا ويعيت ويحيي ويسعد ويشقي ويضل ويهدي وينعم على قوم
ويسلب نعمه عن اخرين ويقيم اقواما ويذل اخرين ويرفع اقواما ويضع اخرين
ويشهده كما اخبر عن اهل الخلق به واصدقهم في خبره حيث يقول في الحديث
الصحيح يمين الله ملاى لا يغيضها نفقه سحاء الليل والنهار الا ترى ما انفق منذ
خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وبيده الاخرى الميزان يخفض ويرفع فيشاهد
كذلك يقسم الارزاق ويخول العطايا ويمن بفضله على من يشاء من عباده بيمينه و
باليد الاخرى الميزان يخفض من يشاء ويرفع به من يشاء عدلا منه وحكمة لا اله الا هو

الألوكة
www.alukah.net

هو العزيز الحكيم فيشهده وحده القيوم بامر السموات والارض ومن فيهن ليس له
بواب فيستاذن ولا حاجب فيدخل عليه ولا وزير فيوتى ولا ظهير فيستعان به ولا
ولى من دونه فيتشفع به اليه ولا نائب عنه فيعرفه حوائج عباده ولا معين له فيعاونه
على قضايها احاط سبحانه بها علما ووسعها قدره ورحمه فلا يزيده كثره المسايل ولا
الاجود اوكرما فلا يشغله عنها شان عن شان ولا يغلطه كثره المسايل ولا
يبرم بالحاح الملحين لو اجتمع اول خلقه واخرهم وانسهم وجنهم وقاموا فى صعيد وا
حد ثم سالوه فاعطى كلا منهم مسالته ما نقص ذلك مما عنده ذره واحده الا كما
ينقص الخيط المجرد اذا غمس فيه ولو ان اولهم واخرهم وانسهم وجنهم كانوا على اتقى
قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيا ذلك بانه الغنى الجواد الماجد فعطاه
كلام وعذابه كلام انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وسعد كما اخبر
عنه الصادق المصدوق حيث يقول ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط
ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو
كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه وبالجمله فيشهده فى كلامه
فقد تجلى سبحانه وتعالى لعباده فى كلامه وتراى لهم فيه وتعرف اليهم فيه فبعدا
وتبا للجاحدين والظالمين انى الله شك فاطر السموات والارض لا اله الا هو الرحمن
الرحيم فاذا صارت صفات ربه واسمايه مشهدا لقلبه استنه ذكر عبده و
شغلته عن حب من سواه وجذبت دواعى قلبه الى حبه تعالى بكل جزء من اجزاء
قلبه وروحه وجسمه فحينئذ يكون الرب سبحانه سمعه الذى يسمع به وبصره الذى
يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش
وبه يمشى كما اخبر عن نفسه على لسان رسوله ومن غلظ حجابه وكثف طبعه و
صلب عوده محجوب عن فهم هذا بمعزله بل لعله ان يفهم منه غير المراد منه فيحرف
معناه ولفظه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد ذكرت معنى الحديث
والرد على من حرفه وغلط فيه فى كتاب التحفه المكيه وبالجمله فينبغى قلب العبد
الذى هذا شانه عرشا للمثل الاعلى اى عرش المعرفه لمحبوبه ومحبته

وعظمته

وعظمته وجلاله وكبريائه ونواهيه تقلع هذا شانه فما له من قلب من ربه ما
ادناه ومن قربه ما اخطاه فهو يتزه قلبه ان يساكن سواه او يطمين بغيره
فهو لا تخلو بهم قد قطعت الاكوان وسجدت تحت العرش والبواطن فى قبضته
كما قال ابو الدرداء اذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش
فان كان طاهرا اذن لها فى السجود وان كان جنبا لم يوذن لها بالسجود وهذا
والله اعلم هو السر الذى لاجله امر النبى صلى الله عليه وسلم الجنب اذا اراد النوم ان
يتوضا وهو اما واجب على احد القولين واما مؤكد الاستحباب على القول الاخر
فان الوضوء يخفف حدث الجنابه او يجعله طاهرا فى بعض الوجوه ولهذا روى
الامام احمد وسعيد بن منصور وغيرهما عن اصحاب رسول الله صلعم اذا كان
احدهم جنبا ثم اراد ان يجلس فى المسجد توضا ثم جلس فيه وهذا مذهب الامام
احمد وغيره مع ان المساجد لا تحل الجنب على ان وضوءه رفع حكم الجنابه المطلقه الكامله
التى تمنع الجنب من الجلوس فى بيت الله وتمنع الروح من السجود بين يدى الله سبحانه
فتامل هذه المسئله وفقهها واعرف بها مقدار فقه الصحابه وعمق علومهم فهل ترى
احدا من المتاخرين وصل الى مبلغ هذا الفقه الذى خص الله به خيار عباده
وهم اصحاب نبيه وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فاذا استيقظ هذا القلب من منامه صعد الى الله بهمه وحبه وشوقه مشتاقا اليه
طالبا له محبا له عاكفا عليه محالا كمال المحب الذى غاب عن محبوبه الذى لا غنى له عنه ولا بد
له منه وضرورته اليه اعظم من ضرورته الى النفس والطعام والشراب فاذا نام غاب عنه فاذا
استيقظ عاد الى الحنين اليه والى الشوق الشديد والحب المقلق فجيبه اخر خطراته
عند منامه واول ما عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه اخر شى التقى كل
همه واول شى انت عند هبوبى فقد افصح هذا المحب عن حقيقة المحبه وشروطها
فاذا كان هذا فى محبه مخلوق لمخلوق فما الظن فى محبه المحبوب الاعلى فاف للمحبه لا
يصلح لهذا ولا يصدق به لقد صرفت عنه خير الدنيا والاخره فصل فاذا استيقظ
احدهم وقد بدا الى قلبه هذا الشان فاول ما يجرى على لسانه ذكر محبوبه والتوجه اليه

قلب

واستعطافه والتملق بين يديه والاستعانة به ان لا يخلي بينه وبين نفسه وان لا يكله اليها
فيكله الى ضعفه وعجزه وذنبه وخطيئته بل يكلاه كلاية الوليد الذي لا يملك لنفسه ضرا
ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فاول ما يبدا به الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور متدبرا لمعناها عن ذكر نعمه الله عليه بان احياه بعد نومه الذي هو اخو
الموت واعاده الى حاله سويا سليما محفوظا مما لا يعلمه ولا يحيط به من الموذيات
والمهلكات التي هو عرض وهدف لسهامها كلها تقصده بالهلاك والاذى التي كل
بعضها ارواح شياطين الانس والجن فانها تلتقي بروحه اذا نام فتقصد اهلاكه
واذاه فلولا ان الله سبحانه يدفع عنه فاسلم هذا وكم تلتقي الروح في تلك الغيبة من
انواع الاذى والمخاوف والمكاره والتقريعات ومحاربة الاعداء والتشويش والتخليط
بسبب ملاستها لتلك الارواح فمن الناس من يشعر بذلك لرقة روحه ولطافتها
ويجد اثار ذلك فيها اذا استيقظ من الوحشة والخوف والفزع والوجع الروحي
الذي رعا غلب حتى يرى الى البدن ومن الناس من يكون روحه اغلظ والكف واقسى من
ان تشعر بذلك فهي متخمة بالجراح مزمنة بالامراض ولكن لموتها لا تحس بذلك هذا
وكم من مريد لاهلاكك جمعه من الهوام وغيرها وقد حفظك منه فهي في اجحارها محبوسة
عنه لو خليت وطبعها لاهلكته فمن ذا الذي كلاه وحرسه وقد غاب عنه جمعه وعلمه
وسمعه وبصره فلو جاء البلاء من كل مكان حاكم لشعر به ولهذا ذكر سبحانه هذه النعمة
واعدها عليهم من جملة نعمه فقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار بل هم عن ذكر ربهم معرضون
فاذا تصور العبد ذلك فقال الحمد لله كان حمده ابلغ واكمل من احد الغافل عن ذلك
ثم تفكر في ان الذي اعاده بعد هذه الاماتة حيا سليما قادر على ان يعيده بعد
موتته الكبرى حيا كما كان ولهذا يقول بعدها واليه النشور ثم يقول لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم يريد وضوءا ويتضرع ثم يتوجه الى الوضوء
بقلب حاضر مستحضر ما يريد ثم يصلي ما كتب الله له صلوة محب ناصح لمحبوبه
متذلل منكسر بين يديه لا صلاة ملل يهاعليه يرى من اعظم نعم محبوبه عليه

ان اقامه واناما غيره واستنارة وطرد عنه واهله وحرم غيره فهو من مزاد بذلك
محبة الى محبته يرى ان قوة عينه وحيوة قلبه واجتماع همه ونعيمه ولذته وسروره في تلك
الصلوة فهو يتمنى طول ليله ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى المحب لقاء من يحبه ويهتم
فهو كما قيل يود ان ظلام الليل دام ولم يزد فيه سواد القلب والبصر فهو
يتملق فيها علام مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ويناجيه بكلام معطيا
لكل اية حظها من العبودية فتجذب قلبه وروحه اليه اية المحبة والوداد والاية
التي فيها الاسماء والصفات والاية التي تعرف بها الى عباده بالاياته وانعامه عليهم
واحسانه اليهم ويطيب له السير اية الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة فيكون له عند
الحادي الذي تطيب له السير ويهون عليه ويقلقه اية الخوف والعدل والانتقام واحلال
غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره الماثلين الى سواه فيجمعه عليه ويغمه ان
يشرد قلبه عنه فتامل هذه النكتة وتفقه فيها والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله
وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه ويعطي كل اية حظها من عبودية
قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بانها كلام الله بل الزائد على نفس فهمها
ومعرفة المراد منها ثم شان اخر لو فطن له العبد العالم الله كان قبل يلعب كما قيل
وكنت ازى ان قد نهيت عن الهوى الى غاية ما بعدها هي مذهب فلما تلاقينا وعاينت حسنها
تيقنت اني اغا كنت العب فوا اسفا واحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفد العمر والقلب محجوب
ما ثم لهذا رايحة وخرج من الدنيا كما دخل اليها وما ذاق اطيب ما فيها بل عاش فيها عيش البهائم
وانتقل منها انتقال المفاليس فكانت حيوته عجزا وموته كمدا ومعاده حسرة واسفا اللهم
فلك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة
الا بك فصل فاذا صلى ما كتب الله جلس مطرقا بين يدي ربه هيبة له واجلالا واستغفره
استغفار من قد تيقن انه هالك ان لم يغفر له ويرحمه فاذا قضى من الاستغفار وطرا
وكان عليه بعد ليل اضطجع على شقه الايمن لحما نفسه ممحاقا متوليا لها على اداء ما
ضيعه الفرض فيستقبله شيطانه وعدته كانه لم يزل نائما طول ليلته لم يعمل شيا
فهو يريد ان يستدرك ما فاته في صلاة الفرض فيصلي السنة ويتوسل الى الله بينها وبين

الفريضة فان لذلك الوقت شانا عظيما يعرفه من عرفه وينكره من قول ياحي يا قيوم
لا اله الا انت فلهذا الذكر في هذا الوقت تاثير عجيب ثم ينهض الى صلوة الصبح
قاصدا الصف الاول عن يمين الامام وخلف فتاه فان تعانه ذلك فصيد
القرب منه ما امكن فان للقرب من الامام تاثيرا في سر الصلوة ولهذا القرب
تاثير في صلاة الفجر قاصد يعرفه من عرف قوله تعالى وقران الفجر ان قران الفجر
كان مشهودا قيل يشهده الله عز وجل وملايكته وقيل يشهده ملايكة الليل و
ملايكة النهار فتتفق نزول هولاء الملايكة عند صعود اوليك فيجتمعون في
صلوة الفجر وذلك لانها في اول ديوان النهار واخر ديوان الليل فيشهدها
ملايكة الليل وملايكة النهار واحتج لهذا القول عاني الصحيح من حديث الزهري
عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل صلاة الجميع
على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في
صلاة الفجر يقول ابو هريرة اقراوا ان شئتم وقران الفجر ان قران الفجر كان
مشهودا رواه البخاري في صحيحه قال اصحاب القول الاول وهذا لا ينافي قولنا
وهو ان يكون الله سبحانه وملايكة الليل والنهار يشهدون قران الفجر و
ليس المراد الشهادة العامة فان الله على كل شئ شهيد بل المراد شهادة
خاصة وهي شهادة حضور ودنو متصل بدنو الرب ونزوله الى سماء
الدنيا في الشطر الاخير من الليل وقد روى الليث ابن سعد حدثني زياد بن
محمد عن محمد ابن كعب القرظي عن فضالة ابن عبيد الانصاري عن ابي الدرداء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات
يبقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الاولى الذي لم يره غير فيمحو الله
ما يشاء ويثبت ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن وهي داره التي
لم تعن ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه لا يسكنها معه من بني ادم
غير ثلاثة وهم النبيون والصديقون والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك
ثم ينزل في الساعة الثالثة الى سماء الدنيا بروحه وملايكته فتنتفض فيقول فيقول

بعزتي

بعزتي ثم يطلع الى عباده فيقول هل من مستغفر فيغفر له الا من سايل يسالني
فاعطيه الا من داع يدعوني فاجيبه حتى يكون صلاة الفجر ولذلك يقول الله عز وجل
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يشهده الله عز وجل وملايكته ملايكة
الليل والنهار ففي هذا الحديث ان النزول يدوم الى صلاة الفجر وعلى هذا فيكون
شهود الله سبحانه لصلاة الفجر مع شهود ملايكة الليل والنهار له و
هذه خاصة لصلاة الصبح ليست لغيرها من الصلوات وهذا الاتيا في دوام النزول
في سايرالاحاديث الى طلوع الفجر ولا سيما وهو مطلق في بعضها على اعجاز الصبح
وهو اتساع ضوءه وفي لفظ حتى يضئ الفجر وفي لفظ حتى يطلع الفجر وذلك الصبح
هو وقت قراة الفجر وهذا دليل على استحباب تقديمها مع مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم
وخلفاوه الراشدين على تقديمها في اول وقتها فكان النبي يقرا فيهما الستين
الى المايه ويطيل ركوعها وسجودها وينصرف منها والنساء لا يعرفن من الغلس
وهذا لا يكون الامع شدة التقديم في اول الوقت لتقع القراة في وقت النزول
فيحصل الشهود المخصوص مع انه قد جاء في بعض الاحاديث مصرحا به دوام
ذلك الى الانصراف من صلاة الصبح رواه الدارقطني في كتاب نزول الرب
كل ليلة الى سماء الدنيا من حديث محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله
قال ينزل الله عز وجل الى سماء الدنيا لنصف الليل الاخر والثلث الاخر يقول
من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه من ذا الذي
يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر وينصرف القاري من صلاة الصبح رواه
عن محمد جماعة منهم سليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر والدراوردي و
حفص بن غياث ويزيد ابن هرون وعبد الوهاب بن عطاء ومحمد بن جعفر و
المنظر بن شميل كلهم قالوا وينصرف القاري من صلوة الفجر فان كانت هذه اللفظة
محفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى صحيح في المعنى كما شهد له المراد وان لم تكن محفوظة
وكان من شك الراوي هل قال هذا او هذا فقد قدمنا انه لا منافاة بين اللفظين
وان حديث الليث بن سعد عن محمد بن زياد يدل على دوام النزول الى وقت
صلاة الفجر وان تعليقه بالطلوع لكونه اول الوقت الذي يكون فيه الصعود

www.alukah.net

كما رواه يونس ابن ابي اسحق عن ابيه عن الاغر ابي مسلم قال شهدت على ابي هريرة
وابي سعيد الخدري انهما شهدا على النبي انه قال ان الله عز وجل يمهل حتى اذا ذهب
ثلث الليل هبط الى هذه السماء امر بابواب السماء ففتحت ثم قال هل من سائل فاعطيه
هل من داع فاجيبه هل من مستغفر فاغفر له هل من مستغيث اغيثه هل من مضطر اعشه
عنه فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر فاذا طلع الفجر في كل ليلة من الدنيا نزل بيعد الى السماء قال الدار قطني
فزاد فيه يونس بن اسحق زيادة حسنة والمقصود ذكر القرب من الامام في صلوة الفجر وتقدمها
في اول وقتها والله اعلم فصل فاذا فرغ من صلوة الصبح اقبل بكليته على ذكر الله والتوجه
اليه بالاذكار التي شرعت اول النهار فجعلها ورده الذي لا يخل به ابدا ثم يزيد عليها ما شاء من
الاذكار الفاضلة او قراءة القرآن حتى تطلع الشمس حسنا فاذا طلعت فان شاء ركع ركعتي الضحى
وزاد ما شاء وان شاء قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعا الى ربه سائلا له ان يكون ضامنا
عليه متصرفا في مرضاته يقيه يومه ولا يتقلب الا في شيء يظهر له فيه موضاة ربه وان كان
من الافعال العادية الطبيعية فليعبد ربه فيه وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب و
بالجملة فيقف عند اول الداعي الى فعله فيفتش ويستخرج منه منفذا ومسلكا يسلك به الى ربه
فيتقلب في حقه عباده وقربه وشتان هم بين هذا وهذا وبين من اذا عرض له امر من
اوامر الرب لا بد له من فعله وفتش فيه على مراد نفسه وعرض لطبعه فقعله لاجل ذلك و
جعل الامر طريقا له ومنفذا لمقصده فشتان ما فاوت بين النفوس الى هذا الحد والغاية
هذا عباداته عادات والاول عادته عبادات فاذا جاء فرض الظهر بادر اليه مكملا له
ناصحا فيه لمعبوده كناصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذي قد طلب منه ان يعمل له شيئا ما
فهو لا يبقي مجهودا بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه واصلاحه واعماله ليقع
موقعا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه فلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده
ان لا يكون في عمله هكذا وهو يرى المحبين في اشغال محبوبهم من الخلق كيف يجتهدون ويبلغون
ايقاعها على احسن وجه واكمله بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق فلا اقل من ان يكون
مع ربه بهذه المثابة ومن انصف نفسه وعرف اعماله استحى من الله ان يواجهه بعمل او يرضاه لربه
وهو يعلم من نفسه انه لو عمل لمحبوب له من الناس عملا لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئا
الا فعله وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع اعماله فهو يعلم انه لا يوفي هذا المقام

حقه

حقه فهو ابدا يستغفر الله عقيب كل عمل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلوة
استغفر ثلاثا وقال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن مدوا الصلوة الى
السحر ثم جلسوا يستغفرون ربهم وقال تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم فامر سبحانه بالاستغفار بعد الوقوف بعرفة والمزدلفة وشرع
للمتوضي ان يقول بعد وضوئه اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فجعل
توبته بعد الوضوء وتوبته بعد الحج وتوبته بعد الصلوة وتوبته بعد قيام الليل فصاحب
هذا المقام مضطر الى التوبة والاستغفار كما بين فهو ابدا يرى انه مستغفر تائبا وكلما
كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره فصل وجماع الامر في ذلك انما هو
بتكميل عبودية الله في الظاهر والباطن فيكون حركات نفسه وحسه كلها محبوبة
لله وكمال عبودية العبد موافقة ربه في محبته ومحابه وبذل الجهد في فعله وموافقته
في كراهيته ماكرهه وبذل الجهد في تركه وهذا انما يكون للنفس المطمئنة لا للامارة بالسوء ولا
للوامة فهذا كمال من جهة الارادة والعمل واما من جهة العلم والمعرفة فان يكون بصيرته منفتحة
في معرفة الاسماء والصفات والافعال له شهود خاص فيها مطابق لما جاء به الرسول لا
مخالف له فان تحسب مخالفته له في ذلك يقع الانحراف ويكون مع ذلك قائما باحكام العبودية
الخاصة التي يقتضيها كل صفة بخصوصها وهذا سلوك الاكياس الذين هم خلاصة العالم و
السالكون على هذا الدرب افراد من العالم طريق سهل قريب موصل طريق امن اكثر
السالكين في غفلة عنه ولكن يبتدئ رسوخا في العلم ومعرفة تامة به واقداما على ارذال
المخالف له ولو قاله من قاله وليس عند اكثر الناس سوى رسوم تلقوها عن قوم معظمين
عندهم ثم لاحسان ظنهم بهم قد وقفوا عند اقوالهم ولم يتجاوزوها فصارت حجابا لهم
واي حجاب ممن فتح الله على بصيرة قلبه وايمانه حتى خرقها وجاوزها الى مقتضى الوحي و
الفطرة والعقل فقد اوتي خيرا كثيرا ولا يخاف عليه الا من ضعف همته فاذا انضاف الى
ذلك التفتح همة عالية وذلك السابق حقا واحد الناس في زمانه لا يلحق شاوه ولا يشق
غباره فشتان بين من تيلقى احواله واراد الله عن الاسماء والصفات وبين من تيلقاها
عن الاوضاع الاصطلاحية والرسوم او عن مجرد ذوقه ووجده اذا استحسن شيئا قال

هذا هو الحق فالسير الى الله سبحانه طريق الاسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب صاحبه
قد سبق السعاة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مثنت عن وطنه ولا مشرد
عن سكنه وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وليس العجب مسايرتي لها ونهاره
وهو في السرى لم يبرح من مكانه وانما العجب مسايرة ساكن لا يرى عليه اثر السفر وقد قطع المراحل و
المفاوز فسايره قد ركبت نفسه فهو حاملها سائر بها مذعنة له بما تهواه وتعافه وتحوها
وتقرب منه ويخطو بها خطوه الى امامه فتحذو به خطوتين الى ورايه فهو معها في جد
وهي معه كذلك وسايره قد ركب نفسه وملكها فهو يسوقها كيف شاء وان شاء
لا تلتوي عليه ولا تجذب ولا تقرب منه بل هي معه كالاسير الضعيف في يد مالكه
واسره كالدابة الرديفة المنقادة في يد سايسها وراكبها فهي منقاده معه حيث قادها
فاذا اراد التقدم جرت به واسرعت واذا ارسلها سارت به وجرت في الحلبة الى الغاية
ولا يردها شيء فتسير به وهو ساكن على ظهرها ليس كالذي نزل عنها فقوبح بالجام
ويشح ظهرها ولا يتشحط شتان ما بين المسافرين فتامل هذا المثل فانه مطابق لحال
السايرين المذكورين والله يختص برحمته من يشاء وفضله ومن شان القوم ان
تستلخ نفوسهم من التدبير والاختيار الذي يخالف تدبيره تعالى واختياره
بل قد سلموا اليه سبحانه التدبير كله فلم يزاحم تدبيره تدبيرهم ولا اختيارهم اختياره
ليتفقهم انه الملك القاهر القابض على نواصي الخلق المتولي التدبير امر العالم كله
ويتفقهم مع ذلك انه الحكيم في افعاله الذي لا تخرج افعاله عن الحكمة والمصلحة والرحمة
فلم يخلوا انفسهم معه في تدبير ملكه وتنصيب امور عباده بل لو كان كذا وكذا اولا
يعمى ولعل كذا لا يليت بل زعم اجل واعظم في قلوبهم من ان يعتدوا عليه او يتشطوا التدبير
او يتمنوا سواه وهم اعلم به واعرف باسمائه وصفاته من ان يتهموه في تدبيره او يظنوا به
الا خلال بمقتضى حكمه وعدله بل هو نظر بعين قلبه الى باري الاشياء وفاطرها ناظر
الى الانسان صنعة شاهد الحكمة فيه وان لم يخرج ذلك عن مكاييل عقول البشر
عوالدهم ومالوفاتهم قال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من
ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال اخر اذنبت ذنبا ابكى عليه منذ ثلاثين

سنه وكان قد اجتهد في العبادة قيل له وما هو قال قلت مره لشيء كان ليته لم يكن وبعضهم
العارفين يجعل عيب المخلوقات وتنقيصها بمنزلة العيب لصانعها ورخالقها لانها صنعته
وان حكمته وهو يعلم انه احسن كل شيء خلقه واتقن كل شيء وهو احكم الحاكمين واحسن الخالقين
له في كل شيء حكمة بالغة وفي كل مصنوع متقن والرجل اذا اعاب صنعة رجل اخر وذمها
سرى ذلك الى صانعها فمن عاب صنعة الرب سبحانه بلا اذنه سرى ذلك الى
الصانع لا محالة كذلك صنعها عن حكمة اظهرها اذا كانت الصنعة مجهولة لم
تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها فالعارف لا يعيب الا ما عابه الله ولا يذم الا
ما ذمه واذا سبق الى قلبه ولسانه عيب ما لم يعبه الله وذم ما لم يذمه الله تاب الى
الله منه كما يتوب صاحب الذنب من ذنبه فانه يستحي من الله ان يكون في داره وهو
يعيب الآن تلك الدار وما فيها فهو يرى نفسه بمنزلة رجل دخل الى دار ملك من الملوك
ورأى ما فيها من الآلات والبناء والترتيب فاقبل يعيب منها بعضها ويذمه ويقول
لو كان كذا بدل كذا لكان خيرا ولو كان هذا في مكان هذا لكان اولى وشاهد هذا لذلك
يولي ويعزل ويحرم ويعطي فجعل يقول لو ولي هذا مكان فلان كان خيرا ولو عزل هذا
لتولى لكان اولى ولو عوفي هذا ولو اعني هذا فليت يكون مقت الملك لهذا المعترض
واخراجه ان قربه وكذلك لو اضافه صاحب له فقدم اليه طعاما فجعل يعيب صنعته
ويذمه اكان ذلك يهون على صاحب الطعام قالت عايشة ما عاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهى شيا اكله والا تركه والمقصود ان من شان القوم
ترك الاهتمام بالتدبير والاختيار لهم كله في اقامة حقه عليهم واما التدبير العام
والخاص فقد سلموه لمولى الامر كله ومالك الملك الفعال لما يريد ولعلك تقول ومن ذا
الذي ينازع الله في تدبيره فانظر الى نفسك في عجزها وضعفها وجهلها كيف
هي عرضة لمنازعة لك منازعة جاهل عاجز ضعيف لو قدر لظهرت منه العجائب سبحان
من اذله بعجزه وضعفه وجهله واراه العجز في نفسه لو كان ذا بصر كيف هو عاجز القدرة
حيار الارادة عبد مربوب مدبر مملوك ليس له من الامر شيء وهو مع ذلك ينازع الله
ربوبيته وحكمته وتدبيره لا يرضى عا يرضى الله به ولا يسخط عند مجاري اقداره بل هو

عبد ضعيف مسكين يتعاطى الربوبيه فقير مسكين فى جميع مجموع الاحالات يرى
نفسه غنيا جاهل ظالم ويرى نفسه عارفا محسنا فالجهل بنفسه وبربه وبالتركه
لحظه والسلوه اضاعه لحظه ولواحض رشده لراى ناصيته ونواصى الخلايق بيد الله
سبحانه تخفضها وبرفعها كيف يشاء وقلوبهم بيده سبحانه وهى قبضته يقلبها كيف
يشاء يزيغ منها من يشاء ويقيم من يشاء ولكان هذا غالبا على الشهود قلبه فيغيب به
عن مشيئته بمشهود ارادته واختياره ولعرف ان التدبير والركون الى حول العبد وقوته من
الجهل بنفسه وبربه فينتفى العلم بالله الجهل عن قلبه فتنتفى منه الارادات والمشيئات و
الاختيارات والتدبيرات ويفوضها الى مالك القلوب والنواصى فيصير بذلك عبدا
لربه تقلبه يد القدره ويصير ابن وقته لاينتظر وقتا اخر بد بنفسه فى ذلك الوقت
بيد عونه فيرى نفسه بمنزله الميت فى قبره وينتظر ما يفعل به ستسلما لله منقطع المشيه
والاختيار هذا فيما يجرى على احدهم من فعل الله وحكمه وقضايه الكونى فاذا جاء الامر
جاءت الاراده والاختيار والسعى والجد واستفراغ الفعل وبذل الجهد فهو فى حق
فعال لشاهد عبوديه مولاه فى امره فهو محركها ومحركها فيما بظاهره وباطنه قد
اخرج مقدوره من القوه الى الفعل وهو مع ذلك مستعين بربه قايم بحوله وقوته
ملاحظ لضعفه وعجزه قد تخفف بعنى اياك نعبد واياك نستعين فهو ناظر
بقلبه الى مولاه الذى هو كله مستعين به فى ان يوفقه لما يحبه ويرضاه عنه فى كل
لحظه شاخصه الى حضره المنوه عليه يريد به ليعود به فى وقت على اكمل احواله فاذا
وردت عليهم اقداره التى تصيبهم بغير اختيارهم تابلوها بتلقيها من العبوديه
وهم فيها على مراتب ثلاثه احداها الرضى عنه فيها والمزيد فى حبه والشوق اليه
وهذا يتشا من مشاهده تمام لحظته فيها وبره واحسانه العاجل والاجل ومن
مشاهده تمام حكمته فيها ونصحها سيما لصالحهم وشوقهم بها الى جنبه ورضوانه
ولهم فى ذلك مشهد اخر لاتشعرها العباره وهى فتح من الله على العبد لايبلغه علمه
ولا عمله المرتبه الثانيه شكره عليها كشكره على النعم وهذا فوق الرضى عنه

بها

بها ومنه ينتقل الى هذه المرتبه فهذه مرتبتان لاهل هذا الشان والثالثه للمقتصدين
وهى مرتبه الصبر التى اذا نزل منها نزل الى نقصان الايمان وفواته من السخط و
التشكى واستبطاء الفرج والياس من الروح والجزع الذى لايفيد الا فوات الاجر و
تضاعف المصيبه فالصبر اول منازل الايمان ودرجاته واوسطها واخرها فان صاحب
الرضى والشكر لايعدم الصبر فى مرتبته بل الصبر معه وبه يخفف الرضى والشكر ولا
تصور ولا تحقق لهما دونه وهكذا كل مقام مع الذى فوقه كالتوكل مع الرضى وكما
لخوف والرجاء مع الحب فان المقام الاول لاينعدم بالترقى الى الاخر ولو علم لخلقه
ضاله وذلك رجوع الى نقص الطبيعه وصفات النفس المذمومه وباعا بالدرج
حكمه فى المقام الذى اعلى منه فيصير الحكم له كما بتدرج مقام التوكل فى مقام المحبه
والرضى وليس هذا كمنازل سير الابدان الذى اذا قطع منها منزلا خلفه وراء ظهره
واستقبل المنزل الاخر معرضا عن الاول بارتحاله بل هذا كمنزل التاجر الذى كلما
باع شيأ من ماله ونزح فيه شرع فى الثانى ونزح فقد نزح بهما معا وهكذا ابدا يعود
نزحه فى كل صفقه منتضاعفا بانضمامه الى ما قبله فالنزح الاول اندرج فى الثانى
ولم يعدم فتامل هذا الموضع واعط حقه تزل عنك ما يعرض من الغلط فى علل
المقامات وتعلم ان دعوى المدعى انها من منازل العوام ودعوى اخر انها معلوله اغلط
من وجهين احدهما ان اعلا المقامات يقرن باد نياها مصاحب له كما تقدم
متضمن له تضمن الكل للجزء او مستلزم له استلزام الملزوم للازمه لاينفك
عنه الا ولكن لاندراجه فيه وانطواء حكمه تحته يصير المشهد والحكم للعالى دون
الوجه الثانى ان تلك المقامات والمنازل انما هى منازل العوام وتعرض لها
العلل بحسب متعلقها تفاوتا فان كان متعلقها وغايتها غايه يأبى الشرب
العلل وهو اجل متعلق واعظمه فلا علة فيها بحال وهى من منازل الخواص
حينئذ وان كان متعلقها حظ العبد او امرا سوى الحظ فهى معلوله من جهه تعلقها
بحظه ولنذكر لذلك امثله المثال الاول الاراده فان الله جعلها من منازل صفوه
عباده وامر رسوله ان يصبر نفسه مع اهلها فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

بالغداه والعشي يريدون وجهه وقال وما لاحد عنده من نعمه تجزى الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى وقال حكاية عن اوليائه قولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
وهذا لام التعليل الداخله على الغايات المراده وهي كثيره في القرآن فقالت طائفه
الارادة خاصه العوام وهي تجريد القصد وجزم النيه والجد في الطلب وذلك في طريق
الخواص تفرق ورجوع الى النفس فان ارادة العبد عين حظه وهو راس الدعوى
واما الجمع والوجود فما يراد بالعبد الا ما يريد كقوله تعالى وان يردك بخير فلا
راد لفضله فيكون مراده ما يراد به واختياره ما اختير له اذ لا ارادة للعبد
مع سيده ولا نظر كما قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
ومن هذا قول الي يزيد ضل لي ما تريد قلت اريد ان لا اريد لاني انا المراد
وانت المريد فيقال ليس المراد من العوام في كلامهم انعام الجهال وانما مرادهم
بهذه اللفظه عموم السالكين دون اهل الخصوص الواصلين منازل الفنا وعين الجمع
واذا عرف هذا فالكلام على ما ذكر في الارادة من وجوه احدها ان الارادة هي
مركب العبوديه واساس بنايها الذي لا تقوم الا عليه فلا عبوديه لمن لا ارادة له
بل اكمل الخلق عبوديه وحبه وقربهم حالا واقومهم بعبوديه اتمهم ارادة فكيف يقال
انها حليه العوام او من منازل العوام الوجه الثاني انه يلزم من هذا ان
تكون المحبه من منازل العوام وتكون معلوله ايضا لانها ارادة تامه للمحبوب
ووجود المحبه بلا ارادة كوجود الانسانيه من غير حيوانيه وكوجود مقام الا
حسان بدون الايمان والاسلام فاذا كانت الارادة معلوله وهي من منازل
العوام لزم ان تكون المحبه كذلك فان قيل المحبه التي لا علة فيها هي تجرد المحب
عن الارادة وفناه بارادة محبوبه عن ارادته قيل هذا هو حقيقة الارادة ان يبقى مراده
مراد محبوبه فلو لم يبق مريدا لمراد محبوبه لم يكن موافقا له في الارادة والمحبه هي
موافقة المحبوب في ارادته فعاد الامر الى ما اشرنا اليه ان المعلول من ذلك ما تعلق
بحظ المريد دون محبوبه فاذا صارت ارادته موافقه لارادة محبوبه لم يكن تلك

الاراده

الارادة من منازل العوام ولا معلوله بل هذه اشرف منازل الخواص وغايه مطالبهم وليس وراءها
الا التجرد عن كل ارادة والفنا بشهوده عن ارادة ما يريد وهذا هو الذي يشير اليه السالكون
الى منازل الفنا ويجعلونه غايه الغايات وهذا عندهم اكمال نقص وتقييد في وحد
المحبه وهضم لجانب العبوديه وفناء بحظ المحب من مشاهده جمال المحبوبه وفنائه فيه
عن حظ المحبوب ومراده فهو الوقوف مع نفس الحظ والهروب عن حق المحبوب ومراده وهل
مثل هذا الا كمثل رجلين ادعيا لعبد ملك فحضرا بين يديه فقال ما تريدان فقال احدهما
اريد ان لا اريد شيئا بل افنى عن ارادتي واكون انا المراد وانت لا تريد لي ما تشاء وقال الآخر
بل اريد ان انفق انفاسي وذراتي في محابك ومرضاتك منفذا لاوامرك مشمرا الى
طاعتك اتوجه حيث توجهني وافعل ما تامرني هذا الذي اريده وقال الاخر وانا اريد
منك ان تفعل مثل هذا فاسابعتكما في الشقا لي وسعادتي فاما احدهما فقال لا حظ
لي سوى اتباع مرضاتك والقيام بحقوقك وقال الآخر لا اريد الا شهودك و
النظر اليك والفناء فيك فهل يستويان في نظرك وعلمك هل يستوي منزلتهما عندك
ولو فضلت النظر لعلمت ان صاحب الفنا هو طالب لحظ الواقف معه وان الاخر وان
لم يسلم من الحظ ولكن حظه مراد المحبوب منه لا مراده هو من المحبوب وبين الامرين
من الفرق كما بين الارض والسماء فالعجب ممن يفضل صاحب الحظ الذي يريد من محبوبه
على من صار حظه مراد محبوبه منه بل الفنا الكامل ان يفنى بارادته عن ارادته من سواه و
وبحبه عن حب ما سواه وبرضاه عن رضا ما سواه وبخشيته عن خشيه ما سواه و
التوكل عليه عن التوكل على ما سواه ليس ان تفنى بحظك منه عن مراده منك وهذا
موضع يشتبه على وحالا وذوقا الا على من فتح الله عليه بفرقان بين هذا وهذا
الوجه الثالث ان الارادة انما تكون ناقصه بحسب نقصان المراد فاذا كان
مرادها اشرف المراد فارادته اشرف الارادات ثم اذا كانت الوسيله اليه اجل الوسايل
وانفعها واكملها فارادتها كذلك فلا اجل من ارادته عن ارادته اشرف الغايات وا
رادة اشرف الوسايل اليه وانفعها اي علة في هذه الارادة واي شيء توقفها للخواص
الوجه الرابع ان نقصان الشيء يكون من وجهين احدهما ان يوجب ضررا والثاني

ان يكون له ثمرة نافعة لكن شغل عما هو الكمال له وكلاهما مستغن عن الارادة فكيف تكون
ناقصة معلولة فان قيل اذا كان الوقوف معها رجوعا الى النفس وتعرفا ووقوفا
مع حظ المريد كانت ناقصة قيل هذا منشأ الغلط وجوابه بالوجه الخامس
وهو ان يقال قوله ان الارادة تعرف فان اردتم بالتعرف شهود المريد لارادته
ولمراده ولعبوديته ولمعبوده ولمحبته ولمحبوبه فلم قلتم ان هذا التعرف نقص و
هل هذا الا عين الكمال وهل تم العبودية الا بهذا فان من شهد عبوديته
وغاب بها عن معبوده كان محجوبا ومن شهد المعبود وغاب به عن شهود عبوديته
وقيامه بما امره به كان ناقص العبودية ضعيف الشهود وهل الكمال الا شهود المعبود
مع شهود عبادته فانها عين حقه ومراده ومحبوبه من عبده فهل يكون شهود
العبد لحق محبوبه ومراده منه وانه قائم به ممتثل له نقصا ويكون غيبته عن
ذلك واعراضه عنه وفناؤه عن شهوده كمالا وهل هذا الا قلب للحقائق فغايته
صاحب هذا الحال والمقام ان يكون معذورا بضعفه عن شهود هذا وهذا
اما لضعف المحل او لغلبة الوارد وعجزه عن احتمال ما هو اخر منه فاما ان يكون هذا هو
الكمال المطلوب والاخر نقص فكلا وان مقام من يشهد عبوديته ومنه الله عليه
فيها وتوفيقه لها وجعله محلا والهه وهو ناظر مع ذلك الى معبوده بقلبه شاهدا
له غائبا عن شهود عبوديته في عبوديته من مقام من لا يتسع لهذا وهذا وتأمل حال
اكمل الخلق وافضلهم واشدهم حالا كيف كان في عبادته جامعا بين الشهودين
حتى كان لا يغيب عن احوال المأمومين فضلا عن شهود عبادته وكان يراعي احوالهم
وهو في ذلك المقام بين يدي ربه سبحانه فالكامل من امته على منهاجه وطريقته
في ذلك صلى الله عليه وسلم فالواجب التمييز بين المراتب واعطاء كل ذي حق
حقه فقد جعل الله لكل شيء قدرا وان اردتم بالتعرف شتات القلب في شعاب
الحظوظ واوديه الهوى فهذه الارادة لا تستلزم شيئا من ذلك بل هي جمعية
القلب على المحبوب وعلى طلبه ومراداته ومثل هذا التعرف هو عين البقاء ومحض
العبودية ونفس الكمال وما عداه فمحض حظ العبد لا حق لمحبوبه الوجه

السادس

السادس ان قوله ان الارادة رجوع الى النفس وان ارادة العبد عين حظه كلام فيه
اجمال وتفصيل فيقال ما تريدون بقولكم ان الارادة رجوع الى النفس اتريدون
انها رجوع عن ارادة الرب وارادته محابه الى ارادة النفس وحظوظها ام تريدون
انها رجوع الى ارادة النفس لربها ولمرضاته فان اردتم الاول فعلم ان
هذه الارادة معلولة ناقصة فاسدة ولكن ليست هذه الارادة التي يتكلم فيها وان
اردتم المعنى الثاني فهو عين الكمال وانما النقصان خلافه الوجه السابع ان قولكم
ان هذه الارادة عين حظ العبد قلنا نعم وهي اكبر حظوظه واجله واعظمه وهل للعبد
حظ اشرف من ان يكون الله وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومراده فهذا هو
الحظ الاوفر والسعادة العظمى ولكن لم قلتم ان اشتغال العبد بهذا الحظ نقص
في حقه وهل فوق هذا كمال يطلبه العبد فيقال لو كان فوقه شيء اكمل منه لكان
اشتغال العبد به وطلبه اياه اشتغالا بالحظ ايضا فيكون ناقصا فان الكمال
فان قلتم في تركه حظوظه كلها قيل لكم وتركه هذا الحظ ايضا هو من حظوظه
فانه لا يبقى معطلا فارغا خلوا عن الارادة اصلا بل لا بد له من ارادة ومراد و
كل ارادة لكم رجوع الى الحظ فاي شيء اشتغل به وبارادته كان وقوفا عن حظه فنا
لله العجب متى يكون عبدا محضا خالصا لربه يوضح هذا الوجه الثامن ان
المحل لا ينفك عن الارادة ما دام شاعرا بنفسه وانما يبتدئ عنها اذا غاب عنه شعوره
بعارض من العوارض فالارادة من لوازم المحبوب فدعوى ان الكمال في التجرد
عنها دعوى باطلة مستحيلة طبعا وحسا بل الكمال في التجرد عن الارادة الا
تزاحم مراد المحبوب لا عن الارادة التي توافق مراده الوجه التاسع قوله
الجمع والوجود فيما يراد بالعبد لا فيما يريد الى آخره فيقال هذا على نوعين احدهما
ما يراد بالعبد من المقدور الذي يجري عليه بغير اختياره كالفقر والغنا والعلم
والمرض والحياة والموت وغير ذلك فهذا لا ريب ان الكمال فيه فنا العبد
عن ارادته ووقوفه مع ما يراد به لا يكون لمراد الله تزاحم ارادة الله كحال الثلاثة
الذين قال احدهم انا احب الموت للقاء الله وقال الآخر احب البقا لطاعة الله

وعبادته فقال الثالث غلطتما ولكن انا احب من ذلك ما يجب فان كان تحب اماتتي
احببت الموت وان كان يحب حياتي احببت الحيوة فانا احب ما يحبه من الحيوة
والموت فهذا الكمل منها واصح حالا فيما يراد بالعبد والنوع الثاني ما يراد من
العبد من الاوامر والقربات فهذا لبس الكمال الاتي ارادته وان فرقته فهو مجموع
في تفرقته متفرق في جمعيته وهذا حال الكمل من الناس متفرق الارادة في الامر
مجتمع على الامر فهو مجموع عليه متفرق فيه ولا يكون فعل المرادات المختلفة با
رادة واحدة بالعين وانما غايتها ان تكون هنا ارادتان احدهما اراده وحلة
للمراد المحبوب والثانية ارادات متفرقة لحقه ومحابه وما امر به فهي وان تعددت
وتكثرت فمرجعها الى مراد واحد بارادة كلية وكل فعل منها له اراده جزوية
محضه الوجه العاشر ان قولك اريد ان تريد اريد ان لا اريد تناقض بين فاند
فع اذا اردت عدم الارادة فاذا قال اريد ان لا اريد يقال له متى اردت واحسن من
هذا ان يكون الجواب اريد ما تريد لا ما لا اريد واذا كان لابد من اراده ففرق
بين الارادتين اراده سلب الارادة واراده موافقة المحبوب في مراده والله اعلم
الوجه الحادي عشر انه فسر الاراده بتجريد القصد وجزم النيه والجد في الطلب
وهذا هو عين كمال العبد وهو متضمن للصدق والاخلاص والقيام بالعبودية به
فاي نقص في تجريد القصد وهو تخليصه من كل شائبه نفسا او طبيعيه وتجريده
لمراد المحبوب وحده والجد في طلبه وطلب مرضاته وجزم النية ان لا يعتريها و
قفة ولا تاخير وهذا الامر هو غاية منازل العبودية وحد تقييد العبد بحسب
رسوخه في هذا المقام وكلما ازداد قربه وعلا مقامه قوي عزمه وتجرد قصده فما
لصادق لنهايه لطلبه ولا فتور لقصده بل قصده اتم وطلبه اكمل ونيته اجزم قال
تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واليقين هنا الموت باتفاق اهل الاسلام فجاء
صلى الله عليه وسلم اليقين اذ جاءه واراده وقصده ونيته في الذروة العليا ونهاية
كمالها وتمامها فاين العلة في هذه الاراه ولكن العلة والنقص في الاراده التي تكون
مصدرها النفس والهوى وغايتها نيل حظ المريد من محبوبه وان كان المحبوب يريد

ذلك لكن غيره احب اليه منه وهو ان يكون مراده محض حق محبوبه وحصوله
فانيا عن حظه هو من محبوبه بل قد صار حظه منه نفس حقه ومراده فحقه هو الا
رادة والمحبة التي لا علة فيها ولا نقص نسال الله تعالى ان يمن علينا وحبينا ولو بنفس
منها كما من بتعليمها ومعرفتها انه جواد كريم الوجه العاشر انه قال بعد هذا نقص الارادة
بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون الى مجاري الاقدار فيكون كالميت
بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء فاين هذا من قوله وذلك في طريق الخواص ويفرق وهل يكون
بذل الوسع واستفراغ الطاقة الا مع تمام الارادة وانما الذي يعرض له النقص من الارادة
نوعان احدهما اراده مصدرها طلب الحظ والثاني اختياره فيما يفعل به بغير اختياره ففي
هاتين الارادتين ينبغي الفناء فيهما فيكون النقص والكمال ترك الاختيار فيهما والسكون
الى مراد المحبوب وحقه في الاولى اختيارا فعالا منازعا لقواطعه عن مراد محبوبه وفي الثانية
كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وبهذا التفصيل ينكشف سر هذه المسالة
ويحصل اليقين بين محض العبودية وحظ النفس والله الموفق للصواب
المثال الثاني للزهد قال ابو العباس هو للعوام ايضا لانه حبس النفس عن الملاذ
واماكها عن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما لا يعني من الاشياء وهذا
تعض في طريق الخاصة لانه تعظيم للدنيا واحتباس عن انتقادها وتعذيب للظاهر
تركها مع تعلق الباطن بها والمبالات بالدنيا عين الرجوع الى ذلك وتضييع الوقت في
منازعة نفسك وشهود حسك وبقايا بعد الاتي الى من اعطاه الله الدنيا
بحذافيرها كيف قال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وذلك حيث تعلق
باطنه من شهودها بظاهر من التعلق بها فالزهد صرف الرغبة اليه وتعلق القلب
به والاشتغال به عن كل شيء يشغل عنه ليتولى هو جسم هذه الاسباب عنك كما قيل
ان بعض المريدين سال بعض المشايخ فقال اي الشيخ باي شيء توقع ابليس اذا
صادك بالوسوسة فقال الشيخ اني لا اعرف ابليس فاحتاج الى دفعه حتى قوم صرفنا
هممنا اليه فكفانا ما دونه كما قيل تسترت عن دهري بظل جناحه يعني ترى دهري
فلو سالت الايام ما اسمي ما درت واين مكاني ما عرفن مكاني فيقال الكل

الألوكة
www.alukah.net

على هذا من وجوه احدها ان جعل الزهد للعوام ما ذكره انما يتم اذا كان ملزوما لمنازعة
النفس ومجاذبتها الدواعي الشهوة والهوى وحينئذ فيكون ذلك مشقة لا تنال الدواعي
والجواذب ونفسه تطالبه بها وزهده يأمره باجتنابها ولا ريب ان فوق هذا مقاما اعلى
منه وهو طمأنينة نفسه وسكونها الى محبوبها والجذاب دواعيها الى محابه ومرضاته
وهذا للخواص من المؤمنين ولكن هذه المنازعة غير لازمة للزهد وان كان للابتلاء فيها في حكم
الطبيعة لتحقق الابتلاء والامتحان ويتحقق ترك العبد حظه وهواه لوجه ايثارا له على
هواه ونفسه الثاني انه لو كانت هذه المنازعة وحبس النفس عن الملاذ والشهوات من لوازم الزهد
لم يكن فيها نقص ولا علة فانها من لوازم الطبيعة واحكام الجبلة وهي كالجوع والعطش والالم
والتعب فحبس النفس عن اجابة دواعيها ايثارا لله تعالى ومرضاته عليها لا يكون ناقصا
ولا مستلزما للنقص وقد اختلف ارباب السلوك هنا في هذه المسئلة وهي ايهما افضل من له داعيه
وسطوة وهو يحبسها لله ولا يطيعها حياء منه وخوفا من لداعيه لم تثر عنده بل نفسه
خالية من تلك الدواعي والشهوة قد اطمأنت الى ربها واشتغلت به عن غيره وامتلأت محبته وارادته
فليس فيها موضع لارادة غيره ولا محبته فرجحت طائفة الاول وقالت هذا دليل على قوة تعلقه
وشدة محبته فهو يعاصي دواعي الطبع والشهوة ويقهرها سلطان محبته وارادته وخوفه من
الله وهذا دليل على تمكنه من نفسه وتمكن حاله مع الله وغلبة داعي الحق عنده على داعي الطبع والنفس
قالوا وايضا فله مزيد في حاله وايمانه بهذا الايثار والترك مع حضور داعي الفعل عنده وتزيد
مجاهدة عدوه الباطن ونفسه وهواه كما يكون له من يجاهد عدوه الظاهر قالوا والذوق و
الوجد يشهد لمزيد من الحب والانس والسرور والفرح بوجه عند ايثاره على دواعي الهوى
والنفس والمطمئن الذي ليس فيه هذا الداعي لسواه مزيد من هذه الجهة وان كان مزيدا من جهة
اخرى فهي مشتركة بينهما فتخص هذا بمزيد من الايثار والمجاهدة قالوا وايضا فهذا مبتلى
بهذه الدواعي والارادات وذلك معافى منها وقد جربت سنة الله في المؤمنين من عباده ان
يبتليهم على حسب ايمانهم فمن ازداد ايمانه زيد في بلائه كما ثبت عن النبي انه قال يبتلى المرء
على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة خفف عنه البلاء
والمراد بالدين هنا الايمان الذي يثبت عند نوازل البلاء فان المؤمن يبتلى على قدر ما

تحمله

يحمله ايمانه من وارد البلاء قالوا فالبلاء لمخالفة دواعي النفس والطبع من اشد البلاء فانه لا
يصبر عليه الا الصديقون واما البلاء الذي يجري على العبد بغير اختياره كالمرض
والجوع والعطش ونحوها فالصبر عليه لا يتوقف على الايمان بل يصبر عليه البر والفاجر ولا
سيما اذا علم انه لا معول له الا الصبر فانه ان لم يصبر اختيارا صبر اضطرارا ولهذا كان
بيع ابتلاء يوسف الصديق ما فعل به اخوته من الاذى والالقاء في الجب وبيعه بيع العبيد
والتفريق بينه وبين ابيه وابتلاؤه بمراودة المرأة وهو شاب غريب عزب في منزل
العبد لها وهي الداعية الى ذلك فرق عظيم لا يعرفه الا من عرف مراتب البلاء فان الشاب
داعي الشهوة والشاب قد نسي من اهله ومعارفه من قضاء وطره فاذا صار في دار الغربة
زال ذلك الاستحياء والاحتشام واذا كان عزبا كان اشد لشهوته واذا كانت المرأة هي الطالبة
كان اشد واذا كانت بديعة جميلة كان اعظم فان كانت ذات منصب كان اقوى في الشهوة فان
كان ذلك في دارها وتحت حكمها بحيث لا تخاف الفضيحة ولا الشهرة كان البلاء فان استوثقت
بتغليق الابواب والاحتفاظ من الداخل كان اقوى ايضا للطلب فان كان الرجل كمملوكها وهي كما
تحكم عليه الاقوة الناهية كان ابلغ في الداعي فاذا كانت المرأة مشبوبة العشق والمحبة
للرجل مع امتلاكها من جهة هذا الابتلاء الذي صبر معه مثل الكريم ابن الكريم ابن الكريم
صلوات الله عليهم اجمعين ولا ريب ان هذا الابتلاء اعظم من الابتلاء الاول بل هو من جنس
ابتلاء الخليل بولده اذ كلاهما ابتلاء بمخالفة الطبع ودواعي النفس والشهوة ومفارقة حكم
الطبع جملة وهذا الخلاف البلوى التي اصابت ذا النون والتي اصابت ايوب قالوا وايضا فان
هذه هي النكتة التي من اجلها كان صالحو البشر افضل من الملائكة لان الملائكة
عباد تنعم بربها عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية مع صادرة عن غير
معارضة ولا مانع ولا عائق وهي كالنفس للحي واما عبادات البشر مع منازعات النفوس
وجمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع فكان اكمل ولهذا كان اكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة
لهذا المعنى ولغيره ممن لم يخف له تلك الدواعي والشهوات فهو عند الملائكة ومن خلقت له
اعانة الله على دفعها وقهرها وعصيانها كان افضل وافضل قالوا وايضا فان حقيقة المحبة اثار
المحبوب ومرضاته على ما سواه قالوا وكيف يصح الايثار ممن لا تنازعه نفسه وطبعه الى غير المحبوب

قالوا وليس المحب من قلب خال عن الشهوات والارادات قد ماتت دواعي طبعه وشهوته
اذا عكف على محبوبه ومعبوده واطمأن اليه واجتمعت همته وانما المحب من قلب قد ابتلي
بما ابتلي به من الهوى والشهوة ودواعي الطبيعة مع قوة سلطانها وغلبتها وضعفه و
كثرة الجيوش التي تغير على قلبه كل وقت اذا اثر ربه ومرضاته على هواه وشهوته ودواعي
طبعه فهو هارب الى ربه من بين تلك الجيوش وعاكف عليه في تلك الزعازع والاهويه التي
تعتلي على الاسماع والابصار والافئدة يحمل منها لاجل محبوبه ما لا يتحمله الجبال الراسيات
قالوا وايضا فقمع النفس عن الهوى عبودية خاصة لها تاثير خاص في المحبة اذا كان ثم ما ينهى
عنه النفس قالوا وايضا فالهوى عدو الانسان فاذا قهر عدوه وصار تحت قبضته وسلطانه
كان اقوى واكمل من لا عدو له يقهره قالوا ولهذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في قهره قرينه حتى
انقاد واسلم له فلم يكن يامره الا بخير اكمل من حال عمر حيث كان الشيطان اذا رآه تفرق منه و
كان اذا سلك فجا سلك فجا غير فجه وهذا خارج الجواب عن السوال المشهور وهو كيف
لا يقف الشيطان لعمر بل يفر منه ومع هذا فقد تقدم على النبي وتعرض له وهو في الصلوة واراد
ان يقطع عليه صلاته ومعلوم ان حال الرسول اكمل واقوى والجواب ما ذكرناه وهو ان
شيطان عمر كان يفر منه فلا يقدر احدهما على قهر صاحبه واما الشيطان الذي تعرض
للنبي فقد اخذه واسره وجعله في قبضته كالاسير واين من يهرب من عدوه فلا يظفر به
الى من يظفر بعدوه فيجعله في اسره وتحت يده وقبضته فهذا ونحوه مما احتج به ارباب
هذا القول واحتج ارباب القول الثاني وهم الذين رجحوا من الامارة في طباعه
ولاهويه لم يغالبه بان قالوا كيف تستوي النفس المطمئنة الى ربها العاكفة على
حبه التي لا امارة فيها اصلا والداعية تدعوها الى الاعراض عنه والنفس المشغولة
بمحاربة هواها ودواعيها وجواذبها قالوا وايضا ففي الامر الذي يشتغل هذا بنفسه
ومحاربة هواه وطبعه يكون صاحب النفس المطمئنة قد قطع مراحل من سيره وفاز
بقرب فات صاحب المحاربة والمنازعة قالوا وهذا كما لو كان رجلان مسافرين
في طريق فقطع على احدهما قاطع اشتغل بدفعه عن نفسه ومحاربته ليتمكن من
سيره والاخر سالم لم يعرض له قاطع بل هو على جاده سيره فان هذا يقطع

من المسافة اكثر مما يقطع الاول ويقرب الى الغاية اكثر من قربه قالوا وايضا فان للقلب
قوة يميز بها فاذا صرف تلك القوة في دفع العوارض والدواعي التي قاطعته
عن السير اشتغل بدفعها عن السير في دفعها فاته قالوا والمقصود
بالقصد الاول انما هو السير الى الله والاشتغال بدفع العوارض مقصود لغيره
والاشتغال بالمقصود لنفسه اولى واوفق من الاشتغال بالوسيلة قالوا وايضا
فالعوارض المانعة للقلب من سيره وهي من باب المرض واجتماع القلب على الله
وطمانينته به وسكونه اليه بلا منازع ولا جاذب ولا معارض هو صحته وحيوته
ونعيمه فكيف يكون القلب الذي يعرض له مرض وهو مشغول بدوايه افضل من
القلب الذي لا داء به ولا علة قالوا وايضا فهذه الدواعي والميول والارادات
التي في القلب تقتضي جذبه على طريقها فتتعارض الجواذب فان لم توقفه عوقته
ولا بد فان السير بلا توقف من السير مع التوقف قالوا وايضا فالذي يسير
العبد باذن ربه انما هو همته والهمة اذا علت وارتفعت لم يلحقها القواطع قالا
فات كالطير اذا علا وارتفع في الموفات الرماة فلم يلحقه الحصا ولا البنادق
ولا السهام وانما تدرك هذه الاشياء الطير اذا لم يكن عاليا فكذلك الهمة
العالية قد فاتت الجوارح والكواسر وانما تلحق الافات والدواعي والارادات
الهمة النازلة فاما اذا علت فلا تلحقها الافات قالوا وايضا فالحسن والوجود
شاهدان بان قلب المحب متى خلا من غير المحبوب واجتمعت شؤونه كلها على محبوبه
ولم يبق فيه التفات الى غير كان اكمل محبة من القلب الملتفت الى الوطن المقيم
بمحاربتهم ومدافعتهم والهرب منهم والتواري عنهم قالوا فكيف بمن يحب ان يختار
على الوطن فيطرقون من هيبته وخشيته ولا يرفع احد منهم راسه اليه وبين محب
اذا اختار الوطن هاشوا عليه كالزنابير وكالذباب فاشتغل بدفعهم وحرابهم
وجد في الهرب منهم فكيف يسوى هذا بهذا الم كيف يفضل عليه مع هذا التباين
قالوا وايضا فالمحبة الخالصة الصادقة حقيقتها الفناء وتحرق من القلب ما سوى
مراد المحبوب واذا احترق ما هو مراده علم وذهب اثره فاذا بقي في القلب شيء من

الألوكة
www.alukah.net

سوى مراده لم يكن المحب تامه ولا صادقا بل محبه مشوبه بغيرها فالمحب الصادق
ليس في قلبه سوى مراد محبوبه حتى ينازعه ويدافعه الاخر في قلبه فيغير
المحبوب فهو جاهد على اخراجها واعدامها قالوا وايضا فالواردات الالهيه
ترد على القلوب على قدر استعدادها وقبولها فاذا صادفت القلب خاليا فارغا
من العوارض والمنازعات ودواعي الطبع والهوى ملأته على قدر فراغه واذا امتلأ
منها لم يبق لاضدادها واعدائها فيه مسلك واذا صادفت فيه موضعا مشغولا
بغيره من الاغيار لم تسكن ذلك الموضع فيدخل الضد والعدو من ذلك الثلم كما
قال القايل لاكان طل سواك فيه بقيه تجد السبيل بها اليه العذل وقال
ومهما بقي للصحو فيه بقيه تجد لحوك اللاحي سبيلا الى العذل قالوا وايضا
فدواعي الطبع وارادات النفس وشهواتها مصدرها اما جهل واما ضعف فانها
لا تصدر الا من جهل العبد باثارها وموجباتها او يكون عالما في ذلك لكن فيه
ضعف وعجز منعه عن محوها من قلبه بالكليه وما كان سببه جهلا او عجزا الا يكون
كما لا يستلزم مالكا له واما القلب الخالي منها ومن الاشتغال بدفعها فقلب
شريف قوي علوي رفيع قالوا وايضا فهذه الارادات والدواعي لا تسر العبد
بل اما ان تنكسه عن احابها واما ان تعوقه وتوقفه ان اشتغل بدفعها و
اما ارادات القلب السليم منها والنفس المطمئنه من بعضها فكل ارادة منها تسير
به مراحل على معد فهو يسير وليلا وقد سبق السعاة كما قيل
من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الاول قالوا وايضا فان هذه
الدواعي والارادات انما تحدث عند انتهاء اذا ردت صاحبها الى حال السليم منها فيكون
بمنزلة من تشيعه به ويسير معه فكيف يكون الحامل على كماله انما هو في تشيعه به قالوا و
ايضا فالنفوس ثلاثة امارة ولوامة ومطمئنة فالنفس الامارة هي المطيعه لدواعي
طبعها وشهواتها فمبادي كونها امارة هي تلك الدواعي والارادات فتستحكم
فتصير عزمات ثم توجب الافعال عند اصغاء الذهن فمنها تلك الدواعي واما النفس المطمئنه
فهي التي علمت هذه المبادي فعدمت غاياتها فكيف تكون مبادي النفس الامارة

مما وجب لها مزية على النفس المطمئنه نقلا ونحوها احتج به هذه الطايفه ايضا
لقولها والحق ان كلا الطايفتين على صواب من القول لكن كل فرقه لحظت
غير ملحوظ الفرقه الاخرى وكانها لم تتوارد على محل واحد بل الفرقه الاولى
نظرت الى نهايه حضرا لمجاهده لنفعه وارادته وما ترتب له عليها من الا
حوال والمقامات فاوجب لها شهود نهايته رجحانه في حكمت بترجيحه و
واستحقت بتفضيله والفرقه الثانيه نظرت الى بدايته في شانه ذلك ونهايه
النفس المطمئنه فاوجب لها شهود الامرين الحكم بترجيح القلب الخالي من
تلك الدواعي ومجاهدتها وكل واحد من الطايفتين قد ادلت بحجج لا قامع
واتت ببينات لا ترد ولا تدافع وفصل الخطاب في هذه المسئله يظهر باسئله
نرتضع معها من لبانها ونخرج من مشكوتها وهي ان العبد اذا كان له حال او
مقام مع الله ثم نزل عنه الى ذنب ارتكبه ثم تاب من ذنبه هل يعود الى مثل
ما كان او لا يعود بل ان رجع رجع الى اعلى من مقامه وانقص من رتبته او
يعود حيث ما كان فقالت طايفه يعود بالتوبه الى مثل حاله الاولى فان
التايب من الذنب كمن لا ذنب له واذا محي اثر الذنب بالتوبه صار وجوده كعدمه
فكانه لم يكن فيعود الى مثل حاله قالوا ولان التوبه هي الرجوع الى الله بعد
الاباق منه فان المعصيه اباق العبد من ربه فاذا تاب الى الله فقد رجع اليه
واذا كان مسمى التوبه هو الرجوع فلو لم يعد الى حالته الاولى مع الله لم تكن
توبته تامه والكلام انما هو في التوبه النصوح قالوا ولان التوبه كما
ترفع اثر الذنب في الحال بالاقلاع عنه وفي المستقبل بالعزم على ان لا يعود فكذلك
ترفع اثره في اعاضي جمله ومن اثره في الماضي الحطاط منزلته عند الله و
نقصانه عنده فلا بد من ارتفاع هذا الاثر بالتوبه واذا ارتفع بها عاد الى
مثل حاله قالوا ولانه لو بقي نازلا من مرتبته منحطا عن مسلكه بعد
التوبه كما كان قبلها لم تمح التوبه قد محت اثر الذنب ولا اعادت في
الماضي شيئا وان عاد الى دون منزلته ولم يبلغها بلوغه تلك الدرجه

انما كان بالتوبه فلو ضعف تاثير التوبه عن اعادته الى منزلته الاولى
عن تبليغه تلك المنزله التي وصل اليها وان لم يعن التوبه ضعيفه التاثير
عن تبليغه تلك المنزله لم تكن ضعيفه التاثير عن اعادته الى المنزله الا
ولى قالوا وايضا فان الله سبحانه ربط الجزا بالاعمال ربط الاسباب بمسبباتها
فالجزا من جنس العمل فكما رجع التايب الى الله بقلبه الى الله رجع الله
اولا تاما مارجع الله عليه بمنزلته وحاله بل مارجع العبد الى الله حتى رجع الله
بقلبه اليه اولا فرجع الله اليه وتاب عليه ثانيا فتوبه العبد محفوفه بتو
بتين من الله توبه مندا ذنا وتمكينا فتاب بها العبد وتاب الله عليه قبولا
ورضى فتوبه العبد بين توبتين من الله وهذا يدل على عنايته سبحانه وبره
ولطفه بعبده التايب فكيف يقال انه لا يعيد مع هذا اللطف والبر الى
حاله قالوا وايضا فان التوبه من اجل الطاعات واوجبها على المومنين
واعظمها غنا عنهم وهم احوج اليها من كل شي وهي من احب الطاعات الى
الله فانه يحب التوابين ويفرح بتوبه عبده اذا تاب اليه اعظم فرح و
اكمله واذا كانت بهذه المثابه فالاتي بها آت بما هو افضل القربات
واجل الطاعات فاذا كان قد حصل له بالمعصيه الحطاط ونزول مرتبته
فالتوبه تحصل له مزيد تقدم وعلو درجه فان لم تكن درجته بعد التوبه
اعلا فانها لا تكون انزل قالوا وايضا فانا اذا قابلنا بين جنايه المعصيه
والتقرب بالتوبه وجدنا الاثر الحاصل من التوبه ارجح من الاثر الحاصل من
المعصيه والكلام انما هو في التوبه النصوح الكامله وجانب الفضل ارجح
من جانب العدل ولهذا كان جانب العدل احاد احاد وجانب الفضل احاد
بعشرات الى سبعمايه الى اضعاف كثيره وهذا يدل على رجحان جانب الفضل وغلبته
وكذلك مصدرهما من الغضب والرحمه فان رحمه الرب تغلب غضبه قالوا وايضا
فالذنب بمنزله المرض والتوبه بمنزله العافيه والعبد اذا مرض ثم عوفي وتكاملت

عافيته

عافيته رجعت صحته الى ما كانت بل ربما رجع اقوى واكمل مما كانت عليه لان ربها كان
معه في حال العافيه الام واسقام كامنه فاذا اعتل ظهرت تلك الاسقام ثم زالت
بالعافيه جمله ويعود قوته خيرا مما كانت واكمل وفي مثل هذا قال الشاعر

لعل عتبك محمود عواقبه ورب صحت الاسقام بالعلل

وهذا الوجه هو احد ما
احتج به من قال انه يعود بالتوبه خيرا مما كان قبل التوبه واحتجوا لقولهم ايضا بان
التوبه تثمر للعبد محبه من الله خاصه للحصل بدون التوبه بل التوبه شرط في
حصولها وان حصل له محبه اخرى بغيرها من الطاعات فالمحبه الحاصله بالتوبه
لا تنال بغيرها فان الله يحب التوابين وفي محبته لهم فرح بتوبه احدهم اعظم فرح
واكمله فاذا اثمرت له التوبه هذه المحبه ورجع بها الى طاعاته التي كان عليها اولا
انضم اليها الى الزلف الطاعات فقوى الاثران فحصل له المزيد من القرب والوسيله
وهذا بخلاف ما يظنه من نقضت معرفته بربه من انه سبحانه اذا غفر لعبده ذنبه فانه
لا يعود الى الذنب الذي كان له منه قبل الجنايه واحتجوا في ذلك بان اسرائيلي مكذوب ان الله
قال لداود يا داود اما الذنب فقد غفرناه واما الود فلا يعود فهذا كذب قطعا فان
الود يعود بعد التوبا النصوح اعظم مما كان فان الله سبحانه يحب التوابين ولم يعد
الود لما حصلت له محبه وايضا فانه يفرح بتوبه التايب وحال ان يفرح بها اعظم فرح
واكمله وهو لا يحبه وتامل بعد اتفاق هذين الاسمين في قوله انه هو يبدئ ويعيد وهو
الغفور الرحيم الودود يعد فيه من الرد والانكار على من قال لا يعود الود والمحبه بعد
لعبد ابدا ما هو من كنوز القرآن ولطائف فهمه وفي ذلك ما يهدي القلب السليم ويأخذ
بيده امامه وتجعله عاكفا على ربه الذي لا اله غيره ولا رب سواه عكوف المحب الصادق على
محبوبه الذي لا غنى له عنه ولا بد له منه ولا تندفع ضرورته بغيره ابدا واحتجوا ايضا بان العبد
قد يكون بعد التوبه خيرا منه قبل الخطيئة لان الذنب يحدث له من الخوف والخشيه والانكسار
والتذلل لله والتضرع بين يديه والبكا على خطيئته والندم عليها والاسف والاشفاق
ما هو من افضل احوال العبد واقربها له في دنياه واخرته ولم تكن هذه الامور لتحصل
بدون اسبابها او حصول الملزوم بدون لازمه محال والله يحب من عبده كسرته وتضرعه

وذله بين يديه واستعطافه وسؤاله ان يعفو عنه ويغفر له ويتجاوز عن جرمه
وخطيئته فاذا قضى عليه بالذنب فتنزيعت عليه هذه الآثار المحبوبه له كان
ذلك القضاء خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن ولهذا قال بعض السلف لو لم تكن
التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم المخلوق عليه وقيل انى بعض
الآثار يقول الله لداود يا داود كنت تدخل على دخول العبيد على الملوك
واليوم تدخل على دخول العبيد على الملوك قالوا وقد قال غير واحد من
السلف كان داود بعد التوبه خيرا منه قبل الخطيئه قالوا ولهذا قال سبحانه
فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب فزاده على المغفره امرين
الزلفى وهى درجه القرب منه وقد قال فيها سلف الامه واعيتها ما لا تحمله
عقول الجميعه وفواضعهم من اراد معرفتها فعليه بتفاسير السلف والثانى حسن
المآب وهو حسن المنقلب وطيب المأوى عنده الله قالوا ومن تأمل زيادة العرب التى
اعطيها داود بعد المغفره علم صحة ما قلنا وان العبد بعد التوبه يعود خيرا مما كان قالوا وايضا
فان للعبوديه لوازم واحكاما واسرارا وكمالات لا تحصل الا بها ومن جملتها تكميل مقام
الذل للعزيز الرحيم فان الله سبحانه يحب من عباده ان يكمل مقام الذل له وهذا هو حقيقة
العبوديه واشتقاقها يدل على ذلك فان العرب تقول طريق معبد اى مذلل يوطئ الاقدام
والذل انواع احكمها ذل المحب لمحبوبه الثانى ذل المملوك لمالكه الثالث ذل الخائف لمن
يرى المنعم عليه المحسن اليه الحالة الرابع ذل العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته لمن
يرى القادر عليها التى هى فى يديه وبامره وتحت هذا فشمات احدهما ذله له فى ان يغلب
له ما يتعصه والثانى ذله له فى ان يدفع عنه ما يضره على الدوام ويدخل فى هذا ذل المصائب
كالمغرم والمرض وانواع البلاء والمحن فقد تضمنت انواع الذل اذا واقاها العبد حقها
وشهدها كما ينبغى وعرف ما يراد به منه وقام بين يدى ربه مستحضرا بالهائها هذا
ذله مما كل وجه ولعز ربه وعظمته وجلاله كانت قليل اعماله فائقة بمقام الكثير

من اعمال غيره قالوا وهذه اسرار لا يدركها مجرد الكلام فمن لا نصيب له منها فلا
بضره ان يخلى المطى وحاديها ويعطى النفوس بواديها فلا كثافة اقوام لها خلقوا
وللمحبه اكباد واجفان قالوا وايضا قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الله اشد فرحا بتوبه عبده من احدكم اضل راحلته قالوا وهذا اعظم ما يكون من الفرح
واكمله فان صاحب هذه الراحله كان عليها ماده حياته من الطعام والشراب وهى
مركبه الذى يقطع به مسافه سفره فلو عدمه لانقطع فى طريقه فكيف اذا عدم
مع مركبه وطعامه وشرابه ثم رآه عدمها فى ارض دويه لا انيس بها ولا معين
ولا من يأوى اليه ويرحمه وتحمله ثم رآها مهلكه لا ماء بها ولا طعام فلما آيس من الحيوه
عفقها وجلس ينتظر الموت اذا هو براحلته قد اشرفت عليه ودنت منه فاى
فرح تعدل فرحه هذا ولو كان فى الوجود فرح اعظم من هذا لمثل به النبى صلى الله
عليه وسلم مع هذا يفرح الله بتوبه عبده اذا تاب اليه اعظم من فرح هذا براحلته
وتحت هذا سر عظيم يختص الله برحمته من يشاء فان كنت ممن غلظ حجابه و
كثفت نفسه وطبع على قلبه فدونك بوادى الحمقى وهو وادى المحرومين للكلام عن مواضعه
الواضعين له على غير المراد منه فهو واد قد سلكه خلق وتفرقوا فى شعابه
وطرقه ومتاهاته ولم يستقر لهم فيه قدم ولا الجؤوا منه الى ركن وثيق بل هم
كحاطب الليل وخاطم السيل وان نجاك الله من هذا الوادى فتامل هذه الالفاظ
النبويه العصوميه التى مقصود المتكلم بها غايه البيان مع مصدرها على كمال
العلم بالله وكمال النصح للامه ومع هذه المقامات الثلاث اعنى كمال بيان
المتكلم وفصاحته وحسن تعبيره عن المعانى وكمال معرفته وعلمه بما يعبر عنه
وكمال نصحه لا ارادة لهدايه الخلائق يستحيل عليه ان يخاطبهم بشى وهو لا يريد شيئا مما
يدل عليه خطابه بل يريد منه امرا بعيدا عن ذلك الخطاب اعاذك الله عن الالحاد الا لغاز و
الاحاجى مع قدرته على التعبير عن ذلك المعنى باحسن عباره واوجزها فكيف يليق به
به ان يعدل عن مقتضى البيان الرافع للاشكال المزيل للاجمال ويوقع الامه فى اوديه
التيه وبلات وشعاب الاحتمالات والتحق بتراث سبحانك هذا بهتان عظيم وهل
قدر الرسول حق قدره او موسله حق قدره من نسب كلامه سبحانه وكلام رسوله

الى مثل ذلك فنصاحه الرسول وبيانه وعلمه ومعرفته ونصحه وشفقته يحمل عليه ان يكون
مراده من كلامه ما تحمله عليه المحرفون للكلم عن مواضعه الذاهلون له عن تاويله و
ان يكون كلامه من جنس الالغاز والاحاجي والحمد لله رب العالمين فان قلت فهل من
مسلك غير هذا الوادي الذي ذممته فنسلك فيه او من طريق يستقيم عليه السالك
قلت نعم بحمد الله الطريق واضح المنار بينه الاعلام مضيئه للسالكين واولها ان
تحذف خصايص المخلوقين عن اضافتها الى صفات رب العالمين فان هذه العقول
هي اصل بلاء الناس فيما جاءت به الرسل فما بعدها ايسر منها ومن هلك بها فما بعدها اشد منها
وهل نفى احد ما نفى من صفات الرب او نعوت جلاله الا لسبق نظره الضعيف
اليها واحتجابه بها عن اصل الصفه وتجردها وتجرده عن خصايص الحدث فان الصفه
يلزمها لوازم باختلاف محالها فيظن القاصر اذا راى ذلك اللازم في المحل الحدث
انه لازم لتلك الصفه مطلقا فهي يفرض من اثباتها للخالق سبحانه حيث لم يتجرد في
ظنه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبه والرضى والغضب وا
لكراهه والمقت والبغض وردها كلها الى الارادة فانه فهم فرحا مستلزما لخصايص
المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ما ينفعه وكذلك فهم غضبا هو غليان دم
القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم محبه ورضى وكراهه ورحمة تعرونه بخصايص
المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهود في علمه الذي لم تصل معرفته
الى سواه ولم يحط علمه بغيره ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا من نفيه
عن الخالق والصفه لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيها ثم لاصحاب
هذه الطريق مسلكان احدهما مسلك التناقض البين وهو اثبات عين من الصفات
ولا التفات فيها الى هذا الخيال بل يثبتها مجرده عن خصايص المخلوق كالعلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي نفاها استلزم
المحذور الذي فر منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبته وان كان اثبات ما اثبته لا
يستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات ما نفاه وهل خالفنا قضاعجب من هذا
والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هربا من التناقض والتنا

لاعظم الباطل واهل المحال فاذا كان الحق المحض في الاثبات المحض الذي اثبته الله
لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تبديل
ومنشا غلط المحرفين انما هو ظنهم ان ما يلزم الصفه في المحل المعين يلزمها لذاتها
فينفون ذلك اللازم عن الله فيضطرون في نفيه الى نفي الصفه ولا ريب ان الامور
ثلاثه امر يلزم الصفه لذاتها من حيث هي هذا لا ينفك بل يجوز نفيه كما يلزم العلم
والسمع والبصر من تعلقها بمعلوم ومسموع ومبصر فلا يجوز نفي هذه التعلقات
التعلقات عن هذه الصفات اذ لا تتحقق لها بدونها وكذلك الاراده تستلزم

العلم لذاتها فلا يجوز نفي لازمها عنها وكذلك السمع والبصر والعلم يستلزم الحيوه فلا
يجوز نفي لوازمها وكذلك كون المرائي مرايا حقيقة له لوازم لا ينفك عنها ولا يتم سبيل
الى نفي تلك اللوازم الا بنفي الرويه وكذلك الفعل الاختياري له لوازم لا بد فيه منها
ممن نفى لوازمه نفى الفعل ولا بد ومن هنا كان اهل الكلام اكثر الناس تناقضا و
اصعبها فانهم ينفون الشي ويثبتون ملزومه ويثبتون الشي وينفون لازمه
متناقض اقوالهم واد لتهم يقع السالك خلفهم في الحيرة والشك ولهذا يكون
بهايه اكثرهم الشك والحيره حاشى من هوى حضارة بلادته منهم اومن قد خرق
تلك الحجابات وقطع تلك الشبهات وحكم الفطر والشرع والعقل المؤيد بنور الوحي
عليها فنقدها نقد الصيارف فنفى زغلها وعلم ان الصحيح منها اما ان يكون قد تلقت
النصوص بيانه واما ان يكون فيها عنه عنه بما هو خير منه واقرب طريقا و
اسهل تناولا ولا يستفيد المؤمن البصير بما جاء به الرسول العارف به من المتكلمين
سوى مناقضه بعضهم بعضا ومعارضتهم وابدا بعضهم عوار بعض ومحاربة
بعضهم بعضا فيتولى بعضهم محاربه بعض وليسلم ما جاء به الرسول فاذا راى المؤمن
العالم الناصح لله ولرسوله احدهم قد تعدى الى ما جاء به الرسول فناقضه ويعارضه ويضاده
فليعلم انهم لا طريق لهم الى ذلك ابدا ولا يتبع ردهم الاعلى اراء امثالهم واشباههم و
اما ما جاء به الرسول فمحفوظ محروس مصون من تطرق المعارضه والمناقضه

اليه فان وجدت شيأ من ذلك في كلامهم بدأت بدار الى ابداء فضايحهم وكشف
تلبيسهم ومحالهم وتناقضهم وتبيين كذبهم على العقل والوحي فانهم لا يردون
شيأ مما جاء به الرسول الا بحرف من العقل يقترن به ضعف العقل والايمان
فالكشف والله يحدث كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ
ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ولولا ان كل مسايل العوم وشبههم
التي خالفوا فيها النصوص هذه المثابة لذكرنا من امثلة ذلك ما تقر به عيون اهل
الايمان السايرين الى الله على طريق الرسول واصحابه وان وفق الله سبحانه جردنا لذلك
كتابا مفردا وقد كفانا شيخ الاسلام بن تيمية هذا المقصد في عامة كتبه لا سيما كتابه
الذي وسمه ببيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح فانه فيه شفى كل حرق وكشف
اسرارهم وهتك استارهم فجزاه الله عن الاسلام واهله من افضل الجزاء واعم انه
لا ترد شبهة صحيحة قاطعة على ما جاء به الرسول بل الشبهة التي يوردها اهل البدع و
الضلال على اهل السنة لا تخلو من احد امرين اما ان يكون القول الذي اوردت عليه
ليس من اقوال الرسول بل يكون منسوبا اليه غلطا وهذا لا يكون متفقا عليه بين اهل
السنة ابدا بل يكون قد قاله بعضهم وغلط فيه فان العصمة انما هي لمجموع الامة
لا لطايفة معينة منها واما ان يكون القول الذي اوردت عليه قولا صحيحا لكن
لا ترد تلك الشبهة عليه وحينئذ فلا بد لها من احد امرين اما ان تكون لازمة
واما ان لا تكون لازمة فان كانت لازمة لما جاء به الرسول فهي حق لا شبهة
اذ لازم الحق حق ولا ينفع الفرار منها كما يفعل الضعفاء من المنتسبين الى السنة بل
كل ما لزم من الحق فهو حق يتعين القول به كاينا ما كان وهل تسلط اهل البدع و
الضلال على المنتسبين للسنة الا هذا الطريق الوعر هم بلوازم تلزم الحق فلم يلزموها ودفعوها واثبتوا ملزومها فتسلطوا عليهم بما انكروه لا بما اثبتوه
ولو اثبتوا لوازم الحق ولم يفروا منها لم تجد اعداهم اليهم سبيلا وان لم تكن لازمة
لهم فالزامهم اياها باطل وعلى التقديرين فلا طريق لهم الى رد الحق بهم وحينئذ فلهم

جوابان

جوابان مركب مجمل ومفرد مفصل اما الاول فيقولون لهم هذه اللوازم التي
تلزمونا بها اما ان تكون لازمة في نفس الامر واما ان لا تكون لازمة
فان كانت لازمة لم يخ حق اذ قد ثبت ان ما جاء به الرسول هو الحق الصريح ولازم
الحق حق فان لم تكن لازمة لم يخ مندفع ولا يجوز الزامها ولا التزامها واما الجواب
المفصل فيفردون كل الزام بجواب ولا يردونه مطلقا ولا يقبلونه مطلقا بل ينظرون
الى الفاظ ذلك الالزام ومعانيه فان كان لفظها موافقا لما جاء به الرسول يتضمن
اثبات ما اثبته ونفي ما نفاه فلا يكون المعنى الا حقا فيقبلون ذلك الالزام وان
كان مخالفا لما جاء به الرسول متضمنا لنفي ما اثبته او اثبات ما نفاه كان باطلا
لفظا ومعنى فيقابلونه بالرد وان كان لفظه مجملا محتملا للحق وباطل لم يقبلوه مطلقا ولم
يردوه مطلقا حتى يستفسروا قايله ماذا اراد به فان اراد معنى صحيحا مطابقا لما جاء به
الرسول قبلوه ولم يطلقوا اللفظ المحمل اطلاقا وان اراد معنى باطلا ردوه ولم يطلقوا
نفي اللفظ المحمل اطلاقا وان اراد معنى باطلا ردوه ولم يطلقوا نفي اللفظ المحمل ايضا
هذه قاعدتهم التي بها يقتضون وعليها يعولون وبسط هذه الكلمات يستدعي اسفارا
لا سعوا واحلا ومن لا اضياء له لا ينتفع بها ولا يقدرها فلنقتصر عليها ولنعد الى
المقصود فنقول وبالله التوفيق فرع اثبات هذا الفرع العظيم بتوبيخ عبده اذا تاب اليه
هو من ملزومات محبته ولوازمها اعني كونه محبا لعباده المومنين محبوبا لهم وانما
خلق خلقه لعبادته المتضمنة لكمال محبته والخضوع له ولهذا خلق الجنة والنار و
لهذا ارسل الرسل وانزل الكتب وهذا هو الحق الذي خلق به السموات والارض
وانزل به الكتاب قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون الى
قوله هو الذي جعل الشمس ضيآء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
نزل عليك الكتاب بالحق فهذا اسمه وتنزيله مصدر بالحق والارض خلقت
وتكوينه مصدره الحق ايضا فبالحق كان الخلق والامر وعنه صدر الخلق

الألوكة
www.alukah.net

والامر وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر سبحانه ان الغاية
المطلوبة من خلقه هي عبادته التي اصلها كمال محبته وهو سبحانه كما انه يحب ان
يعبد يحب ان يحمد ويثنى عليه ويذكر باوصافه العلى واسمائه الحسنى كما قال النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك
اثنى على نفسه وفي المسند من حديث الاسود بن سريع انه قال يا رسول الله الا
احمدن ربي بمحامد فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب نفسه ومن اجل ذلك اثنى
على نفسه بمجد نفسه وتقدس نفسه وحب من يحمده ويحبه ويثني عليه بل كل ما كانت
محبة عبده له اقوى كانت محبة الله له اكمل واتم فلا احد احب اليه ممن يحبه ويحمده
ويثني عليه ومن اجل ذلك كان الشرك ابغض الاشياء اليه لانه ينقض هذا
المحبة وتجعلها بينه وبين من اشرك به ولهذا لا يغفر الله ان يشرك به لان
الشرك يتضمن نقصان هذه المحبة والتسوية فيها بينه وبين غيره ولا
ريب ان هذا من اعظم ذنوب المحب عند محبوبه التي تنقص بها من عينه
وتسقط بها من رتبته عنده اذا كان من المخلوق فكيف يحتمل رب العالمين
ان يشرك بينه وبين غيره في المحبة والمخلوق لا يحتمل ذلك ولا يرضى به ولا
يغفر هذا الذنب لمحبه ابدا وعساه ان يتجاوز لمحبه عن غيره من الهفوات
والزلات في حقه ومتى علم بانه يحب غيره كما يحبه لم يغفر له هذا الذنب ولم
يعف عنه اليه هذا مقتضى الطبيعة والفطرة افلا يستحي العبد ان يسوي بين الهه ومعبوده
وبين غيره في هذه العبودية والمحبة قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فاخبر سبحانه ان من احب شيئا دون
الله كما يحب الله فقد اتخذه ندا وهذا معنى قول المشركين لمعبودهم تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين فهذه تسويه في المحبة والتالة التي في الذات والافعال و
الصفات والمقصود ان الله سبحانه تحب نفسه اعظم محبة ويحب من يحبه وخلق خلقه
لذلك وشرع شرايعه وانزل كتبه لاجل ذلك واعد الثواب والعقاب لاجل ذلك
وهذا هو محض الحق الذي به قامت السموات والارض وكان الخلق والامر فاذا قام به

العبد

العبد فقد قام بالامر الذي خلق له فرضي عنه صانعه وباريه واحبه اذ كان كما يحب ويرضى
فاذا صدق في ذلك واعرض عنه والتفت الى مالكه وسيده ابغضه ومقته لانه خرج عما خلق
له وصار الى ضد الحال التي هو لها فاستوجب منه غضبه بدلا من رضاه وعقوبته له
بدلا من رحمته فكما انه استدعى من ربه ان يعامله من نفسه بخلاف ما يحب فانه
سبحانه عفو يحب العفو محسن يحب الاحسان جواد يحب الجود سبقت رحمته
غضبه فاذا ابق منه العبد وخامر عليه ذاهبا الى عدوه فقد استدعى منه ان يجعل غضبه
غالبا على رحمته وعقوبته على احسانه وهو سبحانه يحب من نفسه الاحسان والبر والا
نعام فقد استدعى من ربه فعل ما غيره احب اليه منه وهو يمنعه له عبد السوء الذي
يحمل استياده من المخلوقين المحسن اليه الذي طبيعته الاحسان والكرم على خلاف
مقتضى طبيعته وسجيته فاستياذه تحب لطبع الاحسان وهو بإسائته ولومه بطبعه
يكلفه ضد طباعه ويحمل على خلاف سجيته فاذا راجع هذا العبد ما يحب سيده ورجع
اليه واقبل اليه ورجع عن عدوه فقد صار الى الحال التي تقتضي محبة سيده له وانعامه عليه
واحسانه اليه ينفرح به ولا اعظم فرحا وهذا الفرح هو دليل غاية الكمال والغنى و
المجد فليتدبر اللبيب وجود هذا الفرح ولوازمه وملزوماته تحدى طيبه من العارف
الالفيه ما لا يتسع له الا القلوب المهياة لهذا الشان المخلوقة له ولهذا فرح محسن بطيف
جواد على عبد لا فرح يحتاج الى حصول ما يفرح به منكمل به مستكمل له من غير فهو على
الكمال لازم للكمال ملزوم له والطف من هذا الوجه ان الله سبحانه خلق عباده المؤ
وخلق كل شيء لاجلهم كما قال تعالى للصالحين وصفوتهم ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال لموسى واصطنعتك لنفسي واتخذ منهم الخليلين
والخلة اعلى درجات المحبة وقد جاء في بعض الآثار يقول الله تعالى ابن ادم خلقتك
لنفسي وخلقت كل شيء لك فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له وفي
اثر آخر يقول تعالى ابن ادم خلقتك لنفسي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب
ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب
اليك من كل شيء فالله سبحانه خلق عباده له ولهذا اشترى منهم انفسهم وما هذا عقد

لم يعقده مع خلق غيرهم فيما اخبر به على لسان رسوله ليحلوا اليه النفوس التي
خلقها له وهذا الشرى دليل على انها محبوبة له مصطفاة عنده مرضية لديه
وقدر السلعة يعرف بجلالة قدر مشتريها وبمقدار ثمنها هذا اذا جهل قدرها
في نفسها واذا عرف قدر السلعة وعرف مشتريها وعرف الثمن المبذول فيها علم شانها
ومرتبتها في الوجود فالسلعة انت والله المشتري والله جنة والنظر الى وجهه
وسماع كلامه في دار السلام والله لا يصطفي لنفسه الا اعز الاشياء واشرفها
واعظمها قيمة واذا كان قد اختار العبد لنفسه وارتضاه لمعرفته ومحبته وبنى
له دارا في جواره وقربه وجعل ملائكته خدمه يسعون في مصالحه في يقظته
ومنامه وحياته وموته فان العبد ابق عن سيده وماكله ذاهبا عنه معرضا عن رضاه
ثم لم يكفه ذلك حتى خامر عليه وصالح عدوه ووالاه من دونه وصار من جنده مؤثرا
لمرضاته على مرضاة وليه ومالكه فقد باع نفسه التي اشتراها منه الجهد ومالكه وجعل
ثمنها جنته والنظر الى وجهه من عدوه وابغض خلقه اليه واستبدل غضبه برضاه
وسخطه برحمته ومحبته فاي مقت حتى هذا المخدوع عن نفسه لم يتعرض له من ربه
تعالى واذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا فتامل ما تحت هذه المعاقبة وما في طي هذا الخطاب من سوء هذا العبد وما
تعرض له من المقت والخزي والهوان ومن استعطاف ربه واستغنابه ودعائه
اليه الى العود الى وليه ومولاه الحق الذي هو اولى به فاذا عاد اليه وتاب اليه نهاه
عنابه من اسوله العدو محبوبا له واستولوا عليه وحالوا بينه وبينه فهرب منهم
ذلك المحبوب وجاء الى محبه اختيارا وطوعا حتى توسد عتبه بابه فخرج المحب
من بيته فوجد محبوبه متوسدا عتبه بابه واضعا خده وذقنه عليها فكيف
يكون فرحه به والله المثل الاعلا ويكفي في هذا المثل الذي ضربه رسول الله لمن
فتح الله عين قلبه فابصر ما في طيه وما في ضمنه وعلم ان ليس كلام مجازفا
ولا امر لعبا ولا تخييلا بل كلام معصوم في منطقه وعلمه وقصده وعمله كل

كلمة

كلمة منه في موضعها ومن لبسها ونفرها لا يتعدى بها عنه ولا يقصر بها الذي يزيد هذا
المعنى تقريرا ان محبوب الرب لعبده سبقت محبة العبد له سبحانه فانه لولا محبته اياه
الله لما جعل محبته في قلبه فانه الهمه حبه واثره به فلما احبه العبد جازاه على تلك
المحبة محبة اعظم منها فانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ومن تقرب اليه ذراعا
تقرب اليه باعا ومن اتاه مشيا اتاه هرولة وهذا دليل على ان محبة الله لعبده الذي يحبه
سوق محبة العبد له واذا استعرض هذا المحبوب لمساخط حبيبه فهو عين له المحبوب الذي
هو من محبه وانزعج عليه فاذا عاوده واقبل اليه وتخلى عن غيره فكيف لا يفرح به
محبه اعظم فرح واكمله والشاهد اقوى شاهد بهذا والفطرة والعقل فلو لم يخبر
الصادق المصدوق بما اخبر به من هذا الامر العظيم لكان في الفطرة والعقل ما
يشهد به فاذا اضافت الشرعة المنزلة الى الفطرة المكملة الى العقل الصحيح المنور
فذلك الذي لا غاية له بعده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل

ومتى اراد العبد شاهد هذا من نفسه فلينظر الى الفرح الذي يجده بعد
التوبة النصوح والسرور واللذة التي تحصل له والمخرج من حبس العمل فلما تاب الله
عليه فتح الله بتوبته اعينه وجاعيطما وهاهنا دقيقة قل من يتفطن لها الا من شاء
في هذا الشان وهو ان كل تائب لا بد له في اول توبته من عصره وضغطة في
تحلبه مما هم او غم او ضيق او حزن ولو لم يكن الا تالمه بفراق محبوبه فيضغط
لذلك ويعتصر قلبه ويضيق صدره فاكثر الخلق رجعوا من التوبة ولم يسلموا
على رءوسهم لاجل هذه المحنة والعارف الموفق يعلم ان الفرح والسرور واللذة التي
عقيب التوبة تكون على قدر هذه العصرة وكلما كانت اشد كانت الفرحة
واللذة اكمل واتم ولذلك اسباب عديدة منها ان هذه العصرة والقبض
دليل على حياة قلبه وقوة استعداده ولو كان قلبه ميتا واستعداده ضعيفا
لم يحصل له ذلك وايضا فان الشيطان لص الاعيان واللص انما يقصد المكان
المعمور واما المكان الخراب الذي لا يرجون يطمع منه بشيء فلا يقصده فاذا تاب

صلة

الألوكة
www.alukah.net

المعارضات الشيطانيه والعصمه دل على ان فى قلبه من الخير ما يشتد حرص الشيطان
على نزعه منه وايضا فان قوة المعارض والمضاد يدل على قوة معارضه وضده
ومثل هذا اما ان يكون راسخا فى الخير او راسخا فى الشر فان السفوس الابيه
العلويه ان كانت خيره راست فى الخير وان كانت شريره راست فى الشر وايضا
فان تحسب موافقته لهذا العارض وصبره عليه يثمر له ذلك من اليقين و
الثبات والعزم ما يوجب زيادة ايمانه وطمانينته وايضا فانه كلما عظم المطلوب
كثرت العوارض والموانع دونه هذه سنة الله فى الخلق فانظر الى الجنه وعظمها
والى الموانع والقواطع التى حالت دونها حتى احوجت ان ذهب من كل الف رجل
واحد اليها وانظر الى محبه الله والانقطاع اليه والانابة اليه والتبتل اليه وحده والا
تمتن به واتخاذه وليا ووكيلا وكافيا وحسبا هل يكتسب العبد شيا اشرف منه
وانظر الى القواطع والموانع الحايله دونه هل قد تعلق كل قوم عما تعلقوا به
دونه والطالبون له منهم الواقف مع علمه والواقف مع علم والواقف مع حاله
والواقف مع ذوقه وجمعيته وحظه من ربه المطلوب منهم ولا ذلك كله والمقصود
ان هذا الامر الحاصل بالتوبه لما كان من اجل الامور واعظمها نصبت عليه المعارضات والمحن
ليتميز الصادق من الكاذب وتقع الغربله وتحصل الانتقاد ويتميز من يصلح ممن لا يصلح قال تعالى الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين وقال ليبلوكم ايكم احسن عملا ولكن اذا صبر على هذه العصمه قليلا افضت به الى
رياض الانس وجنات الاستراح وان لم يصبر لها القلب على وجهه والله الموفق لا اله غيره ولا رب
سواه والمقصود ان هذا الفرح من الله بتوبه عبده مع انه لم يات بحسنات تطهره فى غيرها من الطاعات
دليل على عظم قدر التوبه وفضلها عند الله مع ان العبد له بها من اشرف العبوديات وهذا يدل
على ان صاحبها يعود اكمل مما كان قبلها هذا بعض ما احتج به لهذا القول واما الطايفه التى
التى قالت لا يعود الى مثل ما كان بل لابد ان ينقص حاله فاحتجوا بان الخطيه توجب الوحشه وزوال
المحبه ونقص العبوديه بلا ريب فليس العبد الموفق اوقاته على طاعته سبيل كالعبد المفرط فى حقوق
وهذا مما لا يمكن جحده ومكابرته فاذا تاب الى ربه ورجع اليه اثمرت توبته قرب مواخذته بما
لذنب والعفو عنه واما مقام القرب والمحبه فهيهات ان يعود قالوا ولان هذا فى زمن اسه

اشتغالها بالمعصيه وقد فاته فيه السير الى الله فلو كان واقفا فى موضعه لفاته التقدم
كثير وهو فى زمن المعصيه كان يسير الى وراء وراءه فاذا تاب فاستقبل سيره
فانه يحتاج الى سير جد ليل وقطع مسافه حتى يصل الى الموضع الذى تاخر منه قالوا و
نحن لا ننكر انه قد ياتى بطاعات واعمال تبلغه الى منزله وانما انكرنا ان يكون محرد التوبه
النصوح يعود الى منزلته وحاله وهذا ما لا يكون فانه بالتوبه قد رجع وجمع الى الطريق
فلا يصل الى مكانه الذى رجع منه الا بسير مسانف يوصله اليه ونحن لا ننكر ان العبد بعد
التوبه يعمل اعمالا عظيمه لم يكن ليعملها قبل الذنب توجب له التقدم قالوا وايضا فلو رجع
الى حاله التى كان عليها او الى ارفع منها لكان بمنزله المداوم على الطاعه او احسن حالا ٨
منه فكيف يكون هذا وابن سير صاحب الطاعه فى زمن اشتغال هذا بالمعصيه
وكيف يلتقى رجلان احدهما سايرا نحو المشرق والاخر نحو المغرب فاذا رجع احدهما
الى طريق الاخر والاخر مجد فى سيره فانه لا يزال سائقه ما لم يعرض له عائق او توان هذا
مما لا يمكن جحده ودفعه قالوا وايضا فمرض القلب بالذنوب على مثال مرض الجسم
بالاسقام والتوبه بمنزله شرب الادويه والمرض اذا شرب الدواء وصح فانه لا يعود
اليه قبل المرض وان عادت فبعد حين قالوا وايضا هذا فى زمن التعلم
التوبه مكبوب على نفسه مشغول بها واتقا ومعالجتها وفى زمن الذنب مشغول
بشهوتها والسالم من ذلك مشغول بربه فقد قرب منه فى سيره فكيف يلحقه
هذا اخذ او نحوه مما احتج به هذه الطايفه لقولها وحرثت هذه المساله بحضرة
شيخ الاسلام ابن تيميه فحققه يحكى هذه الاقوال الثلاثه حكايه مجرده فاما
سماعه لها واما سيل عن الصواب منها فقال الصواب ان من التايبين من يعود
الى مثل حاله ومنهم من يعود الى اكمل منها ومنهم من يعود الى انقص من
ما كان فان كان بعد التوبه خيرا مما كان قبل الخطيه واشد حذرا واعظم تشميرا
واعظم ذلا وخشيه وانابه عاد الى ارفع مما كان وان كان قبل الخطيه اكمل فى هذه
الامور كلها لم يعد بعد التوبه اليها عاد الى انقص مما كان عليه وان كان بعد التوبه
مثل ما كان قبل الخطيه رجع الى مثل منزلته هذا معنى كلامه قلت وهذا مسلك هذا الموضع
احصر المواضع بيانها وهى ان التايب اذا تاب الى الله توبه نصوحا فعل بها ما

السيات وتذهب لاله ولاعليه واذا تحيت اثبت له مكان كل سيئة حسنة هذا مما
اختلف الناس فيه من المفسرين وغيرهم قديما وحديثا فقال الزجاج ليس تحصل
مكان السيئة الحسنة لكن تجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة قال ابن عطيه
تجعل اعمالهم بدل معاصيهم الاولى طاعة فيكون ذلك سبا لرحمة الله اياهم قاله
ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن ورد على من قال هو في يوم القيمة قال وقد ورد
حديث في كتاب مسلم من طريق ابي ذر يقتضي ان الله سبحانه يوم القيمة يجعل لمن
يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئة حسنات وذكره الترمذي والطبري
وهذا تاويل سعيد ابن المسيب في هذه الاية قال ابن عطيه وهو معنى كرم العفو
هذا اخر كلامه قلت سياتي انشاء الله ذكر الحديث بلفظه والكلام عليه قال
المهدوي وروي معنى هذا القول عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما
وقال الثعلبي قال ابن عباس وابن جريج والضحاك وابن زيد يبدل الله سيئاتهم حسنات
يبدل الله بقبيح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك
ايمانا وبقتل الموحدين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقال اخرون يعني
يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في حال اسلامهم حسنات يوم القيمة واصل القولين
ان هذا التبديل هل هو في الدنيا او يوم القيمة فمن قال انه في الدنيا قال هو تبديل الا
عمال القبيحة والارادات الفاسدة باضدادها وهي حسنات وهذا تبديل حقيقة والذين
نصروا هذا القول احتجوا بان السيئة لا تنقلب حسنة بل غايتها ان تمحى وتكفر
ويذهب اثرها فاما ان تنقلب حسنة فلا لانها لم تكن طاعة وانما كانت بغيضة
مكروهة للرب فكيف تكون محبوبة له مرضية قالوا وايضا فالذي دل
عليه القرآن انما هو تكفير السيئات ومغفرة الذنوب كقوله ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وقوله ويعفو عن السيئات وقوله ان الله يغفر الذنوب
جميعا والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيح من حديث قتادة عن صفوان ابن
محرز قال قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى قال

سمعته يقول يدني المؤمن يوم القيمة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه
فيقول هل تعرف فيقول رب اعرف قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقين فينادى بهم على رؤوس الا
شهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم عز وجل فهذا الحديث المتفق عليه الذي يقتضي
العناية بهذا العبد انما هو في ستر ذنوبه عليه في الدنيا بغفرانها له يوم القيمة ولم
يقل له واعطيتك بكل سيئة منها حسنة ودل على ان غاية السيات مغفرتها و
تجاوز الله عنها وقد قال الله في حق الصادقين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فهو لاء اختيار الخلق وقد اخبر عنهم انه يكفر
عنهم سيات اعمالهم ويجزيهم باحسن ما عملوا واحسن ما عملوا انما هو الحسنات
لا السيات فدل على ان الجزاء بالحسنى انما يكون على الحسنات وحدها واما
السيات فحسبها ان تلغى وتبطل اثرها قالوا وايضا فلو انقلبت السيات
انفسها حسنات في حق التائب لكان احسن حالا من الذي لم يرتكب منها
شيأ واكثر حسنات منه لانه اذا اطاع شاكرا في حسناته التي فعلها وامتاز
عنه بتلك السيات ثم انقلبت له حسنات يرجح عليه وكيف يكون صاحب السيات
ارجح ممن لا سيئة له قالوا وايضا فكما ان العبد اذا فعل حسنات ثم اتى بما يحبطها
فانها لا تنقلب سيات يعاقب عليها بل يبطل اثرها ويكون لا له ولا عليه ويكون
عقوبته عدم ترتب ثوابه عليها فعلا من فعل سيات ثم تاب منها فانها لا تنقلب
حسنات فان قلتم وهكذا التائب يكون ثوابه عدم ترتب العقوبة على سيئاته
نازعكم في هذا وليس هذا معنى الحسنة فان الحسنة تقتضي ثوابا وجوديا واختتم
الطائفة الاخرى التي قالت هو تبديل السيئة بالحسنة حقيقة يوم القيمة بان قالت حقيقة
التبديل اثبات الحسنة مكان السيئة وهذا انما يكون في الحسنة الحقيقة وهي التي قد وقعت
ووقعت فاذا ابدلت حسنة كان معناه انها محيت واثبت مكانها حسنة قالوا ولهذا قال
سيئاتهم حسنات فاضاف السيات اليهم لانهم اتوها واكتسبوها ونكر

الألوكة
www.alukah.net

لحسنات ولم يضفها اليهم لانها من غير صنعهم وكسبهم بل هي مجرد فضل الله وكرمه قالوا
وايضا فالتبديل في الآية انما هو فعل الله لا فعلهم فانه اخبر انه هو يبدل سيئاتهم
حسنات ولو كان المراد ما ذكرتم لاضاف التبديل اليهم فانهم هم الذين يبدلون سيئاتهم
حسنات والاعمال انما تضاف الى فاعلها وكاسبها كما قال تعالى فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم واما ما كان من غير الفاعل فانه تجعله من تبديله هو كما قال تعالى فبدلناهم بجنتيهم جنتين فالاخبر سبحانه انه هو الذي يبدل سيئاتهم حسنات دل على انه
شيء فعله هو سبحانه بسيئاتهم لا انهم فعلوه من تلقاء انفسهم وان كان سببه منهم
وهو التوبة والايمان والعمل الصالح قالوا ويدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث
الاعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال قال رسول الله اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا
الجنة واخر اهل النار خروجا منها رجل يوتى به يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار
ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم
كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق
من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت
اشياء لا ارا ها هنا فلقد رايت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه وقال الامام احمد
ثنا وكيع ثنا الاعمش عن المعرور ابن سويد عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى
بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه قال فيعرض عليه وتخبا عنه كبارها
فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وهو يقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال
اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال فيقول ان لي ذنوبا ما ارا ها فلقد رايت رسول الله
ضحك حتى بدت نواجذه قالوا وايضا فروى ابو حفص المستملي عن محمد بن عبد العزيز
ابن ابي رزمة ثنا الفضل ابن موسى السيناني عن ابي العنبس عن ابيه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله ليتمنين اقوام يوم القيمة الكثر وان السيئات قيل منهم قال اللايث يبدل
الله سيئاتهم حسنات وقع لواوهو لاء هم الابدال في الحقيقة فانهم انما سموا ابدالا
لانهم بدلوا اعمالهم السيئة بالاعمال الحسنة فبدل الله سيئاتهم بالاعمال التي عملوها
حسنات قالوا وايضا فالجزاء من جنس العمل فكما بدلوا هم اعمالهم السيئة بالحسنة بدلها

الله من مخافة الحفظة حسنات جزاء وفاقا قالت الطائفة الاولى كيف يمكنكم الاحتجاج بحديث ابي ذر على صحة قولكم وهو صريح في ان هذا الذي قد بدلت سيئاته حسنات قد عذب عليها في النار حتى كان اخر اهل النار خروجا منها فهذا قد عوقب على سيئاته فزال اثرها بالعفو به فبدل مكان كل سيئة منها حسنة وهذا حكم غير ما نحن فيه فان الكلام في الثابت من السيئات لا فيما مات مصرا عليها غير تائب فاين احدهما من الاخر واما حديث الامام احمد فهو لحديث بعينه اسنادا ومتنا الا انه مختصر واما حديث ابي هريرة فلا يقبل مثله ومن ابو العنبس ومن ابوه حتى يقبل منهما تفردهما بمثل هذا الامر الجليل وكيف يصح مثل هذا الحديث عن رسول الله مع شدة حرصه على التنفير من السيات وتقبيح اهلها وذمهم وعيبهم والاخبار بانها تنقص الحسنات وتضادها فكيف يصح عنه صلى الله عليه وسلم ان يقول ليتمنين اقوام يوم القيمة الكثرة امثالهم كيف يتمنى المرء الكثرة من مواد سوء عاقبتها وسوء مغبتها واما تمني الاكثار من الطاعات وفي الترمذي مرفوعا ليتمنين اقوام يوم القيمة ان جلودهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب اهل البلاء فهذا فيه غنى لان يوم القيمة لا يجزى احد الا بقدر ما اعطي من الثواب لا يزيد عليه واما تمني السيات فكيف يتمنى العاقل ان كان اكثر من السيات هذا ما لا يكون ابدا واما تمني المسلم ان لو لم يكن اساء واما تمنيه ان الله بدل سيئاته حسنات فكما قالوا واما ما ذكرتم من ان التبديل هو اثبات الحسنة مكان السيئة فحق وكذلك نقول ان الحسنة المفعولة صارت في مكان السيئة التي لولا الحسنة لحلت محلها قالوا واما احتجاجكم باضافة السيات اليهم وذلك يقتضي ان تكون هي السيات الواقعة منهم وتنكر الحسنات وهو يقتضي ان تكون حسنات من فضل الله فهو حق بلا ريب ولكن من اين ينفي ان يكون فضل الله بها مقارنا لكسبهم اياها بفضله قالوا واما قولكم ان التبديل مضاف الى الله لا اليهم وذلك يقتضي انه هو الذي بدلها من الصحف لا انهم هم الذين بدلوا الاعمال باضدادها فهذا لا دليل لكم فان الله خالق افعال العباد فهو المبدل للسيات حسنات خلقا وتكوينا وهم المبدلون لها فعلا وكسبا قالوا واما احتجاجكم بان الجزاء من جنس العمل فكما بدلوا سيات اعمالهم حسنات تم بدلها الله كذلك في صحف الاعمال

الألوكة
www.alukah.net

فهذا حق وبه نقول وانه بدلت السيات التي كانت معها وسعة ان تحل في الصحف
الحسنات حتى موضعها فهذا مستحق اقدام الطائفتين ومحط نظر الفريقين
واليك ايها المنصف الحكم بينهما فقد ادلى كلاهما بحجته واقام بينته والحق لا يعدوهما ولا
يتجاوزهما فارشد الله من اعان على هدى فنال به درجة الداعين الى الله القائمين ببيان
حجج دينه او عذر طالبا مسترشدا في طريق مطلبه قد انقطع رجاؤه من رفيق في الطريق فعاية
امنيته ان يخلى بينه وبين سيره وان لا يقطع عليه طريقه فمن وقع له مثل هذا العلم ولم يشمر اليه
فقد رضي بالدون وحصل على صفقة المغبون ومن شمر اليه ورام ان لا يعارضه معارض
ولا يتصدى له مانع فقد مني نفسه المحال ان صبر على لاواتها ورشد تقاها نهو والله الفوز
المبين اذ الحظ الجزيل وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب فالصواب
في هذه المسئلة ان يقال لا ريب ان الذنب نفسه لا ينقلب حسنة والحسنة انما هي امر وجودي
تقتضي ثوابا ولهذا كان تارك المنهيات انما يثاب على كف نفسه وحبسها عن مواقعة
المنهي وذلك كف وحبس امر وجودي هو متعلق الثواب واما من لم يخطر بباله الذنب
اصلا ولم تحدث به نفسه فهذا كيف يثاب على تركه ولو اثيب مثل هذا على ترك
هذا الذنب لكان مثابا على ترك ذنوب العالم التي لا تخطر بباله وذلك اضعاف حسنة
حسنات بما لا يحصي فان الترك يستحق معه والمتروك لا ينحصر ولا ينضبط فهل يثاب
على ذلك كله هذا ما لا يتوهم واذا كانت الحسنة لا بد ان تكون امرا وجوديا فالتائب
من الذنوب التي قد عملها قد قارن كل ذنب منها ندما عليه وكف نفسه عنه وعزما على تركه
معاودته وهذه حسنات بلا ريب وقد محت التوبة اثر الذنب وخلفه هذا الندم
والعزم وهو حسنة فقد بدلت تلك السيئة حسنة وهذا معنى قول بعض المفسرين
يجعل لكل المسيئة التي تاب والحسنة مع التوبة فاذا كانت كل سيئة من سيئاته
قد تاب منها تلقته منها حسنة حلت محلها فهذا معنى التبديل لان السيئة
تعقبها تنقلب حسنة وقال بعض المفسرين في هذه الاية يفصح بالندم على كل سيئة
اساءها حسنة وعلى هذا فقد زال بحمد الله الاشكال واتضح الصواب وظهر ان كل واحد
من الطائفتين ما خرجت عن موجب العلم والحكم واما حديث ابي ذر وان كان التبديل

في حق المصر الذي عذب على سيئاته فهو دليل الطريق الاولى على حصول التبديل للتائب
المقلع النادم على سيئاته فان الذنوب التي عذب عليها المصر ما زال اثرها بالعقوبة بقيت
كان لم تكن فاعطاه الله مكان كل سيئة منها حسنة لان ما حصل له يوم القيمة من
الندم المفرط عليها مع العقوبة اقتضى زوال اثرها وتبديلها حسنات فان الندم
لم يكن في وقت ينفع فلما عوقب عليها وزال اثرها بدلها الله حسنات فزال اثر
التوبة النصوح اعظم من زوال اثرها بالعقوبة فاذا بدلت بعد زوالها بالعقوبة
حسنات فلان تبدل بعد زوالها بالتوبة حسنات اولى واحرى وتاثير التوبة في هذا
المحو والتبديل اقوى من تاثير العقوبة لان التوبة فعل اختياري اتى به العبد طوعا
ومحبة لله وفرارا منه واما العقوبة فالتكفير بها من جنس التكفير بالمصايب
التي تصيبه بغير اختياره بل بفعل الله ولا ريب ان تاثير المصائب التي تناله بغير اختيار
ولنرجع الان الى المقصود وهو الكلام على ما ذكره ابو العباس ابن العريف في علل المقامات
فقد ذكرنا كلامه في علة مقام الارادة وذكرنا ان الكلام على ذلك من وجوه هذا احد
الوجه الثاني منها الوجه الثالث ان يقال قوله الزهد تعظيم للدنيا واحتباس
عن انتقادها الى اخر الفصل ان اراد به الفصل ان زهده دليل على تعظيم للدنيا
وان لها في قلبه من القدر والمنزلة ما يكره لاجله نفسه على تركها او مستلزم لذلك فالامر
لا دليل على هذا التعظيم ولا يستلزمه وان كان من عوارض غلبات الطبع ازدم مساكنتها
والحجاب لتلعب بها بل زهده فيها دليل على خروج عظمها من قلبه وقلة مبالاته بها وتركه
الاهتمال بشانها فكيف يكون هذا نقصا بوجه بل النقص في الزهد يكون من احد
وجوه ثلاثة اما ان يزهد فيما ينفعه منها ويكون قوي له على سيره ومعونة له على سفره
فهذا نقص فان حقيقة الزهد هي ان يزهد فيما لا ينفعه منها والورع ان يجتنب
ما يضره وهذا الفرق بين الامرين الثاني ان يكون زهده مشوبا اما بنوع حزن
او ملالة وسامة وتاذ بها واما تعب قلبه بشغله بها ونحو هذا من المرهقات
فيها كما قيل لبعضهم ما الذي اوجب زهدك في الدنيا قال قلة وفائها وكثرة جفائها
وحسد شركائها فهذا زهد ناقص فلو صفت للزاهد من تلك العوارض لم يزهد فيها
بخلاف من كان زهده فيها لامتلاء قلبه من الاخرة ورغبته في الله وقربه فهذا النقص

www.alukah.net

في زهده والاعلة من جهة كونه زهدا الثالث ان يشهد زهده ويلحظه ولا يغني عنه بما
زهد لاجله فهذا نقص ايضا فالزهد كله ان يزهد في رؤية زهدك ويغيب برويه
الفضل ومطالعة المنة وان لا يقف عنده منقطع بل اعرض عنه جادا في سيرك غير ملتفت
اليه مستصغر الحاله بالنسبه الى مطلوبك مع ان هذه العلة مطرده في جميع المقامات
على ما فيها كما ستنبه عليه ان شاء الله فان ربط هذا الشان بالنصوص النبويه
والعقل الصريح والفطرة الكامله من اهم الامور فلا يحسن بالناصح لنفسه ان يقنع
منه بمجرد تقليد اهله فما اكثر غلطهم فيه وتحكيم مجرد الذوق وجعله حكما على ذلك الذوق
كليا عاما وهذا كله ونحوه من مشارات الغلط الوجه الرابع ان الزهد على
اربعه اقسام احدها فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام وهذا هو الذي اخل به اعظم
سبب العقاب فلا بد من وجود سبب ما لم يتعقد سبب اخر يضاده الثاني زهد
مستحب وهو على درجات في الاسباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول
المباحات والتقلل من الشهوات لمباح الثالث زهد الداخلين في هذا الشان وهم
المشمرون في السير الى الله وهو نوعان احدهما الزهد في الدنيا جمله وليس المراد
تخليتها من اليد ولا اخراجها وفقوده صفرا منها وانما المراد اخراجها من قلبه بالكليه
فلا يلتفت اليها ولا يبرعها تساكن قلبه فان كانت في يده فليس الزهد ان تتركها الدنيا من
يدك وهي في قلبك وانما الزهد ان تتركها من قلبك وهي في يدك وهذا حال الخلفاء الراشدين
وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهده المثل مع ان خزائن الاموال تحت يده بل كحال سيد
ولد آدم صلى الله عليه وسلم حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك الا زهدا فيها ومن
هذا الاثر المشهور وقد روي مرفوعا وموقوفا ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة
المال ولكن الزهد في الدنيا ان تكون بما في يد الله اوثق منك بما في يدك وان تكون في ثواب
المصيبة اذا اصبت بها ارغب منك فيها لو انها بقيت لك والذي يحمد هذا الزهد
ثلاثة اشياء احدها علم العبد انها فاضل زائل وخيال زائر وانها كما قال تعالى فيها انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا

كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا
ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون وقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا وسماها
سبحانه متاع الغرور ونهى عن الاغترار بها واخبر عن سوء عاقبة المغترين بها
وحذرنا مثل مصارع من تقدم ممن رضي بها واطمأن اليها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
مالي وللدنيا انما انا والدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وفي المسند عنه صلى
الله عليه وسلم حديث معناه ان الله جعل طعام ابن ادم وما يخرج منه مثلا للدنيا
فانه وان كرهه ولحه فلينظر الى ما يصير اليه فما اعلق بها واسكن اليها
الا ذو همة دنيه وعقل حقير وقدر خسيس الثاني علمه ان ولاها دار اعظم
منها قدرا واجل خطرا وهي دار البقاء وان صيتها اليها كما قال النبي ما الدنيا
في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر عاد ترجع فالزاهد فيها
يعتاض عن حقير فان بدرهم زغل قيل له اطرحه فلك عوضه عنه مائة الف
دينار مثلا فالقائم من يده رجاء ذلك العوض فالزاهد فيها لكمال رغبته فيما
هو اعظم منها زهد فيها الثالث معرفته ان هذه يمنعها لا ينفعه شيئا كتبه لم منها
وان حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقن ذلك وصار له علما يقينيا هان
عليه الزهد فيها فانه متى تيقن ذلك وثلج له صدره وعلم ان مضمونه منها سيأتيه بغير
حرص وتعب وكد ضار بعاجل لا يرضى لنفسه بذلك فهذه الامور الثلاثة تسهل
على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه والله الموفق لمن يشاء النوع الثاني الزهد
في نفسك وهو اصعب الاقسام واشقها واكثر الزاهدين انما وصلوا اليه وهم يلحوه
فان الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام سوء مغبته وقبح عثرته وجنايه لدينه وضياله
لايمانه وايثاره اللذة والنعيم على العذاب والنقم من مشاركه الفساق والفجار و
همته من ان يساس لعدوه ويسهل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات

الألوكة
www.alukah.net

علم بما يفوته بايثارها من اللذة والسرور الدايم والنعيم المقيم ويسهل عليه زهده في
الدنيا معرفته بما وراءها وما يطلبه من العوض التام والمطلب الاعلى واما الزهد
في النفس فهو ذخرها بغير سكن وهو نوعان احدهما وسيلة وبلاية وهو ان
تمتنعها فلا سقى لها عندك من القدر شيأ فلا تغضب لها ولا ترضى لها ولا تنتصر لها ولا
تنتفع لها او حبسها اذا دعتك قد حبست عرضها ليوم فقرها وفاقتها فهي اهون
عليك لكن ان تشفق لها او تحبسها اذا دعتك او تقرضها اذا عصتك او تغضب
لها اذا ذممت بل هي عندك احض ما قيل فيها او تزفرها عامة حظك وفلاحك وان
كان صعبا عليها وهذا وان كان ذحا لها وامانة عن طباعها واخلاقها فهو
عين حيوتها وصحتها ولا حيوة لها بدون هذا البتة وهذه العقبة هي
اخر عقبة يشرف منها على منازل المقربين ويخدر منها الى وادي البقاء و
يشرب من عين الحيوة وتخلص نفسك وروحك من سجون الحبي والبلا واسر الشهوات
وتتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق فيا قوة عيشها لم وبا نعيمها
وسرورها بقربه وبا بهجتها بالخلاص من عدوها ومصيرها الى وليها
ومولاها ومالك امرها ومتولي مصالحها وهذا الزهد هو اول نقلة من
مهر الحب فيا مفلس تاخر والنوع الثاني غاية وكمال وهو ان يزهد لها
المحبوب جملة بحيث لا يستبقي منها شيأ بل يزهد فيها زهد الحبي في قدر
حبيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبه به فهل تجد من قلبك رغبتك
امساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبه فهكذا زهد المحب الصادق في
نفسه فيخرج عنها ويسلمها لربه فمحبوبه لها داعما معرض منه لقبولها و
جميع مراتب الزهد المتقدم مباد ووسايل لهذه المرتبة ولكن لا يصح الانتقال
المراتب فمن رام الوصول الى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمثله متسنم لمن رام
الصعود الى اعلى القلة بلا سلم قال بعض السلف اقاطروا الوصول بتضييع
الاصول فمن ضيع الاصول حرم الوصول واذا عرف هذا فليعلم ان الزهد
من منازل العوام وانه نقص في طريق الخاصة وهل الكمال الا في الزهد وما النقص

الا في نقيضه والله الموفق للصواب فصل واما المنزل الرابع التوكل وهو
قال ابو العباس وهو للعوام ايضا لانه كلتك امرك الى مولاك والتجاوك الى
علمه ومعرفته بتدبير امرك وكفايته لك وهذا في طريق الخواص عما عن الكفاية
به ورجوع الى الاسباب لانك رفضت الاسباب ووقفت مع التوكل فصار دلالا
عن تلك الاسباب فانك معلق بها رفضته من حيث مقتضى الانفصال و

وحقيقة التوكل عند القوم التوكل في تخليص القلب من علة التوكل وهو ان يعلم ان الله
لم يترك امرا مهملا بل فرغ من الاشياء وقدرها وان اختلف منها شيء في العقول
او تشويش في المحسوس او اضطراب في المعهود فهو المدبر له وشانه سوق المقادير
الى المواقيت والمتوكل من ازاح نفسه عن كل النظر في مطالعة السبب سكونا الى ما سبق
من القسمة مع استواء الحالين عنده وهو ان يعلم ان الطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع وسبق
طالع بتوكله عرضا كان توكله مدخولا ومقصده معلولا فاذا خلص من رق هذه
الاسباب ولم يلاحظ في توكله سوى وخالص حق الله كفاه الله كل مهم ثم ذكر حكاية
عن موسى انه في رعايته نام عن غنمه فاستيقظ فوجد الذيب واضعا عصاه على عاتقه
يرعاها فعجب من ذلك فاوحى الله اليه يا موسى كن لي كما اريد اكن لك كما تريد فيقال
العلام على هذا من وجوه احدها ان جعله التوكل من منازل العوام باطل كما تقدم بل
الخاصة احوج اليه من العامة وتوكل الخواص اعظم من توكل العوام والتوكل مصاحب
للصادق من اول قدم يضعه في الطريق الى نهايته وكلما ازداد قربه قوي سيره ازداد
توكله فالتوكل مركب السايرين الذي لا يثنى له السير الا به ومتى نزل عنه انقطع لوقته و
هو من لوازم الايمان ومقتضياته قال الله تعالى وعلى الله فليتوكلوا ان كنتم مومنين فجعل
التوكل شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفاء التوكل وفي الاية الاخرى
وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الاسلام
التوكل وقال وعلى الله فليتوكل المومنون فذكر اسم الايمان ها هنا دون سايرا سمايهم
دليل على استدعا الايمان للتوكل وان قوة التوكل او ضعفه بحسب قوة الايمان وضعفه
وكلما قوي ايمان العبد قوي توكله كما ان توكله اقوى واذا ضعف الايمان ضعف التوكل
واذا كان التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الايمان ولا بد والله تعالى يجمع بين

الألوكة
www.alukah.net

التوكل والعباده والتوكل والايمان وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والاسلام وبين
التوكل والهدايه فاما التوكل والعباده فقد جمع الله بينهما فى سبعه مواضع من كتابه احدها
فى سوره ام القران فقال اياك نعبد واياك نستعين الثانى قوله حكايه عن نبيه شعيب انه
قال وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب الثالث قوله حكايه عن اوليائه وعباده
المؤمنين انهم قالوا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الرابع قوله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا الخامس قوله ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون السادس قوله واقيموا الصلوه واتوا الزكوه
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير السابع قوله قل هو ربى لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب فهذه السبعه مواضع جمعت الاصلين التوكل وهى الوسيله
والانابه وهى الغايه فان العبد لا بد له من غايه مطلوبه ووسيله موصله الى تلك الغايه
فاشرف غايه التى لا غايه له اجل منها عباده ربه والانابه اليه واعظم وسايله التى
لا وسيله له غيرها البته التوكل على الله والاستعانه به ولا سبيل له الى هذه الغايه
الا بهذه الوسيله فهذه اشرف المقامات وتلك اشرف الوسايل واما الجمع بين
الايمان والتوكل فمثل قوله قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا ونظيره قولى وعلى
الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون واما الجمع
بين التوكل والاسلام ففى قوله وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين واما الجمع بين التقوى والتوكل ففى مثل قوله تعالى يا ايها النبى
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين الى قوله وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو
حسبه واما الجمع بين التوكل والهدايه ففى مثل قوله الرسل لقومهم وما لنا ان لا نتوكل
على الله وقد هدانا سبلنا وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فتوكل على الله انك على الحق
المبين فامر سبحانه نبيه بالتوكل عليه وعقب هذا الامر بما هو موجب للتوكل صحيح له
مستدع لثبوته وتحققه وهو قوله انك على الحق المبين فان كون العبد على الحق

يقتضى تحقيق مقام التوكل على الله والاكتفاء به والايواء الى ركنه الشديد فان الله
هو الحق وهو ولى الحق وناصره ومؤيده وكافى من قام به فالصاحب الحق ان لا يتوكل
عليه وكيف يخاف وهو على الحق كما قالت الرسل لقومهم وما لنا ان لا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا فجعلوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم واخبروا ان ذلك لا
يكون ابدا وهذا دليل على ان الهدايه والتوكل متلازمان فصاحب الحق لعلمه بالحق
وثقته بان الله ولى الحق وناصره مضطر الى توكله على الله لا يجد بدا من توكله
فان التوكل يجمع اصلين علم القلب وعمله اما عمله فيقينه بكفايه وكيله وكمال قيامه
بما وكله اليه وان غيره لا يقوم مقامه فى ذلك واما عمله فسكونه الى وكيله وطمأنينته
اليه وتفويضه وتسليمه امره اليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه
فبهذين الاصلين يتحقق التوكل وهما جماعه وان كان التوكل دخل فى عمل القلب من
عمله كما قال الامام احمد التوكل عمل القلب ولكن لا بد فيه من العلم وهو ما شرطه به
واما جزء من ماهيته والمقصود ان القلب متى كان على الحق كان اعظم لطمأنينته
ووثوقه بان الله وليه وناصره وسكونه اليه فمحال ان لا يتوكل على ربه واذا كان على الباطل علما وعملا او احدهما لم يكن مطمئنا واثقا به فانه
لا ضمان له عليه ولا عهد له عنده فان الله لا يتولى الباطل ولا ينصره ولا ينسب اليه
بوجه فهو منقطع النسب اليه بالكليه فانه سبحانه هو الموجد وقوله الحق وديته
الحق وعمله حق ولقاؤه حق وفعله كله حق ليس فى افعاله شئ باطل بل افعاله
سبحانه كل بريه من الباطل كما قوله كذلك لما كان الباطل لا يتعلق به بل هو مقطوع
البته كان صاحبه كذلك ومن لم يكن له تعلق بالله العظيم وكان منقطعا عن ربه
لم يكن الله وليه ولا ناصره ولا وكيله فقد بوهذا السر العظيم فى اقتران التوكل بالكفايه
بالحق والهدى وارتباط احدهما بالاخر ولو لم يكن فى هذه الرساله الا هذه الفايده
السريه لكانت حقيقه ان تودع فى خزانه القلب لشدة الحاجه اليها والله المستعان
وعليه التكلان فظهر ان التوكل اصل لجميع مقامات الايمان والاحسان ولجميع

الألوكة
www.alukah.net

اعمال الاسلام وان منزلته منها منزله الجسد من الراس فكما لا يقوم الراس الا على البدن
وكذلك لا يقوم الايمان ومقاماته واعماله الا على ساق التوكل والله اعلم الوجه الثاني
ان قوله في التوكل انه في طريق الخواص عما عن الكفايه ورجوع الى الاسباب الى اخر
كلامه مضمونه ان التوكل لا يتم الا برفض الاسباب والاعراض عنها جملة والتوكل من
اقوى الاسباب واعظمها في حصول المطلوب فكانه قد رفض بسببا وتعلق بسبب
وقد ناقض في امره ولهذا زال وصار بدلا عن تلك الاسباب وكانه تعلقت بها رفضته
فهذه هي النكته التي لاجلها صار التوكل عنده من منازل العوام وهذه هي عين مسلة
الجمع بين التوكل والسبب بل هذه مسلة تعليل نفس التوكل فيقال قولك انه عاص
الكفايه ليس كذلك بل هو نظر الى نفس الكفايه وملاحظ لها ولا ريب ان الكفايه
من الله لا تنال الا باسبابها من عبوديته وسببها المقتضي لها هو التوكل كما
قال بعلو من يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه فجعل التوكل سببا للكفايه وربط الكفايه
بالتوكل كربطه سائر الاسباب بمسبباتها فكيف يقال ان التوكل عما عن الكفايه
وهل التوكل الا محض العبوديه التي جزاؤها الكفايه وهي لا تحصل بدونه بل العلة
ها هنا شهود حصولها بفعلك وتوكلك غير ناظر الى سبب الاسباب الذي
اجرى عليك هذا السبب ليوصلك به الى الكفايه فاول الامر واخره سببه فهو المنعم با
لسبب والمسبب جميعا ولكن الوجه نقل العبد الى المسبب المنعم بالسبب قطع نظره عن
السبب والقيام به بل الوجه القيام بالامرين معا الوجه الثالث ان قوله انه رجوع الى
الاسباب ان اراد به انه رجوع الى سبب ينقض العبوديه ويضعف التوكل فليس كذلك
وظاهر ان الامر ليس كذلك وان اراد به انه رجوع الى سبب نصبه الله مقتضيا للكفايه من
ورتب عليه جزاءه لا يحصل بدونه فهذا حق ولكن القيام بهذا السبب محض الكمال ونفس
العبوديه وهو كجعل الاسلام والايمان والاحسان اسبابا مقتضيه للفلاح والسعاده بل
كجعل سائر اعمال القلوب والجوارح اسبابا مقتضيه ثوابا مرتبا عليها من الجزاء وهل الكمال
الا القيام بهذه الاسباب فالاسباب التي تكون مباشره تقتضيها هي الاسباب التي تضعف

التوكل ولهكذا ان يكون التوكل نفسه ناقضا لكون التحقق به محققا بالسبب فقلب
الحقايق الوجه الرابع ان قوله لانك رفضت بالاسباب ووقفت مع التوكل ان اراد
به رفض الاسباب جملة فهذا كما انه مستبع عقلا وحسا فهو محرم شرعا ودينا فان
رفض الاسباب بالكليه انسلاخ من العقل والدين وان اراد به رفض الوقوف
معها والوثوق بها وانه يقوم بها قيام ناظر الى مسببها فهذا حق ولكن النقض لا
يكون في السبب ولا في القيام به وانما يكون في الاعراض عن المسبب تعالى كما تقدم
فمنع الاسباب ان تكون اسبابا قدح في العقل والشرع وابطالها والوقوف معها
وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل والقيام بها وتعلق بها منازلها
والنظر الى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الامر والتوحيد وبين الشرع والقدر
وهو الكمال والله اعلم الوجه الخامس قوله فصار التوكل بدلا عن تلك الاسباب
هذا حق فان التوكل من اعظم الاسباب ولكنه بدل عنها كما ان كون الطاعه بدلا عن
المعصيه والتوحيد بدلا عن الشرك محمود واجب مامور به مطلوب من العبد و
الملزوم ان يجعل العبد الاسباب بدلا عن التوكل لا ان يجعل التوكل بدلا عن الا
سباب الوجه السادس قوله فكانك تعلقت بما رفضته من حيث معتقدك
الانفصال ليس كذلك فان المرفوض هو التعلق بغير الله والالتفات الى سواه
فهذا هو الذي رفضه واما الذي تعلق به فهو التوكل على الله واللجاء اليه والتفويض
اليه والاستعانه به فقد رفض المخلوق وتعلق بالخالق وكيف يقال انه تعلق بما
رفضه الوجه السابع ان قوله من حيث معتقدك الانفصال يشير به الى ان التوكل
نوع تفرقه وانفصال يشهد فيه الله غيره وهذا مناف للفناء في التوحيد وان لا
يشهد مع الله غيره اصلا وهذا خطاب رجل السير الذي يشير اليه القوم والعلم
الذي يتكلمون فيه ولا جله تجعلون كل ما دونه من المقامات معلولا ولا بد لي فصل
القول فيه بعون الله وتاييده فانه نهايه اقدام العلم وغايه مراصد الفهوم فنقول وبالله
التوفيق الفناء الذي يشار اليه على السنه السالكين ثلاثه اقسام فناء عن وجود
السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عباده السوى وارادته وليس هنا قسم
رابع فاما القسم الاول فهو فناء القايلين بوحده الوجود فهو فناء باطل في نفسه

مستلزم لحد الصانع وانكار ربوبيته وخلقه وشرعه وهو غاية الالحاد والزندقة
وهذا هو الذي تشير اليه على الاتحادية وسموه التحقيق وغايته احدهم فيه ان لا
يشهد ربا وعبدا وخالقا ومخلوقا وآمرا ومامورا وطائعا ومعصية بل الامر كله
واحد فيكون السالك عندهم في بدايته يشهد طاعة ومعصية ثم يرتفع عن هذا الفرق
للكشف عندهم الى ان يشهد الافعال كلها طاعة لله لا معصية فيها وهو شهود
الحكم والقدر فيشهدها طاعة لموافقتها الحكم والمشية وهذا ناقص عندهم ايضا
اذ هو منقوص للفرق ثم يرتفع عندهم عن هذا الشهود ان لا يشهد لا طاعة ولا
معصية اذ الطاعة والمعصية انما تكون من غير لغير ومائم غير فاذا تحقق
شهود ذلك وفني فيه فقد فني عن وجود السوى فهذا هو غاية التحقيق عندهم من
لم يصل اليه فهو محجوب وبئس الشعار هم في هذا قول قايلهم

وما ثم غير الكون بل انت عينه ونعم هذا السر من هو ذايق وقول الآخر
ما الامر الا شئ واحد مافيه من مدح ولا ذم واغا العاده قد خصصت
والطبع والشارع بالحكم وقال الاخر وما الموج الا البحر لا شئ غيره
وان فرقته كثرة المتعدد والقسم الثاني من اقسام الفنا هو الذي يشير اليه المتأخرون
من ارباب السلوك وهو الفناء عن شهود السوى مع تفرقتهم بين الرب والعبد وبين
الطاعة والمعصية وجعلهم وجود الخالق غير وجود المخلوق ثم هم مختلفون في هذا القسم
على قولين احدهما ان الغاية المطلوبة من السلوك وما دونه بالنسبة اليه ناقص وبئس هنا
يجعلون المقامات والمنازل معلولة والقول الثاني انه من لوازم الطريق لا بد منه
للسالك ولكن البقاء اكمل منه وهو لا يجعلونه ناقصا ولكن لا بد منه وهذه طريقة كثير
من المتعبدين وهو لا يقولون ان الكمال شهود العبودية مع شهود المعبود فلا
يغيب بعبادته عن معبوده ولا بمعبوده عن عبادته ولكن لقوة الوارد وضعف المحل
وغلبة استيلاء الوارد على القلب حتى يملكه من جميع جهاته يقع الفناء والتحقيق ان هذا
الفناء ليس بغاية ولا هو من لوازم الطريق بل هو عارض من عوارض الطريق يعرض
لبعض السالكين دون جميعهم وسببه امور كلية احدها قصد وارادته والعمل
عليه فانه اذا علم ان الغاية المطلوبة شهود سايرا اليه عاملا عليه فاذا استرق عليه وقف

معه ونزل بواديه وطلب مساكنته فهو لاء اغا يحصل لهم الفنا لان سيرهم كان
على طلب حظهم ومرادهم من الله وهو الفناء لم يكن سيرهم على تحصيل مراد الله منهم وهو
القيام بعبوديته والتحقيق بها والسابر على طلب تحصيل مراد الله منه لا يكاد الفناء يحل بساحته
ولا يعتريه الثاني قوة الوارد بحيث يغلبه ويستولي عليه فلا يبقى فيه متسع لغيره اصلا
السبب الثالث ضعف المحل عن احتمال ما يرد عليه من هذه الاسباب الثلاثة بعرض الفناء ولهذا
الصادق في طريقه السالك الى ربه ان اكثر اصحاب الفرق محجوبون عن هذا المقام مشتغلون
في اوديه الفرق وشهدوا نقصهم ورأوا ما هم فيه من الفناء اكمل ظنوا انه الكمال وراء ذلك
وانه الغاية المطلوبة فمن هنا جعلوه غايته ولكن اكمل من ذلك واعلى واجل هو القسم الثالث
وهو الفناء عن عباده السوى وارادته ومحبته ورجايه والتوكل عليه مع شهود الغير وخشيته
ومعاينته والسكون اليه فيفنى بعباده ربه ومحبته وخشيته ورجايه وبالتوكل عليه
وبالسكون اليه عن عبادة غيره وعن محبته ورجايه والتوكل عليه مع شهود الغير
ومعاينته فهذا اكمل من فنايه عن عبوديه الغير ومحبته مع عدم شهوده له وغيبته
عنه فاذا شهد الغير في مرتبته اوجب شهوده له زيادة في تحبيه معبوده وتعظيمه
له وهروبا اليه وظنا به ان نظر المحب الى مبادي محبوبه ومفاده يوجب زيادة
حبه له وفي هذا المعنى قايل قايلا واذا نظرت الى امير زادني حبا له نظري الى الاموال
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت وفي سجوده اللهم لك سجدت
وبك امنت وكذلك في ركوعه اللهم لك ركعت وبك امنت فهذا دعا من قد جمع بين
شهود عبوديته وشهود معبوده ولم يغب باحدهما عن الاخر وهل هذا الا كمال
العبوديه انما يشهد ما يابى بد من العبوديه موجهها الى المعبود الحق محضرا
لما بين يديه متقربا بها اليه فاما الغيبه عنها بالكليه بحيث تبقى الحركات
كانها طبيعيه غير واقعه بالارادة فهذا وان كان اكمل من حال الغايب بشهود عبوديته
عن معبوده فحال الجامع بين شهود العبوديه والمعبود اكمل منهما واذا
عرفت هذه القاعده ظهر ان تعليله التوكل بما ذكر تعليل باطل الوجه الثامن

ان التوكل على الله نوعان احدهما توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق و
العافية وغيرها والثاني توكل عليه في حصول مرضاته فاما النوع الاول فغايته
المطلوبة ان لم يعن عباده لانه محض حظ العبد فالتوكل على الله في حصول عبادة
يحبها يصلح دينه ودنياه والنوع الثاني فغايته عبادة وهو في نفسه عباده فلا علة
بيد بوجه فانه استعانة بالله على ما يرضيه وصاحبه متحقق بإياك نعبد واما استعن
فتوكل يترك لشطر الايمان والعلة انما هي في ضعف هذا التوكل فهب ان التوكل
في حصول مراد الرب سبحانه ومرضاته معلولا الوجه التاسع قوله وحقيقة التوكل
عند القوم التوكل في تخليص القلب من علة التوكل فيقال اذا كان هذا التوكل عندك
ليس بمعلول ولا هو عمل عن الكفاية ولا رجوع الى الاسباب بعد رفضها بطل تعليل التوكل
بما علل به وان كانت هذه العلة بعينها موجودة في هذا التوكل بطل ان يكون علة
فلزم بطلان كونه معلولا على التقديرين وظهر ان العلة في التوكل تخرج عن احد سببين
اما ان تكون متعلقة حظا من حظوظك واما وقوفك معلولا وركونك اليه فبقطع هذا
خلص التوكل من هذا وهذا العلة تلحقه والقصد تدركه الوجه العاشر ان
علة التوكل عنده هي ترك التوكل كما سنذكره فكيف يتوكل في ترك التوكل وهل هذا الا جمع بين
متضادين الوجه الحادي عشر قوله وهو ان يعلم ان الله سبحانه لم يترك امر العباد كل
فرع من الاشياء وقدرها وان اختلف معانيها في العقول او سبق في المحسوس
او اضطراب في المعهود فهو المدبر وشانه سوق المقادير الى المواقيت والتوكل
من اراح نفسه من كد النظر في مطالعة السبب سكونا الى ما سبق من القسمة مع استواء
الحالين عنده الى اخر كلامه فيقال هو سبحانه فرغ من الاشياء وقدرها باسبابها المقضية اليها
فكما ان المسببات من قدره الذي فرغ منه فاسبابها ايضا من قدره الذي فرغ منه فتقديره
المقادير باسبابها لا ينافي القيام بتلك الاسباب بل يتوقف حصولها عليها وقد سئل النبي
فقيل له ارايت ادوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من
قدر الله وسئل صلى الله عليه وسلم اهل الجنة والنار فقال نعم قالوا ففيم العمل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له فامرهم بالاعمال واخبرهم ان الله يسر كل عبد لما خلق له
فجعل عمله سببا لنيل ما خلق له من الثواب والعقاب فلا بد من اثبات السبب و

المسبب

والمسبب جميعا الوجه الثاني عشر قوله المتوكل من اراح نفسه من كد النظر في
مطالعة السبب سكونا الى ما سبق من القسمة مع استواء الحالين عنده هذا انما يتم
ان اخذ على اطلاقه وهو باطل قطعا فان السكون الى ما سبق من القسمة وترك السبب في
اعمال البر عين العجز وتعطيل الامر والشرع والجور شرعا ولا عقلا التسوية بين الحالين
واما السكون الى ما سبق من القسمة في اسباب المعيشة فهو حق ولكن الكمال ان يكون
ساكنا الى ما سبق مع قيامه وهذه حال اكمل الصحابة ومن بعدهم فالكمال هو التنزل الا
بسباب منازلها عملا لا الاعراض عنها ومحوها ولا الاشتغال بها والوقوف عندها
الوجه الثالث عشر قوله مع استواء الحالين عنده وهو ان يعلم ان الطلب لا ينجع والتوكل
لا يمنع يشير به الى استواء الحالين في مباشرة السبب وتركه بنظر الى ما سبق وهذا ليس بمامور و
لا معذور فانه لا يستوي الحالتان شرعا ولا قدرا الوجه الرابع عشر قوله الطلب لا ينجع والتوكل
لا يمنع فقد بين ان التوكل لا ينافي الطلب بل حقيقة التوكل وكماله يقارنه الطلب ومصاحبته للسبب
واما توكل مجرد عن الطلب والسبب فعجز واما لي فوق كل الحراث انما هو بعد شق الارض
وبذرها وحينئذ يصح منه التوكل في طلوع الزرع واما توكله من غير حرث ولا بذر فعجز وبطالة
الوجه الخامس عشر قوله ومتى طالع بتوكله عرضا كان توكله مدخولا وقصده معلولا فاذا خلص
من رق هذه الاسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله كفاه كل مهم فيقال التوكل
يكون في احد شيئين اما في حصول حظ العبد ورزقه ونصره وعافيته واما في حصول
مراد الرب منه وكلاهما عباده مامور بهما والثاني اكمل من الاول حيث التوكل فيه ولكن
توكله للاول لا يكون معلولا من حيث هو توكل وانما يكون علة انه صرف توكله
الى ما غيره اولى بالتوكل منه وهذا انما يكون نقصا اذا اضعف توكله في الامر و
مراد الله منه واما ان لم يضعف بل اعطى كل مقام حقه من التوكل فهذا محض العبودية
والله اعلم

اعمال الخامس الصبر قال ابو العباس وهو منازل العوام ايضا
لان الصبر حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن شكوى والجوارح عن الفحص في
تحمله وانتظار الفرج عند عافيته وهذا في طريق الخاصة تحمله ومناواة وجراة
ومنازعة فان حاصله يرجع الى كتمان الشكوى في تحامل الاذى بالبلوى والحقيقة
الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى وقيل انه على
ثلاث مقامات مرتبة بعضها فوق بعض فالاول الصبر وهو تحمل مشقته وخوع
غصته في الثبات على ما يجري من الحكم وهذا هو الصبر لله وهو صبر العوام و

الألوكة
www.alukah.net

والثاني الصبر وهو نوع سهوله تخفف على المبتلى بعض الثقل وتسهل عليه
صعوبه المراد وهو الصبر لله وهو صبر الموحدين والثالث الاصطبار وهو
التلذذ بالبلوى والاستشعار باختيار المولى وهذا هو الصبر على الله وهو
صبر العارفين والكلام على هذا من وجوه احدها ان يقال الصبر نصف الايمان فان
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا
كان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا وان اصابته ضراء
صبر فكان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن فمنازل الايمان كلها بين الصبر والشكر والذي
يوضح هذا الوجه الثاني وهو ان العبد لا يخلو قطعا من ان يكون في نعمة وبليه فان
كان في نعمة فمقتضاها الشكر والصبر اما الشكر فهو قيدها وثباتها والكفيل
بمزيدها واما الصبر فهي مباشرته الاسباب التي تسلبها وعلى القيام بالاسباب
التي تحفظها ففي احوج الى الصبر فيها من حاجه المبتلى ومن هنا يعلم سر مساله الغني
الشاكر والفقير الصابر وان كلا منهما يحتاج الى الشكر والصبر وانه قد يكون صبر الغني
اكمل من صبر الفقير كما قد يكون شكر الفقير اكمل من شكر الغني فليس التفضيل بينهما
بالغنى ولا بالفقر وانما هو بالاعمال فافضلها اعظمها شكرا وصبرا فان فضل احدهما
في ذلك فضل صاحبه فالشكر مستلزم للصبر لا يتم الا به والصبر مستلزم للشكر
لا يتم الا به فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر وان كان
في بليه فمقتضاها الصبر والشكر ايضا اما الصبر فظاهر واما الشكر فللقيام بحق الله
عليه في تلك البليه فان لله على العبد عبوديه في البلاء كما له عليه عبوديه في الرخاء وعليه
ان يقوم بعبوديته في هذا وهذا فعلم ان الانفكاك له عن الصبر ما دام سائرا الى
الله الوجه الثالث ان الصبر ثلاثة اقسام اما صبر عن المعصيه فلا يرتكبها
واما صبر على الطاعه حتى يوديها واما صبر على البليه فلا يشكو ربه فيها واذا
كان العبد لا بد له من واحد من هذه الثلاثه فالصبر لازم له ابدا لا خروج له عنه البته
الوجه الرابع ان الله سبحانه ذكر الصبر في كتابه في نحو تسعين موضعا ومره امر
ومره اثنى على اهله ومره امر نبيه صلى الله عليه وسلم انا يبشرهم ومره جعل شرطا في

حصول

حصول النصر والكفايه ومره اخبر انه مع اهله واثنى به على صفوته من العالمين
وهم انبياؤه ورسله فقال عن نبيه ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال
لخاتم انبيائه ورسله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال واصبر وما صبرك
الا بالله وقال ليوسف الصديق وقد قال له اخوته ائنك لانت يوسف قال انا يوسف و
هذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وهذا
يدل على ان الصبر من اجل مقامات الايمان وان احق الناس بالله واولاهم به اشدهم
فيها وتحققا به وان الخاصة احوج اليه من العامة الوجه الخامس ان الصبر سبب
في حصول كل كمال ممكن فما كمل الخلق الا صبرهم ولم يتخلف عن احد كماله الممكن الا من ضعف
صبره فان كمال العبد بالعزيمة والثبات فمن لم يكن له عزيمه فهو ناقص ومن كانت له
عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص فاذا انضم الثبات الى العزيمة اثمر كل مقام
شريف وحال كامل ولهذا في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الامام احمد وابن حبان
في صحيحه اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد ومعلوم ان بثمرة الثبات
والعزيمة لا تقوم الا على ساق الصبر فلو علم العبد الكنز الذي تحت هذه الاحرف
الثلاثة اعني اسم الصبر لما تخلف عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد عطاء خيرا
واوسع من الصبر وقال عمر بن الخطاب حين غشي عليه ادركناه بالصبر وفي مثل هذا قال القائل

نوه فؤادك عن سوانا والقنا فجانبا حل لكل منزه فالصبر طلسم لكنز وصالنا
من حل هذا الطلسم فاز بكنزه فالصبر طلسم على كنز السعاده

الوجه السادس قوله الصبر حبس النفس على مكروه وعقل اللسان عن الشكوى ومكابدة الغصص
في تحمله وانتظار الفرج عند غايته فيقال هذا احد اقسام الصبر وهو الصبر على
البلاء واما الصبر على الطاعة فقد يعرض فيه ذلك او بعضه وقد لا يعرض فيه بل يتحلى
بها ويابى بها الا محبة ورضى ومع هذا فالصبر واقع عليها فانه حبس النفس على ملازمة
والقيام بها قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية واما
الصبر عن المعصيه فقد يعرض فيه ذلك او بعضه وقد لا يعرض فيه لكن الصابر
من قهر داعيها وغلبه واذا كان ما ذكر من الامور الاربعه انما يعرض في الصبر على
البليه فقوله انه في طريق الخاصه تجلد ومناواه وجراة ومنازعه ليس كذلك وانما

في التجلد فاين المناواه والجراه والمنازعة واما لوازم الطبيعه من وجود الم
البلوى فلا ينقلب ولا يعدم فلا يصح ان يقال ان وجود التالم والتجلد عليه وحبس
النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى جراة ومنازعة بل هو محض العبودية به
والاستكانة وامتثال الامر وهو من عبودية الله المفروضة على عبده في البلا فالقيام
بها عين كمال العبد ولوازم الطبيعه لابد منها ومن رام ان لا يجد البرد والحر والجوع و
العطش والالم عند تمام اسبابها وعللها فقد رام الممتنع وهل يترك الاجر الاعلى و
يجد تلك الالام والمشاق والصبر عليها وقد تبع النبي صلعم قال اشد الناس
بلاء الانبياء الامثل فالامثل وقيل لي في موضع اذكر لتوعك وعكا شديدا قال
اجل اني لي اجر رجلين منكم يعني في وعكي ولا ريب ان ذلك الوعك مولم له صلى الله
عليه وسلم ايضا في مرض موته قال وارداه وهذا انما هو من وجود الم الصداع وكان
يقول في غمرات الموت اللهم اعني على سكرات الموت وهذا كله لتحمل اجره وزيادة رفعة درجاته
صلى الله عليه وسلم وهل كان ذلك الا محض العبودية وعين الكمال وهل الجراه والمناواه و
المنازعة الا في ترك الصبر وهي التسخط والشكوى الوجه السابع قوله فان حاصله يرجع
الى كتمان الشكوى في تحامل الاذى بالبلوى والاستشار باختيار المولى فيقال الذي
يمكن الخروج عنه هو الشكوى واما ان الخروج عن ذوق البلوى فلا تحلو او تتلذذ بها
فهذا غير ممكن ولا هو في الطبيعه واما الممكن ان يشاهد العبد في تضاعيف البلا لطف
صنع الله به وحسن احسانه له وبره به في حمله عنه فيخف عنه مؤنة حمله وتشتغل النفس
باستخراج لطايف صنع الله به وبره وحسن اختياره عن شهود حمله فيحصل له لذة بما
شهده من ذلك وفوق هذا مؤنة ارفع منه وهي ان يشهد ان هذا مراد محبوبه وانه
بمرآى منه ومسمع وانه هديته الى عبده وخلعته التي خلعها عليه ليزفها الى ذل الذل
لله والمسكنة والتضرع لعزته وجلاله فيعلم العبد ان حقيقة الحب هي موافقة المحبوب
في محابه فيحب ما يحبه محبوبه فيحب العبد تلك الحال من حيث موافقتها لمحبوبه وان كرهها
من حيث الطبع البشري فان هذه الكراهة لا تنافي محبتها كما يكره طعم الدوا الكريه

وهو

وهو تجلد من وجه آخر وهذا لا ينكر في المتعلق بالمخلوق مع ضعفها وضعف اسبابها
كما قال القايل في ذلك اهوى هواه ويزعم عنه يحبه فالبعد قد صار لي في حبه ارب وقال الاخر
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وقال اخر واهنتني فاهنت نفسي
جاهدا ما من يهون عليك ممن يهون عليك في يكرم وانه ليبلغ المحب بالعبد الى حيث يعني
بمراد محبوبه عن مراده هو منه فاذا شهد مراد محبوبه به احبه وان كان كريها اليه فهنا لا
لا ينكر ولكن لا ينافي التالم بمراد المحبوب المنافي للهجد وصبر عليه بل يجتمع في حقه الامرين
ويقوى هذه المحبة باستشاره وعلمه بعاقبة تلك البلوى وافضايها الى غاية النعيم واللذة
فكلما قوي علمه بذلك وقويت محبته لمن ذكره بابتلايه ازداد تلذذه بها مع الكراهة الطبيعية
التي هي من لوازم الخلقة ولا سيما اذا علم المحب الذي احب الاشيا اليه ان تجري ذكره على بال
محبوبه ان محبوبه قد ذكره بنوع من الامتحان فانه يفرح بذكره له وان ساءه ما ذكره به
كما قال القايل لئن ساني ان نلتني بمساءة لقد سرني اني خطرت ببالكا الوجه الثامن
وهو على ثلاث مقامات مرتبة بعضها فوق بعض فالاول التصبر الى قوله وهو صبر
العوام فيقال لا ريب ان التصبر مؤذن بتكلف وتحمل على كره ولكن هذا لا بد منه في الصبر
وهو سببه الذي ينال به فالتصبر من العبد والصبر غريزة التي يقرعها الله اذا تعاطاه
وتعلمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتصبر يصبره الله فنزله التصبر من الصبر منزله
التعلم والتفهم من العلم والفهم فلا بد منه في حصول الصبر الوجه التاسع قوله والثاني الصبر
وهو نوع سهوله يخف على المتحلي بعض الثقل ويسهل عليه صعوبة المراد وهو الصبر
لله وهو صبر المريدين فقد تقدم ان الصبر ثمرة التصبر وكلاهما اتم اذا كان
لله واغا يكون اذا كان بالله فما لم يكن به لا يكون وما لم يكن له لا ينفع ولا يثمر وكلاهما
لا يحصل للمريد السالك مقصوده الا ان يكون بالله ولله قال الله تعالى في الصبر به
واصبر وما صبرك الا بالله وقال في الصبر له واصبر لحكم ربك واختلف الناس اي الصبرين
اعلى وافضل الصبر له او به فقالت طايفة منهم صاحب منازل السايرين واضعف الصبر الصبر
لله وهو صبر العامة وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريد وفوقهما الصبر على الله وهو صبر
السالك ووجه هذا القول ان الصبر لله هو صبر العابد الذي يصبر نفسه لامر الله طلبا لمرضاته
وثوابه فهو صابر على العمل صابر عن المحرمات واما الصبر به فهو نوع من الحول والقوة واضافه

واضافة ذلك الى الله وهو صبر المريد واما الصبر على الله فصبر السالك على ما تحتى
به اقداره واحكامه والصواب ان الصبر لله اكمل من الصبر به فان الصبر له متعلق
بالمحبة ومحبته والصبر به متعلق بربوبيته ومشيئته ومثله اكمل منه فان له هو
الغاية ومنه هو الوسيلة فالصبر به وسيلة والصبر له غاية وبينهما من التفاوت
ما بين الغايات والوسايل وايضا فان الصبر له متعلق بقوله اياك نعبد والصبر به متعلق
بقوله واياك نستعين وهاتان الكلمتان منقسمتان بين العبد وبين الله كما ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه واياك نعبد هي التي لله واياك نستعين هي التي للعبد
ومالله اكمل مما للعبد فما تعلق بما هو له افضل مما تعلق بما هو للعبد وايضا فالصبر له
مصدره المحبة والصبر به مصدره الاستعانة والمحبة اكمل من الاستعانة واما الصبر
على الله وهو الصبر على احكامه الدينية والكونية فهو يرجع الى الصبر على اوامره
والصبر على الملائكة فليس في الحقيقة قسما ثالثا والله اعلم فقد تبين ان الصبر بجميع
اقسامه اصل مقامات الايمان وهو اصل لكمال العبد الذي لا كمال له بدونه ولا بد منه
الا قسم واحد وهو الصبر عن الله فانه صبر المعرضين المحجوبين بينما الصبر عن المحبوب
اقبح شيء واسوءه وهو الذي يسقط الحب من عين محبوبه فان المحب كلما كان اكمل حبه
كان صبره عن محبوبه متعذرا الوجه العاشر قوله الثالث الاصطبار وهو
التلذذ بالبلوى والاستبشار باجتباء المولى وهذا هو الصبر على الله وهو صبر الراضين
وفيه مثقال الاصطبار افتعال من الصبر كالاكتساب والاتخاذ وهو مشعر
بزيادة المعنى على الصبر كانه صار سجيته وملكه فان هذا البناء مودن بالاتخاذ
والاكتساب قال تعالى فاصبروا لهم واصطبر فالاصطبار ابلغ من الصبر كما ان الا
كتساب ابلغ من الكسب ولهذا كان في العمل الذي يكون على صاحبه والكسب فيما
له قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت تنبيها على ان الثواب تحصل لها
بادنى سعي وكسب وان العقاب انما هو لكاسبها وتصرفها وما تفانيه وادا
على هذا فالتلذذ بالبلوى والاستبشار باجتباء الله سبحانه لا يحتاج الاصطبار
بل يكون مع الصبر ومع التصبر ولكن لما كان الاصطبار ابلغ من الصبر واقوى

كان بهذا التلذذ والاستبشار اولى والله اعلم فاما الصبر عن المعصية تنشأ
من اسباب عديدة احدها علم العبد بضررها وعدم النفع ودنائتها وان الله انما حرمها
ونهى عنها صيانة وحمايه عن الدنايا والرذايل كما تحمي الوالد الشفيق ولده عما
يضره وهذا السبب تحمل العاقل على تركها ولو لم يتعلق عليها وعيد العذاب
السبب الثاني الحيا من الله سبحانه فان العبد متى علم بنظر الله ومقامه عليه وانه
يراه مند ومستمع وكان حييا استحيى من ربه ان يتعرض لمساخطه السبب الثالث مراعاة
نعمه عليك واحسانه اليك فان الذنوب تزيل النعم ولا بد فالمذنب عبد ذنبا الا زالت عنه نعمة
من الله بحسب ذلك الذنب فان تاب وراجع رجعت اليه او مثلها وان اصر لم ترجع اليه
ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها قال تعالى ان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واعظم النعم الايمان وذنب الزنا والسرقة وشرب الخمر و
انتهاب النهبة تزيلها وتسلبها وقال بعض السلف اذنبت ذنبا فحرمت قيام الليل بسببه
وقال اخر اذنبت ذنبا فحرمت فهم القرآن وفي هذا قيل اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل
وبالجملة فان المعاصي تاكل الايمان كما تاكل النار الحطب عياذا بالله من زوال النعمة
وتحويل العافية السبب الرابع خوف الله وخشية عقابه وهذا الغالب بصدقي وعده و
وعيده والايمان به وبكتابه ورسوله وهذا السبب يقوى بالعلم واليقين ويضعف
بضعفهما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال بعض السلف كفى بخشية الله علما
وبالاغترار بالله جهلا السبب الخامس محبة الله وهي من اقوى الاسباب في الصبر عن مخالفته
ومعاصيه فان المحب لمن يحب مطيع وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان اشتياقه للطاعة
وتركه المخالفة اقوى وانما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها وفرق بين من
يحمله على ترك معصية سيده خوفه من سوطه وعقوبته وبين من يحمله على ذلك حبه لسيده
وحبي هذا قال عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعني انه لو لم يخف من الله لكان في
قلبه من محبة الله واجلاله ما يمنعه من معصيته فالمحب الصادق عليه رقيب من محبوبه يراعي
عليه خواطره وعلامة صدق المحبة شهود هذا الرقيب ودوامه وها هنا لطيفة تحب
التنبيه لها وهي ان المحبة المجردة لا توجب هذا الاثر ما لم يقترن بها اجلال المحبوب وتعظيمه

فاذا فارقها الاجلال في التعظيم اوجب هذا الحيا والطاعة والانقياد لما امر به عنها
انما توجب نوع انس وانبساط وتذكر واشتياق ولهذا يتخلف عنها اثرها وموجبها
وتفتش القلب ويرى فيه نوع محبة لله ولكن لا يحمله على ترك معاصيه وسبب
ذلك تجردها عن الاجلال والتعظيم فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة باجلال الله
وتعظيمه وذلك من افضل مواهب الله لعبده او افضلها وذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء السبب السادس شرف النفس وزكاوها وفضلها وانفتها وحميتها ان
تختار الاسباب التي تحطها وتضع قدرها وتحفض منزلتها وتحقرها وتسوي بينها
وبين السفلة السبب السابع قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح اثرها والضرر
الناشئ منها من سواد الوجه وظلمة القلب وضيقه وحزنه والمه والحصار ره و
شدة قلقه واضطرابه وعثرة بتألمه وضعفه عن مقاومة عدوه وتعريه من زينته
بالثوب الله وزينته والعصمة التي تتالها والقسوة والحيرة في امره وتخلي وليه
وناصره عنه وتولي عدوه المبين له وتوارى العلم الذي كان مستعدا له عنه ونسيان ما
كان حاصلا له واضعفه ولا بد ومرضه الذي اذا استحكم به فهو الموت ولا بد فان
الذنوب تميت القلوب ومنها ذله بعد عزة ومنها ان يصير اسيرا في يد اعدائه بعد
ان كان ملكا متصرفا بخافة اعداوه ومنها انه يضعف تاثيره فلا يبقى له نفوذ في
حد عبيته ولا في الخارج فلا يرعيته تطيعه اذا امرها ولا ينفذ في غيرهم ومنها
زوال امنه وتبدله بخافة فاخوف الناس اشدهم اساءة ومنها زوال الانس والقرب
واستدال الطرد والبعد منه ومنها وقوعه في بئر الحسرات فلا يزال في حسرة دائمة
كلما نال لذة نازعته نفسه الى نظيرها ان لم يقض منها وطرا والى غيرها ان
قضى وطره منها وما يعجز عنه من ذلك اضعاف اضعاف ما يقدر عليه وكلما اشتد
نزوعه وعرف عجزه اشتدت حسرته وحزنه فيا لها نارا ما اشد عذاب بها القلب
في هذه الدار قبل نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ومنها فقره بعد
غناه فانه كان غنيا بما معه من راس مال الايمان وهو يتجر به ويربح الا
رباح الكثيرة فاذا سلب راس ماله اصبح فقيرا بعد ما كان يسعى
بتحصيل

بتحصيل راس مال اخر بالتوبة النصوح والجد والتشمير وقد فاته ربح كثير بما
اضاعه من راس ماله ومنها نقصان رزقه فان العبد تحرم الرزق بالذنب يصيبه
ومنها ضعف بدنه ومنها زوال المهابة والحلاوة التي لبسها بالطاعة فيبدل بها مهانة
وحقارة ومنها حصول البغضة والنفرة منه في قلوب الناس ومنها ضياع اعز الا
شياء عليه وانفسها واعلاها وهو الوقت الذي لا عوض منه ولا يعود اليه ابدا
ومنها طمع عدوه فيه وظفره به فانه اذا رآه منقادا له مستجيبا لما يامره اشتد طمعه
فيه وحدث نفسه بالظفر به وجعله من حزبه حتى يصير هو وليه دون مولاه الحق ومنها
الطبع والرين على قلبه فان العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب منها
صقل قلبه وان اذنب ذنبا اخر نكت فيه نكتة اخرى ولا يزال حتى تعلو قلبه وذلك
هو الران قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومنها ان يحرم حلاوة الطاعة فاذا
فعلها لم يجد اثرها في قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الايمان والعقل والرغبة في الاخرة فان
الطاعة تثمر هذه الثمرات ولا بد ومنها ان يمنع قلبه من ترحله من الدنيا ونزوله بساحة
القيمة فان القلب لا يزال مشمئزا مضيعا حتى يرحل من الدنيا وينزل في الاخرة فاذا نزل
فيها اقبلت اليه وفود التوفيق والعناية من كل جهة واجتمع على جمع اطرافه وقضاجهاده
وتقيه زاده ليوم المعاده وما لم يرحل الى الاخرة وتحضرها فالتعب والعنا و
التشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة ومنها اعراض الله وملائكته وعباده عنه
فان العبد اذا اعرض عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه اعرض الله عنه فاعرضت عنه ملائكته
وعباده كما انه اذا اقبل على الله اقبل عليه واقبل بقلوب خلقه اليه ومنها ان الذنب
يستدعي ذنبا اخر ثم يقوى احدهما بالاخر فيستدعيان ثالثا ثم يجتمع الثلاثة فتستدعي
رابعا وهلم جرا حتى تغمره ذنوبه ويحيط به خطيئته قال بعض السلف ان من ثواب الحسنة
الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها ومنها علمه بفوات ما هو احب اليه
وخير له منها من جنسها وغير جنسها فانه لا يجمع الله لعبده بين لذة الجرات
في الدنيا ولذة في الاخرة كما قال تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فالمولى لا يذهب طيباته في الدنيا لا بد ان يتركها

الألوكة
www.alukah.net

بعض طيبا نه للاخره واما الكافر فانه لا يومن بالاخره فهو حريص على اتنا واحظه
كلها وطيباته في الدنيا ومنها علمه بان اعماله هي زاده ووسيلته الى دار اقامته فان
تزود من معصيه الله اوصله ذلك الزاد الى دار العصاه والجناه وان تزود من طاعته وصل
الى دار اهل طاعته وولايته ومنها علمه بان عمله هو وليه في قبره والمونس فيه وشفيعه عند
ربه والمخاصم والمحاج عنه فان شاء جعله له وان شاء جعله عليه ومنها علمه بان اعمال البر تنهض
بالعبد وتقوم به وتصعد الى الله به فبحسب قوة تعلقه بها يكون صعوده مع صعودها
واعمال الفجور تقوى به وتجذبه الى الهاويه وتجره الى اسفل سافلين وبحسب قوة تعلقه
بها يكون هبوطه معها ونزوله الى حيث يستقر به قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقال ان الذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء فلما لم
يفتح لهم ابواب السماء لاعمالهم بل اغلقت عنها لم تفتح لارواحهم عند المفارقه بل اغلقت
عنها واهل الايمان والعمل الصالح لما كانت ابواب السماء مفتوحه لاعمالهم حتى وصلت الى الله
سبحانه فخرت لاربها حتى وصلت اليه وقامت بين يديه فرحبها وامر بكتابه اسمها في عليين
ومنها خروجه من حصن الله الذي لا ضيعه على من دخله فيخرج بمعصيته منه الى
حيث يصير بغيا للصوص وقطاع الطريق فما الظن بمن خرج من حصن حصين
لا يدرك قدره الى حربه موحشه ماوى اللصوص وقطاع الطريق فهل يتركون معه
شيئا من متاعه ومنها انه بالمعصيه قد عرض نفسه لحق يركبه في كل شئ من امره دنياه واخرته
فان الطاعه تجلب للعبد بركات كل شئ والمعصيه تمحق عنه كل بركه وبالجمله فان اثار المعصيه
اقبح اكثر من ان يحيط بها العبد علما واثار الطاعه الحسنه اكثر من ان يحيط بها
علما فخير الدنيا والاخره كله في طاعه الله وشر الدنيا والاخره كله في معصيته
وفي بعض الاثار يقول الله سبحانه من اذا اطاعني فشقي باطاعتي ومن اذا عصاني
فسعد بمعصيتي السبب الثامن قصر الامل وعلم سرعه انتقاله وانه كمسافر دخل
قريه وهو مزمع على الخروج منها او كراكب قال في ظل شجره ثم سار وتركها هو لعلمه
بقله مقامه وسرعه انتقاله حريص على ترك ما يثقله حمله ويضره ولا ينفعه حريص
على الانتقال بخير ما بحضرته فليس للقلب انفع من قصر الامل ولا اضر من التسويف

وطول

وطول الامل السبب التاسع مخالطه الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومناكحه
واجتماعه بالناس فان قوه الداعي الى المعاصي اغا نشا من هذه الفضلات فانها
تطلب لها مصرفا فتضيق عليها المباح فتتعداه الى الحرام ومن اعظم الاشياء ضررا على
العبد بطالته وفراغه فان النفس لا تقعد فارغه بل ان لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما
يضره ولابد السبب العاشر وهو الجامع لهذه الاسباب كلها ثبات شجره الايمان في القلب فتصير
العبد في المعاصي انما هو بحسب قوه ايمانه فكلما كان ايمانه اقوى كان صراعه واذا ضعف
الايمان ضعف الصبر فان من باشر قلبه الايمان بقيام الله عليه ورويته له ومجازاته لما يجري
عليه وبغضه لمن عصاه فعله وباشر قلبه الايمان بالثواب والعقاب والجنه والنار امنع
منه ان لا يعمل بموجب هذا العلم ومن ظن انه يقوى على ترك المخالفات والمعاصي بلا
الايمان الراسخ الثابت فقد غلط فاذا قوى سراج الايمان في القلب واضاءت جهاته كلها
به واشرق نوره في ارجائه سرى ذلك النور الى الاعضاء وانبعث اليها فاسرعت الاجابه
لداعي الايمان وانقادت له طايعه مذلله غير مستثاقله ولا كارهه بل يخرج بدعوته حين يدعو
كما يخرج الرجل لدعوه حبيبه المحسن اليه الى محل كرامته فهو كل وقت يترقب داعيه ويتاهب
لموافاته والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم [illegible] ر الصبر على الطاعه
يقينا من معرفه هذه الاسباب ومن معرفه ما يجلبه الطاعه من العواقب الحميده والاثار الحميده ر
اخره اسبابها الايمان والحب فكلما قوى داعي الايمان والحب في القلب كانت استجابته للطاعه بحسب
وها هنا مسئله تطالبها الناس وهي اي الصبرين افضل صبر العبد عن المعصيه ام صبره على
الطاعه فطايفه رجحت الاول وقالت الصبر عن المعصيه من وظايف الصديقين كما قال بعض
السلف اغا البر يفعلها البر والفاجر ولا يقوى على ترك المعاصي الا صديق قالوا ولان داعي المعصيه
اشد من داعي ترك الطاعه فان داعي المعصيه داع الى امر وجودي تشتهيه النفس وتلتذ به
والداعي الى ترك الطاعه الكسل والبطاله والمهانه ولاريب ان داعي المعصيه اقوى قالوا ولان
المعصيه ان اجتمع عليه داعي النفس والشيطان والهوى واسباب الدنيا وقواه الرجل وطلب تشهيه
والمحاكاه وميل الطبع وكل واحد من هذه الدواعي تجذب العبد الى المعصيه ويطلب اثره فكيف
اذا اجتمعت وتظاهرت على القلب فاي صبر اقوى من صبر عن اجابتها ولولا ان الله يصبره
لما تاتى منه الصبر وهذا القول كما ترى حجته في غايه الظهور ورجحت طايفه الصبر على الطاعه

وقال ابو سليمان آه منها ان فعل المامورات افضل من ترك المنهيات واحتج على ذلك بنحو من
عشرين وجها ولا ريب ان فعل المامورات انما يتم بالصبر عليها فاذا كان فعلها افضل كان
الصبر عليها افضل وفصل النزاع في ذلك ان هذا يختلف باختلاف الطاعة والمعصية فا
لصبر على الطاعة العظيمة الكبيرة افضل من الصبر على المعصية الصغيرة الدنيه والصبر عن
المعصية الكبيرة افضل من الصبر على الطاعة الصغيرة فصبر العبد على الجهاد مثلا افضل وا
عظم من صبره على كثير من الصغائر وصبره عن كبائر الاثم والفواحش اعظم من صبره على صلوة
الضحى وصوم يوم تطوعا ونحو هذا فصل النزاع في المساله والله اعلم فصل والصبر
على البلايا لها من اسباب عديده احدها شهود جزايها وثوابها الثاني شهود
تكفيرها للسيات ومحوها الثالث شهود الله السابق الجاري بهذا وانها مقدره في ام
الكتاب قبل ان يخلق فلا بد منها فجزعه لا يرديه الا بلاء الرابع شهوده حق الله عليه في تلك
البلوى وراجح فيها وهو الصبر بلا خلاف بين الامة او الصبر والرضى على احد القولين فهو مامور
باداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى فلا بد له منه والانتفاع عليه الخامس شهود ترتبها
عليه بذنبه كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم وهذا عام في كل مصيبه دقيقه وجليله
فيشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو اعظم الاسباب في دفع تلك المصيبه قال علي
ابن ابي طالب ما نزل بلاء الا بذنب ولا دفع بلاء الا بتوبه السادس ان يعلم ان الله قد ارتضاها
له واختارها وقضاها وان العبود يقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه فان لم يوف
قدر المقام حقه فهو لضعفه فلينزل الى مقام الصبر عليها فان نزل عنه نزل الى مقام
الظلم وتعدى الحق السابع ان يعلم ان هذه المصيبه هي دواء نافع ساقه اليه الطبيب العليم
بمصلحته الرحيم له فليصبر على تجرعه ولا يتقياه بتسخطه وشكواه فيذهب بغمه باطلا
الثامن ان يعلم ان في عقبى هذا الدواء من الشفا والعافيه والصحة وزوال الالم ما لا يحصل
بدونه فاذا طالعت نفسه كراهه هذا الدواء ومرارته فليطالع العاقبه وحسن تاثيره وقال
تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون وقال وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وفي مثل هذا قال القايل
لعل عتبك محمود عواقبه ورب امر مخيف الاحسام بالعلل التاسع ان يعلم ان المصيب
ما جاءت لتهلكه وتقتله وانما جاءت ليمتحن صبره ويستخلص ليتبين حينئذ هل يصلح

لاستخدامه وجعله من اوليائه وحزبه ام لا فان ثبت اصطفاه واجتباه وخلع عليه خلع
الاكرام والبسه ملابس الفضل وجعل اولياءه وحزبه حوله وعونا له وان انقلب على وجهه
ونكص على عقبيه طرد وصفع قفاه واقصي ونضا عنه عليه المصيبه وهو لا يشعر في الحال
بنضا عنها وزيادة نقا ولكن سيعلم بعد ذلك بان المصيبه في حقه صارت مصايب
كما يعلم الصابر ان المصيبه في حقه صارت نعما عديده وما بين هاتين المنزلتين الامر المتباينتين
ساعه وكتسجيع القلب في تلك الساعه والمصيبه لا بد ان يقلع عن هذا وعن هذا ولكن يقلع
عن هذا بانواع الكرامات والخيرات وعن الاخر بالحرمان والخذلان وذلك
تقدير العزيز العليم وفضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
الفصل العاشر ان يعلم ان الله يرتلي عبده على السراء والضراء والنعمه والبلاء فيستخرج
منه عبوديته في جميع الاحوال فان العبد على الحقيقه من قام بعبوديه الله على
اختلاف الاحوال واما عبد السراء والعافيه الذي يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنه انقلب على وجهه فليس من عبيد الذين اختارهم لعبوديته فلا ريب
ان الايمان الذي يثبت على محك الابتلا والعافيه هو الايمان النافع وقت الحاجه واما
ايمان العافيه فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين وانما يصحبه ايمان يثبت
على البلا والعافيه فالابتلا كير العبد ومحك ايمانه فاما ان يخرج نقدا احمر واما ان
يخرج زغلا محضا واما ان يخرج فيه مادتان ذهبه وخاسيه فلا يزال به البلا
حتى تخرج المادة الخاسيه من ذهبه ويبقى ذهبا خالصا فلو علم العبد ان نعم الله عليه
في البلا ليست بدون نعمه الله في العافيه لشغل قلبه بحمده ولسانه اللهم اعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك وكيف لا يشكر من قيض الله له ما يستخرج خبثه ويخاسه
ويصيره تبرا خالصا يصلح لمجاورته والنظر اليه في داره فهذه الاسباب ونحوها تثمر
الصبر على البلا فان قويت الثمرة الرضا والشكر فسال الله ان يستر نا بعافيته
ولا يفضحنا بابتلايه عنده وكرمه فصل المثار السادس للحزن قال ابو العباس
وهو من منازل العوام وهو الخلاع عن السرور ولوازمه الكاملة لنا سين عن فات
او توجع لمتمتع وانما كان من منازل العامة لان فيه سيان المنة والبقاء في رق الطبع

بشكره
الألوكة
www.alukah.net

وهو في مسالك المحاسبين محجاب لان معرفة الله جل نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل
غمة فلذلك قيل حزن الصديقين وقيل اوحى الله الى داود يا داود بشر الفارغين وبذكرى تلذذ وبمعرفتي
فافرح نعما قليل اوقع النار من الفاسقين وقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
واول نقمتي على الظالمين اعلم ان الحزن من عوارض الطريق ليس من مقامات الايمان ولا
من منازل السايرين ولهذا لم يامر الله به في موضع قط ولا اثنى على اهله ولا رتب عليه جزاء
ولا نهى اما بل نهى عنه في غير موضع كقوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
وقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقال فلا تاس على القوم الفاسقين وقال
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فالحزن هو بلية من البلايا التي نسال الله دفعها و
كشفها ولهذا يقول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فحمدوه على ان اذهب عنهم
تلك البلية ونجاهم منها وفي الصحيح عن النبي انه كان يقول في دعايه اللهم اني اعوذ بك من الهم
والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال فاستعاذ صلى الله عليه وسلم من
من عما يبه اشياء كل شيء منها قرينان فالهم قرين الحزن وهما الالم الوارد على القلب
فان كان على ما مضى فهو الحزن وان كان على ما يستقبل فهو الهم فالالم الوارد ان كان
مصدره فوت الماضي اثر الحزن وان كان مصدره خوف الاتي اثر الهم والعجز والكسل
قرينان فان تخلف مصلحة العبد وكماله عنه ان كان من عدم القدرة فهو عجز وان كان من عدم
الارادة فهو كسل والجبن والبخل قرينان فان الاحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب
النعم ويدفع النقم وتركه يوجب الهم والغم ويمنع وصول النعم اليه فالجبن ترك الاحسان
بالبدن والبخل ترك الاحسان بالمال وغلبة الدين وقهر الرجال قرينان فان القهر والغلبة
الحاصل للعبد اما منه واما من غيره وان ثبت فلت اما الحق واما بباطل فضلع الدين
غلبة بسببها منه وهي غلبة لحق وغلبة الرجال تهر بباطل من غيره والمقصود ان النبي
جعل الحزن مما يستعاذ منه وذلك لان الحزن يضعف القلب وهو هي العزم ويضعف
الارادة ولانه احب الى الشيطان من حزن المومن قال تعالى انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا فالحزن مرض من امراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره
والثواب عليه ثواب المصايب التي يبتلي العبد بها بغير اختياره كالمرض والالم و
نحوهما

ونحوهما واما ان يكون عبادة مامورا بتحصيلها وطلبها فلا فرق بين ما يثاب عليه
العبد من المامورات وما يثاب عليه من البليات ولكن محل الحزن سببه ومصدره ولازمه
لا ذاته فان المومن اما ان يحزن على تقريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته
واما ان يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع اوامره واوقاته وهذا الالم
على صحة الايمان في قلبه وعلى حيوته حيث شعل قلبه مثل هذا الالم فحزن عليه ولو كان
قلبه ميتا لم يحس بذلك ولم يحزن ولم يتالم فالجرح عيب ايلام وكلما كان قلبه اشد
حيوة كان شعوره بهذا الالم اقوى ولكن الحزن لا جدوى عليه فانه يضعفه كما تقدم
بل الذي ينفعه ان يستقبل السير ويجد ويشمر ويبذل جهده وهذا نظير من انقطع عن
رفقته في السفر فجلس في الطريق حزينا كيبا شهد انقطاعه فحدث نفسه باللحاق بالقوم وكلما فتر وحزن حدث نفسه باللحاق بوقتها ووعدها ان صبرت ان تلحق بهم و
تزول عنها وحشة الانقطاع فهكذا السالك الى منازل الابرار وديار المقربين واخص
من هذا الحزن حزنه على قطع الوقت بالتفرقة المضعفة للقلب عن تمام سيره وجده في
سلوكه فان التفرقة من اعظم البلاء على السالك ولا سيما في ابتداء امره فالاول حزن
على التفريط في الاعمال وهذا حزن على نقص حاله مع الله وتفرق قلبه وكيف صار وقته
ظرفا للتفرقة حاله واشتغال قلبه بغير معبوده واخص من هذا الحزن حزنه على حزنه من
حيث اجزاء قلبه كيف هو حال عن تحبب الله وعلى حزنه من اجزاء قلبه كيف هو متصرف
في غير محاب الله فهذا حزن الخاصة ويدخل في هذا حزنهم على كل معارض يشغلهم
عما هم بصدده من خاطر او ارادة او شاغل من خارج فهذه المراتب من الحزن لا بد منها
في الطريق ولكن النفس لا يدعها تملك وتقعده بل يجعل عوض كل فكرة فيها فكرته
فيما يفيد فعها به فان المكروه اذا ورد على النفس فان كانت صغيرة اشتغلت بفكرها
فيه وفي حصوله عن الفكرة في الاسباب التي يدفعها به فاورثها الحزن وان كانت نفسا
كبيرة شريفة لم تفكر فيه بل تصرف فكرها الى ما ينفعها فان علمت منه مخرجا فكرت في
طريق ذلك المخرج واسبابه وان علمت انه لا مخرج منه فكرت في عبودية الله فيه فكان
ذلك عوضا لها من الحزن فعلى كل حال لا فايدة لها في الحزن اصلا والله اعلم وقال

بعض العارفين ليست الخاصة من الحزن في شيء وقول معروف الله حلى نورها
كل ظلمة وكشف سرورها كل غم كلام في غاية الحسن فان من عرف الله احبه ولا بد
ومن احبه انقشعت عنه سحاب الظلمات وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والاحزان
وعمر قلبه بالسرور والافراح واقبلت اليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب فانه
لا حزن مع الله الا ولهذا قال حكاية عن نبيه انه قال لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
فقال انه لا حزن مع الله وان من كان الله معه فما له والحزن وانما الحزن كل الحزن
لمن فاته الله فمن حصل الله له فعلى اي شيء يحزن ومن فاته الله فباي شيء يفرح
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالفرح بفضله ورحمته تبع للفرح
به سبحانه فالمؤمن يفرح بربه اعظم من فرح كل احد بما يفرح به من حبيب او محبوب
او مال او نحلة او ملك بل فرح المؤمن بربه اعظم من فرح كل هذا كله والانسان اقل
شيء حقيقة الحيوة حتى يحد طعم هذه الفرحة والنعمة فيظهر سرورها في قلبه ونظرتها
في وجهه فيصير له حال من حال اهل الجنة حتى لقاهم الله نضرة وسرورا فمثل هذا
فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فهذا هو العلم الذي شمر اليه
اولوا الهمم والعزائم واستبق اليه اصحاب الخصائص والمكارم وفيه قيل
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
المثال السابع الخوف قال ابو العباس هو الانخلاع عن الامن فينشد الامن واليقظة لنذار الوعيد
والحذر من سطوة العقاب وهو من منازل العوام ايضا وليس في منازل الخواص
خوف لان لا امان للغافل انما يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة من الانس به عند ذكره تراه
الظالمي مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم لان الخوف اهل الاختصاص فانهم جعلوا الوعيد
منه وعدا والعذاب منه عذبا لانهم شاهدوا المبتلى في البلا والمعذب في العذاب فاستعذبوا
ما وجدوا في حب ما شاهدوا في ذلك قال قايلهم ستمي في الحب عاذلتي ووجودي في الهوى غدي
وعذاب يرضون به في فمي احلى من النعم ومن كان مستغرقا في المشاهدة حل في بساط
الانس فلا يبقى للخوف بساحته الم لان المشاهدة توجب الانس والخوف يوجب القبض
ثم ذكر حكاية المضروب الذي ضرب مائة سوط فلم يتالم لاجل نقل محبوبه اليه ثم

ضرب

ضرب سوطا فصاح لما توارى عنه محبوبه قال وقد قيل في قوله تعالى والكافرون
لهم عذاب شديد دليل خطابه ان المؤمنين لهم عذاب ولكن ليس بشديد وانما كان
عذاب الكافرين شديدا لانهم لا يشاهدون المعذب لهم والعذاب على شهود المعذب عذاب
والثواب على الغفلة من المعطي صعب فالخوف اذن من منازل العوام والكلام على ما ذكره
من وجوه احدها ان الخوف احد اركان الايمان والاحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات
السالكين جميعها وهي الخوف والرجاء والمحبة وقد ذكره سبحانه في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فجمع بين المقامات الثلاثة فان ابتغاء الى
سبيله هو التقرب اليه بحبه وفعل ما يحبه ثم قال ويرجون رحمته ويخافون عذابه فزكر
الحب والخوف والرجاء والمعنى ان هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله من الملائكة والانبياء والصالحين يتقربون الى ربهم ويخافونه ويرجونه فهم عبيد كما انكم عبيد فلماذا تعبدونهم
من دونه وانتم وهم عبيد له وقد امر سبحانه بالخوف منه في قوله فلا تخافوهم وخافون ان
كنتم مؤمنين فجعل الخوف منه شرطا في تحقق الايمان وان كان الشرط داخلا في الصفة على
الايمان فهو المشروط في المعنى والخوف شرط في حصوله وتحققه وذلك لان الايمان تسبب
الخوف الحاصل عليه فحصول المسبب شرط في تحقق السبب كما ان حصول السبب موجب لحصول
مسببه فانتفاء الايمان عند انتفاء الخوف انتفاء المشروط عند انتفاء شرطه وانتفاء الخوف
عند انتفاء الايمان انتفاء المعلول عند انتفاء علته فتدبره والمعنى ان كنتم مؤمنين
فخافون والجزاء المحذوف مدلول عليه بالاول عند سيبويه واصحابه او هو المتقدم نفسه وهو
جزاء وان تقدم كما هو مذهب الكوفيين وعلى التقديرين فاداة الشرط قد دخلت على
السبب المقتضي للخوف وهو الايمان وكل منهما مستلزم للاخر لكن الاستلزام مختلف
وكل منهما منتف عند انتفاء الاخر لكن جهة الانتفاء تختلفه كما تقدم والمقصود ان
الخوف من لوازم الايمان وموجباته فلا تخلف عنه قال تعالى فلا تخشوا الناس و
اخشون وقد اثنى سبحانه على اقرب عباده اليه بالخوف منه فقال عن انبيائه بعد ان
اثنى عليهم ومدحهم انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا فالرغب

الرجاء والرهب الخوف والخشية وقال عن ملائكته الذين قال انهم من عذابه مشفقون ربهم
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الصحيح عن النبي انه قال اني اعلمكم بالله واشدكم
خشيته وفي لفظ اخر اني احوفكم لله واعلمكم بما اتقي وكان صلى الله عليه وسلم يصلي و
لصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فجعلا
كان العبد بالله اعلم كان له اخوف قال ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبغصان الخوف
من الله انما هو لنقصان معرفة العبد به فاعرف الناس اخشاهم لله وبحسب معرفة الله تشتد
حياءه منه وخوفه وحبه له وكلما ازداد بمعرفة ازداد حبا وخوفا وحياء فالخوف
من اجل منازل الطريق وخوف الخاصة اعظم من خوف العامة وهو اليهم اوجب
وهو بعض اليق ولهم الزم فان العبد اما ان يكون مستقيما او مائلا عن الاستقامة
فان كان مائلا عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله ولا يصح الايمان
الا بهذا الخوف وهو ينشأ من ثلاثة امور احدها معرفة بالجناية وقبحها
والثاني تصديق الوعيد وان الله رتب على المعصية عقوبتها والثالث انه لا يعلم
لعله عفا عنه من التوبة وحال بينه وبينها اذا ارتكب الذنب فبحسب الامور
الثلاثة يتم له الخوف وبحسب قوتها وضعفها يكون قوة الخوف وضعفه
فان الحامل على الذنب اما ان يكون عدم صفحه عليه بقبح واما عدم علمه بسوء
عاقبته واما ان يحمله الامران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة وهو الغالب
من ذنوب اهل الايمان فاذا علم قبح الذنب وعلم سوء عقبته وخاف ان لا
يفتح له بالتوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه من فعل الذنب فاذا
عمله كان خوفه اشد وبالجملة من استقرى قلبه ذكر الدار الاخرة وجزاءها و
ذكر المعصية والتوعد عليها وعدم الوثوق بايتانه بالتوبة النصوح وهاج
من قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو واما ان كان مستقيما مع
الله فخوفه يكون مع جريان الانفاس لعلمه بان الله مقلب القلوب
وما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل فان شاء ان
يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت اكثر

يمينه

يمينه لا ومقلب القلوب وقال بعض السلف القلب اشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا
وقال بعضهم مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بارض فلاة تقلبها الرياح
ظهرا لبطن ويكفي في هذا قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فاي قرار لمن
هذه حاله ومن احق بالخوف منه بل خوفه لازم له في كل حال وان توارى عنه بغلبه
حاله اخرى عليه فالخوف حشو قلبه لكن يواري عنه بغلبه غيره لوجود الشيء غير
العلم به فالخوف الاول ثمرة العلم بالوعد والوعيد وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله
وعزته وجلاله وان الفعال لما يريد وانه المحرك للقلب المصرف المقلب له كيف
شاء لا اله الا هو الوجه الثاني قوله ليس في منازل الخواص خوف قد
تبين فساده وان الخاصة اشد خوفا من العامة الوجه الثالث قوله الفاعل
يعيد ربه على وجشه من نظره ونفرة من الانس به عند ذكره تزى الظالمين
مشفقين الاية فهذا انما هو وحشة ونفار وهو غير الخوف فان الوحشة انما
تنشأ من عدم الخوف واما الخوف فانه يوجب هربا الى الله وجمعية عليه وسكونا اليه
في مخافة مقرونة بحلاوة وطمانينة وسكينة ومحبة بخلاف خوف المسيء الهارب من الله
فانه خوف مقرون بوحشة نفرة فخوف الهارب اليه سبحانه محشو بالحلاوة
والسكينة والانس لا وحشة معه وانما يجد الوحشة من نفسه فله نظران نظر الى
نفسه وجنايته فيوجب له وحشة ونظر الى ربه وقدرته عليه وعزته وجلاله
فيوجب له خوفا مقرونا بانس وحلاوة وطمانينة الوجه الرابع ان
استشهاده بقوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ليس
استشهادا صحيحا فان هذا وصف لهم في الاخرة عند معاينة العذاب او عند
الموت فهذا اشفاق مقرون بالاستيحاش لانه قد علم انه صائر اليه كما قدم
الى العقوبة ورأى اسبابها فهو مشفق منها اذا رأها علم انه صائر اليها فليست
الاية من الخوف المامور به في شيء الوجه الخامس ان الخوف يتعلق بالافعال
واما الحب فانه يتعلق بالذات والصفات ولهذا نزل الخوف في الحد واما الحب فنزداد
ولما كان الحب يتعلق بالذات كان من اسماء سبحانه الودود قال البخاري في صحيحه

الحبيب واما الخوف فانما متعلقه افعال الرب ولا يخرج عن كون سببه جنايه العبد
وان كانت جنايته من قدر الله ولهذا قال علي بن ابي طالب لا يرجون عبد الا ربه
والخائف عبد الاذنبه فمتعلق الخوف ذنب العبد وعاقبته وهي مفعولات
للرب فليس الخوف عايدا الى نفس الذات والفرق بينه وبين الحب ان الحب
سببه الكمال وذاته تعالى لها الكمال المطلق وهو متعلق الحب التام واما
الخوف فسببه توقع المكروه وهذا انما يكون في الافعال والمفعولات وبهذا
يعلم بطلان قول من زعم انه سبحانه يخاف لا لعله ولا لسبب بل كما يخاف السبع
الذي لا يدري العبد من اين يأتيه وهذا بناء من هولاء على نفي محبته سبحانه وحكمته
وانه ليس الا محض المشيه والارادة التي ترجح مثلا على مثل بلا مرجح ولا داعي
منها حكمه ولا مصلحة وهولاء عندهم الخوف يتعلق بنفس الذات من غير
نظر الى فعل العبد وانه سبب المخافه اذ ليس عندهم سبب ولا حكمه للارادة
محضه يفعل بها ما يشا من تنعيم وتعذيب وعندهم لولا فالخوف لازم للعبد
في كل حال احسن ام اساء وليس لافعالهم تاثير في الخوف وهذا من قله نصيبهم
من المعرفه بالله وكماله وحكمته واين هذا من قول امير المومنين علي لا
لا يرجون عبد الا ربه ولا يخاف الا ذنبه فجعل الرجا متعلقا بالرب سبحانه لان
رحمته من لوازم ذاته وهي سبقت غضبه واما الخوف متعلق بالذنب فهو
سبب المخالفه حتى لو قدر عدم الذنب بالكليه لبقي مخافه فان قيل فما وجه
خوف الملايكه وهم معصومون من الذنوب التي هي اسباب المخافه وشده
خوف النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وانه اقرب الخلق الى الله قيل عن هذا اربعه اجوبه الجواب الاول ان هذا
الخوف على حسب القرب من الله والمنزله عنده وكلما كان العبد اقرب الى الله كان
خوفه منه اشد لانه يطالب بعالم يطالب به غيره ويجب عليه من رعايه تلك المنزله و
حقوقها ما لا يجب على غيره ونظير هذا في الشاهد ان الماثل بين يدي احد الملوك
المشاهد له اشد خوفا منه من البعد عنه لحسب قربه منه ومنزلته عنده ومعرفته

به وتحقق قدرته مطالب من حقوق الخدمه واداءها ما لا يطالب به غيره فهو
احق بالخوف من البعيد ومن تصور هذا حق تصوره فهم قول النبي صلى الله
عليه وسلم اني اعلمكم بالله واشدكم له خشيه وتفهم قوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الالهي رواه ابو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تعالى لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم
ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم وليس المراد به لو عذبهم لتصرف
في ملكه واحكامه المتصرف في ملكه غير ظالم كما يظنه كثير من الناس فان هذا يناقض
مدلول الحديث انما سيق للمدح وبيان عظم حق الله على عباده وان لو عذبهم لخفته
عليهم ولم يكن تعذيبه ظلما لهم بغير استحقاق فان ظلمه محاله سبحانه عليهم
اضعاف اضعاف ما قالوا ولهذا قال بعده ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم
يعني ان رحمته لهم ليست على قدر اعمالهم اذ اعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمه وحقوق
عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها فلو عذبهم والحاله هذه لكان
تعذيبا لحقه وهو غير ظالم لهم فيه ولا سيما فان اعمالهم لا توازي العشير من نعمه
عليهم فتبقى نعمه عليهم ولا مقابل لها من شكرهم اذا عذبهم على ترك شكره واداء
حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم ولم يكن ظالما لهم فان قيل فهم اذا فعلوا مقدوره
من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه مما ينبغي له سقط وزالهم فكيف يحسن العذاب
عليه قيل الجواب من وجهين احدهما ان المقدور للعبد لا يأتي به كله بل لا تمر عليه
اوقات واعراض وغفله ونوان وايضا فحق نفس وما مده الذي يعبد به لا يوفيها حقها الواجب
لها من كمال الجلاله والاجلال والتعظيم والتصحيح التامه لله بها بحيث يدل بقلبه
وروحه كله في تحسينها وتكميلها ظاهرا وباطنا فالتقصير لازم في حال الترك و
حال الفعل ولهذا لما سال ابو الصديق النبي صلى الله عليه وسلم دعاء يدعو به في صلاته قال
له قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة
من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم فاخبر عن ظلمه لنفسه مولدا له بان
مقتضيه ثبوت الخير وتحققه ثم اكده بالمصدر الدال على التجوز والاستغراق

شر وصفه بالكثرة المقتضية لتعدده وتكثره ثم قال فاغفر لي مغفرة من عندك اي لا يناله
علمي ولا يبقى بل علمي يقصر عنها وانتفاهي من فضلك واحسانك لا بكسبي ولا باستغفاري
ونوديي ثم قال وارحمني اي ليس معولي الا على مجرد رحمتك فان رحمتي والا فالهلاك
لازم لي فليتدبر اللبيب هذا الدعا وما فيه من المعارف والعبوديه وفي صحيح ابن
لو عذبتني لعذبت وانا ظلمتي والي لا الخوا لا بمغفرتك ورحمتك وفي هذا قوله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته منه وفضل فاذا كان عمل العبد لا يستقل بالجنة فلو لم يجد
الله لم يكن ليعذبه شيء من خلقه ولا ظلمه فانه ليس بعد ما يقتضي لجنته وعمله
ليس واويا بشكر القليل من بعد فعل يكون ظالما لو عذبه وهل يكون رحمته
له جزاء العمله ويكون العمل عثنا لها مع تقصير فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل
النصح فيه وكمال العبوديه من الحيا والحب والخشوع وحضور القلب بين يدي الله
في العمل فمن علم هذا علم السر في كون اعمال الطاعات تختم بالاستغفار في صحيح
مسلم عن ثوبان قال كان رسول الله اذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وقال تعالى كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون فاخبر عن استغفارهم عقيب صلاة الليل
وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر فلما كان السحر جلسوا يستغفرون الله وامر
تعالى عباده بالاستغفار عقيب الافاضة في الحج فقال ثم افيضوا من حيث افاض
الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ونشرع صلى الله عليه وسلم للمتوضي
ان يختم وضوءه بالتوحيد والاستغفار فيقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
فهذا ونحوه مما يبين حقيقة الامر وان كل احد محتاج الى رحمة الله ومغفرته
وانه لا سبيل الى النجو بدون مغفرته ورحمته اصلا الجواب الثاني انه لو
فرض ان العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهرا وباطنا فالذي ينبغي له

فوق

فوق ذلك واضعاف اضعافه فاذا عجز العبد عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء
والذي اتى به لا يقابل اقل النعم فاذا جرم جزاء العمل الذي ينبغي للرب من عبد
كان ذلك تعذيبا له ولم يكن الرب ظالما له في هذا الحرمان ولو كان عاجزا عن
اسبابه فانه لم يمنعه حقا يستحقه عليه فيكون ظالما بمنعه فاذا اعطاه الثواب كان
بمجرد صدقه منه وفضله تصدق بها عليه لا بنا لعامله بل لاي خير من عمله وافضل
واكثر ليست معاوضة عليه والله اعلم الجواب الثالث عن السؤال الاول ان
العبد اذا علم ان الله سبحانه هو يقلب القلوب وانه يحول بين المرء وقلبه وانه كل يوم
هو في شان يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء و
يرفع من يشاء ويخفض من يشاء فما يؤمنه ان يقلب الله قلبه ويحول بينه
وبينه ويزيغه بعد اقامته وقد اثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم ربنا لا
تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فلولا خوف الازاغة لما سالوه ان لا يزيغ
قلوبهم وكان من دعاء النبي اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك
ومثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعوا اعوذ بعزتك ان تضلني انت الحي الذي لا يموت وكان من
دعائه اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ
بك منك فاستعاذ من صفة الرضى من صفة الغضب وبفعل العافية من فعل
العقوبة واستعاذ منه تارة باعتبارين وكان استعاذته به منه جمعا لما فصله
في الجملتين قبله فان الاستعاذه به منه ترجع الى معنى الكلام قبلها مع تضمنها
فائدة شريفة وهي كمال التوحيد وان الذي يستعيذ به العايذ ويهرب منه
انما هو فعل الله ومشيئته وقدرته فهو وحده المتفرد بالخلق فاذا اراد بعبد
سوءا لم يعذه منه الا هو فهو الذي يريد به ما يسوءه فلا يريد به فيدفعه
فصار سبحانه مستعاذا به منه باعتبار الارادتين وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو فهو الذي يمس بالضر وهو الذي يكشفه لا الا هو

الألوكة
www.alukah.net

فالمهرب منه اليه والفرار منه اليه واللجا منه اليه كما ان الاستعاذة منه به فانه
لا رب غيره ولا مدبر للعبد سواه فهو الذى يحرك ويقلبه ويصرفه كيف شاء
الجواب الرابع ان الله سبحانه هو الذى يخلق افعال العبد الظاهرة والباطنة
فهو الذى جعل الايمان والهدى فى القلب وجعل فيه التوبة والانابة بالاقبال
والحب والتفويض واضدادها والعبد فى كل لحظة مفتقر الى هداية يحصلها الله
فى قلبه وحركات يحركه بها فى طاعته وهذا الى الله سبحانه فهو خلقه وقدره وكان
من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها وعلم حصين ابن المنذر ان يقول اللهم الهمنى رشدى وقنى شر
نفسى وعامة ادعيته صلى الله عليه وسلم متضمنة لطلب توفيق ربه وتزكيته له و
استعاذته فى محابه من هداه وصلاحه واسباب خذلانه بيد غيره وهو المالك له
والمتصرف فيه بما يشاء ليس له من امره شئ من احق بالخوف منه وهو الذى قد
خلق له فى الحال الهداية فهل هو على يقين وعلم ان الله سبحانه يخلقها له فى
المستقبل ويلهمه رشده ابدا فعلم ان خوف المقربين عند ربهم اعظم من خوف
غيرهم والله المستعان ومن هاهنا فان خوف السابقين من فوت الايمان
كما قال بعض السلف انتم تخافون الذنب وانا اخاف الكفر وكان عمر بن الخطاب
يقول لحذيفة نشدتك الله هل سماني لك رسول الله يعني فى المنافقين فيقول
لا ولا ازكى بعدك احدا يعني لا افتح على هذا الباب فى سؤال الناس ولبس
مراده انه لم يخلص من النفاق غيرك الوجه السادس قوله واما الخواص
فانهم جعلوا الوعيد منه وعذابا والعذاب فيه عذبا الا انهم شاهدوا المبتلى والمعذب
فاستعذبوا ما وجدوا فى جنب ما شاهدوا الى اخر كلامه فيقال هذا الكلام وحى
من رعونات النفس ومن الشطحات التى تجب انكارها على الذى جعل وعيد
الله وعذابه وعقابه ثوابا وعذابه عذبا وهل هذا الا انكار لوعيد وعذابه
فى الحقيقة واى عذاب اشد من عذابه نعوذ بالله منه قال تعالى ولكن عذاب الله

شديد وقال ولا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وهذا اظهر فى كل ملة
من ان يحتاج الى الاستدلال عليه وانما نسب هذا المذهب الى الملاحدة من اقابلين
بوحدة الوجود كما قاله بعضهم ولم يبق الا صادق الوعد وحده فالوعيد الحق عين ثوابه
يعم جنات الخلد والامر واحد وبينهما عند العالى تباين يسمى عذابا من عذبه
وذاك له كالقشر والعسل صابين فهذا العالى حط على تلك النقطة التى نقطها ابو
العباس ولعل الكلامين من مشكاة واحدة وهذا مباين للمعلوم بالاضطرار من
دين الرسل وما اخبرت به عن الله واخبر به على لسان رسله فان قيل ليس مراده ما
ذكرتم وفهمتم من كلامه وانما مراده انه سبحانه اذا ابتلى عبده فى الدنيا فهو لكمال محبته
له يتلذذ بتلك البلوى وبعدها فقط وليس مراده عذاب الاخرة قيل قوله عن
الخواص انهم جعلوا الوعيد منه وعلا ينفى ما ذكرتم من التاويل فان ابتلاء الدنيا غير
الوعيد وايضا فانه فى مقام الخوف ونفيه عن الخاصة محتجا عليهم بانهم يرون
العذاب عذبا والوعيد وعدا فيالهم وللخوف هذا مقصوده من سياق كلامه
واحتجاجه عليه بهذا العذاب الذى يكفر به العقلاء بل من لا ينكر ان العبد
اذا تمكن حب الله فى قلبه حتى ملك جميع اجزائه فانه قد يتلذذ بالبلوى احيانا
وليس ذلك دائما ولا اكثريا ولكنه يعرض عند هيجان الحب وغلبة الشوق
فيظهر شهود الالم ثم يراجع طبيعته فيذوق الالم ولكن ان هذا من جعل الوعيد
وعلا والعذاب عذبا وان احسن الظن لصاحب هذا الكلام طى به الله ورد
عليه وارد من الحب تخيل فى نفسه ان محبوبه اذا نوعا عذبه كان ذلك وعدا منه وان
عذبه كان عذابه عذبا لموافقته مراد محبوبه وهذا خيال فاسد وتقدير
فى النفس والامر الحقيقة الخارجية تكذب هذا الخيال الباطل بل لو صب عليه ادنى
شئ من عذابه لصاح واستغاث وطلب العفو والعافية وحكمة الله تقتضى تعجيز هذا
المغرور لجاهله الرعونة الحمقة بادنى شئ يكون من الالم والوجع حتى يتبين لها دعواها
الكاذبة وسخطها الباطل وهذا سيد الحكماء وسيد ولد آدم استعاذته بالله من عذابه
وبلائه وسوء عافيته ومعافاته معلوم من ادعيته وتضرعه الى ربه وابتهاله اليه

الألوكة
www.alukah.net

في ذلك وهي اكثر من ان نذكرها هنا اماني سيد المحبين اسوة وقدوة ولكن
قد ابتلي كثير من اهل الارادة بالشطح كما ابتلي كثير من اهل الكلام بالشك والمعافى
من عافاه الله من هذا وهذا فنسأل الله عافيته ومعافاته الوجه السابع قوله
ان عذاب الكافرين اذا كان شديدا لا نفع لا يشاهدون المعذب لهم والمومنون
يشاهدونه فلم يكن عذابهم شديدا ليس كذلك فان عذاب الكافرين شديد في
نفسه لغلظ جرمهم وهو الكفر وهو دائم لا انقطاع له واما المومنون الذين
يعذبون بذنوبهم فعذابهم اضعف من عذاب الكافرين لان عذابهم على الذنوب وهي
دون الكفر وهو منقطع والايات لم ترد بها اثبات عذاب للمومنين دون عذاب الكافرين
وانما سيقت لعذاب الكافرين حسب مفهومها نفي العذاب عن المومنين لا
اثبات عذاب غير شديد والله اعلم الوجه الثامن من قوله والخواص الخشية وهي التي
درجة يشار اليها في غاية الخوف والخوف زوال بالامن وينتهي به خوف الشخص على
نفسه من العقاب فاذا امن العقاب زال الخوف والخشية لان زوال ابدا لانها مستحقة للرب
توصف التعظيم والاجلال وذلك الوصف مستحق بصون المشاهدة احيانا هذا المفاهيم
وتعصم العامة بصدمة الغرة ومنه قال قائلهم رشاقة ما ابلاطرق من اجلاله
لاخفيه بل هيبة وصيانة لجماله واصدعه تجلدا وارم طيف خياله فيقال من الغايب
ان المعنى الذي امر الله به في كتابه التي به على خاصة عباده وقرنهم اليه وهم انبيائه
ورسله وملائكته محل ناقصا من منازل العوام وتعدا لمعنى لم يذكره الله ولا رسوله
والاعلق به المدح والثناء في موضع واحد فجعل هو الكمال وهو للخواص من العباد فاين
في القران والسنة ذكر الخشية والامر بها ووصف خاصته بها ونحن لا ننكر ان الخشية من
لوازم الايمان وموجباته ولكن المنكر ان يكون الوصف الذي وصف به انبياءه وملائكته
ناقصا والوصف الذي لم يذكره هو الكامل التام وهذا المعنى المعبر عنه بالخشية حق
ولكن لم تجي العبارة عنه في القران والسنة بلفظ الخشية وانما جاءت بلفظ الاجلال
كقول النبي من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وحامل القران غير الغالي فيه
والجافي عنه والامام العادل فالاجلال هو التعظيم وكذلك الخشية بوضع هذا

الوجه

الوجه التاسع وهو ان الخشية والاجلال يجوز تعلقها بالمخلوق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم الحديث وقال ابن عباس عن عمر هيبته
وكان مهيبا واما الخشية والمهابة فلا تصلح الا لله وحده قال تعالى فلا تخشوا الناس
واخشوني وقال فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مومنين وقال انما يعمر مساجد الله من امن
بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين فالخوف عبودية القلب فلا يصلح الا لله كالذل والمحبة والانابة والتوكل و
الرجاء وغيرها من عبوديات القلب وكيف تجعل للمهابة المشتركة افضل منه واعلى وتامل
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون كيف
جعل الطاعة لله ولرسوله والخشية والتقوى له وحده وقال لتومنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وكيف تجعل التوقير والتعزير للرسول وحده والتوقير
هو التعظيم الصادر عن الهيبة والاجلال هذا حقيقته فعلم ان الخوف من اجل
مقامات الخواص وانهم اليه احوج وبه اقوم من غيرهم الوجه العاشر
قوله الخوف يزول بالامن والهيبة لا تزول الا الى احوج فيقال هذا حق فان
الخوف انما يكون قبل دخول الجنة فاذا دخلوها زال عنهم الخوف الذي كان
يصحبهم في الدنيا وفي عرصات القيمة وبدلوا به امنا لانهم قد امنوا العذاب فزا
يلهم الخوف منه ولكن لا يدل هذا على انه كان مقاما ناقصا في الدنيا كما ان الجهاد
من اشرف المقامات وقد زال عنهم في الاخرة وكذلك الايمان بالغيب اجل المقامات
على الاطلاق وقد زال في الاخرة وصار الامر شهادة وكذلك الصلوة والحج والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النفس لله وهي من اشرف الاعمال وكلها تزول
في الجنة وهذا الدليل على نقصانها فان الجنة ليست دار سعي وعمل انما هي دار
نعيم وثواب الوجه الحادي عشر ان الخوف انما زال في الجنة لان تعلقه انما هو
بالافعال فعال لا بالذات كما تقدم وقد امنهم ما كانوا يخافون منه فقد امنوا
ان لا يفعلوا ما يخافون منه وان يفعل بهم ربهم ما يخيفهم ولكن كان الخوف

في الدنيا انفع لهم فيه وصلوا الى الامن التام فان الله سبحانه لا يجمع على عبده
مخافتين ومن خافه في الدنيا امنه يوم القيمه ومن امنه في الدنيا ولم يخفه
اخافه في الاخره وناهيك شرفا وفضلا بمقام عزته الامن الدايم المطلق الوجه
الثاني عشر ان الاجلال والمهابه والتعظيم انما لم يزل لانها متعلقه بنفس الذات
وهي موجوده في دار النعيم واما الخوف فانما هو لامر خارج عن الذات وسيله الى التوقي فيه للعبد
والقيام بالامر والوسيله تزول عند حصول الغايه ولكن زوال الوسيله عند حصول
الغايه لا يدل على انها ناقصه واذا كانت تلك الغايه لا كمال للعبد بدونها فان
الوسيله اليها كذلك الوجه الثالث عشر قوله وهذه المعارضه واهيه
رصف المكان شف اوفاق الماحاه وتصون المشاهد اجار المشاهد وتغضم
المعاين بصدمه العزه فيقال لاريب ان الحب والانس المجرد عن الاجلال والتعظيم تبسط
النفس وتجرها على بعض الدعاوى والرعونات والامانى الباطله واساءة الادب والجنايه
على حق المحبه فاذا قارن المحبه مهابه المحبوب واجلاله وتعظيمه وشهود عز جلاله
وعظيم سلطانه انكسرت نفسه له وذلت لعظمته واستكانت لعزته وتصاغرت
لجلاله وصفت من رعونات النفس وحماقاتها وردعا وبها الباطله واما نيها الكاذبه
وفي هذا في الحديث يقول الله عز وجل اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا
ظل الا ظلي فقارن بين المتحابون لجلالي فهو جب لجلاله وتعظيمه ومهابته ليس حبا
لجرد جماله فانه سبحانه الجليل الجميل والحب الناشئ عن شهود هذين الوصفين هو الحب
النافع الموجب لكونهم في ظل عرشه يوم القيمه فشهود الجلال وحده يوجب خوفا
وخشيه وانكسارا وشهود الجمال وحده يوجب حبا بانبساط وادلال ورعونه
وشهود الوصفين معا يوجب حبا متقرونا بتعظيم واجلال ومهابه وهذا هو
غايه كمال العبد والله اعلم وانشاده هذه الابيات الثلاثه في هذا المقام في غايه القبح
فان هذا الحب نفي خوفه من محبوبه واجنانه يصدر عن محبوبه ويعرض عنه
اظهار التحمل اعباء محبوبه وذلك قبيح في حكم المحبه فان التذلل للمحبوب وتحمله

واستعطافه

واستعطافه والانكسار له اولى بالمحب من تحمله وتعززه كما قيل احضع فذل
لمن تحب فليس في شرع الهوى انف ومثال يعقل ثم اخبر انه يروم طيف خياله
فهو طالب لحظ من محبوبه لا مراد محبوبه منه فهذا الحب لنفسه وقد جعل طيف محبوبه
وسيله الى حصول مراده فاحبه حب الوسايل لا حب من هو اجب محبوب لذات المحبوب
ففني عن مراده هو منه بمراد محبوبه فصار مراده مراد محبوبه فحصل الاتحاد في المراد لا في
الاراده ولا في المراد هذا ان كان صدره عنه تحاملا عليه وان كان تحاملا على الرقيب حوفا
منه فهو ضعيف المحبه لانه فيه بقيت ليست مع محبوبه بل مع رقيبه فهذا ملا الحب
قلبه فلم يبق فيه بغير يلاحظ بها الرقيب والعاذل كما قيل لا كان من لسواك فيه بقيه
بحد السبيل بما اليه العذل وبالجمله هذه الابيات فاقصه المعنى لا تصلح الاستشهاد
بها والله اعلم فصل والمقصود الكلام على علل المقامات وبيان ما يقع فيها من خطاء
وصواب ولما كان اكثر الغلط بين العرف قد يعرض ذلك في كتابه بحاسن المجالس
ذكر ما كلامه فيه وما له وما عليه ثم بعد هذا فصلا في المحبه وفصلا في الشوق فتذكر
كلامه في ذلك وما يفتح الله به تتميما للفايده ورجاء للمغفره وان عين الله العزيز
الوهاب بفضله ورحمته وبرقي عبد من العلم الى الحال ومن الوصف الى الاتصاف
انه قريب مجيب قال ابو العباس واما المحبه فقد اشار اهل التحقيق الى قلة العباره عنها
وكل ينطق بحسب ذوقه وتنضح بمقدار شربه فلما كان من الامور الوجدانيه
الذوقيه التي اغلب علمها بآثارها وعلاماتها وكان مما يقع فيه التفاوت بالشده والضعف
وكان له لوازم وآثار وعلامات متورده اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف
هذه الاشياء وهذا لان المحبه فانها ليست بحقيقه معاينه ترى بالابصار فيشترك
الواصفون لها في الصفه وهي في نفسها متفاوته اعظم تفاوت فبين العلامه
التي هي تعلق القلب بالمحبوب والخله التي هي اعلى مراتب الحب درجات
متفاوته تفاوتا لا يحصرها علما آثار توجبها وعلامات تدل عليها فكل ادرك
بعض علاماتها فعبر بحسب ما ادركه وهي والاذواق كلها ليس اسمها كمسماها ولا
لفظها مبين لمعناها وكذلك اسم المصيبه والبليه والشك والالم انما دل الاسماع
عليها نوع دلاله لا يكشف حقيقتها ولا يعلم حقيقتها الا ذوقها ووجودها

الألوكة
www.alukah.net

وفرق بين الذوق والوجود وبين التصور والعلم فالحدود والرسوم التي قيلت في
المحبة صحيحة غير وافية بحقيقتها بل هي اشارات وعلامات وتنبيهات
فصل قال وهي على الاجمال قيل اينتهي الى التفصيل وجود تعظيم في القلب
يمنع الانقياد لغير محبوبه يقال هذا التعظيم المانع من الانقياد لغير المحبوب
هو اثر من آثار المحبة وموجب من موجباتها لانه نفس المحبة فان المحبة اذا كانت صادقة
اوجب للمحب تعظيما لمحبوبه يمنعه من انقياده الى غيره وليس مجرد التعظيم هو المانع
من الانقياد الى غيره بل التعظيم المقارن للحب هو الذي يمنع من الانقياد الى غير المحبوب
فان التعظيم اذا كان مجردا عن الحب لم يمنع انقياد القلب الى غير المعظم وكذلك
اذا كان الحب خاليا عن التعظيم لم يمنع الحب ان ينقاد الى غير محبوبه فاذا اقترن
الحب بالتعظيم وامتلأ القلب بهما امتنع انقياده الى غير المحبوب والمحبة المشتركة
ثلاثة انواع احدها محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء و
غير ذلك وهذه لا تستلزم التعظيم والنوع الثاني محبة رحمة واشفاق كمحبة
الوالد لولده الطفل ونحوها وهذه ايضا لا تستلزم التعظيم والنوع الثالث
محبة انس والف وهي محبة المشتركين في صناعة او علم او معرفة او تجارة او
سفر بعضهم بعضا ومحبة الاخوة بعضهم بعضا فهذه الانواع الثلاثة هي
المحبة التي تصلح للمخلوق بعضهم من بعض ووجودها يعلم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه
ولهذا كان رسول الله يحب الحلواء والعسل وكان احب الشراب اليه الحلو البارد وكان
احب اللحم اليه الذراع وكان يحب نساءه وكانت عائشة احبهن اليه وكان يحب اصحابه
واحبهم اليه الصديق واما المحبة الخاصة التي لا تصلح الا لله وحده وهي احب العبد بها
غيره كان شركا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم
وكمال الطاعة وايثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله اصلا وهي التي
سوى المشركون بين المحبوبهم وبين الله فيها كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واصح القولين ان المعنى يحبونهم
كما يحبون الله وسووا بين الله وبين انداده في الحب ثم نفى ذلك عن المؤمنين فقال

والذين

والذين امنوا اشد حبا لله فان الذين امنوا اخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره
واما المشركون فلم يخلصوا لله والمقصود من الخلق والامر انما هو هذه المحبة وهي اول
دعوة الرسل واخر كلام العبد المؤمن الذي اذا مات عليه دخل الجنة اعتقاده واقراره
بهذه المحبة وافراده الله بها فهو اول ما يدخل به في الاسلام واخرها يخرج به من الدنيا
الى الله وجميع الاعمال كالادوات والآلات لها وجميع المقامات وسائل اليها و
اسباب لتحصيلها وتكميلها وتخصيصها من الشوائب والعلل هي قطب رحى السعادة
وروح الايمان وساق شجرة الاسلام ولاجلها انزل الله الكتاب والحديد فالكتاب هاد اليها
والحديد دال عليها ومفصل لها والحديد لمن خرج عنها وشرك فيها مع الله
غيره ولاجلها خلقت الجنة والنار فالجنة دار اهلها الذين اخلصوا لله وحده
فاخلصهم لها والنار دار من اشرك فيها مع الله غيره وسوى بينه وبين الله فيها
عياذا بالله من اهلها ثم يقولون في النار لالهتهم تالله ان كنا لفي
ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وهذه التسوية لم تكن منهم في الافعال
والصفات ولا في الملائكة المسوين بهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية فقطع مع
اقرارهم بالفرق بين الله وبينها فتصحيح هذه هو تصحيح شهادة ان لا اله الا الله
فحقيق بمن نصح نفسه واحب سعادتها ونجاتها ان يتيقظ لهذه المسئلة علما وعملا وحالا و
يكون اهم الاشياء عنده واجل علومه واعماله فان الشان كله فيها والمدار عليها و
السؤال يوم القيامة عنها قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال غير واحد
من السلف لنسئلنهم عن قول لا اله الا الله وهذا حق فان السؤال كله عنها وعن احكامها وحقوقها
وواجباتها ولوازمها فلا يسأل احد قط الا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها قال ابو
العالية كلهم ان يسأل عنها الاولون والآخرون ما كنتم تعبدون وماذا اجبتم المرسلين فالسؤال
لسؤال عما كانوا يعبدون هو السؤال عنها نفسها والسؤال عن ماذا اجابوا الرسل
سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية اليها هل سلكوها واجابوا الرسل فيما دعوهم اليها
فعاد الامر كله اليها وامر هذا شانه حقيق بان يبنى عليه الخناصر ويعض عليها بالنواجذ

الألوكة
www.alukah.net

ويقبض نفسه على الحق ولا يوحد باطراف الانامل ولا يطلب على فضله بل يجعل هو المطلب
الاعظم وماسواه انما يطلب على الفضله والله الموفق لا اله غيره ولا رب سواه

فصل قال وقيل المحبه ايثار المحبوب على غيره وهذا الحد ايضا من جنس ما قبله
فان ايثار المحبوب على غيره موجب المحبه ومقتضاها فاذا استقرت المحبه في القلب
اسدعت من المحب ايثار محبوبه على غيره وهذا الايثار علامه ثبوتها وصحتها
فاذا آثر غير المحبوب عليه لم يبق لحبه وان زعم انه محب فانما هو محب لنفسه
ولحظه فمن يحبه فاذا راى حظا اخر هو احب اليه من حظه الذي يريده من
محبوبه آثر ذلك الحظ المحبوب اليه فهذا موضع يغلط فيه الناس كثيرا اذ
اكثرهم انما هو تحب لحظه ومراده فاذا علم انه عند غيره احب ذلك الغير حب
الوسايل لاجاله لذاته ويظهر هذا عند حالتين احديهما انه يرى حظا له اخر عند
غيره فيوثر ذلك الحظ ويترك محبوبه الثانيه اذا نال ذلك الحظ من محبوبه فتزهد
محبته وتسكن قلبه وترحل قاطن المحبه من قلبه كما قيل من ودك لامر ولى عند انقضائه
فهذه محبه مسببه بالعلل بل المحبه الخالصه ان يحب المحبوب لكماله وانه اهل ان يحب
لذاته وصفاته فهذه هي المحبه الخالصه من دربة العلل وشوايب النفس وهي التي تستلزم
ايثار المحبوب على غيره ولا بد وكلما كان سلطان المحبه اقوى كان هذا الايثار اتم وفي
مثل هذا قيل تعصي الاله وانت تزعم حبه هذا محال في القياس شنيع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وههنا دقيقه ينبغي التفطن لها وهي ان
ايثار المحبوب نوعان ايثار معاوضه ومتاجره وايثار رحب وايراده فالاول يوثر
محبوبه على غيره طلبا لحظه منه فهو يبذل مايوثره ليعاوضه بخير منه والثاني يوثره
اجابه لداعي محبته فان المحبه الصادقه تدعوه داعيا الى ايثار محبوبه فايثاره هو
اجل حظوظه فحظه في نفس الايثار لا في العوض المطلوب بالايثار وهذا لا يفهمه الا
النفس اللطيفه الواسعه المشرقه واما النفس الكثيفه فلا خبر عندها من هذا
وما هو يعشرها فلنرجع والدين كله والمعامله في الايثار فانه تقديم

والتخصيص

والتخصيص لم توثره بما توثره به على نفسك حتى ان من شرط الاحتياج الى
من جهة الموثر اذ لو لم يكن محتاجا اليه لكان بذله سخاوكرما وهذا انما يليق في ايثار
المخلوق والله سبحانه يوثر عبده على غيره من غير احتياج منه سبحانه فانه الغني الحميد
وفي الدعاء المرفوع اللهم زدنا ولا تنقصنا واعطنا ولا تحرمنا واكرمنا ولا تهنا وانثرنا ولا تؤثر
علينا وارضنا وارض عنا وصل من اثر الله على غيره آثره الله على غيره والفرق بين الا
ثار والايثار ان الايثار تخصيص الغير بما تريده لنفسك والاثره اختصاصك به
على الغير وفي الحديث بايعنا رسول الله على السمع والطاعه في عسرنا ويسرنا ومنشطنا
ومكرهنا وايثره علينا اذا عرف هذا فالايثار اما ان يتعلق بالخلق واما ان يتعلق با
لخالق فان تعلق بالخلق فكماله ان توثرهم على نفسك بما لا يضيع عليك دينا ولا
يفسد عليك حالا ولا يهضم لك دينا ولا يسد عليك طريقا ولا يمنع لك واردا فان كان في
ايثارهم شئ من ذلك فايثار نفسك عليهم اولى فان الرجل من لا يوثر بنصيبه من الله
احدا كائنا من كان وهذا في غاية الصعوبه على السالك والاول اسهل منه فان الايثار المحمود
الذي اثنى الله على فاعله الايثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلب قال تعالى
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فاخبر
ان ايثارهم انما هو بالشئ الذي اذا وقى الرجل الشح به كان من المفلحين وهذا انما هو فضول
الدنيا لا الاوقات المصروفه في الطاعات فان الفلاح كل الفلاح في الشح بها ممن لم يكن شحيحا
بوقته تركه الناس على الارض عيانا مفلسا فالشح بالوقت هو عمارة القلب وحفظ راس ماله
ومما يدل على هذا انه سبحانه امر بالمسابقه في اعمال البر والتنافس فيها والمبادره اليها وهذا
ضد الايثار بها قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنه عرضها السموات والارض و
قال فاستبقوا الخيرات وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو
يعلم الناس ما في النداء والصف الاول لكانت قرعه والقرعه انما تكون عند التزاحم و
لسنا نعلم في عدم الايثار فلم تجعل الشارع الطاعات والقربات محلا للايثار بل محلا
للتنافس والمسابقه ولهذا قال الفقها لا يستحب الايثار بالقربات والصوفيه والله اعلم ان الا
ثار انما يكون بالشئ الذي يضيق عن الاشتراك فيه فلا يسع الموثر والموثر بل لا يسع الا احدهما و
اما اعمال البر والطاعات فلا تضيق على العباد فيها فلو اشترك الالوف المولفه في الطاعه
الواحده لم تكن عليهم ضيقا ولا تزاحم ووسعتهم كلهم وان قدر التزاحم في عمل واحد
او مكان لا يمكن ان يفعله الجميع بحيث اذا فعله واحد فات على غيره فان في العزم

الألوكة
www.alukah.net

والنيه الجازمه على فعله من الثواب ما للفاعل كما ثبت عن النبي في غير حديث فاذا قدر وقوت
مباشرته لم فلا يفوت عليه عزمه ونيته لفعله وايضا فانه اذا اخذات عليه كان في غيره من الطا
عات والقربات عوضا منه اما مساو له واما ازيد واما دونه فمتى اتى بالعوض وعلم الله
من نيته وعزمه الصادقه ارادته لذلك الفعل اثابه الله ثوابه وثواب ما تعوض
به عنه مجمع له الامرين وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وايضا
فان المقصود رغبة العبد في القرب الى الله وابتغاء الوسيله اليه والمنافسه في محابه والايثار
بهذا التقرب يدل على رغبته عنه وتركه له وعدم المنافسه فيه وهذا بخلاف ما يحتاج اليه
العبد من طعامه وشرابه ولباسه اذا كان اخوه محتاجا اليه فاذا اختص به احدهما
فات الاخر فقد يجب الله عبدا اذا وجد من نفسه قوة وصبرا على الايثار به ما يلزم عليه
دينا او يجلب له مفسدة او يقطع عليه طريقا عزم على سلوكه الى ربه او يشوش عليه
قلبه بحيث يجعله متعلقا بالخلق فهذه الايثار هنا ارجح من مصلحة فاذا ترجحت مصلحة
الايثار بحيث تفضي انفاذ نفسه من هلكه او عطب او شده ضروره ونفس المؤثر
تطيرها تتعين عليه الايثار فان كان به نظير هالم يتعين عليه الايثار ولكن
لو فعله لكان غاية الكرم والسخا والاحسان فانه من اثر حيوة غيره على حيوته
وضرورته على ضرورته فقد استولى على امد الكرم والسخا وحاز قصباته وضرب
فيه باوفر الحظ وفي هذا الموضع مسايل فقهيه ليس هذا موضع ذكرها فان قيل فما
الذي يسهل على النفس هذا الايثار فان النفس مجبوله على الاثره لا على الايثار قيل يسهله
امور احدها رغبة العبد في مكارم الاخلاق ومعاليها فان من افضل اخلاق الرجل واشرفها
واعلاها الايثار وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته كما جبلها على بغض المستاثر ومقته
لا تبدل لخلق الله والاخلاق ثلاث خلق الايثار وهو خلق الفضل وخلق العفه والتنزيه
وهو خلق العدل وخلق الاستيثار والاستبداد وهو خلق الظلم وصاحب الايثار محبوب مطاع
مهيب وصاحب العدل لا سبيل للنفوس الى اذاه والتسلط عليه اسرع من السيل في حدوره
وهلا زال الممالك وقلعها الا الاستيثار فان النفوس لا صبر لها عليه ولهذا امر رسول الله
اصحابه بالسمع والطاعه لولاه الامر وان استاثروا عليهم لما في طاعة المستاثر من المشقة او
لكره الثاني النفره من اخلاق اللئام وسمعت الشيخ وكراهته له الثالث تعظيم الخوف

الى

التي جعلها الله سبحانه للمسلمين بعضهم على بعض فضيعها حق رعايتها ويخاف من
تضييعها ويعلم انه ان لم يؤثر فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده فان ذلك عسر جدا
بل لا بد من مجاوزته الى الفضل والتقصير عنه الى الظلم فهو يخوفه من تضييع الحق والدخول
في الظلم يختار الايثار عما لا تنقصه ولا يضره ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الاجر
في الاخره مع ما يحصل له الايثار من البركه وفضلان الخير عليه فتعود عليه من ايثاره

افضل مما بذله ومن جرب هذا عرفه ومن لم يجرب به فليستقرا حوال العالم والموفق من و
فقه الله سبحانه فصل والايثار المتعلق بالخالق اجل من هذا وافضل وهو ايثار رضاه
على رضى غيره وايثار حبه على حب غيره وايثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجاء به
وايثار الذل له والخضوع والاستكانه والضراعه والتملق على بذل ذلك لغيره
وكذلك ايثار الطلب منه والسوال وانزال الحاجات به على تعلق ذلك بغيره فالاول
آثر بعض العبد على نفسه فيما هو محبوب له وهذا اثر الله على غيره ونفسه من اعظم الا
غيار فان الله عليها فترك محبوبها لمحبوب الله وعلامه صحه هذا الايثار وشيان احدهما
فعل ما يحب الله اذا كانت النفس تكرهه وهذا من الثاني ترك ما تكرهه وتحب منه
اذا كانت النفس تحبه وتهواه فبهذين الامرين يصح مقام الايثار ومؤنه هذا الايثار
شديده لغلبه الاغيار وقوة داعي العاده والطبع فالمحنه فيه عظيمه والمؤنه فيه شديده
والنفس عنه ضعيفه ولا يتم فلاح العبد وسعادته الابه والله ليس على من يسر الله عليه
لتحقيق بالعبد ان يتم اليه وان صعب المرتقى وان يشق عليه وان عظمت فيه المحنه ويحمل
فيه خطرا يسيرا لملك عظيم وفوز كبير فان ثمره هذا في العاجل والاجل ليست تنشه
ثمره شيء من الاعمال ويسير منه يربي العبد ومسرهه ما لا يربي غيره اليه في المده المتطاوله
وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ولا تحقق المحبه الا بهذا الايثار والذي يسهله على العبد
امور احدها ان تكون طبيعته لينه منقاده سلسه ليست نجافيه ولا قاسيه بل
تنقاد معه بسهوله الثاني ان يكون ايمانه راسخا ويقينه قويا فان هذا ثمره الايمان و
نتيجته الثالث قوة صبره وثباته فبهذه الثلاثة الامور ينهض الى هذا المقام
ويسهل عليه دركه والنهوض والتخلق في النفس عن هذا يكون من امرين احدهما

ان تكون حامله غير سريعه الادراك بل بطيئه ولا تكاد ترى حقيقه الشئ الا بعد
عسر وان راها اقترنت به الاوهام والشكوك والشبهات والاحتمالات فلا
تتخلص له رويتها وعيانها الثانى ان تكون القوه التى قاده دراكه لعن النفس
ضعيفه مهيضه اذا ابصرت الحق والرشد ضعفت عن ايثاره فنفاجاها سوقها
سوق المريض العليل المرض كلما ساقه خطوه وقف خطوه او كسوق
الطفل الصغير الذى تعلقت نفسه بشهوات ومالوفاته فهو سوقه الى شئ
وهو ملتفت الى لهوه ولعبه لا يساق مع الا كرها فاذا رزق العبد قوه وقاده
منقاده اذا زجرها انزجرت واذا اقادها انقادت بسهوله وسرعه ولين والد
مع ذلك يعلم نافع واعان راسخ اقبلت اليه وفود السعاده من كل جانب
وبها كانت هذه القرائح والطبايع ثابته للصحابه وكملها الله لهم بنور الاسلام
وضوء اليقين ومباشره الايمان لقلوبهم كانوا افضل العالمين بعد الانبيا و
المرسلين وكان من بعدهم لو اتفق مثل جبل احد ما بلغ مداحدهم ولا نصيفه ومن
تصور هذا الموضع حق تصوره علم ان يلزم النقص والتاخر ومن اين
يتقدم ويتاخر وبين فى درجات السعاده وبالله التوفيق والله اعلم فصل
قال وقيل المحبه موافقه المحبوب فيما ساء وسر ونفع وضر كما قيل
واهنئنى فاهنئ نفسى صاغرا ما من يهون عليك ممن اكرم فيقال وهذا
الحد ايضا من جنس ما قبله فان موافقه المحبوب من موجبات المحبه وثمراتها و
ليست نفس المحبه بل المحبه تستدعى الموافقه وكلما كانت المحبه اقوى كانت الموافقه
اتم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال الحسن قال قوم على
عهد النبى انا نحب ربنا فانزل الله تعالى هذه الايه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله وقال الجنيد ادعى قوم محبه الله فانزل الله ايه المحنه قل ان كنتم تحبون الله فا
تبعونى يحببكم الله يعنى ان متابعه الرسول هى موافقه حبيبكم فانه المبلغ عنه ما يحبه
ويكرهه فمتابعته موافقه الذى فعل ما يحبه وترك ما يكرهه قال مالك فى هذه
الايه من احب طاعه الله احب الله وحببه الى خلقه وانما كان موافقه المحبوب دليلا

على محبته لان من احب حبيبا فلا بد ان يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه والا لم يكن محبا
له محبه صادقه بل ان تخلف ذلك عنه لم يكن محبا له بل يكون محبا لمراده منه احبه
محبوبه ام كرهه ومحبوبه عنده وسيله الى ذلك المراد فلو حصل له حظ من غير
الرجل غرضه فهذه المحبه المدخوله الفاسده واذا كانت المحبه الصحيحه تستدعى
حب ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه فلا بد ان يوافقه فيه ولكن ها هنا مسئله
يغلط فيها كثير من المدعين للمحبه وهى ان موافقه المحبوب فى مراده ليس المعنى بها
مراده الخلقى الكونى فان كل الكون مراده وكل ما يفعله الخلايق فهو موجب
مشيته وارادته الكونيه فلو كانت موافقته فى هذا المراد هى محبته لم يكن
لعدو اصلا وكانت الشياطين والكفار والمشركون عباد الاوثان والشمس و
القمر اولياء واحباء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما يظن ذلك من يظنه من
اعدائه الجاحدين لمحبته ودينه الذين يسوون بين اوليائه واعدائه قال تعالى
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كا
لفجار وقال ام حسب الذين اجترحوا السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا
الصالحات سوا محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم
كيف تحكمون فرق بين المطيعين والمفسدين مع ان الكل تحت المراد الكونى و
المشيه العامه وسمعت شيخ الاسلام ابن تيميه يقول قال لى بعض شيوخ هولاى
المحبه نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب والكون كله مراده فاى شئ ينفى
منه قال فقلت له فاذا كان المحبوب قد ابغض بعض ما فى الكون فابغض قوما و
مقتهم ولعنهم وعاداهم فاجتنبهم انت ووالتيهم تكون موالیا للمحبوب موافقا له
او مخالفا له معاديا له قال فكاما القم حجرا وبلغ الجهل والكفر ببعض هولاى الى حد
يحسب اذا فعل محظورا يزعم انه مطيع لله سبحانه ويقول انا مطيع لارادته وينشد فى ذلك
قد صحت منفعلا لما يختاره منى ففعلى كله طاعات ويقول احدهم ابليس وان عصى
الامر لكنه اطاع الاراده يعنى ان فعله طاعه لله من حيث موافقه ارادته وهذا السلاح

الثاني انه يقطعه عن شهود الاحوال اي عن شهود نفسه فيها متكثرة بها
فان الحال يحله الصدر والصدر بيت القلب والنفس فاذا نزل العطاء في
الصدر للقلب وثبت النفس لتأخذ نصيبها من العطا فتفرح به وتسأل
به وتزهو وتستطيل وتميل تقرر انفتحا لانها جاهلة ظالمة وهذا مقتضى
الجهل والظلم فاذا وصل الى القلب نور صفة الهدى وشهد معنى اسم الرحمن وتجلى
سبحانه على القلب بهذا الاسم مع اسمه الاول ذهل القلب والنفس به
وصار العبد فقيرا الى مولاه بعطائه سبق فضله الاول فصار مقطوعا
عن شهود امر او حال ينسبه الى نفسه حيث تكون بشهادة الحال مغصوبا
مقطوعا عن رؤية عزة مولاه امر الحال وقاطره وملاحظ صفات
فصاحب شهود الاحوال منقطع عن رؤية منة خالقه وفضله ومشاهدة
سبق الاولية للاسباب كلها وغائب بمشاهدة عزة نفسه عن عزة
مولاه فينعكس هذا الامر في حق هذا العبد الفقير وتشغله رؤية عزة
مولاه ومنته ومشاهدة سبقه بالاولية عن حال يفتقر بها العبد او
يشرف بها وكذلك الرجوع الى السبق بمطالعة الفضل يحصل اناسا مطالعات
المقامات فالمقام ما كان دائما لسجاياه والحال ما كان عارضا لا يدوم فمطالعات
المقامة وشرفه بها وكونه يرى نفسه صاحب مقام قد حققه وكمله ما استحق
ان ينسب اليه ويوصف به مثل ان يقال زاهد صابر خائف راج محب راض
فكونه يرى نفسه مستحقا بان تضاف المقامات اليه وبان يوصف بها على وجه
الاستحقاق لها خروج عن الفقر الى الغنى وتعد لظهور العبودية وجهل بحق
الربوبية فالرجوع الى السبق بمطالعة الفضل يستغرق هم العبد ويخصه
ويظهره مما مثل هذه الاوصاف ويصير مصفى بنور الله سبحانه عن رذائل
هذه الارجاس نقول والدرجة الثالثة صحة الاضطرار والوقوع في يد
التقطع الوحداني والاجتباء في قيد التجريد وهذا فقر الصوفية وهذه
الدرجة فوق الدرجتين السابقتين عند ارباب السلوك وهي الغاية التي

سترا اليها وحاموا حولها فان الفقر الاول فقر عن الاعراض الدنيا وبدوا
الفقر الثاني فقر عن رؤية المقامات والاحوال وهذا الفقر الثالث فقر
عن ملاحظة الوجود السائر للعبد عن مشاهدة الوجود فيفنى الوجود الحادث
في قضة الحق سبحانه كالهباء المنثور في الهوى تغلب قلبه فتغلبه اياه و
يصير في شاهد العبد كما هو في الخارج فيمحو رؤية التوحيد عن العبد شواهد
التعدد واستقلاله بامر من الامور ولو في النفس واللمحة والطرفة والهم و
الخاطر الا بارادة المريد الحق سبحانه وتدبيره وتقديره ومشيته فيبقى العبد كالاكره
المطلقة بين صولجانات القضا والقدر تقلبها كيف شاءت بصحو شهادة
فيومئذ من له الخلق والامر وتفرده بذلك دون من سواه وهذا امر لا يدركه بمجرد
العلم ولا يعرفه الا من تحقق به ولاح له منه بارق ورعا ذهل صاحب هذا المشهد
عن الشعور بوجوده لغلبة شهود وجود القيوم عليه فهناك يصير مثل
هذا العبد الاضطرار الى الحي القيوم ويشهد في كل ذرة من ذرات الظاهر
والباطن فقرا اليه من جهة كونه ربا ومن جهة كونه الها معبودا
لا غنى له عنه كما لا وجود له بغيره وهذا هو الفقر الاعلى الذي دارت عليه رحى
العوالم بل هو قطب تلك الرحى وانما يصح له هذا بمعرفتين لا بد منهما
معرفة حقيقة الربوبية والالهية ومعرفة حقيقة النفس والعبودية
فمتى لم يتم له معرفة هذا الفقر فان اعطى هاتين المعرفتين حقهما
من العبودية اتصف بهذا الفقر حالا فما اغناه حينئذ من فقير وما
اعزه من ذليل وما اقواه من ضعيف وما آنسه من وحيد وهو الغني
بلا مال القوي بلا سلطان العزيز بلا عشيرة المكفي بلا اعتاد قد فرت
عينه بالله وقرت به كل عين واستغنى بالله فافتقر اليه الاغنيا واعلوك
ولا تتم له ذلك الا بالبراءة من قوة الحول وقوة فاعلم ان طرق باب
الحول الخل عنه نظام العبودية وخلع ربقة الاسلام من عنقه وشهد
افعاله كلها طاعات للحكم القدري الكوني والشد اصبحت منفعلا لما يختاره
مني فعلي كله كما طاعات د

من ربقة العقل والدين وخروج عن الشرايع كلها فان الطاعة انما هي موافقة الامر الديني
الذي يحبه الله ويرضاه واما دخوله تحت القدر الكوني الذي يقضيه ويسخطه ويكفر
فاعله ويعاقبه فهي المعصية والكفر ومعاداة الله ومعاداة دينه ولاريب ان الناس في على
انفسهم المتهمكين في الذنوب والمعاصي المعتزين بانواع عصاه مذنبون اقرب الى الله من
هؤلاء العارفين المستلحين عن دين الانبياء كلهم الذين لا عقل لهم ولا دين فنسأل
الله ان يثبت قلوبنا على دينه واما البيت الذي استشهد به فهو من ابيات لابي الشيص
يقول فيها وقف الهوى بي حيث انت فليس متاخر عنه ولا متقدم واهتي فاهت تقول
جاهدا ما لمن يهون عليك ممن اكرم اشفقت اعدائي فقرت احبهم اذ كان حظي منك حظي
احد الملامتين هواك لذيذه حبا لذكرك فليلمني اللوم ٭ وقد ناقض فيما في دعواه
منا قضد نفسه فانه اخبر ان هواه قد صار وقفا عليها لا ينزل عنها ولا يتحول تتقدم ولا
تاخر ثم اخبر انه قد بلغ به حبها وهواها الى ان صار مرادها من نفسه غير مراده
هو ما اراد ت اهانة بالصد والهجران والبعد سعى هو في اهانة نفسه بجهده مواقفة
لها في ارادتها فصارت اهانة لنفسه مراده محبوبه له من حيث هي مراده محبوبه لها
وزعم انه لو اليوم نفسه لكان مخالفا لمحبوبته مكرما لمن اهانته ثم بعض هذا الغرض
من حيث شبهها باعدائه الذين هم ابغض شيء اليه ووجه هذا التشبيه انه لم تحصل
منها من حظه ومراده على شيء بل الذي يحصل له منها مثل ما يحصل له من اعدائه من
اهانتهم له واذاه فصار حظه منها ومن اعدائه واحدا فصارت تشبيهه بهم
بين هذا من الموافقة التامة لها في مرادها بحيث يعين نفسه لمحبتها في اهانته ثم اخبر ان
له منها حظا مرادا وان ذلك الحظ الذي يريده لم يحصل له وانما حصل له منذ نظير ما
يحصل له من اعدائه وهذه شكاية في الحقيقة واخبار عن محبه مغلول بالحظ وشكايته
للحبيب بتفويته عليه ثم انه اخبر عن جنايه اخرى وهو انه ترك بينها وبين اعدائه
في حبه لها فصار حبه منقسما بعضه لها وبعضه لاعدائه لشبههم اياها ثم ان في الشعر
جنايه اخرى عليها وهو انه شبهها بمن جبلت القلوب على بغضه وهو العدو والاثيم

تشبيه الحبيب بما هو احب الاشياء الى النفس كالسمع والبصر والحياة والروح والعافية كما
هو عادة الشعراء والناس في نظمهم ونثرهم كما هو معروف فيهم وهو حاده كلامهم
ثم اخبر محبته لاعدائه لشبههم بها تقتضي كلامه معاده من يحبه ومحبه من يعاديه فانها
اذا اشبهت اعداءه لزم ان يحصل لها نصيب من معاداته واذا اشبهها اعداؤه لزم ان يحصل
لهم نصيب من محبته كما صرح به في جانبهم وترك التصريح في جانبها وهو مفهوم من كلامه ثم
اخبر انه يلذ بملامة اللوام في هواها مما يقتضي ذكرها وهذا يدل على قوة محبتها وسماع ذكرها
وهذا عرض صحيح مع انه مدخول ايضا فان محبوبته قد تكره ذلك لما يتضمن من فضيحتها به
وجعلها مضيعة للحاضعين فيكون محبا للنفس ما تكرهه وهذه فاسده مخلوله ناقضه
لدعواه موافقتها في محابها قال وقيل المحبة القيام بين يديه وانت قاعد ومقارقه
المضجع وانت راقد والسكوت وانت ناطق ومفارقة المالوف والوطن وانت مستوطن
فيقال وهذا ايضا اثر من اثار المحبة وموجب من موجباتها وحكم من احكامها وهو صحيح فان
المحبة توجب سفر القلب نحو المحبوب دائما والحب الصادق يوجب شوقه وقيامه بين
يدي محبوبه وهو قاعد وتحافيه عن مضجعه ومفارقته اياه وهو فيه راقد وفراغه لمحبوبه
كله وهو مشغول في الظاهر بغيره كما قال بعضهم واديم نحوك حدتي لترى ان قد عملت و
وقال بعض المريدين لشيخه اسجد القلب بين يدي الله فقال نعم سجدا لا ترفع راسك منها الى يوم
القيمة فهذه سجدة متصلة بقيامه وقعوده وذهابه ومجيئه وحركته وسكونه وكذلك يكون
جسده في مضجعه وقلبه قد قطع المراحل مسافرا الى حبيبه فاذا اخذ مضجعه اجتمع عليه حبه
وشوقه فيهزه المضجع الى سكنه كما قال تعالى في حق المحبين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا فلما تجافت قلوبهم عن المضاجع جافت الجنوب عنها واستلذتها
وامرتها فاطاعتها وقال القائل يقاسي الناس حتى اذا بدا لي الليل هرعت اليك للمضاجع
وعلى ان بعض الصالحين اجتاز بمسجد فراى الشيطان واقفا بباب لا يستطيع دخوله
فنظر وافاذا فيه رجل نايم واخر قايم يصلي فقال له ايمنعك هذا المصلي من دخوله فقال
كلا انما يمنعني ذلك الاسد الرابض ولولا مكانه لدخلت وبالجملة فقلب المحب دليل
في سفر لا ينقضي نحو محبوبه كلما قطع مرحلة له ومنزلة تبدت له اخرى كما قيل

اذا قطعنا علما بدا علم

www.alukah.net

فاذا خاف فوتها بدر الى قلبه ذكر المحبوب الذى يفوت بفوات حياته ولهذا والله اعلم
كثيرا ما يعرض للعبد عند موته لهج بمحبته وكثرة ذكره له ورعا خرجت روحه و
هو يلهج به وذكر ابن ابى الدنيا فى كتاب المحتضرين باسناده عن زفر انه جعل يقول عند موته لها
ثلاثة اخماس الصداق لها ربع الصداق لها كذا حتى مات لاملاء قلبه من محبة الله
العفو والعلم وايضا فانه عند الموت تنقطع شواغله وتبطل حواسه فيظهر ما فى القلب
ويقوى سلطانه فيبدو ما فيه من غير حاجب ولا مدافع وكثيرا ما سمع من بعض
المحتضرين عند الموت شاه مات وسمع من اجرى بيت شعر كم نزل يعلى به حتى مات
وكان مغنيا واخبرنى رجل عن قرابة له انه حضر عند الموت وكان تاجرا يبيع القماش
فاذا هو يقول هذه قطعة جيدة هذه على قدرك هذه مشترا هذا رخيص يساوى
كذا وكذا حتى مات والحكايات فى هذا كثيرة جدا فمن كان مشغولا بالله
وبذكره ومحبته فى حال حيوته وجد ذلك اهون ما هو اليه عند خروج روحه الى الله
ومن كان مشغولا بغيره فى حال حيوته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله و
حضوره معه عند الموت مالم تدركه عنايته من ربه ولاجل هذا كان حذر العاقل
ان يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيث ما كان لاجل تلك اللحظة التى ان فاتته شقى شقاوة الابد فنسال الله ان يعيننا على ذكره وحسن عبادته فصل وقد قيل
فى المحبة حدود كثيرة غير ما ذكره ابو العباس فقيل المحبة ميل القلب الى المحبوب وهذا
الحد لا يعطى تصور حقيقة المحبة فانها اخفى عند القلب من الميل وايضا
فان الميل لا يدل على حقيقة المحبة فانها اخص من مجرد الميل اذ قد يميل قلب
العبد الى الشئ ولا يكون محبا له لمعرفته بمضرته له فان سمى هذا الميل محبة فهو
اختلاف عباره وقيل المحبة علم القلب بجمال المحبوب ومحاسنه وهذا ايضا قاصر
فان العلم بجماله ومحاسنه هو السبب الداعى الى محبته فغير عن المحبة بسببها و
قيل المحبة تعلق القلب بالمحبوب وقيل انصباب القلب الى المحبوب وقيل
انصباب القلب اليه وقيل اشتغال القلب بالمحبوب بحيث لا يتفرغ قلبه لغيره
سكوت

وقيل

وقيل المحبة بذل المجهود فى معرفة محبوبه وبذل المجهود فى مرضاته وقيل هيجان
القلب عند ذكر المحبوب وقيل تحرك القلب تستقى بماء المراقبة والايثار
رضا المحبوب وقيل المحبة حفظ الحدود فلس رصادق من ادعى محبة الله ولم
١٥٢ يحفظ حدوده وقيل المحبة ارادة لا تنقض بالجفا ولا تزيد بالبر وقيل فطام
الجوارح عن استعمالها فى غير مرضاة المحبوب وقيل المحبة وهى السخا بالنفس
للمحبوب وقيل المحبة ان لا ترى لك على رقيب من المحبوب لا بمكنك من الانصراف
عنه ابدا او انشد فى ذلك ابن غلبات الشوق الا تقربا ... الكد وما فى العذل الا تجنبا
وما كان صبرى عنك صبر ملالة ... ولا ذاك الا عرض الا تقربا وما كان ذاك العذل الا نصيحة
ولا ذاك الا عضة الا تعتبا ... على رقيب منك حل بمهجتى اذا رمت تسهيلا على تصعبا
وقيل المحبة سقوط كل تحبه من القلب سوى محبة حبيبك وقيل المحبة
صدق المجاهدة فى اوامر الله وتجريد المتابعة لسنة رسول الله وقيل المحبة ان لا
يقنع من ذكره ولا على من خفه ولا يانس بغيره وقال ابو يزيد المحبة استقلال
الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقيل المحبة ان يغنيك
حبيبك ويحيى به وقال ابو عبد الله القرشى المحبة ان تهب كلك لمن احببت
فلا يبقى لك منك شئ وقيل ان تمحو من قلبك ما سوى المحبوب وقال المحبة
نسيان حظك من محبوبك وفقرك بكليتك اليه وقال التقصير بادى المحبة
محاققة السلو على كل حال وقال الحرث ابن اسد المحبة ميلك الى المحبوب بكليتك
وايثارك له على نفسك وروحك ومالك وموافقتك له سرا وجهرا ثم علامة
تقصيرك فى حبه وقيل المحبة سكر لا يصحو الا عشاهد المحبوب وقيل المحبة
افنا منك بالباب على الدوام وقيل المحبة حرقان حاديا فالحاء الخروج عن الروح
وبذلها للمحبوب والباء الخروج عن البدن وصرفه فى طاعة المحبوب وقال ابو
عمر الزجاجى سالت الخلد عن المحبة فقال تريد الاشارة قلت لا قال تريد
الدعوى قلت لا قال فايش تريد قلت عين المحبة فقال ان تحب ما يحب الله فى
عباده وتكره ما يكره الله فى عباده وقيل المحبة معيه القلب والروح مع

المحبوب معينة لا تفارقه فان الدمع من احب وقد قيل في المحبة حدود اكثر من
هذا وكل هذا نقص ولا يوصف المحبة والحد نحد اوضح من المحبة ولا اقرب الى الفهم
من لفظها واما ذكر الحدود والتعريفات فانما يكون عند حصول الاشكال والا
ستعجام على الفهم فاذا زال الاشكال وعدم الاستعجام فلا حاجة الى ذكر الحدود
والتعريفات فانما يكون عند حصول والاستعجام على الفهم فاذا زال الاشكال وعدم
الاستعجام فلا حاجة الى ذكر الحدود والتعريفات كما قال بعض العارفين ان كل
لفظ يغني بمعنى الشيء فلا بد ان يكون اللطف وارق منه والمحبة الطف وارق من
كل ما يعبر به عنها فصل قال ابو العباس وقال قوم ليس للمحبة صيغة يعبر بها
عن حقيقتها فان الغيرة من اوصاف المحبة والغيرة تابي الاستتار والاختفاء وكل من
بسط لسانه بالعبارة عنها والكشف عن سرها فليس له منها ذوق وانما هي وجدان
الرائحة ولوذان منها شيأ لغاب عن الشرح والوصف فان المحبة لا تظهر على الحب بلفظ
وانما تظهر عليه بشمايله وتحوله ولا يفهم حقيقتها من الحب سوى المحبوب موضع افتتاح
الاسرار من القلوب كما قيل تشير فادري ما تقول بطرفها ... واطرق عند ذاك فتعلم
تكلم منا في الوجوه عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم
قلت كل معنى فله صيغة
تعبر به عنه ولا سيما اذا كانت من المعنى المعروفة للخاص والعام ولكن العبارة قد
تكون كاشفة للمعنى مطابقة له كلفظ الدرهم والخبز والماء واللبن ونحوها وهي اكثر
الالفاظ وقد يكون المعنى فوق ما يشير اليه اللفظ ويعبر عنه وهو اجل من ان يدل لفظ
على كمال ماهيته وهذا كاسماء الرب سبحانه واسماء كتابه وكذلك اسم الحب فانه
لا يكشف اسمه مسماه بل مسماه فوق لفظ وكذلك اسم الشوق والعشق والموت
والبلا ونحوها وقد يكون المعنى دون اللفظ بكثير والفظ اجل منه واعظم وهذا
هو كلفظ الجوهر الفرد الذي هو عبارة عن اقل شيء واصغره وادقه واحقره فليس
معناه على قدر لفظه واذا عرف هذا فقولهم ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن حقيقتها
المراد به ان لفظها لا يفهم حقيقة معناها ومعنى فوق ما يفهم من لفظها وقوله
الغيرة من اوصاف المحبة وهي تابى الاستتار والاختفاء هذا الكلام في حكم المحبة

ومقتضاها لا في حقيقتها ومعناها والمحبون متباينون في هذا العلم فمنهم من يجعل
الغيرة من لوازم المحبة وعلامة تشهدها وتحكمها وتجعل هذا هو المرجع عليها والوسط لسائر
الاخبار بها دليلا على ان مدعي فيها وانما معه منها رائحتها لا حقيقتها وحقيقتها
تابى الاستتار والكتمان وهذه طريقة الملامتية كما قيل لا تذكري حبي هواك ودنانا
فذاك المحمود عليه سر مسبل ولهذا قيل المحبة كتمان الارادة واظهار الموافقة وهذه
الطائفة رات ان كمال المحبة بكتمانها لاسباب عديدة احدها ان الحب كلما كان مكتوما
كان اشد واعظم سريانا وسكونا في اجزاء القلب كلها كما قيل الحب افتله اكتمه فاذا
افشاه المحب واظهره وباح به وناداه عليه ضعف قوته وصار عرضة للزوال الثاني ان الحب
كنز من الكنوز بل هو اعظم الكنوز المودع في سر العبد وقلبه فلا طريق للصوص عليه
فاذا باح به ونادى عليه فقد دل قطاع الطريق واللصوص على موضع كنزه وعرضه لسلبه
منه فان النفوس غيارة معيرة تغار على المحبوب ان يشاركها في حبه احد فاذا غارت
عليه اغارت على القلوب التي فيها حبه فانتزعت منه وهذه الآفة قد ابتلى بها كثير
من السالكين الذين هم في الحقيقة قطاع الطريق على السالكين الى الله وسولت لهم
انفسهم ان هذه غيرة منهم على محبوبهم اذ يحب مثل هذه النفوس المتلونة بالدنيا
وعوتهم الفسيرة ومشاهدتهم لها تغار من الله وتحول بين تلك النفوس وبين
المحبة فغاروا واغاروا ونهبوا واستلبوا وهذه الطريقة عند المحققين الخلصين
اولياء الله الداعين الى الله عداوة لله في الحقيقة ومعاونة للشيطان وقعود على
طريق الله المستقيم الذي خلق عباده لاجله وامرهم به فالحذر من هؤلاء القطاع
اللصوص اجل اهل المحبة على الباغي في كتمانها واظهار البحلي منها ما سباب
يلاسون عليها ظاهرا وقلوبهم معمورة بالمحبة ما هو لغيرها وهذا الذي ظنوه
غيرة وهو من تلبيس الشيطان وخدعه لهم ومكره بهم وانما هو حسد حملهم
على ان يعدوه وصد الواله وسهو غيره وانما غيرة المحبين لله ان يغار احدهم
لمحارم الله اذا انتهكت فيغار لله لا على الله كما قال النبي ان الله يغار وان المؤمن
يغار وغيرة الله ان يأتي العبد ما حرم عليه فغيرة المحب هما لموافقة لغيرة محبوبه

وهي ان يغار مما يغار منه المحبوب واما اذا كان المحبوب من يحبه وهذا يغار ممن يحبه الله
منصوص الحقيقة ساع في خلاف مراد محبوبه في اعدام ما يحبه محبوبه فاين هذا من الغيرة
المحمودة بعد وانما هذه غيرة من احبه المسلم كيف غضب الله بعطايه والبسه ثوب بغايه
فتح غير منزلا غيره على الله فان الله لا يغار عليه بل يغار له وسنفرد ان شاء الله للغيرة فصلا
نذكر فيه اسمائها وحقيقتها الثالث ان المحبة التامة تستدعي شغل القلب بالمحبوب
وعدم تفرغه للشرح والوصف فلو صدقت محبته لاستغرق فيها عن شرح حاله ووصفه
فحفظ طريقه للاولياء ومنهم من يجريها تفكه وبوحه بها واعلامه لها من تمامها وقوتها ومن
علاماتها قهرها له وانها غلبت على سره حتى لم يطق صبرا كتمانها قال النوري المحبة
هتك الاستار وكشف الاسرار فهذا حال النوري واضرابه وعند هؤلاء التكتم
ضعف في المحبة وجور فيها وحقيقتها ان تحليها ومقتضاها من ظهور اثارها على الجوارح
والبدن فان اثرت حركة لم يسكنها وان اثرت دمعة لم يمسكها وان اثرت تنفسا لم يكظمه
وان اثرت ذلا وانيا لم يمسكه وكمال المحبة عندهم ان تنادي عليه اعضاؤه والفاظه و
لحاظه وحركاته وسكناته بالحب ند لا علك انكاره وقال علي بن عبيد كتب لحبي ابن معاذ
الى ابي يزيد لسكوت من كثرت ما شربت من كاس محبته فكتب اليه ابو يزيد غرك شرب
نحور السهوات والارض ما روي بعد والسائل خارج وهو يقول هل من مزيد فلم ير هذا ان العارف
المتكلم بها اخفاها وجحدها وهما هما وكان الاستاذ ابو علي الدقاق ينشد كثيرا

لي سكتان وللندمان واحدة ... شئ خصصت به من بينهم وحدي وجاء رجل الى عبد الله
ابن المبارك فقال رايت في المنام كانك تموت الى سنة فقال عبد الله لعد اجلتني الى اجل بعيد
اعيش الى سنة امس بيت سمعته مني علي يا من شكى شوقه من طول فرقته لعلك تلقى من تحبه غدا
وقال السبلي المحب اذا سكت هلك والعارف ان لم يسكت هلك والتحقيق ان هذا هو حال
المتمكن في حبه الذي تزول الجبال الراسيات وقلبه على الود لا يلوى ولا يتغير والاول حال
المريد المبتدي الذي قد علقت نار المحبة في قلبه ولم تتمكن استعلاؤها فهو يخاف عليها عواصف
الرياح ان تطفيها فهو يحوطها ويكنها ويسترها من الرياح جهده فاذا اشتعلت وتمكن
وقودها في القلب لم ترد ها كثرة الرياح الا وقودا واشتعالا فهذا يختلف باختلاف

الناس

الناس وتفاوتهم في قوة المحبة وضعفها والمقصود ان من بسط لسانه بالعبارة عنها و
الكشف عن سرها واحكامها لن يومن ان يكون من اهل العلم بالمحبة لان المتصفين
بها حالا فكم بين العلم بالشئ والاتصاف به ذوقا وحالا فعلم المحبة شئ ووجودها في
القلب شئ وكثير من المحبين الذين امتلأت قلوبهم محبة لو سيل عن حدها واحكامها و
حقيقتها لم يطق ان يعبر عنها ولا يتهيا له ان يصفها ويصف احكامها واكثر المتكلمين
فيها انما تكلموا فيها بلسان العلم لا بلسان الحال وهذا والله اعلم هو معنى قول بعض الشيوخ
اعظم الناس حجابا عن الله اكثرهم اليه اشارة فانه انما حظه منه الاشارة اليه لا علوق
القلب عليه كالفقير الذي حدثت له وصف الاغنياء واموالهم ووصف الدنيا وملكها وهو خلو من
ذلك ولا ريب ان وجود الحب في القلب وتركه الكلام فيها خير من كثرة الكلام في عن
المساله وخلو القلب منها وحين يمتلئ القلب منها حالا وذوقا وفاضت
على لسانه ارشادا وتعليما ونصيحة للامة فهذا حال الكمل من الناس والله المسؤل ان
يفضله وكرمه قوله والمحبة لا تظهر على المحب بلفظه وانما تظهر عليه بشمايله ونحن له هذا حق
فان دلالة الحال على المحبة اعظم من دلالة القال عليها بل الدلالة عليها في الحقيقة هو شاهد
الحال لا صريح المقال فرق بين من يقول لك بلسانه اني احبك ولا شاهد عليه من حاله
وبين من هو سالك لا يتكلم وانت ترى شواهد احواله كلها ناطقة بمحبته لك وقال جعفر
قال الجنيد رفع السري الى رقعة وقال هذه في صحيفة فضحك وكذا وكذا فاذا فيها
ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فمالي ارى الاعضاء منك كواسيا وبالجملة فشاهد
المحبة الحق يلصق القلب بالحشا ويذل حتى لا يحب المناديا ويحمل حتى لا يشكو الهوى
سوى متلفه يشكي بها وثناجيا وتحمله شاهد المحبة الذي لا يكذب هو شاهد الحال واما
شاهد المقال فصادق وكاذب فهو لا يفهم حقيقتها من المحبة سوى المحبوب لموضع
افتراح الاسرار من القلوب يعني ان حقيقة المحبة وسرها لا يفهمه من المحب الا المحبوب وذلك
لشدة الاتصال الذي بينه وبين محبوبه في الباطن فهو احق به شئ اليه واما الغير وان
علم انه يحب بظهور اثر المحبة عليه وقيام شاهدها الكلي لا يدرك تلك اللطيفة والحقيقة
التي لا يدركها المحبوب من محبه لموضع اتصال سره به وقرب ما بين الروحين ولا سيما اذا كانا

الألوكة
www.alukah.net

المحبة من الطرفين فهناك التعجب والمناجاة والملاطفة والاشارة والعتاب والشكوى وها
ساكنان لا يدري جليسها ايشافها ام قصا قال وانما تحبه العوام التي تنبعث من
مطالعة المنن وتثبت باتباع السنن وتكمل اعلى الاجابة للغاية وهي تحبه تقطع
الوسواس وتلذ الخادم وتسلي عن المصاب وهي تحبه طريق العوام عن الا
يمان فمثال الاول ان المحبة درجات متفاوتة بعضها اكمل من بعض وكل درجة
خاصة بالنسبة الى ما تحتها عامة بالنسبة الى ما فوقها فليس اقسامها الى خاص
وعام انقساما حقيقيا متميزا بالنسبة بفصل يميز احد النوعين عن الاخر وانما ينقسم
باعتبار الباعث عليها وسببها وينقسم بذلك الى قسمين احدهما محبة تنشأ من الا
حسان ومطالعة الالاء والنعم فان القلوب جبلت على حب من احسن اليها وبعض من اساء
اليها ولا احد اعظم احسانا من الله سبحانه فان احسانه على عبده في كل نفس ولحظة وهو يتقلب
في احسانه في جميع احواله ولا سبيل الى ضبط اجناس هذا الاحسان فضلا عن انواعه
او عن افراده ويكفي ان من بعض انواعه نعمة النفس التي لا تكاد تخطر ببال العبد ولا على
كل يوم وليلة فيه اربعة وعشرون الف نعمة فانه يتنفس في اليوم والليلة اربعة وعشرون
الف نفس وكل نفس نعمة منه سبحانه فاذا كان ادنى نعمة عليه في كل يوم اربعة وعشرون الف
نعمة فما الظن بما فوق ذلك واعظم منه وان تعد واتعة الله لا تحصوها هذا الى ما يصرف
عنه من المضرات وانواع الاذى التي تقصده ولعلها توازن النعم في الكثرة والعبد لا
شعور له بأكثرها اصلا والله سبحانه يكلاه منها بالليل والنهار كما قال تعالى قل من يكلؤكم
بالليل والنهار من الرحمن وسواء كان المعنى من يكلؤكم ويحفظكم منه اذا اراد بكم
سوءا ويكون يكلؤكم مضمنا معنى يجيركم ويحميكم من بأسه او كانت من للبدلية
اي من يكلؤكم بدل الرحمن اي هو الذي يكلؤكم وحده لا كالي لكم غيره ونظير
من هذه قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون على احد القولين
اي عوضكم وبدلكم واستشهد واعلى ذلك بقول الشاعر وجاريه لم تاكل المرقا
ولم تلق من الثوب الفستقا اي لم تاكل الفستق بل البقول وعلى كلا القولين
فهو سبحانه منعم عليهم بكلاءته وحفظهم وحراستهم ما يوذيهم بالليل والنهار

وحل

وحل لا حافظ لهم غيره هذا مع غناه التام عنهم وفقرهم التام اليه سبحانه
فانه غني عن خلقه من كل وجه وهم فقراء محتاجون اليه من كل وجه وفي
بعض الآثار يقول تعالى انا الجواد ومن اعظم مني جودا وكل ما بيت
اكلا عبادي في مضاجعهم وهم يبارزوني بالعظائم وفي الترمذي ان
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى السحاب قال هذه روايا الارض يسوقها
الله الى قوم لا يذكرونه ولا يعبدونه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال لا احد اصبر على اذى يسمعه من الله انهم ليجعلون له الولد وهو يرزقهم
ويعافيهم وفي بعض الآثار يقول الله بن ادم خيري اليك نازل وشرك
الي صاعد كم اتحبب اليك بالنعم وانا غني عنك وكم تتبغض الي بالمعا
صي وانت فقير الي ولا تزال الملائكة الكرام يعرجون الي منك بعمل قبيح ولو لم
يكن من تحببه الى عباده واحسانه اليهم وبره الا انه خلق لهم ما في السموات
والارض وما بين الدنيا والاخرة ثم اهلهم وكرمهم وارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه
وشرع لهم شرائعه واذن لهم في مناجاته كل وقت اراد واوجب عليهم ان كل حسنة يعملونها
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وكتب لهم بالسيئة واحدة
فان تابوا منها محاها واثبت مكانها حسنة واذا بلغت ذنوب احدهم عنان
السماء ثم استغفر غفرها ولو لقيه بقراب الارض خطايا ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك به
شيئا لاتاه بقرابها مغفرة وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب فوفقهم لفعلها
ثم تقبلها منهم ونصب لهم الحج الذي يهدم ما قبله فوفقهم لفعله وكفر عنهم
سيئاتهم به وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات هو الذي امرهم
بها وحثهم عليها لهم واعطاهم اياها ورتب عليها جزاءها فمنه السبب ومنه الجزاء
ومنه التوفيق ومنه العطاء اولا واخرا وهم محل احسانه فقط ليس منهم شيء
الا الفضل كله والمنه كلها والاحسان كله منه اولا واخرا اعطى عبدا
ماله وقال تقرب بهذا الى افضله منك فالعبد وماله والثواب منه

فهو المعطى اولا وآخرا فكيف لا يحب من هذا شانه وكيف لا يستحي العبد ان يصرف
شيئا من محبته الى غيره ومن اولى بالحمد والثنا والمجد منه ومن اولى بالكرم و
الجود والاحسان منه سبحانه وتعالى لا اله الا هو الغفور الرحيم ويفرح سبحانه
بتوبة عبده اذا تاب اليه اعظم فرح واكمله ويكفر عنه ذنوبه ويوجب له
محبته بالتوبة وهو الذي الهمه اياها ووفقه لها واعانه هو عليها وملأ سبحانه
سموات من ملائكته واستعملهم في الاستغفار لاهل الارض واستعمل حملة العرش منهم
في الدعاء لعباده المؤمنين والاستغفار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم و
الشفاعة اليه باذنه ان يدخلهم جنانه فانظر الى هذه الغاية وهذا
الاحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب الى العباد واللطف التام بهم ومع
هذا كله بعد ان ارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وتعرف اليهم باسمائه
وصفاته والآية بعد الآية تنزل كل ليلة الى سماء الدنيا يسأل عنهم ويستعرض حوائجهم
بنفسه ويدعوهم الى سؤاله فيدعوا مسيئهم الى التوبة ومريضهم الى ان يسأله
ان يشفيه فقير هم الى ان يسأله غناه وذا الحاجة منهم ان يسأله قضاها كل ليلة و
يدعوهم الى التوبة وقد حاربوه وعذبوا اولياءه وحزبه بالنار قال تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق
وقال بعض السلف انظروا الى كرمه كيف عذبوا اولياءه وحزبه بالنار ثم هو
يدعوهم الى التوبة فهذا الباب يدخل منه كل احد الى محبته سبحانه فان نعمته على عباده
مشهوده لهم يتقلبون فيها على عدد الانفاس واللحظات وقد روي في بعض الاحاديث
ما وقع على احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله فهذه محبة نشأت من
مطالعة المنن والاحسان ورؤية النعم والآلاء وعلى قدر سافر القلب يظهر فيها ازدلاف
محبته وتأكدت ولا نهاية لها فيقف سير القلب عندها بل كلما ازداد فيها نظر
ازداد فيها اعتبارا وعجز عن ضبط قليل منها فيستدل بما عرفه على ما لم يعرفه
والله سبحانه يدعي عباده اليه من هذا الباب حتى اذا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر
وهو باب الاسماء والصفات الذي انما يدخل منه اليه خواص عباده واوليائه وهو باب
المحبة حقا الذي لا يدخل منه غيرهم ولا يشبع من معرفة احد منهم بل كلما دله

علم ازداد شوقا ومحبة وظمأ فاذا انضم داعي الاحسان والانعام الى داعي الكمال و
الجمال لم يتخلف عن محبته من هذا شانه الا اردى القلوب واخبثها واشدها نقصا و
بعدها من كل خير فان الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في اوصافه واخلاقه واذا
كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده فمن المعلوم انه لا احد اعظم احسانا منه
سبحانه ولا شيء اجمل منه ولا اجل فكل كمال وجمال في المخلوق من اثار صنعه سبحانه
وهو الذي لا احد كماله ولا يوصف جلاله وجماله ولا يحصى احد من خلقه ثناء
عليه بجميل صفاته وعظيم احسانه وبديع افعاله بل هو كما اثنى على نفسه واذا كان
الكمال محبوبا لذاته وتعشقه وجب ان يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته
اذ لا شيء اكمل منه وكل اسم من اسمائه وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة
فان اسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته وافعاله دالة عليها فهو المحبوب المحمود
لذاته ولصفاته وافعاله واسمائه فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما امر اذ ليس في
افعاله عبث ولا في اوامره سفه بل افعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل و
الفضل والرحمة وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والمحبة عليه وكلامه كله صدق
وعدل وجزاؤه كله فضل وعدل فانه ان اعطى فبفضله ورحمته وان منع واعاب
فبعدله وحكمته ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
ان عذبوا فبعدله او نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع ولا تتصور نشر هذا المقام
حق تصوره فضلا عن ان يوفاه حقه فاعرف خلقه به واحبهم له يقول لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولو شهد بقلبه صفة واحدة من اوصاف كماله
لاستدعت منه المحبة القائمة عليها وهل مع المحبين محبة الا من اثار صفات كماله
فانهم لم يروه في هذه الدار انما وصل اليهم العلم باثار صفاته واثار صنعه فاستدلوا
بما علموا على ما غاب عنهم فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه لكان
في حبهم شان اخر وانما تفاوت منازلهم من انبهم في محبته على حسب تفاوت
من انبهم في معرفته والعلم به فاعرفهم له اشدهم حبا له ولهذا كانت رسله اعظم
الناس حبا له والخليلان من بينهم اعظمهم حبا واعرف الامة اشدهم له حبا

ولهذا كان المنكرون لحبه من اجهل الخلق به فانهم منكرون لحقيقة المعبود ولحكمه
الخليق ولفطرة الله التي فطر الله عباده عليها ولو رجعوا الى قلوبهم لوجدوا
حبه فيها ووجدوا مصدقهم وهو لحبهم يكذب فطرهم وانما بعثت الرسل بتكميل
هذه الفطرة واعاده ما افسد منها الى الحالة الاولى التي فطرت عليها وانما
دعوا الى القيام بحقوقها وبراعاتها ليلا تفسد وتشغل عما خلقت له وهل الامر
والنواهي الا لخدم وتوابع ومكملات ومصلحات لهذه الفطرة وهل خلق
سبحانه خلق العبادة التي هي غاية محبته والذل له وهل هي الا بمعنى
لها كما قيل قد هيؤك لامر لو فطنت له فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل
وهل في الوجود محبة حق غير باطلة الا محبته سبحانه فان كل محبة متعلقة بغيره فباطلة
زائلة ببطلان متعلقها واما محبته سبحانه فهو الحق الذي لا يزول ولا يبطل كما لا يزول
متعلقها ولا يفنى وكل ما سوى الله باطل ومحبه الباطل باطل فسبحان الله كيف ينكل المحب الحق
التي لا محبة احق منها ويعترف بوجود المحبة الباطلة المتلاشية وهل تعلقت المحبة بموجود
محبوب لاكماله في وجوده بالنسبة الى غيره وهل ذلك الكمال الا من اثار صفة الله
الذي اتقن كل شيء وهل الكمال كله الا لله فكل من احب شيئا لكمال ما يدعوه الى المحبة
فهو دليل وعبد على محبة الله وانه اولى بكمال الحب من كل شيء ولكن اذا كانت النفوس
صغارا كانت محبوباتها على قدرها واما النفوس الكبار الشريفة فانها تنزل
حبها الا على الاشيا واشرفها والمقصود ان العباد اذا اعتبروا على كمال في الوجود
وجده من اثار كماله سبحانه فهو دال على كمال مبدعه كما ان كل علم في الوجود فمن اثار
علمه وكل قدرة من اثار قدرته ونسبة الكمالات الموجودة في العالم العلوي و
السفلي الى كماله كنسبة علوم الخلق وقدرهم وقواهم وحياتهم الى علمه سبحانه وقدرته
وقوته وحياته فاذا لا نسبة اصلا بين كمالات العالم وكماله سبحانه فيجب ان لا يكون بين
محبته ومحبة غيره من الموجودات بل يكون حب العبد له اعظم من حبه لكل شيء عا لا
نسبة بينهما ولهذا قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله فالمؤمنون اشد حبا
لربهم وتعبودهم من كل محب لكل محبوب هذا مقتضى عقد الايمان الذي لا

يتم

يتم الا به وليست هذه المسئلة من المسايل التي للعبد عنها غنى او منها بد كما في
العلم والمسايل التي تختص بها بعض الناس دون بعض بل هذه لفرض مسئلة على
العبد وهي اصل عقد الايمان الذي لا يدخل فيه الا داخل الا بها ولا فلاح للعبد ولا
نجاة له من عذاب الله الا بها فليشتغل بها العبد او ليعرض عنها ومن لم يتحقق
بها علما وحالا وعملا لم يتحقق بشهادة ان لا اله الا الله فانها سرها وحقيقتها و
معناها وان ابى ذلك الجاحدون وقصر عن علمه الجاهلون فان لا اله الا هو هو
المعبود الذي تالهه القلوب حبا وتخضع له وتذل له خوفا وترجوه وتنيب اليه
في شدايدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن
الى حبه وليس ذلك الا لله وحده ولهذا كانت اصدق الكلام وكان اهلها اهل
الله وحزبه والمنكرون لها اعداؤه واهل غضبه وتقدم لهذه المسالة قطب رحى
الدين الذي عليه مداره واذا اصلحت صح بها مسالة وحال وذوق واذا لم يصححها العبد فالفساد
لازم له في علومه واعماله واحواله واقواله ولا حول ولا قوة الا بالله فلنرجع الى شرح كلامه
فقوله واما محبة العوام فهي لحبه تنبئ من معالمه المنه يعني ان لهذه المحبة منشا وثبوتا
ونموا فمنشاها الاحسان ورؤية فضل الله ومنته على عبده وثبوتها بما بلغ اوامره
التي شرعها على لسان رسوله ونموها وهو زيادتها يكون باجابة العبد لدواعي فقره
وفاقته اليه فكلما دعاه فقره وفاقته اليه اجاب هذا الداعي وهو فقره بالذات
فلا يزال فقره يدعوه اليه فاذا دام استجابته له لدوام الداعي لم تزل المحبة تنمو و
تتزايد فكلما اخطر الرب في قلبه خواطر الفقر والحاجة بادر قلبه بالاجابة والانكسار
بين يديه ذلا وفاقة وحبا وخضوعا وانما كانت هذه محبة العوام عنده لان منشاها
من الافعال لا من الصفات والجمال ولو قطع الاحسان عن هذه القلوب لتغيرت و
ذهبت محبتها او ضعفت فان باعثها انما هو الاحسان ومن ودك لامر ولى
عند انقطاعه فهو يرعى به الاحسان مشغول وبتوالي النعم عليه محمول وقوله
وهي محبة تقطع الوسواس وتلذ الخدمة وتسلي على المصايب وهي في طريق العوام
عملة الايمان انما كانت هذه المحبة قاطعة للوسواس لاحضار المحبوب قلبه بين
يدي محبوبه والوسواس انما ينشا من الغيبة والبعد واما الحاضر الشاهد

فحاله والوسواس فالوسوس مجاهد نفسه وقلبه ليحضره بين يدى معبوده
والمحب لم يغب قلبه عن محبوبه فيجاهده على احضاره فالوسواس والمحبه متنافيان
ومن وجه آخر ان المحب قد انقطعت عن قلبه وساوس الاطماع لامتلاء قلبه من
محبه حبيبه فلا يتوارد على قلبه جواذب الاطماع والاماني لاشتغاله بما هو فيه
وايضا فان الوسواس والاماني انما تنشأ من حاجته وفاقته الى ما تعلق طمعه
به وهذا عبد قد حبي من الاحسان واعطى من النعم ما سد حاجته واغنى فاقته
فلم يبق له طمع ولا وسواس بل بقي حبه للمنعم عليه وشكره له وذكره اياه في محل
وساوسه وخواطر لمطامعه نعم الله عليه وشهودها منها ما لم يشهد غيره و
قوله وتلاذ الخدمه هو صحيح فان المحب تتلذذ محبوبه وتصرفه في طاعته وكلما
كان الحب اقوى كانت لذة الطاعة والخدمة اكمل فليزن العبد ايمانه ومحبته لله
بهذا الميزان ولينظر هل هو متلذذ بخدمه محبوبه او متكره لها يأتي بها على السأمه
والملل والكراهه فهذا محك ايمان اجلاف العبد ومحبته لله قال بعض السلف اني
ادخل في الصلوه فاحمل هم خروجي منها وضيق صدري اذا فرغت اني خارج منها
ولهذا قال النبي جعلت قره عيني في الصلوة ومن كانت قره عينه في شيء فانه يود ان
لا يفارقه ولا يخرج منه فان قره عين العبد نعيمه وطيب حياته به وقال بعض السلف اني
لافرح بالليل حين يقبل لما يتلذذ به عيني وتقر به عيني من مناجاة من احب وخلوتي
بخدمته والتذلل بين يديه واعظم للفرح اذا طلع الفجر لما اشتغل به بالنهار عن ذلك فلا شي
الذ للمحب من خدمه محبوبه وطاعته وقال بعضهم تعذبت بالصلوه عشرين سنه
ثم تنعمت بها عشرين سنه يعني اللذه والتنعم بالخدمه انما يحصل بالصبر على
المكاره والتعب اولا فاذا صبر عليه وصدق في صبره افضى به الى هذه اللذه قال ابو
يزيد سقت نفسي الى الله وهي تبكي فما زلت اسوقها حتى سكنت اليه وهي تضحك
ولا يزال السالك عرضه الافات والفتور والانتكاس حتى يصل الى هذه الحال فحينئذ
يصير نعيمه في سيره ولذته في اجتهاده وعذابه في فتوره ووقوفه فترى اشد الناس
شقاء عليه ضياع شيء من وقته ووقوفه عن سيره ولا سبيل الى هذا الا بالحب المزعج
وقوله وسلى عن المصايب صحيح فان المحب يتسلى بمحبوبه عن كل مصيبه يصاب

بها

بها دونه فاذا سلم له محبوبه لم يبال بما فاته فلا يجزع على ما نال له فانه يرى في محبوبه
عوضا عن كل شيء ولا يرى في شيء غيره عوضا منه اصلا فكل مصيبه عند هينه اذا
ابقت عليه محبوبه ولهذا لما خرجت تلك المرأة الانصاريه يوم احد تنظر ما فعل
برسول الله مرت بابيها واخيها مقتولين فلم تقف عندهما وجاوزتهما تقول ما فعل
رسول الله فقيل لها هذا هو ذا حي فلما نظرت اليه قالت ما ابالي اذا سلمت هلك من هلك
ولو لم يكن في المحبة من الفوائد الا هذه الفائدة وحدها لكفى بها شرفا فان المصايب
لا زمة للعبد لا محيد له عنها ولا يملك دفعها عثل المحبه وهكذا مصايب الموت وما بعدها
انما تسهل وتهون المحبه وكذلك مصايب الفتنه واعظم المصايب مصيبه النار والله تعالى
الا يحبه الله وحده ومتابعه رسوله فالمحبه اصل كل خير في الدنيا والاخرة كما قال تعالى
ذهب المحبون بالله بشرف الدنيا والاخرة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من احب فهم
مع الله وقوله وهي في طريق العوام عمدة الايمان كلام قاصر فانها عمود الايمان وعمدته
وساقه الذي لا يتم الا عليه فلا ايمان بدونها البته وانما مراده هذه المحبه الخاصه التي نشأ
من رويه النعم هي عمدة ايمان العوام واما الخواص فعمدة ايمانهم محبه نشأت من معرفه الكمال و
مطالعه الاسماء والصفات والله اعلم قال ابو العباس واما المحبه الخاصه فهي محبه
خاطفه تقطع العباره ولا يفي الاشاره ولا يتنعم بالمنعوت ولا تعرف الا بالحيره والسكوت
وحال بعضهم يقول ولا البست وجدا وحيره وقد ضمنا بعد التفرق محضر
البست الذي خذت انه ولوع بذكرها فابى الذكر فرد عليها الوجد افنيت ذكره
فليبق الازفره وحسر يقال هذا من المحبه مختلف انتهى اعلم ان
الاخرى احداهما هذه المرتبه التي اشار اليها المصنف وهي الدرجه الثالثه التي ذكرها شيخ
الاسلام في منازله فقال الدرجه الثالثه محبه خاطفه تقطع العباره وتدق
الاشاره ولا يتنعم بالنعوت وهذه المحبه قطب هذا الشان ومادونها حال تنادي
عليها الالسن وادعتها الخليقه واوجبتها العقول والمرتبه الثانيه عند صاحب
المنازل ومن تبعه دون هذه المرتبه وهي المحبه التي تنشأ من مطالعه الصفات
فعال في منازله والدرجه الثانيه محبه تبعث على ايثار الحق على غيره ويلجح

الألوكة
www.alukah.net

اللسان بذكره ويعلق القلب بشهوده وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات والنظر
في الآيات والارتياض بالمقامات وانما جعل هو لاء هذه المحبة انقص من المحبة الثالثة
بناء على اصولهم في ان الفناء هو غاية السالك التي لا غاية له وراءها فهذه المحبة لما
افنت المحب واستغرقت روحه بحيث غيبته عن شهوده وفني فيها المحب والمحبوب
بالكلية ولم هناك الا المحبوبة وحده فكانه هو المحب لنفسه بنفسه اذ فني من لم يكن
وبقي من لم يزل ولما ضاق نطاق النطق بهم عن التعبير عنها عدلوا الى التعبير عنها
بكونها قاطعة للعبارة مدققة للاشارة يعني تدق عنها الاشارة ولان الاشارة
تتناول محبا ومحبوبا وفي هذه المحبة قد فني المحب فانقطع تعلق الاشارة به اذ الاشارة
لا تتعلق بمعدوم وسر هذا المقام عندهم هو الفناء في الحب بحيث لا يشاهد له رسما
ولا محبة ولا سببا ولهذا كانت الدرجتان اللتان قبله عندهم معلولتين لانهما محققتان
ما بقاء وشهود الاسباب بخلاف الثالثة ولهذا قال ولا تشبع بالنعوت يعني ان
النعوت لا تصل اليها ولا تدركها وهذا بناء على قاعدته في كل باب من ابواب كتابه
بجعل الدرجة العالية التي تتضمن الفناء هي قبلها والصواب ان الدرجة الثانية
اكمل من هذه وانم وهي درجة الكمل من المحبين ولهذا كان امامهم وسيدهم و
اعظمهم وافضلهم حالا في الذروة العليا من المحبة وهو مراعاة الجريان الامور و
الجريان للامة مثل سماعه بكاء الصبي في الصلوة فيخففها لاجله ومثل التفاته
في صلوته الى الشعب الذي بعث منه العين يتعرف له امر العدو هذا وهو اعلا
درجة المحبة ولهذا راى ما راى في ليلة الاسرى وهو ثابت الجاش حاضر القلب
لم يغن عن تلقي خطاب ربه واوامره ومراجعته في امر الصلوة مرارا ولا ريب
ان هذا الحال اكمل من حال موسى الكليم فان موسى خر صعقا وهو في مقامه في الا
رض لما تجلى ربه للجبل والنبي صلى الله عليه وسلم قطع تلك المسافات وخرق تلك الحجب ورای
ما راى ومازاغ بصره وما طغى ولا اضطرب فواده ولا صعق صلى الله عليه وسلم
ولا ريب ان الوراثة المحمدية اكمل من الوراثة الموسوية وتامل شان النسوة اللاتي
رانين يوسف كيف ادهشهن حسنه وتعلق قلوبهن به وافناهن عن انفسهن حتى
قطعن ايديهن وامراة العزيز اكمل حبا منهن له واشد ولم يعرض لهاذلك

مع ان حبها اقوى وانم لان حبها كان مع البقاء وحبهن كان مع الفناء والسهوه
عنهن حسنه وحبه عن النسوة فبلغن من تقطيع ايديهن ما بلغن وامراة
العزيز لم يغيبها حبها له عن نفسها بل كانت حاضرة القلب متمكنة في حبها فالحالها
حال الاقوياء من المحبين وحال النسوة حال اصحاب الفناء ومما يدل على ان حال البقاء في الحب
اكمل من حال الفناء ان الفناء انما يعرض لضعف النفس عن وارد المحبة فيتملى به ويضعف
عن حمله فيفنيها ويغيبها عن تمييزها وشهودها فيورثها الحيرة والسكوت واما حال
البقاء فيدل على ثبات النفس وتمكنها وانها حملت من الحب ما لم تطق حمله صاحب الفناء
فتصرفت في حبها ولم تتصرف فيها والعلماء اذا ورد عليهم الحال تصرف هو فيه ولا يدع
حاله تتصرف فيه وايضا فان البقاء متضمن لشهود كمال المحبوب ولشهود ذل عبودية
ومحبته ولشهود مراضيه واوامره والتمييز بين ما يحبه ويكرهه والتمييز بين المحبوب
اليه والاحب والعزم على ايثار الاحب اليه فكيف يكون الفاني عن شهود هذا
بتغييب المحب له اكمل واقوى واي عبودية للمحبوب في فناء المحب في محبته وهل العبودية
كل العبودية الا في البقاء والصحو وكمال التمييز وشهود عزة محبوبه وذله وهو في حبه
واستكانته فيه واجتماع ارادته كلها في تنفيذ مراد محبوبه بهذا وامثاله مما يدل على
ان الدرجة الثانية التي اشار اليها اكمل من الثالثة وانم وهكذا في جميع ابواب الكتاب
والله اعلم وكاني بك تقول لا يقبل في هذا الاكلام من قطع هذه المفاوز حالا وذوقا
واما الكلام فيها بلسان العلم المجرد فغير مقبول والمحبون اصحاب الحال والذوق
لهم شان وراء الادلة والحجج تاعلم اولا ان كل حال وذوق ووجد وشهود لا
يشرق عليه نور العلم المؤيد بالدليل فهو من عيش النفس وحظوظها فلو قدر ان المتكلم انما
تكلم بلسان العلم المجرد فلا ريب ان ما كشفه العلم الصحيح المؤيد بالحجة انفع من حال
مخالف العلم ومخالفه وليس من الانصاف رد العلم الصحيح بمجرد الذوق والحال و
هذا اصل الضلال ومنه دخل الداخل على كثير من السالكين في تحكيم اذواقهم
ومواجيدهم على العلم فكانت فتنة في الارض وفساد كبير وكم قد ضل واضل
بمحكم الحال على العلم بل الواجب تحكيم العلم على الحال ورد الحال اليه هذا كان شا
العلم فهو المقبول وما جرحه شاهد العلم فهو المردود وهذه وصية ارباب الا

الألوكة
www.alukah.net

الاستقامة من مشايخ الطريق يوصون بذلك ويحثون ان كل ذوق ووجد لا
يقوم عليه شاهدان اثنان من العلم فهو باطل ويقال ثانيا ليس من شرط ما هو
العلم بالشئ من العالم به ان يكون ذا يقال له افتراك لا تقبل معرفة الالام والاوجاع
وادويتها الا من قد مرض بها وتداوى بها فيقول هذا عاقل ويقال ثالثا اتريد
بالوجد ان يكون القايل قد بلغ الغاية المقصودة في المرتبة فلا يقبل الا من هذا
شانه او تريد انه لابد ان يكون له اذواق اهله من حيث الجملة فان اردت الا
ول لزمك ان لا يقبل من احد اذ ما من ذوق الا وفوقه اكمل منه وان اردت
الثاني فبين ان لك تفيده عن صاحب العلم ولكن لا عراضك عن العلم واهله
صرت تظن ان اهل العلم لهم العلم والكلام والوصف والملهوف عنه
الذوق والحال والاتصاف والظن يخطئ تارة ويصيب والله اعلم فصل قال
ابو العباس وعند القوم كل ما هو من العبد فهو علة طريق يحجب العبد وفاقته
واغناء عين الحقيقة عندهم ان يكون قايما باقامته له محبا فمحبته له ناظر بنظره اليه من
غير ان يبقى معه بقية تناط باسم او تقف على رسم او تتعلق بأثر او ينعت بنعت
او يوصف بوصف او ينسب الى وقت صم بكم عمى لدينا محضرون فيقال هذا هو
مقام الفنا الذي يشير اليه كثير من المتاخرين ويجعلونه غاية الغايات و
نهاية النهايات وكل ما دونه فمرقاة اليه وعمله عليه ولهذا كانت المحبة عندهم
اخر منازل الطريق واول اودية الفنا والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحق
وهي اخر منزل يلقى فيه ويعد من العامة ساقة الخاصة وما دونها اعراض لا تحوم
فجعلوا المحبة منزلة من المنازل ليست غاية وجعلوها اول الاودية التي يسلك
فيها اصحاب الفنا فهي اول اوديتهم والعقبة التي ينحدرون منها الى منازل الفنا و
المحو فليست هي الغاية عندهم واصحابها عندهم مقدمة العامة وساقة اصحاب
الفنا عندهم مقدمون عليهم سابقون لهم فانهم ساقة الخاصة وهولاء مقدمة العامة
فهذا كله بناء على ان الفنا هو الغاية التي للغاية للعبد ورائها ولا كمال له يطلبه فوقها
وقد تبين ما في ذلك وما هو الصواب بحمد الله فقوله كل ما هو من العبد فهو علة يلقى
بحجز العبد وفاقته يقال اذا كان انما منه العبودية التي نحبها الله كسبا ومباشرة فهو

قايم

قايم بها شاهد لمقيمه فيها مطالع لمنته وفضله فاي علة هنا سوى وقوفه مع
شهود ما منه وغيبته عن شهود اقامة الله له وتحبيبه اياه وتوفيقه له فالعلة على
هذا الشهود وهذه الغيبة المنافية لكمال الافتقار والفاقة الى الله واما شهود
فقره وفاقته ومجموع حالاته وحركاته وسكناته الى وليه وباريه مستعينا به ان
يقيمه في عبودية خالصة له فلا علة هنا كما قوله واغناء عين الحقيقة ان يكون قايما
باقامته له الى اخر كلامه يقال ان اردت انه يشهد اقامة الله حتى قام ومحبته له حتى
احبه ونظره الى عبده حتى اقبل عليه ناظرا اليه بقلبه فهذا حق فان ما من الله سبق
ما من العبد فهو الذي احب عبده اولا فاحب العبد واقام العبد في طاعته فقام باقامته
منظرا اليه فاقبل العبد عليه وتاب عليه اولا فتاب اليه العبد وان اردت انه لا يشهد فعله
البتة بل يغني عنه حمله ويشهد ان الله وحده هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وان
هذه الاسباب والرسوم كثيرا عدما صرفا في شهوده وان لم يفن ويعدم في الخارج و
هو مراد القوم فدعوى ان هذا هو الكمال الذي لا كمال فوقه ولا غاية وراءه دعوى مجردة
لا سند لها عليها مدعيها بالكثير من الذوق والوجد وقد تقدم ان هذا ليس بغاية
واغناء غايته ان يكون من عوارض الطريق وان شهود الاشياء في مراتبها ومنازلها التي
انزلها سبحانه اياها اكمل واتم ويكفي في بعض هذا الاحتجاج عليه بصفات الكفار
فان الله ذمهم بانهم صم بكم عمي بهذه صفات نقص وذم لا صفات كمال ومدح وهل
الكمال الا في حضور السمع والبصر والعقل وكمال التمييز وتنزيل الخلق والامر منازلها
والتفريق بين ما فرق الله بينه فالامر كله فرقان وتمييز وتبيين فكلما كان تمييز
العبد وفرقانه اتم كان حاله اكمل وسيره اصح وطريقه اقوم واقرب والحمد لله رب العالمين

فصل قال ابو العباس واما الشوق فهو هبوب القلب الى غايب واعوار الصبر عن
فقده وارتياح السر الى طلبه وهو من مقامات العوام واما الخواص فهو عندهم علم
عظيم لان الشوق انما يكون الى غايب ومذهب هذه الطايفة انما قام على المشاهدة
والطريق عندهم ان يكون العبد غايبا والحق ظاهرا ولهذا المعنى لم يطق بالشوق

فالمحبه بذر في القلب والشوق بعض ثمرات ذلك البذر وكذلك من ثمراتها حب المحبوب
والرضى عنه وشكره وخوفه ورجاؤه والتمتع بذكره والسكون اليه والانس به والوحشة
بغيره وكل هذه من احكام المحبه وثمراتها وهو حيالها فمنزله الشوق من المحبة
منزله الهرب من البغضاء والكراهه فان القلب اذا ابغض الشئ وكرهه جد في
الهرب منه واذا احبه جد في الهرب اليه وطلبه فهو حركه القلب في الظفر بمحبوبه
ولشده ارتباط الشوق بالمحبه يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ويهم منه ويعبر
عنه فصل واما المسايل فاحداها هل يجوز اطلاقه على الله فهذا ما لم يرد به القرآن و
لا السنه بصريح لفظه قال صاحب منازل السايرين وغيره وسبب ذلك ان الشوق
انما يكون لغايب ومذهب هذه الطايفه انما قام على المشاهده ولهذا السبب عندهم
لم يجئ في حق الله ولا في حق العبد وجوزت طايفه اطلاقه كما يطلق عليه سبحانه و
روى في اثر ان يقول الله شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم اشوق قالوا
وهذا الذي يقتضيه الحقيقه وان لم يرد به لفظ صريح فالمعنى حق فان كل محب
مشتاق الى لقاء محبوبه قالوا واما قولكم ان الشوق انما يكون الى غايب
وهو سبحانه لا يغيب عن عبد ولا يغيب العبد عنه فهذا حضور العلم واما
اللقاء والقرب فامر اخر فالشوق يقع بالاعتبار الثاني وهو قرب المحبوب و
لقاءه والدنو منه وهذا له اجل مضروب لا ينال قبله قال تعالى من كان يرجوا
لقاء الله فان اجل الله لات قال ابو عثمان الحيري هذا تعزيه للمشتاقين بمعناه
اني اعلم ان اشتياقكم الي غالب وانا اجلت للقايكم اجلا وعن قريب يكون
وصولكم الي من تشتاقون اليه والصواب ان يقال اطلاقه متوقف على
السمع ولم يرد به فلا ينبغي اطلاقه وهذا كلفظ العشق ايضا فانه لما لم يرد
به سمع فانه يمتنع اطلاقه عليه سبحانه واللفظ الذي اطلقه سبحانه على نفسه
واخبر له عنها اتم من هذا واجل شانا وهو لفظ المحبه فانه سبحانه يوصف
من كل صفه كمال باكملها واجلها واعلاها فيوصف من الارادة باكملها وهو
المحبه وحصول كل ما يريد بارادته كما قال تعالى فعال لما يريد وبارادة

له كتاب ولا سنه صحيحه الا ان الشوق مخبر عن بعد ومشير الى غايب وهو
يطلع الى ادراك وهو معكم اينما كنتم وقيل ولا معنى للشكوى الشوق يوما الى من لا يزول
اختلف الناس في الشوق والمحبه ايهما اعلى فقالت طايفه المحبه اعلى من الشوق هذا
قول ابن عطا وغيره واحتجوا بان الشوق غايته ان يكون اثرا من اثار المحبه ومتولدا
عنها فهي اصله وهو فرعها قالوا والمحبه توجب اثارا اكثر من اثارها الشوق
وقالت طايفه منهم سري السقطي وغيره والشوق اعلى قال الجنيد سمعت السري
يقول الشوق اجل مقامات العارف اذ المحقق في الشوق لهي عن كل شئ يشغله
عن اشتياقه اليه واغايظهر سر المسئله بذكر فصلين الفصل الاول في حقيقة الشوق
والثاني في الفرق بينه وبين المحبه ويتبع ذلك جمع مسايل احديها هل يجوز
اطلاقه على العبد فيقال يشتاق الى الله كما يقال نحبه الثانيه انه هل يقوى ما يقوم
والقرب ام يضعف بهما فاي الشوقين اعلا شوق القرب الذاني ام شوق البعد
الطالب الرابعه الفرق بينه وبين الاشتياق فهل هما معنى واحد ام بينهما فرق
الخامسه في بيان مراتبه واقسامها ومنازل اهله فيه الفصل الاول في
حقيقه الشوق هو سفر القلب في طلب محبوبه بحيث لا يقر قراره حتى يظفر
به ويحصل له وقيل هو لهيب يشب بين الحشا لسببه الفرقه فاذا وقع
اللقا اطفا ذلك اللهيب وقيل الشوق هبوب الشوق الى محبوب غايب
وقال بن خفيف الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبه اللقا والقرب
وقيل الشوق نزوح القلب نحو المحبوب من غير منازع ويقال الشوق انتظار
اللقاء بعد البعاد لهذه الحدود ونحوها مشتركه نعني ان الشوق اغا يكون
مع الغيبه من المحبوب واما مع حضوره ولقايه فلا شوق وهذه جمع من
من جعل المحبه اعلا منه فان المحبه لا تزول باللقا وبهذا يتبين الكلام في الفصل
الثاني وهو الفرق بينه وبين المحبه والفرق بينهما فرق ما بين الشئ واثره و
فان المحامل على الشوق هو المحبه ولهذا يقال لمحبتي له اشتقت اليه واحببته فما
اشتقت الى لقايه ولا قيل لشوقي اليه احببته ولا اشتقت الى لقايه فاحببته

فالمحبه

اليسر لا العسر كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وبارادة الاحسان واتمام
النعمة على عباده كقوله والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان
تميلوا ميلا عظيما فارادة التوبة بمعنى ارادة الميل لمتبعي الشهوات وقوله ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون وكذلك
الكلام مصنف نفسه منها باجلها واشرفها فقال تحبهم ويحبونه وتحب التوابين و
تحب المتطهرين وتحب المحسنين وتحب الصابرين ولم يصف نفسه بغيرها من العواطف
والميل والصبابة والعشق والغرام ونحوها فان مسمى المحبة اشرف واكمل من هذه المسميات
فجاء في حقه اطلاقه دونها وهذه المسميات لا تنفك عن لوازم ومعان تنزه تعالى
عن الاتصاف بها وهكذا جميع ما اطلقه على نفسه من صفاته العلى اكمل معنى ولفظا مما
لم يطلقه فالعليم الخبير اكمل من العقيد والعارف والكريم الجواد اكمل من السخي والخالق البارئ
المصور اكمل من الصانع الفاعل ولهذا لم يجئ هذه في اسمائه الحسنى والرحيم والرؤف اكمل
من الشفيق فعليك بمراعاة ما اطلقه سبحانه على نفسه من الاسماء والصفات والوقوف
معها وعدم اطلاق ما لم يطلقه على نفسه مالم يكن مطابقا لمعنى اسمائه وصفاته وحينئذ
فيطلق المعنى لمطابقته لها دون اللفظ ولاسيما اذا كان مجملا او منقسما الى ما يمدح به وغيره
فانه لا يجوز اطلاقه لا سعدا وهذا كلفظ الفاعل والصانع فانه لا يطلق عليه من اسمائه
الحسنى الا اطلاقا مقيدا كما اطلقه على نفسه كقوله تعالى فعال لما يريد ويفعل الله ما يشاء و
قوله صنع الله الذي اتقن كل شيء فان اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى الى ما يمدح
عليه ويذم ولهذا المعنى والله اعلم لم يجئ في الاسماء الحسنى المريد كما جاء فيها السميع
البصير والمتكلم والآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الاسماء بل وصف نفسه بها
لكمال الاتصاف باشرف انواعها ومن هنا يعلم غلط بعض المتاخرين وزلقه
الفاحش في اشتقاقها له سبحانه من كل فعل اخبر به عن نفسه اسما مطلقا
وادخله لا في اسمائه الحسنى فاشتق له اسم الماكر والخادع والفائن والمضل و

الكائد

والكائد ونحوها من قوله ويمكر الله ومن قوله وهو خادعهم ومن قوله لنفتنهم
فيه ومن قوله يضل من يشاء وقوله كيد الله لاعلين وهذا خطأ من وجوه
احدها ان الله سبحانه لم يطلق على نفسه هذه الاسماء فاطلاقها عليه لا يجوز الثاني
ان الله سبحانه انما اخبر عن نفسه بافعاله مختصة مقيدة فالمحذور ان ينسب اليه
مسمى الاسم عند الاطلاق الثالث ان مسمى هذه الاسماء منقسم الى ما يمدح عليه
المسمى بها الى ما يذم فيحسن في موضع ويقبح في موضع فيمتنع اطلاقه عليه سبحانه
من غير تفصيل الرابع ان هذه ليست من الاسماء الحسنى التي يسمى بها سبحانه
فلا يجوز ان يسمى بها فان اسماء الرب سبحانه كلها حسنى كما قال والله الاسماء الحسنى
وهي التي نحب سبحانه ويثني عليه ويحمد بها دون غيرها الخامس ان هذا
القائل لو سمى بهذه الاسماء وقال هذه مدحتك وثناء عليك فانت المكار الفاتن
الخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحوها لم يكن يرضى باطلاق هذه الاسماء
عليه وبعدها مدحه ولله المثل الاعلى سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون
به علوا كبيرا السادس ان هذا القائل يلزمه ان يجعل من اسمائه اللاعن
والحاني والآتي والذاهب والتارك والمقابل والصارف والمنزل والنازل
والمدمدم والمدمر واضعاف اضعاف ذلك فيشتق له اسما من كل فعل اخبر به
عن نفسه ولا يأتي ما قضيناه ولا احد من العقلاء طرد ذلك فبطلان

قوله والجواب رب العالمين فصل واما المسالم الثانية وهي هل يطلق على العبد
انه يشتاق الى الله والى لقائه فهذا غير ممتنع فقد روى الامام احمد في مسنده وا
لضياء وغيرها من حديث حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن ابيه قال صلى
بنا عمار بن ياسر صلاة فاوجز فيها فقلت خففت يا ابا اليقظان فقال وهل
علمت من ذلك ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب وقدرتك
على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم اني
اسألك خشيتك في الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق في الغضب والرضى

فلا يجوز

تعالى

هاء

واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسألك
الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زيّنا بزينة الايمان واجعلنا هداة
مهتدين فهذا فيه اثبات لذة النظر الى وجه الكريم وشوق احبابه الى لقائه
فان حقيقة الشوق اليه هو الشوق الى لقائه قال ابو القسم الغشيري سمعت
الاستاذ ابو علي يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اسألك الشوق الى لقائك قال
كان الشوق مائة جزء فشعشع وتسعون لم وجوه متفرق في الناس فاذا ادان
يكون ذلك الجزء له ايضا فقد ان يكون نصيبه من الشوق لغيره قال وسمعته
يقول في قول موسى وعجلت اليك رب لترضى قال معناه شوقا اليك فيستره
بلحظ الرضى وهذا اكثر مشايخ الطريق يطلقونه ولا يمتنعون منه وقيل ان
شفيعا بلى حتى عمى بصره فاوحى الله اليه ان كان هذا لاجل الجنة فقد اجتهلك
وان كان لاجل النار فقد اجرتك منها فقال لا بل شوقا اليك قال بعض العارفين
من اشتاق الى الله اشتاق اليه كل شيء وقال بعضهم تلوب العاشقين منوره
بنور الله فاذا حركه اشتياقهم اضاء النور ما بين السماء والارض فيعرفهم الله عز
الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى اشهدكم اني اسرع شوقا واذا كان الشوق
هو سفر القلب في طلب محبوبه ونزوعه اليه فهو من اشرف مقامات العبد واجلها
واعلاها ومن انكر شوق العبد الى ربه فقد انكر محبته له لان المحبة تستلزم الشوق
فالمحب دائما مشتاق الى لقاء حبيبه لا يعدل عنه ولا تفتر عزيمته واراده الا بالوصول اليه
واما قوله ان الشوق عند الخواص علة عظيمه لان الشوق انما يكون الى غائب و
مذهب هذه الطايفة انما قام على المشاهدة فيقال المشاهدة نوعان عرفان و
مشاهدة عيان وبينهما من التفاوت ما بين اليقين والعيان ولا ريب ان
مشاهدة العرفان متفاوتة بحسب تفاوت الناس في المعرفة وسوحهم فيها
وليس للمعرفة نهاية تنتهي اليها بحيث اذا وصل اليها العارف سكن قلبه عن
الطلب بل كلما وصل منها الى معلم ومنزله اشتد شوقه الى ما وراءه فكلما

ازداد

ازداد معرفة ازداد شوقا فشوق العارف اعظم الشوق فلا يزال في مزيد من الشوق
ما دام في مزيد من المعرفة فكيف يكون عنده علة عظيمه هذا من المحال البين بل من
عرف الله اشتاق اليه واذا كانت المعرفة لا نهاية لها فشوق العارف لا نهاية له
هذا مع الشوق الناشيء عن طلب اللقاء والرويه والمعرفة العيانيه فاذا كان العبد
حاضرا عند ربه وهو عن غايب عنه لم يوجب له هذا ان لا يكون مشتاقا الى لقائه
ورويته بل هذا يكون ايلم لشوقه واعظم فظهر ان قوله ان الشوق علة عظيمه في طريق
الخواص كلام باطل على كل تقدير وان الشوق بالحقيقة انما هو شوق الخواص العارفين
بالله والعبد اذا كان له مع الله حال او مقام وكشف له عما هو افضل منه واجل اشتاق اليه
بالضرورة ولم يكن شوقه علة له وتقضا في حاله بل زيادة وكمالا ويكون ترك
الشوق هو العلة وقد تقدم ان لا نهاية للمعرفة تنتهي اليها فيبطل الشوق بنهايتها
بل لا يزال العارف في مزيد من معرفته وشوقه والله المستعان فصل واما
المسالة الثالثة وهي هل يزول الشوق باللقاء ام يقوى فقالت طايفة الشوق يزول باللقاء
لانه طلب فاذا حصل المطلوب زال الطلب لان تحصيل الحاصل محال ولا معنى للشوق
الى شيء حاصل وانما يكون الشوق الى شيء مراد الحصول محبوب الادراك وقالت
طايفة اخرى ليس كذلك بل الشوق يزيد بالوصل واللقاء ويقتضا عنه الذنوب و
لهذا قال القايل واعظم ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار
ولهذا قال بعضهم شوق اهل القرب انم من شوق المحبين واحتجت هذه الطايفة
بان الشوق من آثار الحب ولوازمه فكما ان الحب لا يزول باللقاء فكذلك الشوق
الذي لا يفارقه قالوا ولهذا لا يزوله الرضى والخلد والاجلال والمهابه التي هي
من آثار المحبة باللقاء فكذلك الشوق يقتضا عنه ولا يزوله قالوا والحق الذي
فصل الخطاب في المسالة ان المحب اذا اشتاق الى لقاء محبوبه فاذا حصل له اللقاء
زال ذلك الشوق الذي كان متعلقا بلقايه وخلفه شوق آخر اعظم منه وابلغ
الى مزيد قربه والحظوه عنده واما اذا قدر انه لقيه ثم احتجب عنه ازداد شوقه
الى لقاء آخر ولا يزال يحصل له الشوق كلما احتجب عنه فهذا لا ينقطع شوقه
ابدا فهو اذا راه بل شوقه برويته واذا زال عنه الطرف عاوده الشوق

كما قيل ما يوجع الطرف عند رؤيته حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

واما اللسان فى ذم الشوق حال الوصول واللقاء فاعلم ان الشوق نوعان شوق الى اللقا فهذا يزول باللقا وشوق فى حال اللقا وهو تعلق الروح بالمحبوب تعلقا لاينقطع ابدا فلا يزال الروح مشتاقا الى مزيد هذا التعلق وقوته اشتياقا لايهدأ وقد افصح بعض المحبين للخلوق عن هذا المعنى بقوله

اعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تدانى والم فاهاكى تزول صبابتى فيشتد ما القى من الصبابات فالشوق فى حال الوصل والقرب الى المزيد اتم والذة لاينقطع والشوق فى حال السير الى اللقا ينقطع ونستغفر الله من الكلام فيما لسنا باهل له فالخوف اولى بالمحب اذا تاوله والحزن والحب يجمل بالتقى وبالنقاء من الدرن

لكن اذا مالم تحكم المحبة اذن فمن واذا الحزن فعلنا فعلى المحبة مؤتمن

احب شيا عليكم وحياتكم كلا ولى احبه من تاتى تحبته بانواع المحن

والسعد فيها ذائع والقلب فيها معتمن دون الذى فى حبه نيل السعادة والمنن

ومحل قد كانها سعد السعود هو الوطن والعيش حين يحل فى تلك المنازل والدمن

يحسى ويصبح من وصاله ومن قضاه فى وطن اجهم قلب وتخشى ان يضام فلا اذن

واما المسئلة الرابعة وهى الفرق بين الشوق والاشتياق فقال ابو عبد الرحمن السلمى سمعت النصر اباذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لايرى له اثرا ولا قرارا وهذا يدل على ان الاشتياق عنده غير الشوق ولا ريب ان الاشتياق مصدر اشتاق اشتياقا كما ان الشوق مصدر شاق يشوق كشوقا والشوق فى الاصل اسم مصدر شاقه يشوقه شوقا مثل شاقه شوقا اذا دعاه الى الاشتياق فالاشتياق لطاوع شاقه يقال شاقنى فاشتقت اليه ثم صار الشوق اسم مصدر الاشتياق وغلب عليه حتى لايفهم عند الاطلاق الا الاشتياق القايم بالمشوق والمشوق هو

الصب

الصب المشتاق والشايق هو الذى قام به وادعى الشوق فههنا الفاظ الشوق والاشتياق والتشوق والشايق والعشوق والشق فهذه بسته الفاظ احدها الشوق وهو فى الاصل مصدر الفعل المتعدى شاقه يشوقه ثم صار اسم مصدر الاشتياق اللفظ الثانى الاشتياق وهو مصدر اشتاق اشتياقا والفرق بينه وبين الشوق هو الفرق بين المصدر واسم المصدر اللفظ الثالث التشوق وهو مصدر تشوق اذا اشتاق مرة بعد مرة كما يقال التجرع وتعلم وتفهم وهذا البناء يشعر بالتكلف وتناول الشئ على مهل اللفظ الرابع الشايق وهو الداعى للمشوق الى الاشتياق اللفظ الخامس المشوق وهو المشتاق الذى قد حصل له الشوق اللفظ السادس الشق وهو فعل يعتريه هتك وبلى وهو المشتاق فهذه فروق ما بين هذه الالفاظ واما كون الاشتياق ابلغ من الشوق فهذا قد يقال فيه ان الاصل وهو اكثر حروفا من الشوق وهو يدل على المصدر والفاعل واما المشوق فمتفرع عليه لانه اسم مصدر واخف حروفا وهو انما يدل على المصدر المجرد فخذه ثلاث فروق منها والله اعلم

فصل واما المسئلة الخامسة وهى فى مواقف الشوق ومنازله فقال صاحب منازل السايرين هو على ثلاث درجات الدرجة الاولى شوق العابد الى الجنة لياس الخايف ويفرح الحزين ويقوى الامل والدرجة الثانية شوق الى الله سبحانه زرع الحب الذى ينبت على حافات المنن فعلق قلبه بصفاته المقدسة واشتاق الى معاينة كرم هوياته بره وعلامه فضله وهذا شوق نعشاه المبار ويعالج المسار ويقاربه الاصطبار والدرجة الثالثة فاراضوا بها صفو الحب فنغصت العيش وسلبت السلو ولم تبقها لغرى دواعى اللقا قلت الدرجة الاولى هى شوق الى فضل الله وثوابه والثانية شوق الى لقايه ورويته والثالثة شوق اليه لا لعلة ولا لسبب ولا ملاحظة غير ذاته فالاول لحظ المشتاق من افعاله وانعامه والثانى حظه من لقايه ورويته والثالث قد فنيت فيه الحظوظ واضمحلت فيه الاقسام وقوله فى الدرجة الاولى ياس الخايف ويفرح الحزين

لطايف

ويظفر الآمل بهذه ثلاثة فوائد ذكرها في هذا الشوق أمن الخائف وفرح الحزين والظفر بالآمل بهذه المقاصد لما كانت حاصلة بدخول الجنة كانت متصورة للنفس اشد الشوق الى الحاصل وقوله الظفر بكل محبوب بهذا ان هذا للمشوقان الى الجنة وقوله في الثانية تشوق الى الله ورؤيته الحب قد تقدم ان للشوق ثمرة الحب وقوله الذي ثبت على حافات المبنى اى انشاه الفكر في منن الله وايادية وانعامه المتواترة وفيه اشارة الى ان هذا الحب الذي هو ثابت على الحافات والجوانب بعد حب اعلى منه وهو الحب الناشئ من شهود كمال الاسماء والصفات وذلك ليس من نبات الحافات ولكن من الحب الاول يدخل في هذا كما تقدم ولهذا قال فعلى قلبه بصفاته المقدسة وقوله والشاق الى معاينة لطائف كرمه وايات بره وعلامة فضله يشير به الى ما يكرم الله به عبده من انواع كرامات التي يسدل بها على انه مقبول عند ربه ملاحظ بعنايته والله قد اشار اليه وكتبه في ديوان اوليائه وخواصه ولاريب ان العبد متى شاهد تلك العلامات والآيات قوي حاله وفرح بفضل ربه وعلم انه قد اهل مطلوبه السير ودام اشتياقه وزالت عنه العلل وسالم يقع عليه شيء من ذلك لم يزل كئيبا حزينا خائفا ان يكون هو الذي حجب الحبيب عنه وهو البراى ان هذا الشوق ممنوح بالبر مغشى به وهو ما برالقلب هو جمع مبرة وهي البراى ان هذا الشوق ممنوح بالبر مغشى به وهو ما برالقلب وهو كثرة خيره فهذا القلب البر للعابد جدير فعل البر تقربا الى من هو مشتاق اليه فهو يحبش بانواع البر وهذه من علامات الحبة ان القلب صاحبها لينبع منه عيون الخير وتنفجر منه ينابيع البر ويدل عليه ان مبنى البر ونحته تغشاه على الدوام وقوله وتخالجه المسار اى تخالطه السرور في عضون اشواقه فانها اشواق لاوحشة معها ولا الم بل هي مخلوطة بالمسرات وقوله ومعاودة الاصطبار اى صاحبه له قوة على اصطباره على موضاة حبيبه لشوقه اليه واذا ضعف الصبر لضعف الحب والحب من اصبر الخلق كما قيل نفس المحب على الالام صابرة لعل منتهما يوما يدانيها وقوله في الدرجة الثالثة فانار اضرمها صفو المحبة يعني ان هذا الشوق تتوقد

من

من خالص المحبة التي لا يشوبها علة وهو اشد انواع الشوق ولهذا انغصت العيش اى كدرته وانغصت المشتاق فيه لانه لا يصل الى محبوبه ما دام فيه فهو يترقب مفارقته وقوله وسلبت السلوة يعني ان صاحبه لم يبق له مطمع في سلوه ابدا وهذا اعظم ما يكون من الحب والشوق ان الحب ساس من السلو وينقطع طمعه منه كما ياس من الامور الممتنعة كرجوع ايام الشباب عليه وعوده طفلا وقوله ولم يبقها معنى دون اللقاء اى ان هذه النار لا تبردها ولا يفتر حرها مقصود ولا مطلب والمراد دون لقاء محبوبه فليس لها سبيل الى تبريدها وتسكينها الا بلقاء محبوبه وقوله فهذه كلها علل انف الخواص منها واسباب انقطعوا عنها فلم يبق لهم مع الحق ارادة ولا في عطائه تشوق الى اهتزازه فهو منتهى زادهم وغاية رغبتهم فيعتقدون ان ما دونه قواطع عنه قال اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد واغمازهدهم جمع الهمة عن تعريفات الكون لان الحق عافاهم بنور الكشف عن التعلق بالاحوال انا اخلصناهم لخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار قلت يشير بذلك الى المحو ومقام الفنا الذي هو غاية الغايات عنده وقد تقدم الكلام عليه وان مقام الصحو والبقا افضل منه وانع عبوديه وينبغي ان يعرف ان مراعاة مقام الفنا الذي جعلوه غايه آكد بكثير من طالبيه الى ترك القيام بالاعمال جملة وراوا انها علل قاطعة عنه واشد تكدير الصفوه واللاية عليهم حتى قال شيخ الطائفة الجنيد ان الذي يزني ويسرق خير من هؤلاء وهم نوعان نوع جردوا الفنا في شهود الحكم وهو الحكم القدري وراوا انه نهاية التوحيد فلم يهتموا بالاستغراق فيه الى اطراح الاسباب حتى قال قائلهم العارف لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر والنوع الثاني اصحاب تجريد الفنا في الارادة تجردوا الفنا في الارادة لتجريد آلهم الى ترك الاسباب جملة والفنا ينقسم فنان صالحان خارجتان عن العلم والدين ولهذا قال لهم شيخ القوم الجنيد عليكم بالفرق الثاني يعني ان الفرق فرقان فرق بالطبع والهوى وهو الفرق الذي شهدوه وفروا منه الى معنى الجمع ولكن بعد الجمع فرق ثان وهو الفرق بالامر والمحبة لا بالشهوة والطبع وهو دين الرسل فان دينهم مبناه على الفرق الامري الشرعي بين محبوب الرب ومأموره وبين مسخوطه ومنهيه فمن لم يشهد هذا الفرق لم يكن من اهله لم يكن من اتباع الرسل فان

الكمال مشهود للجمع في هذا الفرق فيشهد انفراد الله وحده بالخلق والامر ويشهد
الفرق بين ما يحبه ويرضاه ويقربه وبين ما يبغضه فيتركه ويجتنبه فيصير له
هذا الفرق في مثل هذه الطبعي الحسي بين ما يلائمه وينافره ومن المعلوم ان صاحب الجمع
لا يدان يفرق بطعمه وحسه وان ادعى عدم التفريق طبعا فانه كاذب مفتر واذا
كان لابد من الفرق فالفرق الشرعي الايماني الذي بعث الله به رسله اولى به من الفرق
الطبعي الحيواني الذي شاركه فيه سائر البهائم وابطل من هذا الجمع الجمع في الوجود وهو
ان يرى الوجود كله واحدا لافرق فيه اصلا وانما التفريق بالعادة والوهم فقط كما يقوله
زنادقة القائلين بوحدة الوجود الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود
احدهما وجود الآخر بل ليس عندهم فرق بين احدهما والاخر اذا تم غير هذا جمع في الوجود
وجمع اولئك جمع في الشهود وهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فكانوا
اصحاب الجمع والفرق وفرقوا جمع هؤلاء خواص الخلق فسأل الله العظيم من فضله وكرمه
هؤلاء هم الذين لم يبق لهم مع الحق ارادة بل صارت ارادتهم تابعة لارادته فحصل الاتحاد
في المراد فقط لا في الارادة ولا في المريد فاصحاب الوحدة ظنوا الاتحاد في المريد واصحاب الحلول
توهموا الاتحاد في الارادة وهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فعلموا ان
المراد واحد فالاتحاد وقع في المراد فقط لا في الارادة ولا في المريد وقوله فيعتقدون
ان ما دونه قاطع عنه انما يكون ما دونه قاطعا عنه اذا وقف العبد معه وتعلقت ارادته
به وانصرف طلبه اليه واما اذا جعله وسيلة الى الله وطريقا يصل بها اليه لم يكن قاطعا ولا حجابا
بل يكون حاجبا موصلا اليه وقوله تعالى قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني و
بينكم المراد بالآية شهادته سبحانه لرسوله بتصديقه على رسالته فان المشركين قالوا لرسوله
الله من يشهد لك على ما تقول فانزل الله سبحانه ايات شهادته له وشهادته ملائكته
وشهادة علماء اهل الكتاب له فقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب اى ومن عنده علم الكتاب يشهد لي وشهادته مقبولة لانها شهادة
بعلم تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا
وقال قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فاخبر سبحانه في هذا الموضع

بشهادته

بشهادته لرسوله وكفى بشهادته اثباتا لصدقه وكفى به شهيدا فان قيل وما شهادته لرسوله
قيل هي ما اقام على صدقه من الدلالات والايات المستلزمة لصدقه بعد العلم بها ضرورة فوق العلم
على صدقه اعظم من دلالة كل بينة وشاهد على حق شهادته سبحانه لرسوله اصدق شهادة
واعظمها وادلها على ثبوت المشهود به فهذا وجه ووجه اخر انه صدقه بقوله واقام الادلة
القاطعة على صدقه فيما اخبر به عنه فاذا اخبر عنه انه شهد له قولا لزم ضرورة صدقه في
ذلك الخبر وصحت الشهادة له به قطعا فهذا معنى الاية وكان اجنبي عما استدل به المصنف
ونظير هذا استشهادهم بقوله تعالى وعلم مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم حتى
رتب على ذلك بعضهم ان الذكر بالاسم المفرد وهو الله افضل من الذكر بالجملة المركبة
كقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهذا فاسد مبني على فاسد فان الذكر
بالاسم المفرد غير مشروع اصلا ولا مفيد شيئا ولا هو كلام اصلا ولا دليل على مدح ولا
تعظيم ولا يتعلق به ايمان ولا ثواب ولا يدخل به الكافر في عقد الاسلام جملة فلو
قال العافر الله الله من اول عمره الى اخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن ان يكون من
جملة الذاكرين ويكون افضل الاذكار وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر
افضل من الذكر بالاسم الظاهر فالذكر بقوله هو هو افضل من الذكر بقولهم الله
الله وكل هذا من انواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية باهلها الى انواع من
الضلالات فهذا فساد هذا البناء المعاير واما فساد المبني عليه فانهم ظنوا ان قوله
تعالى قل الله اى قل هذا الاسم فقل الله الله وهذا من عدم فهم الكثير من القوم للكتاب
الله فان اسم الله هنا جواب لقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الى ان قال قل الله اى
قل الله انزله فان السؤال معاد في الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارا كما نقول من خلق
السموات والارض فيقال الله اى الله خلقها فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه فهذا معنى
الاية الذي لا يحتمل غيره قوله وانما زهدهم جمع العهد عن تغير نعات الكون لان الحق
عافاهم بنور الكشف عن التعلق بالاحوال فيقال الكشف الذي اوجب لهم هذا

الألوكة
www.alukah.net

الجمع وقطع هذا التعليق هو الكشف الايمانى القرآنى فهو فى الحقيقة الكشف النافع الجاذب لصاحبه الى سلوك منازل الابرار والوصول الى مقامات القرب ولا سيما اذا قارنه الكشف عن عيوب النفس وعلل الاعمال فانه يكرم به من كشف والكرامة المرتبة هى لزوم الاستقامة ودوام العبودية فهذا افضل كشف يعطاه العبد

افضل الكرامة

وهذه الكرامة يعلم بها الولى ورزقنا الله من فضله وبره واما استشهاده بقوله انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فهذه الاية يخبر فيها سبحانه عما اخلص له انبياءه ورسله من اختصاصهم بالاخرة وفيها قولان احدهما ان المعنى نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وايثارها والعمل لها والقول الثانى انا اخلصناهم

اخلصناهم

بافضل ما فى الدنيا لا الاخرة واختصيناهم به على العالمين فقوله وتوكلهم ورضاهم بتدبير الحق وتخليصهم من تدبيرهم وفراغ اهمهم بى اختيالها فى اصلاح شؤنهم بوقوفهم على فراغ المدبر منها ومرها على علمه بمصالحهم فيها وتفويضهم بذلك يأتيها النفس المطمئنة الاية تقدم الكلام على التوكل وبيان انه من مقامات العارفين والله لا انفكاك للمؤمن منه وذكر العلة فيه ماهى وقوله يوكلهم رضاهم بتدبير الحق الرضا بالتدبير غير التوكل وموجبه لا الله نفس التوكل فى المعنى وان يكشف امر ان التوكل مثل وقوعه والرضى به بعد وقوعه وس هنا قال بعضهم حقيقة التوكل الرضا لانه لما كان ثمرته وموجبه استدل به عليه استدلالا بالاثر على المؤثر وبالمعلول على العلة وهذا قال فى الحديث الذى رواه الامام احمد والنساى وغيرهما عن النبى انه قال فى دعائه اللهم انى اسالك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى اللهم انى اسالك خشيتك فى الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق فى الغضب والرضا واسالك القصد فى الفقر والغنا واسالك نعيما لا ينفد واسالك قرة عين لا تنقطع واسالك الرضا بعد القضا واسالك برد العيش بعد الموت الحديث وقد تقدم مقال واسالك الرضى بعد القضا واما التوكل فانما يكون قبله

وقوله

وقوله وتخليصهم من تدبيرهم هذا مقام كثيرا ما يشير اليه السالكون وهو ترك التدبير وينبغى ان لا يؤخذ على اطلاقه بل لا بد فيه من التفصيل يقال العبد دائر بين مامور بفعله ومحظور يتركه وقد يجرى عليه بلا ارادة منه ولا كسب كوضيفته فى المامور كمال التدبير والجد والتشمير وان يدبر الحيلة فى تنفيذ كل ما يمكنه فترك التدبير هنا تعطيل للامر بل يدبر فعله ناظرا الى تدبير الحق له وان تدبير اتم يتم بتدبير الله له فلا يكون هنا قدريا محضا سببيا ناظرا الى فعل جاحد التدبير الله وتقديره ومعونته ولا قدريا مجبرا والجمع مع القدر جاحد الفعل وتدبيره ومحل امر الله ونهيه فان فعله الاختيارى هو محل الامر والنهى فمن جحد فعل نفسه فقد عطل الامر والنهى وجحد محلهما ووضيفته فى الحظوظ الغاء ارادته وفعله فان عارضت اسباب الفعل قالوا واجب عليه الجد فى الهرب والتشمير فى الكف والبعد وهذا تدبير للنهى واما العذر الذى يبيح بغير ارادته فهذا الذى تحسن فيه استفاط التدبير حظه وضيره ورضاه بما قسم له من محبوب ومكروه فعلى هذا التفصيل ينبغى ان يوضع استفاط التدبير وجاء فى الحظوظ التى تسقط التدبير حظك وتكون قائما بالتدبير فى حق ربك وهكذا ينبغى ان يفرغ الهمة من احالتها فى العيلم به وقوله يوقفهم على فراغ اصلاح شانك فان اصلاح شانك تحصيل حظوظك التى تحسن فيه فراغ الهم وترك التدبير واما اصلاح شانك بادآ حق الله فالواجب شغل الهم واحالتها فى القيام به وقوله يوقفهم على فراغ المدبر منها ومرها على علمه بمصالحهم فيها فلا رب ان الله سبحانه قضى القضية وفرغ من تدبير امور الخلايق ولكن قدرها باسبابها المفضية اليها فلا يكون وقوف العبد على فراغه سبحانه من اقضيته فى خلقه وتدبيره مانعا له من قيامه بالاسباب التى جعلها طرقا لحصول ما قضاه وكذلك تباشر العبد الاسباب التى بها حفظ حيوته من الطعام والشراب واللباس والمسكن ولا يكون وقوفه مع فراغ المدبر منها مانعا له من تعاطيها وكذلك سائر الاسباب الموجبة لبقاء النوع من النكاح والتسرى ولا يكون وقوفه مع فراغ الله

من خلقه ما يفعله وهكذا جميع مصالح الدنيا والاخرة وان كانت مفروغا منها
قضاء وقدرا فهي منوطة باسبابها التي يتوقف حصولها عليها شرعا وخلقا
واما استدلاله بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك فالنفس المطمئنة
هي التي اطمأنت الى ربها وسكنت الى حبه واطمأنت بذكره وانقيدت بوعده و
رضيت بقضائه وهي ضد النفس الامارة بالسوء فلم تكن مطمئنة بمجرد
اسقاط تدبيرها بل بالقيام بحقه والطمأنينة بحبه وبذكره فتصل قال
وصبرهم صونهم قلوبهم عن خواطر السوء ان الله قضى قضاء عاريا عن المرافقه
خارجا عن الحيرة قال تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا قد تقدم الكلام في
الصبر واقسامه وبيان مرتبته من الايمان وما ذكره في تفسيره هاهنا غير
مطابق لمعناه وهو تفسير بعيد جدا فان الصبر من افعال القلوب وهو
حبس النفس وكفها عن التخبط واما صون القلب عن اعتقاد ما لا يليق بالله
فلا يقال له صبر بل هذا من لوازم الايمان وهو كاعتقاد انه سبحانه حكيم رحيم
عليم سميع بصير الى غير ذلك من صفات كماله فلا يقال الصبر صون القلب عن
اعتقاد اضدادها هذا بعيد جدا وتكلف زائد لتفسير الصبر وهل فهم احد
قط هذا المعنى من قوله يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا وقوله واصبر لحكم
ربك وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله فاصبر على ما يقولون واصبروا ان الله
مع الصابرين وسائر نصوص الصبر ومن العجب جعل الصبر الذي هو نصف الايمان
من منازل العوام وتفسيره بهذا التفسير مما يجب على كل مسلم ان ينزه الله سبحانه
عن ان يقضي قضاء منافيا لحكمته وعدله وفضله وبره واحسانه بل كل اقضيته
لا تخرج عن الحكمة والرحمة والعدل والمصلحة وان كان كثير من المتكلمين ينازع
هذا الاصل ويقول الذي ينزه الله عنه من الاقضيه هو المستحيل الممتنع واما الممكن
فلا يقبح منه شيء وهو لا معنى لصون القلب عن خواطر السوء المتعلقة بما يقضيه
الله عندهم لا صونها عن خواطر الممتنعات والمستحيلات فقط وبالجملة هذا
مقام اخر غير مقام الصبر بل هذا باب من ابواب المعرفة والعلم ولكل مقام مقال

واما

واما استشهاده بقوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فالبلاء الحسن هنا هو
النعمة بالظفر والغنيمة والنصر على الاعداء وليس من الابتلاء الذي هو الامتحان
بالمكروه بل من ابلاء بلاء حسنا اذا انعم اعليك يقال ابلاك الله ولا ابتلاك فابلاه
بالخير وابتلاه بالمكاره غالبا كما في الحديث اني مبتليك ومبلي بك فصل قال
وحزنهم يأسهم عن انفسهم الامارة بالسوء ان الانسان لربه لكنود وقد تقدم ايضا
الكلام على ما ذكره في الحزن واما تفسيره اياه بانه يأسهم عن انفسهم الامارة بالسوء
فليس بالبين فان الحزن هو الاسف على فوت محبوب او حصول مكروه وان تعلق
ذلك بالماضي كان حزنا وان تعلق بالمستقبل كان خوفا وهما واما اليأس عن النفس
الامارة بالسوء لاعن المطمئنة فان النفس المطمئنة لا تحزن وانما تحزن الامارة لفوات
محبوب لها وهذا ليس كما قال فان النفس المطمئنة تحزن على تقصيرها في اداء الحق وعلى
تضييعها الوقت وانشغالها عن الله عليه في الاحيان وهذا الحزن لا بد منه اذ التقصير
والتضييع لازم واما استشهاده بقوله ان الانسان لربه لكنود على ذلك فوجهه
ان الكنود هو الكفور وهو الذي ينكر المصايب وينسى النعم ولا ريب ان الحزن ينشأ عن
هذين ولا ريب ان الحزن الناشئ عن الكنود حزن ناشئ عن النفس الامارة بالسوء واما الحزن على
تقصيره وتضييع وقته فليس من هذا وقد تقدم ذلك وذكر اقسام الحزن ومتعلقاته والله اعلم
فصل قال وخوفهم هيبة الجلال اما خوف العذاب فان خوفهم مناضلة عن النفس وطن
بها وهيبة الجلال تعظيم الحق وتسيان النفس فالخائفون رهبتهم من توقع وقائع حق العوام خائفون
يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وقد تقدم ايضا الكلام على ما ذكره في الخوف وعلته وموجبه
وهيبة الجلال لا خوف العذاب تقدم بيان بطلانه وان الله سبحانه اثنى على خاصة
اوليائه من الملائكة والانبياء وغيرهم ممن عبدهم المشركون بانهم يبتغون الى ربهم
الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف يقال ان خوف
العذاب نقص ومناضلة عن النفس فسبحان الله هل يقال لمن خاف الله وخاف
عقوبته انه مناضل ربه ولو كان مناضلا لكان مناضلا لهواه ومناضلة العدو والهوى والشهوة
وهذه المناضلة من اعظم انواع العبودية فان من خاف شيئا ناضل عنه فجعل

مناضلة عن العذاب بواسبابه ومانع المناضلة والقاء باليد الى التهلكة و
لولاهذه المناضلة لحصل الاستسلام للعقوبة والمناضلة المحذورة المناضلة عن
محبوبات الرب واوامره وليس الظن بالنفس عن عذاب الله نقصا بل الكمال
والفوز والتعظيم والنعيم في ظن العبد بنفسه عن ان يسلمها لعذاب الله ومن لم يظن
بنفسه فليس فيه خير البتة والظن بالنفس اعا يذم اذا ظن بها عن المناضلة لحقوق
الرب واوامره واما اذا ظن بها عن عذابه فهل يكون هذا علة وهل العلة
كلها الا في عدم هذه المناضلة والظن قوله وهسه الجلال تعظم الحق وسبحان
النفس فتعدم الكلام في الهيبة والتعظيم وانهما غير الخوف والخشية والاستثناء
هذه الهيبة ايضا نسيان النفس ولا يكون شعور العبد بنفسه في هذا المقام
نقصا ولا علة كما تقدم بل هو اكمل لاستلزامه البقاء الذي هو اقوى واكمل من الفناء
واما قوله تخافون ربهم من فوقهم فخوفه عليه كما تقدم ولا يصح تفسير الخوف هنا
بالهيبة لوجهين احدهما انه خروج عن حقيقة اللفظ ووضعه الاصلي بلا موجب
الثاني ان هذا وصف للملائكة وقد وصفهم سبحانه بخوفه وخشيته فالخوف في
هذه الاية والخشية في قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون فوصفهم بالخشية والاشفاق ووصفهم بخوف العذاب في
قوله يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وهو خواص
خلقه فاياك ودعوات النفس وخداعاتها وجهالاتها ولا تكن ممن لا يقدر الله
حق قدره وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لو عذب اهل سمواته وارضه
لعذبهم وهو غير ظالم لهم فاذا علم العارف ان الله لو عذبه لم يظلمه فمن
احق بالخوف منه قوله وقال في حق العوام تخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار هذا من الشطحات القبيحة الباطلة فان هذا صفة خواص عباده وعا
رفيهم وهم الذين قال فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلوة وايتاء الزكوة تخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فضولا خواص الخلق

وهم

وهم اصحاب رسول الله ومن تبعهم باحسان افلا يستحي من جعل هذا الوصف للعوام ولا
ريب ان هذا مصادرة اما جعل مفروط واما تعليل لقائل لا يدري لازم قوله هذا ان
احسن الظن لقاياه وان كان مصدرا غير ذلك فادهى وامر ولولا ان هذه الكلمات
ونحوها امهاو معاطب في الطريق لكان الاعراض عنها الى ما هو اهم منها اولى والله
والله المستعان فصل قال ورجاهم ظاهم الى الثواب الذي هم فيه عزفي
وبه سكري الم تر الى ربك كيف مد الظل وهذا ايضا من ذلك الغلط ورجاء الانبياء و
والرسل من دونهم انما هو طمعهم في رحمته ومغفرته وانظر الى دعوى هؤلاء والى قول
امام الحنفا خليل الرحمن والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين كيف علق رجاه
وطمعه بمغفرة الله له قال تعالى عن خاصة خلقه واعلمهم به انهم يرجون رحمته ويخافون
عذابه ومن العجب استدلاله بقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل فما هذه الاية
ما للرجاء ولا سيما ما ذكره المصنف في تفسير رجاء اللقاء والاستشهاد بهذا
من جنس الالغاز ومعنى الاية التنبيه على هذه الدلالة الباهرة على قدرة
الرب سبحانه وعجائب مخلوقاته الدالة عليه والمعنى انظر كيف بسط ربك
الظل فالظل ما قبل الزوال والفيء بعده فمد سبحانه وبسط عند طلوع الشمس
فانه يكون مديدا اطول ما يكون وجعل الشمس دليلا عليه فانها التي تظهره
وتبسطه كلما ارتفعت الشمس شيئا انقبض من الظل جزءا فلا يزال ينقبض يسيرا
يسيرا حتى ينتهي الى غايته فاذا اخذت الشمس في الجانب الغربي انبسط بعد
الفياء شيئا فشيئا حتى يصير كهيئته عند طلوعها ولهذا كان الزوال تعرف به
نهاية الظل في قصره فاذا اخذ في الزيادة بعد تناهي قصره فقد تحقق الزوال
ولو شاء الله لجعله ساكنا دائما على حاله واحده فلا يتحرك بالزيادة والنقصان
فالظل احد الادلة الدالة على الخالق سبحانه واما دلالة هذه الاية على الرجاء فيحتاج الى
اشارة وتكلف غير مقصود بها وايات الرجاء في القرآن اكثر واظهر واصح من ان تحتاج الى
ظاهرة واستنباط فانظاهر كقوله من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقوله ويرجون رحمته
وقوله من كان يرجو لقاء الله والمستنبط كايات البشارة كلها كقوله وبشر المؤمنين

الألوكة
www.alukah.net

وبشر الصابرين فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات فصل قال وشكرهم سرورهم
بوجودهم واستبشارهم بلقائه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وهذا ايضا
من النمط المتقدم وشكر القوم هو علمهم بطاعة الله واستعانتهم بحبه على
محابه قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له اتفعل
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا فسمى
الاعمال شكرا واخبر ان شكره فيما يحبه محافظته عليها فحقيقة الشكر
هو الثناء على المنعم ومحبته والعمل بطاعته كما قال اذا قطع الثناء على ثلاثة عضدك؟
يدي ولساني والضمير المحجبا فاليد للطاعة واللسان للثناء والضمير للحب والتعظيم شرح افادتك
واما السرور به وان كان من اجل المقامات فان العبد اغا يسر بما هو احب الاشياء الثناء من ثلاثة
اليه وعلى قدر حبه له يكون سروره وهذا السرور ثمرة الشكر وموجبه وهو
الا انه نفس الشكر فكذلك الاستبشار والفرح بلقائه اغا هو ثمرة الشكر و
موجبه وهو كالرضا من التوكل وكالشوق من المحبة وكالانس من الذكر وكا
لخشية من العلم وكالطمانينة من اليقين فانها ثمرات لها واثار وموجبات
فعلى قدر شكره بعد بالاعمال الظاهرة والباطنة وتصحيح العبودية يكون
سروره واستبشاره بلقائه واما قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به فهذا اغا قاله للشاكرين الذين يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون فثمرة
صنعهم بعد ذلك بقيامهم باعمال الشكر فقال التائبون العابدون الحامدون
السايحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله فهؤلاء المستبشرون ببيعهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه فصل قال
ومحبتهم فناؤهم في محبة الحق فاذا بعد الحق الا الضلال وقد تقدم الكلام على هذا
بما يكفي وبينا ان البقاء في المحبة افضل واكمل من الفناء فيها من وجوه متعددة و
ان الفناء انما هو لضعف المحب عما حل واما الاقوياء فهم مع شدة محبتهم في مقام
البقاء والتمييز واما استدلاله بقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال فالاية

اما

انما سيقت في الانكار على من يعبد غير الله ويشرك به قال تعالى قل من يرزقكم من السماء
والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق
الا الضلال فاني تصرفون فمن عبد غير الله مما عبد الا الضلال المحض والباطل البحت
واما من عبد الله بامره وكان في مقام التمييز بين محابه ومساخطه مفرقا بينهما
محبا هذا وبغض هذا ناظرا بقلبه الى ربه عاكفا بجميع عليه منفذا لاوامره فهو
مع الحق المحض والله اعلم فصل قال وشوقهم هو لهم من رسمهم وسماتهم
استعجالا للوصول الى غاية المنا وعجلت اليك رب لترضى قد تقدم الكلام في الشوق
مستوفى وليس الهرب من الغير والضد هو الشوق بل هنا هرب منه ومهروب
اليه فالشوق هو سفر القلب نحو المحبوب وهذا لا يتم الا بالهرب من ضده فليس الشوق
هو نفس الهرب من الرسوم والسمات فصل قال فالارادة والزهد والتوكل
والصبر والحزن والخوف والرجاء والشكر والمحبة والشوق من منازل اهل الشرع السايرين
الى عين الحقيقة اصطحبت فيها احوال الشاهدين حتى يفنى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل
قلت الحقايق التي اشار اليها على لسان اهل السلوك ثلاثة حقيقة ايمانية بنوية وهي
حقيقة العبودية التي هي كمال الحب وكمال الذل وسير اهل الاستقامة انما هو الى
هذه الحقيقة ومنازل السير التي ينزلون فيها هي منازل الايمان الموصلة اليها والمخ
لا يرضون بهذه الحقيقة ولا يقفون معها ويرونها منزلة من منازل العامة
الحقيقة الثانية حقيقة كونية قدرية يشاهدون فيها انفراد الرب سبحانه با
لتكوين والايجاد على حده وان العالم كانوا كالموات يقلبه ويصرفه كيف شاء
وهم يعطون هذا المشهد ويرون الفناء فيه غاية ما بعدها شيء وهذا من اغلاطهم
في المعرفة والسلوك فان هذا المشهد لا يدخل صاحبه في الايمان فضلا عن ان
يكون افضل مشاهد اولياء الله المقربين فان عباد الاصنام شهدوا هذا
المشهد ولم ينفعهم وحقيقة قال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون

فون

سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل فانى تسحرون وقال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وهذا كثير فى القرآن فالفنا
فى هذا المشهد لا يدخل العبد فى دايرة الاسلام فكيف نجعل هو الحقيقة التى ينتهى اليها سير
السالكين ونجعل حقيقة الايمان ودعوة الرسل منزله من المنازل العامة وهل هذا الا غاية
الانحراف والبعد عن الصراط المستقيم وقلة التحقيق وكم قد هلك فى هذه الحقيقة من
امم لا يحصيهم الا الله وكم عطل لاجلها من واقعون معها من الشرايع وحرموا من
المنازل ومانجى من معاطبها الا من تمسك بالعقايد الربانية وكذا فقد تبصر من هذه
الحقيقة الى الحقيقة الايمانية النبوية حقيقة رسل الله وانبيايه والتابعين وذلك فضل
الله يوتيه من يشاء والحقيقة الثالثة حقيقة الحاديه بل وحدايه لا يفرق فيها بين الرب
والعبد ولا بين القديم والحدث ولا بين صانع ومصنوع بل الامر كله واحد والامر الخلق
هو عين الامر الخالق وهذه الحقيقة التى يشير الى عينها طايفة الاتحاديه ويعبرون
من لم يكن من اهلها محجوبا وهذه حقيقة كفر بداتحاديه وهى مع ذلك خال فاسد
وعقل منكوس وذوق من عين متنه وكفرها اعظم من كفر امم كل امة بايعة
عجلوا الصانع حقا وان اتخذوه جعلوا وجوده وجود كل موجود والذين اتخذوا
الصانع وعبدوا ابدا غيره وسووا بينه وبين غيره فى العبادة مقالتهم خير من مقالة
هولاء الذين جعلوه وجود كل موجود وعين كل شئ تعالى الله عما يقول الكاذبون
المفترون علوا كبيرا فعليك بالفرق بين السايرين الى هذه الحقيقة والسايرين الى
عين الحقيقة الكونية الحكمية والسايرين الى عين الحقيقة المحمدية الابراهيمية الحقيقة
التى هى حقيقة جميع الانبيا والمرسلين وفيها تفاوتت مراتب السالكين ومنازلهم من
القرب من رب العالمين قال شيخ هذه الحقيقة لما تحققت فنا تلك الرسوم وافولها
الى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وهذا التوجه يقتضى
محبته دون غيره وعبادته وطاعته دون غيره فهذه هى الحقيقة حقا وما سواها باطل

هو ابراهيم عليه السلام

حقيقة

حقيقة قال تعالى لاكرم خلقه عليه ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا مسلما
وما كان من المشركين فسمى الله العظيم ان يجب لنا هذه الحقيقة ويثبتنا عليها
ويعيذنا مما سواها انه قريب مجيب بعيد وكريم والله اعلم وصل فى مراتب
المكلفين فى الدار الاخرة وطبقاتهم فيها وهم ثمان عشرة طبقة الطبقة الاولى
وهى العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة فاكرم الخلق على الله واخصهم بالزلفى لديه
رسله وهم المصطفون من عباده الذين سلم عليهم فى العالمين وقال سلام على
ابراهيم كذلك نجزى المحسنين سلام على الياسين وقال قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى وكلمة السلام هنا تحتمل ان تكون داخلة فى حيز القول فتكون معطوفة
على الجملة الخبرية وهى الحمد لله ويكون الامر بالقول متناولا للجملتين معا وعلى هذا فتكون
الوقف على الجملة الاخيرة ويكون محل الامر النصب محكية بالقول ويحتمل ان تكون
جملة مستانفة مستقلة معطوفة على جملة الطلب وعلى هذا فلا محل لها من الاعراب و
هذا التقدير ارجح وعليه يكون السلام من الله عليهم وهو المطابق لما تقدم من سلام
سبحانه على رسله صلى الله عليهم وسلم وعلى التقدير الاول يكون امر بالسلام عليهم
ولكن يقال على هذا كيف يعطف الخبر على الطلب مع تنافى مايبنهما فالجواب ان
يقول قم وذهب زيد ولا اخرج وقعد عمرو ونحو ذلك وقد اجاب عن هذا بان جملة الطلب قد
حكيت بجملة خبرية ومثل هذا لا يمنع العطف فيه بالخبر على الجملة الطلبية لعدم تنافى
الكلام فيه وتباينه ونظير هذا قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات
والنذر عن قوم لا يومنون فقوله وما تغنى الآيات ليس معطوفا على الحكى بالقول
وهو انظروا بل معطوف على الجملة الامر على ان عطف الخبر على الطلب كثير كقوله
تعالى قل ربى احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون وقوله قل ربى اعلم وارحم
وانت خير الراحمين والمقصود انه على هذا القول يكون الله سبحانه قد سلم على المصطفين
من عباده والرسل افضلهم وقد اخبر سبحانه انه اختصهم بخالص ذكرى الدار
وانهم عنده من المصطفين الاخيار ويكفى فى فضلهم وشرفهم ان الله سبحانه اختصهم
بوحيه وجعلهم امناء على رسالته ووسايط بينه وبين عباده وخصهم بانواع
كرامته فعصمهم من الخطاء خطيلا وسلمهم من كل نقص اوعيب او منع من رفعة

على سائر الانبياء درجات ولم تجعل لعباده وصولا اليه الا من طريقهم ولا دخولا
الى جنته الا خلفهم ولم يكرم احدا منهم بكرامته الا على ايديهم فهم اوجب الخلق اليه
وسيلة وارفعهم عنده درجة واجلهم اليه واكرمهم عليه وبالجملة فخير الدنيا
والاخرة انما ناله العباد على ايديهم وبهم عرف الله وبهم عبد واطيع وبهم
حصلت مجامع الله تعالى في الارض واعلاهم منزلة اولوا العزم منهم المذكورون
في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا وما وصينا
به ابراهيم وموسى وعيسى وفي قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و
منك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهؤلاء هم الطبقة العليا
من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها الى غاتهم وافضلهم الطبقة
الثانية من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيل بعضهم على بعض
الطبقة الثالثة الانبياء الذين لم يرسلوا الى امم وانما كانت لهم النبوة دون
الرسالة واختصوا عن الامة بما اوحى الله اليهم وارسال ملائكته اليهم واختصت
الرسل عنهم بارسالهم الى الامة يدعونهم الى الله بشريعته وامره واشتركوا
في الوحي ونزول الملائكة عليهم الطبقة الرابعة ورثة الرسل وخلفاؤهم
في امتهم وهم القائمون بما بعثوا به علما وعملا ودعوة الخلق الى الله على
طريقهم ومنهاجهم وهذه افضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة وهي
مرتبة الصديقية ولهذا قرنهم الله في كتابه بالانبياء فقال ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين وا
الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فجعل درجة الصديقية معطوفا
على درجة النبوة وهؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون في العلم وهم الوسايط بين
الرسول وامتهم فهم خلفاؤه واوليائه وحزبه وخاصته وحملة دينه وهم
المضمون لهم انهم لا يزالوا ان على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم بل
حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وقال الله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وقيل ان الوقف على قوله

هم

هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وقد قيل ان الوقف
على قوله هم الصديقون ثم يبتدئ والشهداء عند ربهم فيكون الكلام جملتين
اخبر في احداهما عن المؤمنين بالله ورسله انهم هم الصديقون والايمان
التام يستلزم العلم والعمل والدعوة الى الله بالتعليم والصبر عليه واخبر في الثانية
ان الشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء
ولهذا قدمهم عليهم في الاية هنا وفي سورة النساء وهكذا جاء ذكرهم مقدما على
الشهداء في كلام النبي في قوله اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيد ولهذا كان
لعمر الصديقية وصفا لافضل الخلق بعد الانبياء وللرسل وهو ابو بكر الصديق
ولو كان بعد النبوة درجة افضل من الصديقية لكملت بها تعالى رضي الله عنه وقيل
ان الكلام كله جملة واحدة واخبر عن المؤمنين بانهم هم الصديقون والشهداء عند
ربهم وعلى هذا فالشهداء هم الذين يستشهدهم الله على الناس يوم القيمة وهو قوله
لتكونوا شهداء على الناس وهم المؤمنون فوصفهم بانهم صديقون في الدنيا
شهداء على الناس يوم القيمة ويكون الشهداء وصفا لجملة المؤمنين الصديقين
وقيل الشهداء هم الذين قتلوا في سبيل الله وعلى هذا القول يترجح ان يكون
الكلام جملتين ويكون قوله والشهداء مبتدا خبره ما بعده لانه ليس كل
مؤمن صديق شهيدا في سبيل الله ويرجح ايضا انه لو كان الشهداء داخلا في جملة
الخبر لكان قوله لهم اجرهم عند ربهم داخلا ايضا في جملة الخبر عنهم ويكون قد اخبر
عنهم بثلاثة اشياء احدها انهم هم الصديقون والثاني انهم هم الشهداء و
الثالث ان لهم اجرهم ونورهم وذلك يتضمن عطف الخبر الثاني على الاول ثم
ذكر الخبر الثالث مجردا عن العطف وهذا كما يقول زيد كريم وعالم له مال والاحسن
في هذا مناسب الاخبار بان تجردها كلها من العطف او تعطفها جميعا
فتقول زيد كريم عالم له مال او كريم وعالم وله مال فتامله وترجح ايضا ان
الكلام يصير جملا مستقلة فتذكر فيها اصناف خلقة السعداء وهم الصديقون
والشهداء والصالحون وهم المذكورون في الاية وهم المتصدقون الذين اقرضوا

اثر رضوا الله فرضا حسنا فهؤلاء ثلاث اصناف ثم ذكر الرسل في قوله لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات فيتناول ذلك الاصناف الاربعة المذكورة في سورة النساء
فهؤلاء هم السعداء ثم ذكر الاشقياء وهم نوعان كفار ومنافقون فقال والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم وذكر المنافقين في قوله يوم يقول
المنافقون والمنافقات الذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم فهؤلاء اصناف
العالم كلهم وترك سبحانه ذكر المخلط صاحب الشايبتين على طريق القرآن
في ذكر السعداء والاشقياء دون المخلطين غالبا لسر اقتضته حكمته فليحذر صاحب
التخليط فانه لا ضمان له على الله ولا هو من اهل وعده المطلق ولا يايئس من روح
الله فانه ليس من الكفار الذين قطع لهم بالعذاب ولكنه بين الجنة والنار واقف
بين الوعد والوعيد كل منهما يدعوه الى موجبه الا ان الذي يسبق به هذا هو الذي
لحظه القايلون بالمنزلة بين المنزلتين ولكن غلطوا في تخليده في النار ولو نزلوه
منزلة بين المنزلتين ووكلوه الى المشيئة وقالوا انه يخرج من النار بتوحيده و
ايمانه لاصابوا ولكن منزلة بين منزلتين وصاحبها مخلد في النار مما لا يقتضيه
عقل ولا سمع بل النصوص الصريحة المعلومة الصحة تشهد ببطلان قولهم والله اعلم
وايضا فصاحب الشايبتين يعلم حكمه من نصوص الوعد والوعيد فان الله سبحانه
رتب على كل جزء في الخير والشر ما ذا الى العبد بها كان فيه سبب الجزاء والله
لا يضيع مثقال ذرة فان كان على الشر ما يوجب سقوط اثر الحسنة كالكفر كان
الحابط له وان لم يسقطه كالمعصية ترتب في حقه الاثر ان ما لم يسقط احدهما
بسبب من الاسباب التي نذكرها ان شاء الله فيما بعد والمقصود ان درجة الصدق
بتقيده والوفاء بعقده وخلافة الرسالة هي افضل درجات الامة
ولو لم يكن من فضلها وشرفها الا ان كل من علم متعلمهم وارشادهم او علم
غيره شيئا من ذلك كان لهم مثل اجره ما دام ذلك جاريا في الامة على اياد
الدهور وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي بن ابي طالب والله
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وصح عنه صلى الله عليه وسلم

الله

انه قال من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كان له مثل اجر من عمل بها لا ينقص من
اجورهم شيا وصح عنه ايضا انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة
جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وصح عنه انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين وفي السنن عنه انه قال ان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان
في البحر وعنه انه قال ان الله وملايكته يصلون على معلم الناس الخير وعنه انه قال ان
العلماء ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ
بحظ عظيم وافر وعنه العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير في ساير الناس بعدهم وعنه
انه قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها واداها الى من سمعها والاحاديث في
هذا كثيرة وقد ذكرنا ما فيها دليل على فضل العلم واهله في كتاب مفرد فيما لها من مرتبة
ما اعلاها ومنقبة ما احلاها واسناها ان يكون المرء في حيوته مشغولا ببعض
اشغاله او في قبره فقد صار مثلا مثمرة واوصالا مثمرة وصحف حسناته
منزايد بما يجد فيها من الحسنات كل حين ووقت واعمال الخير معداة اليه من حيث
لا يحتسب تلك والله المكارم والغنايم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعليه
يحسد الحاسدون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وحقيق بمن تنبه هذا شأنها ان تنفق نفايس الانفاس الانفاس عليها
ويسبق السابقون اليها ويوفوا عليها الاوقات ويتوجه نحوها الطلبات
فنسال الله الذي بيده مفاتيح كل خير ان يفتح علينا خزاين رحمته ويجعلنا
من اهل هذه الصفة عنه وكرمه واصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في
ملكوت السماء كما قال بعض السلف من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء وهؤلاء هم العدول حقا بتعديل رسول الله لهم اذ يقول فيما يروي
عنه من وجوه شتى بعضها بعضا يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون
عنه طريق الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وما احسن ما قال
فيهم الامام احمد في خطبة كتابه في الرد على الجهمية الحمد لله الذي جعل في كل
زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون

منهم على الاذى ويبصرون بنور الله اهل العمى فكم من قتيل لابليس قد احيوه ومن ضال
جاهل قد هدوه فما احسن اثرهم على الناس واقبح اثر الناس عليهم ينفون عن كتاب
الله تاويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وقد عرفن وصاح هذا الكلام
عن عمر ابن الخطاب الطبقة الخامسة اعنه العدل وولاته الذين تامن بهم السبل وتستقيم
بهم العالم ويستنصر بهم الضعيف ويذل بهم الظالم ويامن بهم الخايف وتقام بهم الحدود
ويدفع بهم الفساد ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقام بهم حكم الكتاب والسنه
وتطفى بهم نيران البدع والضلالة وهولاء هم الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن
عز وجل يوم القيمه فيجلسون عليها والولاة الظلمة صفوهم حر الشمس وقد بلغ منهم العرق
مبلغه وهم يحملون اثقال مظالمهم العظيمه على ظهورهم الضعيفه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنه تحريري سبيل احدهم اما الى الجنه واما الى النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون
عند الله على منابر من نور يوم القيمه عن يمين الرحمن تبارك وتعالى وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون في حكمهم واهلهم وما ولوا وعنه صلى الله عليه وسلم ان احب الخلق الى الله
واقربهم منزله منه يوم القيمه امام عادل وان ابغض الخلق الى الله وابعدهم منه منزله
يوم القيمه امام جاير او كما قال وهم احد السبعه الاصناف الذين يظلهم الله في ظل
عرشه يوم لا ظل الا ظله كما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا كما في ظل عرش الرحمن يوم
القيمه ظلا بظل حرا وغاقا ولو لم يكن من فضلهم وشرفهم الا ان اهل السموات والارض
والطير في الهوى يصلون عليهم ويستغفرون لهم ويلاعون لهم وولاة الظلم يلعنهم
من بين السموات والارض حتى الدواب والطير كما ان معلم الناس الخير يصلي عليه
الله وملايكته وكاتم العلم والهدى الذي انزله الله وحامل اهله على كتمانه يلعنه الله
وملايكته ويلعنه اللاعنون فيا لها من منقبه ومرتبه ما اجلها واشرفها ان يكون
الوالي والامام على فراشه وغيره يعمل بالخير ويكتب الحسنات في صحايفه وهي متزايده
ما دام يعمل بعدله ولساعه واحد منه خير من عباده اعوام من غيره فاين هذا
من صفه الغاش لرعيته الظالم لهم قد حرم الله عليه الجنه واوجب له النار ويكفي
في فضله وشرفه ان يكفي عن الله دعوة المظلوم كما في الاثار ايها الملك

المسلط المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لتكف
عني دعوة المظلوم كما في الاثار ايها الملك المسلط المغرور اني لم ابعثك لتجمع
الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لتكف عني دعوة المظلوم فانها الجحها
ولو كانت من كافر فاين من هو نايم واعين العباد ساهره تدعو الله له او
اخر اعينهم ساهره تدعو عليه الطبقه السادسه المجاهدون في سبيل الله وهم
جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم باس اعدايه ويحفظ بهم منصه الاسلام
ويحمي بهم حوزه الدين وهم الذين يقاتلون اعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون
كلمه الله هي العليا قد بذلوا انفسهم في محبه الله ونصر دينه واعلاء كلمته ودفع اعدايه
وهم شركا لكل من يحمونه بسيوفهم في اعمالهم التي يعملونها وان بيات دارهم
ولهم مثل اجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فانهم كانوا هم السبب فيه و
الشارع قد نزل المتسبب منزله الفاعل التام في الاجر والوزر ولهذا كان الداعي
الى الهدى والداعي الى الضلال لكل منهما بتسببه مثل اجر من تبعه وقد تظاهرت
ايات الكتاب وتواترت نصوص السنه على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح
اهله والاخبار عن مالهم عند ربهم من انواع الكرامات والعطايا الجزيلات وبكفي
ذلك قوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجاره تنجيكم من عذاب اليم فتشوقت
النفوس الى هذه التجاره الرابحه التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم
فقال تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فلما اشتاقت
النفوس ظنت نحبوها وبقايها فقال ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعني ان
الجهاد خير لكم من قعودكم للجبوه والسلام فكانها قالت فما لنا في الجهاد من الحظ
فقال يغفر لكم ذنوبكم ومع المغفره يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبه في جنات عدن ذلك الفوز العظيم فكانها قالت هذا في الاخره فما لنا في الدنيا فقال
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين فلله ما احلى هذه الالفاظ
وما اصدعها بالقلوب وما اعظمها جذبا لها وتسييرا الى ربها وما الطفها موقعا
من قلب كل محب وما اغظم غنى القلب واطيب عيشه حين يباشره معانيها فسال
الله من فضله انه جواد كريم ومن هذا قوله احلم سقايه الحاج وعماره المسجد

طباع
هذا م

الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند
الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم
مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم فاخبر سبحانه انه لا يستوي عنده عمار
المسجد الحرام وهم عماره بالاعتكاف والطواف والصلوة هذه هي عماره مساجده
المذكوره في القرآن واهل سقايه الحاج لا يستوون هم واهل الجهاد في سبيل الله و
اخبران للمؤمنين المجاهدين اعظم درجه عنده وانهم هم الفائزون وانهم اهل البشاره
بالرحمة والرضوان والجنات فنفى التسويه بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام بانواع
العباده مع ثنائه على عماره بقوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
فهؤلاء هم عمار المساجد ومع هذا فاهل الجهاد ارفع درجة عند الله منهم وقال
تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجه وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفره وكان الله غفورا رحيما فنفى سبحانه التسويه بين الموصيين
القاعدين عن الجهاد وبين المجاهدين ثم اخبر تفضيلا عن تفضيل المجاهدين
على القاعدين درجه ثم اخبر عن تفضيلهم عليهم درجات وقد اشكل جمع هذه
الآيه على طائفه من الناس من جهة ان القاعدين الذين فضل عليهم المجاهدون
بدرجه ان كانوا هم اولي الضرر فيكون المجاهدون افضل من القاعدين مطلقا
وعلى هذا فما وجه استثنا اولي الضرر من القاعدين وهم لا يستوون والمجاهدون
اصلا فيكون حكم المستثنى والمستثنى منه واحدا فهذا وجه الاشكال ونحن
نذكر ما قاله هؤلاء في الآيه ثم نذكر ما نزيل الاشكال بحمد الله فاختلف القراء
في اعراب غير فقرأ نافع وابن عامر وحفص وابو بكر عن عاصم بالنصب وقرأ
الباقون بالجر فمن نصب فعلى الاستثنا لان غيرا يعرب

في الاستثنا اعراب الاسم الواقع بعد الا وهو النصب هنا هذا هو الصحيح وقال
طايفه اعرابها نصب على الحال اي لا يستوي القاعدون غير مضرورين والا لا
يستوون في حال صحتهم هم والمجاهدون والاستثنا صحيح فان غيرا لا تفاد تنكيرا حالا في
كلامهم الا مضافه الى نكره كقوله فمن اضطر غير باغ وقوله احلت لكم بهيمه الا
نعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وقوله صلى الله عليه وسلم مرحبا بالوفد غير خزايا
ولا ندمى فان اضيفت الى معرفه كانت تابعه لما قبلها كقوله تعالى صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولو قلت مرحبا بالوفد غير الخزايا والا ندامى
لجررت غيرا هذا هو المعروف من كلامهم والكلام في عدم تعرف غير بالاضافه
وحسن وقوعها اذ ذاك حالا لا مقام اخر واما الرفع فعلى النعت للقاعدين
هذا هو الصحيح وقال ابو اسحق وغيره هو خبر مبتدا محذوف تقديره الذين هم
غير اولي الضرر والذي حمله على هذا ظنه ان غيرا لا يقبل التعريف بالا
ضافه فلا تجري صفه للمعرفه وليس مع من ادعى ذلك حجه يعتمد عليها سوى
قولهم ان غيرا توغلت في الابهام فلا تتعرف بما يضاف اليه وجواب هذا
انها اذا دخلت بين متقابلين لم يبق فيها ابهام لتعيينها ما يضاف
اليه واما قراءة الجر ففيها وجهان ايضا احدهما وهو الصحيح انها نعت للمو
منين والثاني وهو قول المبرد انها بدل منه بنا على انه نكره فلا ينعت به
المعرفه وعلى الاقوال كلها فمفهوم معنى الاستثنا وان نفي التسويه غير مسلط
على ما اضيف اليه غير وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين درجه هو
مبين لمعنى نفي المساواه قالوا والمعنى فضل الله المجاهدين على القاعدين من اولي
الضرر درجه واحده لامتيازه عنه بالجهاد بنفسه وماله ثم اخبر سبحانه ان
الفريقين كليهما موعود بالحسنى فقال وكلا وعد الله الحسنى اي المجاهد
والقاعد المضرور لا شتراكهما في الايمان قالوا وفي هذا دليل على تفضيل الغني
المنفق على الفقير لان الله اخبر ان المجاهد بماله ونفسه افضل من القاعد وقدم
الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس واما الفقير فنفى عنه الحرج بقوله ولا على الذين اذا ما

الكلام على

اولى الضرر لا القاعدين الذين هم اولو الضرر فانهم لم يذكرهم في الاية بل
استثناهم وبين ان التفضيل على غيرهم فاللام في القاعدين للعهد والمعهود
غير اولى الضرر لا المضرورون وايضا فالقاعد من المجاهدين لضرورة تمنعه
من الجهاد له مثل اجر المجاهد كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مرض
العبد او سافر كتب له من العمل ما كان يعمل صحيحا مقيما وقال ان بالمدينة اقواما ما
سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا وهم معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة
حبسهم العذر وعلى هذا فالصواب ان يقال الاية دلت على ان القاعدين
بغير اولى الضرر عن الجهاد لا يستوون هم والمجاهدون وسكت عن حكمهم بطريق
منطوق او لا بل هو معهم على مساواتهم المجاهدين بل هذا النوع منقسم الى معذور
من اهل الجهاد عليه عذره واقعد عنه ونيته جازمة لم تتخلف عنها مقدور بها انما
اقعده العجز فهذا الذي تقتضيه ادلة الشرع ان له مثل اجر المجاهد وهذا تمام لا يتنا ولة
الحكم بنفي التسوية وهذا لان قاعدة الشريعة ان العزم التام اذا اقترن به ما يعسر
من الفعول او مقدمات الفعل نزل صاحبه منزلة الفاعل التام في الثواب والعقاب كما
دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قالوا هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وفي الترمذي وسنن
الامام احمد حديث ابي كبشة الانماري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الدنيا لاربعة
نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي في ماله ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه
حقا فهذا باحسن المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو ان
لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته وهما في الاجر سواء وعبد رزقه الله مالا
ولم يرزقه علما فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا
باخبث المنازل عند الله وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت
بعمل فلان فهو بنيته وهما في الوزر سواء فاخبر صلى الله عليه وسلم ان وزر الفاعل
والناوي الذي ليس مقدورة الا بقوله دون فعله سواء لان الذي بالنيه ومقدوره

للمسلمان

افوك لتحملهم قلت لا اجد ما احمله عليه فان مقام من حكم له بالتفضيل الى مقام من
نفي عنه الحرج قالوا فهذا حكم القاعد من اولى الضرر والمجاهد واما القاعد من
غير اولى الضرر فقال تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقوله درجات قيل هو نصب على البدل
من قوله اجرا عظيما وقيل تاكيد له وان كان بغير لفظه لانه هو في المعنى قال قتادة
كان يقال الاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في
الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات التي فضل الله بها المجاهد على القاعد سبع وهي
التي ذكرها الله تعالى في براءة اذ يقول تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به
عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين فهذه خمس ثم قال ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح فهاتان اثنتان وقيل الدرجات
سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة و
الصحيح ان الدرجات هي المذكورة في حديث ابي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة وصام رمضان
فان حقا على الله ان يدخل الجنة هاجر في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها
قالوا يا رسول الله افلا نخبر الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله
للمجاهدين في سبيله كل درجتين كما بين السما والارض فاذا سالتم الله فاسالوه
الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة
قالوا وجعل سبحانه التفضيل الاول بدرجة فقط وجعله هاهنا بدرجات
ومغفرة ورحمة وهذا يدل على انه يفضل على غير اولى الضرر فهذا [illegible]
هذا القول وايضا حه ولكن سبق لنا ان يقال اذا كان المجاهدون افضل من
القاعدين مطلقا لزم ان لا يستوي مجاهد وقاعد مطلقا فلا بقي في تقييد بكونهم
من غير اولى الضرر فائدة فانه لا يستوي المجاهدون والقاعدون من اولى الضرر
ايضا وايضا فان القاعدين المذكورين في الاية الذين وقع التفضيل عليهم هم

القاعدة

غير

الألوكة
www.alukah.net

التام وكذلك اجر الغاعل والناوى الذى اقترن قوله بنيته وكذلك المقتول الذى اقترن
قوله بنيته وكذلك المقتول الذى سل السيف واراد به قتل اخيه المسلم فقتل نزل
منزله القاتل لنيته التامه التى اقترن بها مقدورها من السعى والحركة ومثل
هذا قوله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل اجر من عمله فاعله فانه بدلالته
ونيته نزل منزله الفاعل ومثله من دعى الى هدى فله مثل اجور من اتبعه ومن دعى
الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل اثام من اتبعه لاجل نيته واقترن معذورها
بها من الدعوة ومثله اذا جاء المصلى الى المسجد ليصلى جماعة فادركهم وقد صلوا
فصلى وحده كتب له مثل اجر صلاة الجماعة بنيته وسعيه كما ورد به صحيح
فى حديث مروى ومثل هذا من كان له ورد يصليه من الليل فنام ومن نيته ان
يقوم اليه فقلبته عينه نوم كتب له اجر ورده وكان نومه عليه صدقة ومثله المريض
والمسافر اذا كان له عمل يعمله فشغل عنه بالمرض والسفر كتب له مثل عمله وهو صحيح
مقيم ومثله من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله بسخاوته منازل الشهداء ولو
مات على فراشه وتظاهر ذلك كثير والقسم الثانى معذور ليس من نيته الجهاد و
لا هو عازم عليه عزما تاما فهذا لا يستوى هو والمجاهد فى سبيل الله بل قد فضل
الله المجاهدين عليه وان كان معذورا لانه لا نيته له تلحقه بالقاعد التام كنيته
اصحاب القسم الاول وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث عثمان ابن مظعون
ان الله قد اوقع اجره على قدر نيته فلما كان القسم المعذور فيه هذا التفصيل
لم يجز ان يساوى بالمجاهد مطلقا ولا ينفى عنه المساواة مطلقا ودلالة المفهوم
لا عموم لها فان العموم انما هو من احكام الصيغ العامة وعوارض الالفاظ و
الدليل الموجب للقول بالمفهوم لا يدل على ان له عموما يجب اعتباره فان ادلة
المفهوم ترجع الى شيئين احدهما التخصيص والاخر التعليل فاما التخصيص
فهو ان تخصص الحكم بالمذكور تقتضى نفى الحكم عما عداه والا بطلت فاية التخصيص
وهذا لا يقتضى العموم وسلب حكم المنطوق عن جميع صور المفهوم لان فاية التخصيص

قد تحصل بانقسام صور المفهوم الى ما يسلب الحكم عن بعضها ويثبت لبعضها ثبوت تفصيل
فيه فيثبت له حكم المنطوق على وجه دون وجه اما بشرط لاجب مراعاته فى المنطوق و
اما فى وقت دون وقت بخلاف حكم المنطوق فانه ثابت ابدا ونحو ذلك من فوايد التخصيص
واذا كانت فايدة التخصيص حاصلة بالتفصيل والانقسام فدعوى لزوم العموم
من التخصيص دعوى باطلة فانها مجرد التحكم واما التعليل فانهم قالوا ترتيب
الحكم على هذا الوصف المناسب لم يقتض نفى الحكم عما عداه والا لم يكن الوصف علة
كما ورد علة وهذا ايضا لا يستلزم عموم النفى عن كل ما عداه وانما غايته اقتضاؤه
نفى الحكم المرتب على ذلك الوصف عن الصور المنفى عنها بالوصف وانما نفى الحكم حمله
فلا يجوز تعليله بوصف اخر وعلة اخرى فان الحكم الواحد بالنوع يجوز تعليله
بعلل مختلفة وفى الواحد بالعين كلام ليس هذا موضعه ومثال هذا ما نحن فيه
فان قوله لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون لا يدل
على مساواة الضرورين المجاهدين مطلقا من حيث الضرورة بل ان ثبتت المساواة
فانما تعلل بوصف اخر وهى النية الجازمة والعزم التام والضرر المانع من الجهاد فى تلك
الحال لا يكون مانعا من المساواة فى الاجر والله اعلم والمقصود الكلام على طبقات الناس
فى الاخرة واما النصوص والادلة الدالة على فضل الجهاد واهله فاكثر من ان تذكر هنا
ولعلها ان تفرد فى كتاب على هذا النمط انشاء الله تعالى فهذه الدرجات الثلاث هى درجات
السبق اعنى درجة العلم والعمل والجهاد وبها سبق الصحابة وادركوا من قبلهم وفاتوا
من بعدهم واستولوا على الامد البعيد وحازوا قصبات العلى وهم كانوا السبب فى
وصول الاسلام الينا وفى تعليم كل خير وهدى وسبب ينال به السعادة والنجاة وهم اعدل
الامة فضلا ولو راعظمها جهادا فى سبيل الله والانة فى اثار علمهم وعدلهم وجهادهم الى يوم
القيمة فلا ينال احد منهم مثقال ذرة من علم نافع الا على ايديهم ومن طريقهم ينالها ولا سكن تقعد من
الارض امنا الا بسبب جهادهم وفتوحهم ولا تحكم امام ولا حاكم بعدل وهدى الا كانوا هم
السبب فى وصوله اليه فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف والقلوب بالايمان وعمروا البلاد بالعدل
والقلوب بالعلم والهدى فلهم من الاجر بقدر اجور الامة الى يوم القيمة مضافا الى اجر اعمالهم

الى اختصوا بها فسبحان من يختص بفضله من يشاء ورحمته من يشاء واما نالوا هذا بالعلم والجهاد
والحكم بالعدل وهذه مراتب السبق التي يهبها الله لمن يشاء من عباده الطبقة السابعة
اهل الايثار والصدقة والاحسان الى الناس باموالهم على اختلاف حاجاتهم ومصالحهم من
تفريج كرباتهم ودفع ضروراتهم وكفايتهم في حمايتهم وهم احد الصنفين الذين قال
النبي فيهم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه
الله وسلطه على هلكته في الحق يعني انه لا ينبغي لاحد ان يغبط احدا على نعمه وتمنى مثلها الا
احد هذين وذلك لما فيها من منافع النفع العام والاحسان المتعدي الى الخلق فهذا ينفعهم
بعلمه وهذا ينفعهم بماله والخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله ولا ريب ان هذين
الصنفين من انفع الناس لعيال الله ولا يفوق امر الناس الا هذين الصنفين ولا يعرف العالم الا
بما قال تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم وقال
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه
ترجعون وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ولهم اجر كريم فصدر الكلام
الآية بالطف انواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب وهو ابلغ في الطلب من
صيغة الامر والمعنى هل احد يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه اضعافا مضاعفة وسمى ذلك
الانفاق قرضا حسنا حثا للنفوس وبعثا لها على البذل لان الباذل متى علم ان عين ماله
يعود اليه ولا بد طوعت له نفسه بذله وسهل عليه اخراجه فان علم ان المستقرض ملي وفي
محسن كان ابلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه فان علم ان المستقرض يتجر له بما اقترضه و
ينميه له ويثمره حتى يصير اضعافا مضاعفة ما بذله كان بالقرض اسمح واسمح فان علم انه مع ذلك
كله يزيده من فضله وعطائه اجرا آخر بغير جنس القرض فان ذلك الاجر حظ عظيم
وعطاء كريم فانه لا يتخلف عن قرضه الا لآفة في نفسه من البخل والشح او عدم الثقة بالضمان
وذلك من ضعف ايمانه ولهذا كانت الصدقة برهانا لصاحبها وهذه الامور كلها

تحت هذه الالفاظ التي تضمنتها الآية فانه سماه قرضا واخبر انه هو المقترض لا المقرض حاجة
ولكن قرض احسان الى المقرض واستدعاء لمعاملته وليعرف مقدار الربح فهو الذي اعطاه
ماله واستدعى منه معاملة به ثم اخبر عما يرجع اليه بالقرض وهو الاضعاف المضاعفة
ثم اخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الاجر الكريم وحيث جاء هذا الاقراض في
القرآن قيد بكونه حسنا وذكر في حسنه امور ثلاثة احدها ان يكون من طيب ماله لا من رديه
وخبيثه الثاني ان يخرجه طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاء مرضات الله الثالث ان لا يمن
به ولا يؤذي فالاول يتعلق بالمال والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله والثالث بينه
وبين الآخذ وقال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وهذه الآية كالتفسير
والبيان لمقدار الاضعاف التي يضاعفها للمقرض ومثله سبحانه بهذا المثل احضر الصورة
المضعفة في الاذهان بهذه الحبة التي نبتت في الارض فانبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة حتى كان القلب ينظر الى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين الى هذه السنابل التي من
الحبة الواحدة وتنضاف الشاهد الغيبي الى الشاهد العياني الايماني القرآني فيقوى ايمان المنفق وتسخو نفسه
بالانفاق وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة اذا المقام مقام تكثير
وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فجاء بها على جمع القلة لان
السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير وقوله والله يضاعف لمن يشاء قيل المعنى والله يضاعف هذا المثل
لمن يشاء لا لكل منفق بل لمن يشاء وذلك لتفاوت احوال الانفاق في نفسه في صفات
المنفق واحواله وفي شدة الحاجة وعظم النفع وحسن الموقع وقيل والله يضاعف لمن يشاء فوق
ذلك فلا يقتصر به على السبع مائة بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار الى اضعاف كثيرة و
اختلف في تقدير الآية فقيل مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة وقيل مثل الذين
ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل الممثل به فههنا اربعة امور منفق ونفقة
وباذر وبذر فذكر سبحانه من كل شق اهم قسميه فذكر من شق الممثل المنفق اذ المقصود
ذكر حاله وشأنه وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها وذكر من شق الممثل به البذر
اذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر الباذر لان الغرض لا يتعلق بذكره فتامل
هذه البلاغة والفصاحة والايجاز المتضمن لغاية البيان وهذا كثير في امثال القرآن

بل عامتها تردعلى هذا الخط ثم ختم الآية باسمين من اسمائه الحسنى مطابقين لسياقها
وهما الواسع العليم فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عما عظم فان
المضاعف واسع العطا واسع الغنى واسع الفضل ومع ذلك فلا يظن ان سعة عطائه
يقتضى حصولها لكل منفق فانه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو اهل لها ومن لا
يستحقها ولا هو اهل لها فان كرمه وفضله تعالى لا ينافى حكمته بل يضع فضله موضعه
لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من اهله لحكمته وعلمه ثم حال الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
هذا بيان للعوض الحسن ما هو وهو ان يكون فى سبيله اى فى مرضاته والطريق الموصلة اليه
ومن اعظمها سبيل الجهاد سبيل الله خاص وعام والخاص جزء من السبيل العام وان
لا يتبع صدقته منا ولا اذى فالمن نوعان احدهما من يقبح من عليه ان يصرح له
بلسانه وهذا وان لم يبطل الصدقة فهو من نقصان شهود منة الله عليه فى عطائه المال
وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه فلله المنة عليه من كل وجه فكيف يشهد
قلبه منة لغيره والنوع الثانى ان يمن عليه بلسانه فيبعد عما من احسان اليه باحسانه وربه
الذى اصطنعه اليه وجب عليه حقا وطوقه منة فى عنقه ويقول اما اعطيتك كذا وكذا
ويعدد ايادية عنده قال يسفيان جعلوا اعطيتك فما شكرت وقال عبد الرحمن ابن زياد كان
الى يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك
عنه وكانوا يقولون اذا صنعت صنيعة فانسوها واذا اسدى اليك صنيعه فلا تنسوها
وفى ذلك قيل وان امرأ اهدى الى صنيعة وذكرنيها مرة لئيم البخيل وقيل صفوان من منع
سائله ومن ومن منع نائله ومن وخط الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة
لنفسه لان من العباد تكدير وتعيير ومن الله سبحانه افضال وتذكير وايضا فانه هو المنعم
فى نفس الامر والعباد وسائط فهو المنعم على عبده فى الحقيقة وايضا فالامتنان استعباد
وكسر واذلال لمن يمن عليه ولا تصلح العبودية والذل الا لله وايضا فالمنة ان يشهد المعطى انه
هو رب الفضل والانعام والله ولى النعم ومسديها وليس ذلك فى الحقيقة الا الله وايضا
فالمان بعطائه يشهد نفسه مترفعا على الآخذ مستعليا عليه غنيا عنه عزيزا ويشهد ذل

الآخذ

الآخذ وحاجته اليه وفاقته ولا ينبغى ذلك للعبد وايضا فان المعطى قد تولى الله ثوابه
ورد عليه اضعاف ما اعطى فبقى عوض ما اعطى عند الله فاى حق بقى لمن قبل الآخذ فاذا
امتن عليه فقد ظلمه ظلما بينا وادعى ان حقه فى قبله ومن هنا والله اعلم بطلت
صدقة المانى فانه لما كان معاوضا منه ومعاملا مع الله وعوض تلك الصدقة
عنده فلم يرض به ولاحظ العوض من الآخذ والمعامله عنده فمن عليه بما اعطاه
ابطل معاوضته عند ربه والله ومعاملته فتامل هذه النصايح من الله لعباده ودلالتها
على ربوبيته والهيته وحده وانه يبطل عمل من نازعه فى شئ من ربوبيته والهيته
لا اله غيره ولا رب سواه وبنى بقوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى ولو تراخى
عن الصدقة وطال زمنه ضر بصاحبه ولم يحصل له مقصود الانفاق ولو اتى بالواو
وقال ولا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لاوهمت تقييد ذلك بالحال واذا كان والذى
المتراخى مبطلا لاجر الانفاق مانعا من الثواب فالمقارن اولى واحرى وتامل
كيف جرد الخبر هنا عن الفاء فقال لهم اجرهم عند ربهم وقرنه بالفا فى قوله الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم فان الفاء الداخلة
على خبر المبتدا الموصول او الموصوف تضمن معنى الشرط والجزا وان الخبر مستحق بما
تضمنه المتلا من الصلة او الصفة فلما كان المقام هنا يقتضى بيان حصر المستحق للجزاء
دون غيره جرد الخبر عن الفاء فان المعنى ان الذى ينفق ماله لله ولا عين ولا يؤذى هو الذى
يستحق الاجر المذكور لا الذى ينفق لغير الله وعنى ويؤذى بنفقته فلما كان المقام مقام
شرط وجزا بل مقام بيان للمستحق دون غيره وفى الآية الاخرى ذكر الانفاق بالليل
والنهار سرا وعلانية فذكر عموم الاوقات وعموم الاحوال فاتى بالفاء فى الخبر لتنزل
على ان الانفاق فى اى وقت وجد من ليل او نهار وعلى اى حاله وجد من سر وعلانية
فانه سبب للجزاء على كل حال فليبادر اليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله ولا يؤخر
نفقة الليل اذا حضر الى النهار ولا نفقة النهار الى الليل ولا ينتظر بنفقة العلانية
وقت السر ولا بنفقة السر وقت العلانية فان نفقته فى اى وقت وعلى اى حال و
حدث سبب لاجره وثوابه فتدبر هذه الاسرار التى فى القرآن فلعلك لا تظفر بها
تمر بك من التفاسير والمنة والفضل لله وحده لا شريك له ثم قال قول معروف

على ان المان مردود
ذى مع

خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم فاخبر ان القول المعروف وهو الذى تقر
القلوب ولا تنكره والمغفرة وهى العفو عمن اساء اليك خير من الصدقة بالاذى فا
لقول المعروف احسان وصدقة بالقول والمغفرة احسان ان يترك بالمواخذه والمقابله
فهما نوعان من انواع الاحسان والصدقة المقرونة بالاذى حسنة مقرونة بما يبطلها ولا ريب
ان حسنتين من حسنة باطله ويدخل فى هذا القول المعروف الرد الجميل على السايل والعدة الحسنة
والدعاء الصالح له ونحو ذلك ويدخل فى المغفرة مغفرته للسايل اذا وجد منه بعض الجفوه والا
ذى بسبب رده فيكون عفوه عنه خير من ان يتصدق عليه ويؤذيه هذا على المشهور من
القولين فى الاية والقول الثانى ان المغفره من الله اى مغفره لكم من الله بسبب القول المعروف
والرد الجميل خير من صدقة يتبعها اذى وفيها قول ثالث اى مغفره وعفو من السايل
اذا رد وتعذر المسول خير من ان ينال بنفسه صدقة يتبعها اذى واوضح الاقوال هو
الاول وليله الثانى والثالث ضعيف جدا لان الخطاب انما هو للمنفق المسؤل لا للسايل
الاخذ والمعنى ان قول المعروف له والتجاوز والصفح لعفو خير لك من ان تصدق عليه وتؤذيه
ثم ختم الايه بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال والله غنى حليم وفيه معنيان احدهما ان الله
غنى عنكم لن ينال شئ من صدقاتكم وانما الحظ الاوفر لكم فى الصدقة فنفعها عايد عليكم لا اليه
سبحانه فكيف يمن عليه من ينفقه ويؤذى مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواه ومع هذا
فهو حليم اذ لم يعاجل المان بالعقوبه وفى ضمن هذا الوعيد والتحذير والمعنى الثانى انه سبحانه
مع غناه التام من كل وجه هو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح مع عظايم الذنوب وصدقاتكم
العديم فكيف يؤذى احدكم عبده واذاه مع قله ما يعطى وتذكيره وفقره ثم قال يا ايها
الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يومن بالله
واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين فضمنت هذه الاية الاخبار بالمن
والاذى تحبط الصدقه وهذا دليل على ان الحسنة قد تحبط بالسيه مع قوله يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون وقد تقدم الكلام على هذه المسئله فى اول هذه الرساله فلا حاجه الى
اعادته وقد يقال ان المن والاذى المقارن للصدقه هو الذى يبطلها دون ما يلحقها

له بعدها

بعض الصواب

بعدها الا انه ليس فى اللفظ ما يدل على هذا التقييد والسياق يدل على ابطالها به
مطلقا وقد يقال غشيله المراى الذى لا يومن بالله واليوم الاخر يدل على ان المن والا
ذى المبطل هو المقارن كالرياء وعدم الايمان فان الرياء لو تاخر عن العمل لم يبطله وجاب
عن هذا بجوابين احدهما ان التشبيه وقع فى الحال التى حبط بها العمل وهى حال المراى
والمان المؤذى فان كل واحد منهما يحبط العمل الثانى ان الرياء لا يكون الا مقارنا
للعمل لانه فعل من الرويه التى صاحبه يعمل ليرى الناس عمله فلا يكون متراخيا وهذا
بخلاف المن والاذى فانه يكون مقارنا ومتراخيا وتراخيه اكثر من مقارنته وقوله
كالذى ينفق اما ان يكون المعنى كابطال الذى ينفق فيكون قد شبه الابطال بالا
بطال او المعنى لا تكونوا كالذى ينفق ماله رياء الناس فيكون تشبيها للمنفق با
لمنفق وقوله فمثله اى مثل هذا المنفق الذى قد بطل ثواب نفقته كمثل صفوان وهو
الحجر الاملس وفيه قولان احدهما انه واحد والثانى جمع صفوانه عليه تراب فاصابه وابل
وهو المطر الشديد فتركه صلدا وهو الاملس الذى لا شئ عليه من نبات ولا غيره وهذا
من ابلغ الامثال واحسنها فانه تضمن تشبيه قلب هذا المنفق المراى بالذى لم
يصدر نفقة عن ايمان بالله واليوم الاخر بالحجر لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به
وتضمن تشبيه ما علق به من اثر الصدقه بالغبار الذى علق بذلك الحجر والوابل
الذى ازال ذلك التراب عن الحجر فاذهب به المانع الذى ابطل صدقته وازالها
كما يذهب الوابل التراب الذى على الحجر فيتركه صلدا فلا يقدر المنفق على
شئ من ثوابه لبطلانه وزواله وفيه معنى اخر وهو ان المنفق لغير الله هو فى
الظاهر عامل اعمالا مرتب عليه الاجر وزكوها كما تزكو الحبه التى اذا بذرت
فى التراب الطيب انبتت سبع سنابل فى كل سنبله مايه حبه والله يضاعف لمن يشاء
مانع يمنع من نموه وزكائه كما ان تحت التراب حجرا يمنع من انبات ما يبذر من الحب
فيه فلا ينبت ولا يخرج شيئا ثم قال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنه بربوه اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين

فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الاخلاص
والصدق فان ابتغاء مرضاة سبحانه هو الاخلاص والتثبت من النفس هو الصدق في البذل
فان المنفق يعترضه عند انفاقه افتان ان لجأ منها كان مثله ما ذكر في هذه الاية احدها
طلبه بنفقته محمدة اوثنا او عرض من اغراض الدنيوية وهذا حال اكثر المنفقين والآفة الثانية
ضعف نفسه وتقاعسها وترددها هل يفعل ام لا فالآفة الاولى تزول بابتغاء مرضات
الله والآفة الثانية تزول بالتثبيت فان تثبيت النفس تشجعها وتقويتها والاقدام بها
للبذل وهذا هو صدقها وطلب مرضات الله ارادة وجهه وحده سرا وهذا اخلاصها فاذا
كان مصدر الانفاق على ذلك كان مثله كجنة وهي البستان الكثير الاشجار هو مجتن بها
اي مستتر ليس قاعا فارغا والجنة بربوة وهو المكان المرتفع لانها اكمل من الجنة المستقلة
التي بالوهاد والحضيض لانها اذا ارتفعت كانت عند رجم الاهوية والرياح وكانت صاحبة
للشمس وقت طلوعها وانسنوابها وغروبها فكانت انضج ثمرا واطيبه واحسنه واكثره
فان الثمار تزداد طيبا وزكاء بالرياح والشمس بخلاف الثمار التي تنشأ في الظلال واذا كانت
الجنة بمكان من تغع لم تحتش عليها الامن قلة الماء والتراب فقال تعالى اصابها وابل وهو
المطر الشديد العظيم القدر فادت ثمرتها واعطت بركتها فاخرجت ثمرتها ضعفي ما
يخرج بثمر غيرها او ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل فهذا مثل السابقين المقربين
فان لم يصبها وابل فطل وهو دون الوابل فهو يكفيها لكرم منبتها وطيب مغرسها فتكتفي
في اخراج بركتها بالطل وهذا حال الابرار المقتصدين في النفقة وهم درجات عند الله فاصحاب
الوابل اعلاهم درجة وهم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ويتوخون
على النفقة وقوعا كان يعم خصاصة واصحاب الطل مقتصدة وهم ممثل حال القسمين واعمالهم
في الجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
يوجب زكاء اكل الجنة ونحوه بالاضعاف فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بوان
صدرت عن ابتغاء مرضات الله والتثبيت من نفوسهم فمع زاكيه عند الله نامية مضاعفة
واختلف في الضعفين فقيل ضعفا الشيء مثلاه يراد عليه وضعفه مثله وقيل ضعفه مثلاه
وضعفاه ثلاثة امثاله وثلاثة اضعافه اربعة اضعافه امثاله كلما زاد ضعفا زاد مثلا

والذي

والذي حمل هذا القايل على ذلك عزاره من استواد لاله المفرد والتثنيه فانه راى
ضعف الشيء هو مثله الزايد عليه فاذا اضاف الى المثل صار مثلين وهما الضعف فلو
قيل لها ضعفان لم يكن فرق بين المفرد والمثنى فالضعفان عنده مثلان مضافان
الى الاصل ويلزم من هذا ان يكون ثلاثة اضعافه ثلاثة امثال مضافة الى الاصل
وهكذا ابدا والصواب ان الضعفين هما المثلان فقط الاصل ومثله وعليه يدل
قوله فاتت اكلها ضعفين اي مثلين وقوله يضاعف لها العذاب ضعفين
اي مثلين ولهذا قال في الحسنات نوتها اجرها مرتين واما ما توهموه من استواء
دلالة المفرد والتثنيه فوهم منشاه ظن ان الضعف هو المثل مع الاصل وليس
كذلك بل المثل له اعتباران ان اعتبر وحده فهو ضعف وان اعتبر مع نظيره فهما
ضعفان والله اعلم واختلف في رفع قوله وطل فقيل هو مبتدا خبره محذوف فالذي
يرويها ويصيبها الطل والضمير في اصابها اما ان يرجع الى الجنة او الى الربوة وهما
متلازمان ثم قال ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها
الانهار وله فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون قال الحسن هذا مثل قل صر
عملا والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما
ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا
وفي صحيح البخاري عن عبيد بن عمير قال قال عمر يوما لاصحاب النبي صلعم تروون هذه
الاية نزلت ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل الاية قالوا الله اعلم
فغضب عمر فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير
المومنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا
لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر لرجل غني يطيع الله ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله فقوله فعل ايود
احدكم اخرجه مخرج الاستفهام الانكاري وهو ابلغ من النفي والنفي ر
لطف موقعا كما ترى غيرك ينفعل فعلا قبيحا فتقول ايفعل هذا عاقل

ان يفعل هذا من يخاف الله والدار الاخرة وجاء ليود احد كم بلفظ الواحد لتضمنه معنى
الانكار العام كما تقول ايفعل احد هذا خير وهو ابلغ في الانكار من ان يقول لا يود
وقوله ليود ابلغ في هذا الانكار من لو قيل أيريد لان محبه هذا المال المذعورة وعشقها
اشبح وانكر من مجرد ارادتها وقوله ان تكون له جنة من نخيل واعناب خص عذين النوعين
من الثمار بالذكر لانهما اشرف انواع الثمار واكثرها منفعة فان منها القوت والغذاء و
الدواء والشراب والفاكهة والحلو والحامض وبوكلا رطبا ويابسا ومنافعها كثيرة جدا و
قد اختلف في الانفع والافضل منها فرجحت طائفة النخيل ورجحت طائفة العنب وذكرت
كل طائفة وجها تقويها فذكرناها في غير هذا الموضع وفصل الخطاب ان هذا يختلف باختلاف
البلاد فان الله سبحانه اجرى العادة بان سلطان احدهما لا يحل حيث يحل سلطان الاخر فا
الارض التي يكون فيها سلطان النخل لا يكون العنب بها طائلا ولا كثيرا لانه انما يخرج في الارض
الرخوة اللينة المعتدلة غير السبخة فيقوى اعنابها ويكثر واما النخل بقوته وكثرته في الارض
الحارة السبخة وهي لا تناسب العنب فالنخل في ارضه وموضعه انفع وافضل من العنب فيها
والعنب في ارضه وتعذيه افضل من النخل فيها والله اعلم والمقصود ان هذين النوعين هما
افضل انواع الثمار واكرمها فالجنة المشتملة عليهما من افضل الجنان ومع هذا فالانهار
تجري تحت هذه الجنة وذلك اكمل لها واعظم في قدرها ومع ذلك فلم يعدم شيئا من انواع
الثمار المشتهاة بل فيها من كل الثمرات ولكن معظمها ومقصودها النخيل والاعناب فلا
تنافي بين كونها من نخيل واعناب وفيها من كل الثمرات وتقدير هذا قوله واضرب لهم
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا
الى قوله وكان له ثمر وقد قيل ان الثمار هنا وحي انه البعر والمراد بها المنافع والاموال و
السياق يدل على انها الثمار المعروفة لاعبرها لقوله هنا وله فيها من كل الثمرات ثم
قال فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وفي الكهف واحيط بثمره فاصبح
يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها وما ذاك الا ثمار الجنة ثم قال
مراضاته الله وهذا اشارة الى شدة حاجته الى جنته وتعلق قلبه بها من وجوه احدها
انه قد كبرت سنه عن الكسب والتجارة ونحوها الثاني ان ابن آدم عند كبر سنه يشتد

حرصه الثالث ان له ذرية فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته الرابع
انهم ضعفا فهم كل عليه لا ينفعونه فقويتهم وينصرهم الخامس ان تفقههم عليه
لضعفهم وعجزهم وهذا نهايه ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة لحظها
في نفسها وسد حاجته وحاجة ذريته اليها فاذا تصورت هذه الحال وهذه الحاجة
فكيف تكون مصيبة هذا الرجل اذا اصاب جنته اعصار وهو الريح التي تستدير في
الارض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود فيها نار مرت بتلك الجنة فاحرقتها وصيرتها
رمادا فصدق والله الحسن هذا مثل فلي من يعقله من الناس ولهذا لم يبد سبحانه وتعالى
هذا المثل وحدى القلوب الى التفكر فيه لشدة حاجتها اليه فقال كذلك يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون فلو فكر العامل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه فهكذا
العبد اذا عمل طاعة لله ثم اتبعها بما يبطلها ويفرقها من معاصي الله كانت كالاعصار
ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح ولولا ان هذه المواضع اهم مما
نحن فيه من ذكر مجرد الطبقات لم نذكرها وكلامنا بصدده من اهم المهم والله المستعان
الموفق لمرضاته فلو تصور العامل بمعصيته الله بعد طاعته هذا المحق حق تصوره وتامله
كما ينبغي لما سولت له نفسه والله احرق اعماله الصالحة واضاعتها ولكن لا بد ان يقع
عبد عمله عند المعصية ولهذا سمي الجهل فكل من عصى الله فهو جاهل فان قيل الواو
في قوله واصابه الكبر او الحال ام واو العطف واذا كانت للعطف فعلام عطفت ما بعدها
قلت فيه وجهان احدهما انها واو الحال اختاره الزمخشري والمعنى اود احدكم ايكون له جنة
تلك صفتها كذا وكذا في حال كبره وضعف ذريته والثاني ان تكون للعطف على المعنى فان
فعل التمني وهو قوله اود احدكم لطلب الماضي كثيرا فكان المعنى اود لو كانت له جنة
من نخيل واعناب واصابه الكبر فجرى عليها ما ذكر وتامل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق
الذي لم يصدر انفاقه عن الايمان بالصفوان الذي عليه التراب فاذا لم ينبت شيئا اصلا
بل ذهب بذره ضايعا لعدم ايمانه واخلاصه ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصا لنيته
لله ثم عرض لها ابطل ثوابه بالجنة التي هي من احسن الجنان واطيبها وازكاها ثم سلط
عليها الاعصار الناري فاحرقها فان هذا نبت له شيء وانما لم عمله ثم احترق والاول
لم يحصل له شيء لادراكه الحريق فتبارك من جعل كلامه شفاء للقلوب وشفاء للصدور

وهدى ورحمة ثم قال يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اضاف سبحانه الكسب اليهم وان كان هو الخالق
لافعالهم لانه فعلهم القايم بهم واخرج اليه لانه ليس فعلا لهم ولا هو مقدور لهم فاضاف
مقدورهم اليهم واضاف مفعوله الذي لا قدرة لهم عليه اليه ففي ضمنه الرد على من تسوى بين
النوعين وسلب قدرة العبد وفعله وتاثيره عنها بالكلية وخص سبحانه هذين النوعين
وهما الخارج من الارض والحاصل بكسب التجارة دون غيرهما لانهما اللذان اما بحسب الواقع فانهما
كانا اغلب اموال القوم اذ ذاك فان المهاجرين كانوا اصحاب تجارة وكسب والانصار
كانوا اصحاب حرث وزرع فخص هذين النوعين بالذكر لحاجتهم الى بيان حكمهما وغور
وجودهما واما لانهما اصول الاموال وما عداهما فمنهما يكون ومنهما ينشا فان الكسب
يدخل تحته التجارات كلها على اختلاف اصنافها وانواعها من الملابس والمطاعم والرقيق والحيوانات
والآلات والامتعة وسايرما تتعلق به التجارة والخارج من الارض يتناول حبها وثمارها
وركازها ومعدنها وهذان هما اصول الاموال واغلبها على اهل الارض فلذلك ذكرهما
ثم قال ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ففي سبحانه عن قصد اخراج الردي كما هو عادة
اكثر النفوس بسبب الحيد لها وتخرج الردي للفقير ونهيه سبحانه عن قصد ذلك وتيممه
فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن قصد وتيمم بالغين اتفاق اذا كان هو الحاضر اذ ذاك
او كان ماله من جنسه فان هذا لم يتيمم الخبيث بل تيمم اخراج ما من الله عليه وموقع منه تنفقون
موقع الحال اي لا تقصدوه منفقين منه ثم قال ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لو كنتم
انتم المستحقين له وبذلكم لم تاخذوه في حقوقكم الا بان تتسامحوا في اخذه وتتغاضوا
فيه من قولهم اغمض فلان عن بعض حقه ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كذلك لا
تبصر وحقيقته من اغماض الجفن فكان الراي لكراهته له لا يملا عينه منه بل يغض من
بصره ويغمض عن بعض نظره بغضا ومنه قول الشاعر لم يفتنا بالوتر فوم وللضيم
رجال يرضون بالاغماض وفيه معنيان احدهما كيف يتبذلون لله وتهدرون له
ما لا ترضون بمثله لكم ولا ترضى احدكم من صاحبه ان يهديه له والله احق من يختار له
خيار الاشيا وانفسها والثاني كيف يجعلون له ما تكرهون لانفسكم وهو سبحانه طيب

لا يقبل الا طيبا ثم ختم الاية بصفتين تقتضيهما سياقها فقال واعلموا ان الله
غني حميد فغناه وحمده ياباى قبوله الردي فاقتضى الردي الخبيث اما ان
يقبله لحاجته اليه او اما ان نفسه لا تاباه لعدم كمالها وشرفها واما الغني عنه
الشريف القدر الكامل الاوصاف فانه لا يقبله ثم قال تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم هذه
الاية تتضمن الحض على الانفاق والحث عليه ابلغ الالفاظ واحسن المعاني فانها
اشتملت على بيان الداعي الى البخل والداعي الى البذل والانفاق وبيان ما يدعوه العبد
داعي البخل والداعي الى البذل وما يدعوا اليه داعي الانفاق وبيان ما يدعوا اليه داعي الا
مرين فاخبر سبحانه ان الذي يدعوهم الى البخل والشح هو الشيطان واخبر ان دعوته
هي نمايعدهم به وتخويفهم من الفقر ان انفقوا اموالهم وهذا هو الداعي الغالب
على الخلق فانه يهم بالصدقة والبذل يجد في قلبه داعيا يقول له متى اخرجت هذا
دعتك الحاجة اليه وافتقرت اليه بعد اخراجه وامساكه خير لك حتى لا تبقى مثل
الفقير فغناك خير لك من غناه فاذا صور له هذه الصورة امره بالفحشا وهي
البخل الذي هو ابقح القواحش وهذا اجماع من المفسرين ان الفحشا هنا البخل هذا
وعده وهذا امره وهو الكاذب في وعده الفاجر في امره فالمستجيب لدعوته
مغرور مخدوع مغبون فانه يدلي من يدعوه بغروره ثم يورده شر الموارد كما قال
دلاهم بغرور ثم اوردهم ان الخبيث لمن والاه غرار هذا وان وعده الفقر
ليس بشفقة عليه ولا نصحه له كما ينصح الرجل اخاه ولا محبة في بقايه حيا بل لانه
احب اليه من فقره وحاجته واغا وعده بالفقر وامره اياه بالبخل ليسيء ظنه بربه
ويترك ما يحبه من الانفاق لوجهه فيستوجب منه الحرمان واما الله سبحانه
فانه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلا يان يخلف عليه اكثر مما انفق واضعافه
اما في الدنيا او في الدنيا والاخرة فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان فليختر العبد
والمنفق اي الوعدين هو اوثق والى ايهما يطمين قلبه وتسكن نفسه والله الموفق
من يشا ويخذل من يشا وهو الواسع العليم وتامل كيف ختم هذه الاية بهذين

www.alukah.net

الاسمين فانه واسع العطاء عليم بمن يستحق فضله ومن يستحق عدله فيعطي هذا بفضله ويمنع هذا بعدله وهو بكل شيء عليم فتامل هذه الآيات ولا تستطل بسط الكلام فيها فان لها شانا لا يعقلها الا من عقل عن الله خطابه وفهم مراده وتلك الامثال تضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وتامل ختم هذه السورة التي هي سنام القرآن باحكام الاموال واقسام الاغنياء واحوالهم وكيف قسمهم الى ثلاثة اقسام محسن وهم المتصدقون فذكر جزاءهم ومضاعفته ومالهم في قرض اموالهم للملي الوفي ثم حذرهم مما يبطل ثواب صدقاتهم ويحبطها بعد استوائها وكمالها من المن والاذى وحذرهم مما يغر تراب اثرها عليها ابدا من الرياء ثم امرهم ان يتعرفوا اليه باطيبها ولا يتيمموا اردأها وخبيثها ثم حذرهم من الاستجابة لداعي البخل والخسة واخبر ان استجابتهم لدعوته وثقتهم بوعده اولى بهم واخير ان هذا من حكمته التي يؤتيها من يشاء من عباده وان من اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا اوتي ما هو خير وافضل من الدنيا بحذافيرها لانه سبحانه وصف الدنيا بالقلة فقال قل متاع الدنيا قليل وقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فدل على ان ما يؤتيه عبده من حكمته خير من الدنيا وما عليها ولا يعقل هذا كل احد بل لا يعقله الا من له لب وعقل زكي فقال وما يذكر الا اولوا الالباب ثم اخبر ان كل ما انفقوه من نفقة او نذروا به اليه من نذر فانه يعلمه فلا يضيع لديه بل يعلم ما كان لوجهه ويكفل جزاءه من عمل لغيره الى من عمل له فانه ظالم لنفسه وماله ثم تنصل ثم اخبر سبحانه عن احوال المتصدقين في وجوههم في صدقاتهم وانه يتبين عليها ان الله وجهها او كموها بعد ان تكون خالصة لوجهه فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي اي فنعم شيء هي وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية ولا يتوهم مبديها بطلان اثره وثوابه بمنعه ذلك من اخراجها بل ينتظر بها من الاخفاء وقتا وتعرض الموانع ويحال بينه وبين قلبه او بينه وبين اخراجها فلا توخر صدقته العلانية بعد وجوب حصولها وفيها الى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة ثم قال وان تخفوها وتؤتوا الفقراء فهو خير لكم فاخبر ان اعطاءها للفقير في السر خير من اظهارها واعلانها وتامل تفصيله تعالى الاخفاء بايتاء الفقراء فتى اخفاها من الفواتل الستر عليه وعدم فضحه ولم يقل وان تخفوها فهو خير لكم فان من الصدقة ما لم يكن اخفاؤها خيرا من اظهارها كالتجمل بها حيث ينبغي التجمل واجرائها على غير ذلك واما ايتاؤها الفقراء فتى اخفاها من الفواتل الستر عليه وعدم تخجيله بين الناس واتاها منه مقام الفضيحة وان يرى الناس ان يده هي اليد السفلى وانه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته وهذا قدر زائد من الاحسان اليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الاخلاص وعدم المرائاة وطلب الحمدة من الناس وكان اخفاؤها للفقير خيرا من اظهارها بين الناس ومن هذا مدح النبي صدقة السر وانثنى على فاعلها واخبر انه احد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله ولهذا جعل سبحانه خيرا للمتصدق واخبر انه يكفر عنه بذلك الانفاق من سيئاته ولا يخفى عليه سبحانه اعمالكم ولا انياتكم فانه بما تعملون خبير ثم اخبر ان هذا الانفاق انما ينفعه لانفسهم يعود عليهم اجره كما انوا اليه فكيف بمحل احدكم عن نفسه بما ينفعه مختص بها عائد اليها وان نفقة المومنين انما تكون ابتغاء وجهه خالصا لا انها صادرة عن ايمانهم وان نفقتهم ترجع اليهم وافية كاملة ولا يظلمون منها مثقال ذرة وصدر هذا الكلام بان الله هو الهادي الموفق لمعاملته وايثار مرضاته وانه ليس على رسوله هداهم بل عليه ابلاغهم وهو سبحانه الذي يوفق من يشاء لمرضاته ثم ذكر المصرف الذي يوضع فيه الصدقة فقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض تحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا فوصفهم بست صفات احدها الفقر الثاني حبسهم انفسهم في سبيله تعالى وجهاد اعدائه ونصر دينه واصل الحصر المنع حبسوا انفسهم عن تصرفها في اشغال الدنيا وقصروها على بذلها لله وفي سبيله الثالث عجزهم عن الاسفار للتكسب والضرب في الارض هو السفر قال تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة

www.alukah.net

الرابعة شدة تعففهم وهو حسن صبرهم واظهارهم الغنى بحسبهم الجاهل اغنيا من
تعففهم وعدم تعرضهم وكما نهم حاجتهم الخامسة انهم يعرفون بسيماهم وهى العلامة
الدالة على حالتهم التى وصفهم الله بها وهذا لانا فى حسبان الجاهل انهم اغنيا لان
الجاهل لظاهر الامر والعارف هو المتوسم المتفرس الذى يكلم يعرف الناس بسيماهم
فالمتوسمون خواص المومنين كما قال تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين السادسة
تركهم مسالة الناس فلا يسالونهم والالحاف هو الالحاح والنفى مسلط عليهما معا
اى لا يسالون ولا يلحفون فليس يقع منهم سوال يكون بسببه الحاف وهذا كقوله
على لاحب لا يهتدى لمناره اى ليس فيه منار فيهتدى به وفيه كالتنبيه على ان
المذموم من السوال هو سوال الالحاف واما السوال بقدر الضرورة من غير الحاف فا
لافضل تركه ولا يحرم فهذه ست صفات للمستحقين للصدقة فالغاها اكثر الناس
ولحظوا منها ظاهر الفقر وزيه من غير حقيقته واما سايرالصفات المذكورة فقوز
اهلها ومن يعرفهم اعز والله يختص بتوفيقه من يشاء فهولاء هم المحسنون فى
اموالهم القسم الثانى الظالمون وهم ضد هولاء وهم الذين يذخرون المحتاج
المضطر فاذا دعته الحاجة اليهم لم يتمسكوا كونه الا بزيادة على ما يبذلونه لهم وهم
اهل الرباء وذكرهم تعالى بعد هذا فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من
الرباء ان كنتم مومنين فصدر الاية بالامر بتقوى الله المضادة للربا وامر بترك ما بقى من
من الرباء بعد نزول الاية وعفى لهم عما قبضوه به قبل التحريم ولولا ذلك لردوا ما قبضوه
به قبل التحريم وعلق هذا الامتثال على وجود الايمان منهم والمعلق على شرط منتف عند
انتفايه ثم اكد عليهم التحريم باغلظ نبى واشده وهى محاربه المولى لله ورسوله
قد آذنه الله بحربه ولم يجى هذا الوعيد فى كبيره سوى الزنى وقطع الطريق والسعى
فى الارض بالفساد لان كل واحد منها مفسد فى الارض قاطع الطريق على الناس هذا
بقهره لهم وتسلطه عليهم وهذا بامتناعه من تفريج كربا تهم الا بتحيله
كربات اشد منها فاخبر عن قطاع الطريق بانهم يحاربون الله ورسوله
وآذن هولاء ان لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله ثم قال وان تبتم فلكم

رؤس

رؤس اموالكم يعنى ان تركتم الربا وتبتم الى الله منه ورددتم عليه فلكم رؤس
اموالكم لا تزادون عليها منظلمون الاخذ ولا تظلمون بها فتظلمون
اخذها فان كان هذا القابض معسرا فالواجب انظاره الى ميسرة وان تصدقتم
عليه وابراءتموه فهو افضل لكم وخير لكم فان ابت نفوسكم وشحت بالعدل
الواجب او الفضل المندوب فذكروها يوما ترجعون الى الله وتلقون
فيه كل نفس جزاء ما كسبت لا يظلمون ثم ذكر سبحانه الحسن وهو المتصدق
ثم عقبه بالظالم وهو المرابى ثم ذكر العادل فى ايه الدايين فقال يا ايها
الذين امنوا اذا تداينتم بدين الاية ولولا ان هذه الاية تشتمل سرا وحدها
لذكرت بعض تفسيرها والغرض انما هو التنبيه والاشارة وقد ذكر
ايضا العادل وهو اخذ راس ماله من غريمه لا بزيادة ولا نقصان
ثم ختم السورة بهذه الخاتمة العظيمة التى هى من كنوز تحت عرشه والشيطان يفر
من البيت الذى تقرا فيه وفيها من العلوم والمعارف وقواعد الاسلام واصوله
الاعان على مقامات الاحسان ما استدعى بيانه كتابا مفردا والمقصود على
طبقات الخلايق فى الدار الاخرة والمعول المقصود فان هذا من سعى القلم ولعله اهم
مما نحن بصدده فهذه الطبقات الاربعة من طبقات الامة هم اهل الاحسان والنفع
المتعدى وهم العلماء وراعة العدل واهل الجهاد واهل الصدقة وبذل الاموال فى مرضات
الله فهولاء ملوك الاخرة ومحايف حسناتهم متزايدة على مر الايام والحسنات وهى تطوى
الارض مادامت اثارهم فى الدنيا فيالها من نعمة ما اجلها وكرامة ما اعظمها خص
الله بها من يشاء من عباده الطبقة الثامنة من فتح الله له بابا من ابواب
الخير اقاصر على نفسه كالصلوة والحج والعمرة وقراة القران والصوم والاعتكاف
والذكر ونحوها مضافا الى اداء فرايض الله عليه فهو جاهد فى تكثير حسناته وملا
صحيفته بها واذا عمل خطيئة تاب الى الله منها فهذا اعلى خير عظيم وله ثواب امثال هى
اعمال الاخرة ولكن ليس له الاعمال فاذا مات طويت صحيفته فهذه طبقة اهل الربح و
الحظوة ايضا عند الله الطبقة التاسعة طبقة اهل النجاة وهى طبقة من

الالوكة
www.alukah.net

يودى فرايض الله بزيادة مقتصرا على ذلك لا يزيد عليه ولا ينقص منه فلا يتعد
الى ما دعى اخذ عليه ولا يزيد على ما فرض عليه هذا من المفلحين بضمان رسول الله لمن
اخبره بشرايع الاسلام فقال والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال افلح ان صدق
واصحاب هذه الطبقة مفلحون لهم على الله تكفير سياتهم اذا ادوا فرايضه و
لجتنبوا اكباير ما نهاهم عنه قال تعالى ان تجتنبوا اكباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم وندخلكم مدخلا كريما وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس ورمضان
الى رمضان والجمعة الى الجمعة مكفرات ما بينهن ما لم تغش كبيرة فان عشى اهل هذه
الطبقة كبيرة وتابوا منها توبة نصوحا لم تخرجوا من طبقتهم فكانوا اعذر لهم من
لا ذنب لهم فتكفير الصغاير يقع بشيين احدهما الحسنات الماحية والثاني اجتناب
الكبايرة وقد نص عليها سبحانه في كتابه فقال اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من
الليل ان الحسنات يذهبن السيات وقال ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم الطبقة العاشرة طبقة قوم اسرفوا على انفسهم وعشوا كباير ما نهى
الله عنه ولكن لم يقعوا الله التوبة النصوح قبل الموت فماتوا على توبة صحيحة فهولاء
ناجون من عذاب الله اما قطعا عند قوم واما رجاء وظنا عند اخرين وهم موكولون
الى المشية ولكن نصوص القران والسنة تدل على انهم قبلوا توبتهم وهو وعدهم
الله اياه والله لا يخلف الميعاد فان قيل فما الفرق بين اهل هذه الطبقة والتي قبلها
فان الله اذا كفر عنهم سياتهم واثبت لهم بكل سيئة حسنة كانوا كمن قبلهم اوارجح قيل قد
تقدم الكلام على هذه المسئلة بما فيه كفاية فعليك بمعاودته هناك وكيف يستوي
عند الله من انفق عمره في طاعته ولم يفش كبيرة ومن لم يدع كبيرة الا ارتكبها وفرط
في اوامره ثم تاب قبل غايته ان محى سياته ويكون لاله وما عليه واما ان يكون هو ومن
قبله سواء اوارجح منه وكلا الطبقة الحادية عشر طبقة اقوام خلطوا عملا
صالحا واخر سيا فعلوا حسنات وكباير ولقوا الله مصرين عليها غير تايبين
منها لكن حسناتهم اغلب من سياتهم فاذا وزنت بها رجحت كفة الحسنات فهولاء
ايضا ناجون فالوزن قال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم

المفلحون

المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بايتنا يظلمون قال حذيفة
وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة تحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف في زحف حسناته
على سياته فواحد قد دخل الجنة ومن رجحت سياته على حسناته فواحد دخل النار ومن استوت حسناته
وسياته فهو من اهل الاعراف وهذه الموازنة تكون بعد القصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم
من حسناته فاذا بقي منها وزن هو سياته ولكن هنا مسئلة وهي اذا وزنت السيات
الحسنات فرجحت الحسنات هل يلغى المرجوح جملة ويصير الاثر للراجح فيثاب على حسناته كلها
او يسقط من الحسنات ما قابلها من السيات المرجوحة ويبقى الباقي للراجح فيثاب عليه وجهان
فيه قولان هذا عند من يقول بالموازنة والحكم وانما من ينفي ذلك فلا عبرة عنده بهذا وانما هو
موكول الى محض المشية وعلى القول الاول فيذهب اثر السيات جملة بالحسنات الراجحة
وعلى القول الثاني يكون تاثيرها في نقصان ثوابه لا في حصول العقاب له ويترجح هذا القول
الثاني بان السيات لو احبطت ما قابلها من الحسنات وكان العمل والتاثير للحسنات كلها لم
يبق فرق بين وجودها وعدمها ولكان لا فرق بين المحسن الذي محض عمله حسنات وبين
من خلط عملا صالحا واخر سيا وقد اجاب عن هذا بانها اثرت في نقصان ثوابه والله فانه لو
اشتغل في زمن ايقاعها بالحسنات لكان ارفع لدرجته واعظم لثوابه واذا كان كذلك فقد ترجح
القول الاول بان الحسنات لما غلبت السيات ضعف تاثير المغلوب المرجوح وكاد
وصار للكثير الغالب دون لاستهلاكه في جنبه كما يستهلك يسير النجاسة في الماء الكثير والماء
اذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث والله اعلم الطبقة الثانية عشر قوم تساوت حسناتهم
وسياتهم فيقابل اثرها فتقاوما فمنعتهم حسناتهم المساواة من دخول النار
وسياتهم المساوية من دخول الجنة فهولاء هم اهل الاعراف لم يفضل لاحدهم حسنة يستحق
بها الرحمة من ربه ولم يفضل عليه سيئة يستحق بها العذاب وقد وصف الله سبحانه اهل هذه
الطبقة في سورة الاعراف بعد ان ذكر دخول اهل الجنة النار وتلاعنهم فيها ولحاظه
اتباعهم لرؤسايهم وردهم عليهم ثم ناداه اهل الجنة اهل النار فقال تعالى وبينهما حجاب
وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها
وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظا
قوله تعالى وبينهما حجاب اي بين اهل الجنة والنار حجاب قيل هو السور الذي يضرب

بينهم له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب باطنه الذي يلي المؤمنون فيه
الرحمة وظاهره الذي يلي الكفار من جهته العذاب والاعراف جمع عرف وهو المكان
المرتفع وهو سور على بين الجنة والنار وقيل هو السور الذي يضرب بينهم وقيل جبال
بين الجنة والنار عليها اهل الاعراف قال حذيفة وعبد الله بن عباس هم قوم استوت
حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا
هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته قال عبد الله بن المبارك
اما ابو بكر الهذلي قال كان سعيد بن جبير يحدث عن بن مسعود قال يحاسب الله الناس يوم
القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته واحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته
واحدة دخل النار ثم قرأ قوله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة او يرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من
اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة واهل النار فاذا نظروا الى الجنة نادوا
سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم الى اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين هذا دليل على انه يمكن مرتفع بين الجنة والنار فاذا اشرفوا على اهل الجنة نادوهم
بالسلام وطمعوا في الدخول اليها واذا اشرفوا على النار سألوا الله ان لا يجعلهم معهم ثم
قال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم يعني من الكفار الذين في النار فقالوا
لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون يعني ما نفعكم جمعكم وعشيرتكم وتجريكم على الحق
ولا استكباركم وهذا امانة واما استفهام وتوبيخ وهو ابلغ وافخم ثم نظروا الى الجنة
فراوا من الضعفاء الذين كانوا الكفار يسترذلونهم في الدنيا ويزعمون ان الله لا يختصهم ونهم
بفضله عالم يختصهم دونهم في الدنيا فيقول لهم اهل الاعراف اهؤلاء الذين اقسمتم ايها المشركون
ان الله لا ينالهم برحمة فهاهم في الجنة يتمتعون ويتنعمون وفي رياضها يحبرون ثم يقال لاهل
الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا عيروا
الكفار واخبروهم انهم لم يغن عنهم جمعهم واستكبارهم عيرهم الكفار بتخلفهم
عن الجنة وانهم يصيرون الى النار فعند ذلك تقول الملائكة عند اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون والقولان قريبان يحتملان والله اعلم فهؤلاء الطبقات هم
اهل الجنة الذين لم تسهم النار بطبقها الثالث غير طبقة اهل الجنة والبليه نعوذ بالله والكائنة
اخرهم الى عفو وخيرهم قوم مسلمون خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم فعفا عنها

من حسناتهم

فيه

فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت اسانيدها واثار الصحابة في ذلك المعنى وقد
اختلف في تفسير الصحابي هل له حكم المرفوع او الموقوف على قولين الاول اختيار ابي عبد الله
الحاكم والثاني هو الصواب ولا نقول على رسول الله ما لم نعلم انه قال وقوله تعالى وعلى الاعراف
رجال يعرفون كلا بسيماهم يعني يعرفون الفريقين
بسيماهم وقالوا ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي نادى اهل الاعراف اهل الجنة بالسلام وقوله لم يدخلوها
وهم يطمعون الضمير ان في الجملتين لاصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها قال
ابو العالية ما جعل الله ذلك الطمع فيهم الا كرامة يريدها بهم وقال الحسن الذي جعل الطمع في
قلوبهم يوصلهم الى ما يطمعون وفي هذا رد على قول من قال انهم افاضل المؤمنين علوا على الا
عراف بطاعتهم احوال الفريقين فعاد الصواب الى تفسير الصحابة وهم اعلم الامة بكتاب الله
ومراده منه ثم قال تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين هذا دليل على انه يمكن مرتفع بين الجنة والنار فاذا اشرفوا على اهل الجنة نادوهم
بالسلام وطمعوا في الدخول اليها واذا اشرفوا على النار سألوا الله ان لا يجعلهم معهم ثم
قال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم يعني من الكفار الذين في النار فقالوا
لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون يعني ما نفعكم جمعكم وعشيرتكم وتجريكم على الحق
ولا استكباركم وهذا امانة واما استفهام وتوبيخ وهو ابلغ وافخم ثم نظروا الى الجنة
فراوا من الضعفاء الذين كانوا الكفار يسترذلونهم في الدنيا ويزعمون ان الله لا يختصهم ونهم
بفضله عالم يختصهم دونهم في الدنيا فيقول لهم اهل الاعراف اهؤلاء الذين اقسمتم ايها المشركون
ان الله لا ينالهم برحمة فهاهم في الجنة يتمتعون ويتنعمون وفي رياضها يحبرون ثم يقال لاهل
الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا عيروا
الكفار واخبروهم انهم لم يغن عنهم جمعهم واستكبارهم عيرهم الكفار بتخلفهم
عن الجنة وانهم يصيرون الى النار فعند ذلك تقول الملائكة عند اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون والقولان قريبان يحتملان والله اعلم فهؤلاء الطبقات هم
اهل الجنة الذين لم تسهم النار بطبقها الثالث غير طبقة اهل الجنة والبليه نعوذ بالله والكائنة
اخرهم الى عفو وخيرهم قوم مسلمون خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم فعفا عنها

الألوكة
www.alukah.net

السيئات فهذه الطبقه التي اختلفت فيها اقاويل الناس وكثر فيها خوضهم وتشعبت
مذاهبهم وتشتت آراهم فطائفه كفرتهم واوجبت لهم الخلود في النار وهذا مذهب اكثر
الخوارج بل يكفرون من هو احسن حالا منهم وهو مرتكب الكبيره الذي لم يتب منها
ولو استغفر فيها حسنات وطائفه اوجبت لهم الخلود في النار ولم تطلق عليهم اسم الكفر
بل سموهم منافقين وهذا المذهب ينسب الى البكريه اتباع بكر ابن اخت عبد الواحد وطائفه
نزلتهم منزله بين منزله الكفار والمؤمنين فجعلوا اقسام الخلق ثلاثه مؤمنين وكفارا و
فساقا لا مؤمنين ولا كفار بل بينهما واوجبت لهم الخلود في النار وهذا هو الراي الذي عليه
اهل الاعتزال وهو احد اصولهم الخمس التي هي قواعد مذهبهم وهي التوحيد الذي معناه
نفي صفات الخالق ونعوت كماله والتعطيل المحض والعدل الذي معناه نفي عموم
قدرة الله وانه لا قدرة له على افعال الحيوانات بل هي خارجه عن ملكه وخلقه وقدرته وانه يريد
ما لا يكون ويكون ما لا يريد فانه لا يقدر ان يهدي ضالا ولا يضل مهتديا ولا يجعل المصلي مصليا
والذاكر ذاكرا والطائع طائفا تعالى الله عن افكهم وشركهم علوا كبيرا والمنزله بين المنزلتين
التي معناها ايجاب الخلود في النار للمسلم المبالغ في طاعه ربه الذي افنى عمره في عبادته وطاعته
ومات مصرا على كبيره واحده تعالى الله عما نسبوه اليه من ذلك وجل عن هذا الافتراء والا
مر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي معناه الخروج على ائمة الجور بالسيف وخلع اليد من
طاعتهم ومفارقه جماعه المسلمين والاصل الخامس النبوة مع انهم لم يوفوها حقها بل نقضوها
غايه النقض من وجوه كثيره ليس هذا موضعها والمقصود ان مذهبهم تخليد هذه الطبقه
في النار وان لم يسموهم كفارا فوافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الاسم ولهذا سمي هذه
المساله من مسايل الاسماء والاحكام فهذه فرق اوجبت لهذه الطايفه الخلود في النار
وقالت المرجيه على اختلاف آرايهم لا ادري ما يفعل الله بهم يجوز ان يعذبهم كلهم
وان يعفو عنهم كلهم وان يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم غير انهم لا يخلد احد منهم
في النار يجوز ان يلحق بعضهم بمن ترجحت حسناته على سيئاته بل يجوز ان يرفع
عليه في الدرجه فهم موكولون عندهم الى محض المشيه لا يدري ما يفعل الله بهم

بل

بل يرجى امرهم الى الله وحكمه وهذا قول كثير من المتكلمين والفقها والصوفيه وغيرهم
فهذه الاقوال التي يعرفها اكثر الناس ولا يحكي اهل الكلام غيرها والصحابه وقول الصحابه
والتابعين واية الحديث لا يعرفونه ولا يحكونه وهو الذي ذكرناه عن ابن عباس وحذيفه
وابن مسعود ان من ترجحت سيئاته بواحده دخل النار وهولاء هم القسم الذين جاءت فيهم الاحاديث
الصحيحه الثابته عن رسول الله فانهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار اعمالهم فمنهم
من تاخذه النار الى كعبيه ومنهم من تاخذه النار الى انصاف ساقيه ومنهم من تاخذ
النار الى ركبتيه ويلبثون فيها على قدر اعمالهم ثم يخرجون منها فينثون على انهار الجنه
فيفيض عليهم اهل الجنه من الماء حتى تنبت اجسادهم ثم يدخلون الجنه وهم الطبقه الذين يخرجون
من النار بشفاعه النبيين وهم الذين يامر الله سبحانه الشفعا مرارا ان يخرجهم من النار بما معهم
من الايمان واخبار النبي صلى الله عليه وسلم انهم يكونون فيها على قدر اعمالهم مع قوله تعالى جزاء
كنتم تعملون وهل تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون واضعاف
ذلك من نصوص القرآن والسنه يدل على ما قاله افضل الامه واعلمها بالله وكتابه واحكام الدارين
اصحاب محمد والعمل والفطره تشهد له وهو مقتضى حكمه العزيز الحكيم الذي بهرت حكمته العقول
فليس الامر سبهللا خارجا عن الضبط والحكمه بل مربوط بالاسباب والحكم مرتب عليها الكامل ترتيبا جار
على نظام اقتضاه السبب واسند عنه الحكمه وعلى الطريق سالكها سالك غير هذه الطريق من الطرق
المتقدمه افضت به الى بعض النصوص ولابد فانها تتناقض في حقه لما اصله من الاصل الذي لا
يلتيم عليه جميع النصوص فلابد ان يرد بعضها بعض او يستشكلها او يتطلب لها مستشكل التاويلات
ووجوه التحريفات كما رد الخوارج والمعتزله النصوص المتواتره الدالة على خروج اهل الكبايره
من النار بالشفاعه فكذبوا بها وقالوا لا سبيل لمن دخل النار الى الخروج منها بشفاعه ولا غيرها
وما هو نظير نصوص الشفاعه وصاح بهم اهل السنه واية الاسلام من كل وطن وجانب
ورموهم بسهام الرد عليهم احالوا بالشفاعه على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من
النار فردوا السنن المتواتره قطعا وصاروا مبتدعه في افواه الامه وعارا في قولهما فان
امر الشفاعه اظهر عند الامه من ان يقبل شكا او نزاعا وهو عندهم مثل الصراط و
الحساب ونحوها مما يعلم اخبار الرسول به قطعا ولكن اتى القوم لا يفهم في غايه
البعد عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اجانب منه ليسوا من الورثه واما الخوارج فكذبوا

الألوكة
www.alukah.net

من حديث حرب بن حازم قال سمعت ابا رجاء يقول وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزال امر هذه الامة قواما او مقاربا مالم يتكلموا فى الولدان والقدر قال ابو حاتم
الولدان اراد به اطفال المشركين وفى استدلال هذه الفرقة على ما ذهبت اليه من الوقف بهذه
النصوص نظر فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجب بالوقف واغا وكل علم ما كانوا يعلمون لو
عاشوا الى الله سبحانه والمعنى الله اعلم بما كانوا يعلمون لو عاشوا فهو سبحانه يعلم القابل للهدى
العامل به لو عاش والقابل منهم للكفر الموثر له لو عاش لكن لا يدل هذا على انه نجى بعضهم
عليه فيهم بلا عمل يعلونه واغا يدل على انه يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حيوتهم وهذا الجواب
خرج عن النبى على وجهين احدهما جواب لهم حين اذ سالوه عنهم ما حكمهم فقال الله اعلم بما كانوا عاملين وهو
فى هذا الوجه يتضمن ان الله سبحانه يعلم من يوتى منهم ومن يكفر بتقدير الحيوة واما الجزاء على العمل
العلم فلم يتضمنها جواب النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح ابى عوانة الاسفرايينى عن هلال ابن حبان عن
عكرمة عن ابن عباس كان النبى فى بعض مغازيه فسأله رجل ما يقول فى الاهين فسكت عنه
حتى اذا فرغ من غزوه الطايف اذا هو بصبى يحبو فى الارض فامر منادية فنادى اين السايل عن
الاهين فاقبل الرجل فقال رسول الله عن قتل الاطفال وقال الله اعلم بما كانوا عاملين وا
لوجه الثانى جواب لهم حين احزنهم انهم من ابايهم فقالوا بلا عمل فقال الله اعلم بما كانوا عاملين
كما روى ابو داود عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ذرارى المومنين قال من ابايهم قلت يا رسول الله
بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين قلت يا رسول الله فذرارى المشركين قال هم من ابايهم قلت يا
رسول الله بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين فنى هذا الحديث ما يدل على ان الذين يلحقون بابايهم
منهم هم الذين علم الله انهم لو عاشوا لاختاروا الكفر وعملوا به فهولاء مع ابايهم ولا يقتضى
ان كل واحد من الذريه مع ابيه فى النار فان الكلام فى هذا الجنس سوالا وجوابا والجواب
يدل على التفصيل فان قوله الله اعلم بما كانوا عاملين يدل على انهم متباينون فى السعيه بحسب
ما يقع فى معلوم الله فيهم يبقى ان يقال فالحديث يدل على انهم يلحقون بابايهم من غير عمل ولهذا
فهمت ذلك منه عايشه فقالت بلا عمل فاقرها عليه وقال الله اعلم بما كانوا عاملين ويجاب
عن هذا بان الحديث انما دل على انهم يلحقون بهم بلا عمل علموه فى الدنيا وهو الذى فهمته
عايشه ولا ينفى هذا ان يلحقوا بهم بانساب اخر يلحقهم بها فى عرصات القيمه كما سياتى

الصحابه صرحوا واما المرجيه فانهم يجوزون ان لا يدخل النار احد من اهل التوحيد وهذا خلاف
المعلوم المتواتر من نصوص السنه بدخول بعض اهل الكباير النار ثم خروجهم منها بالشفا
ومع هذا التواتر الذى لا يمكن دفعه لا يجوز ان يقال بجواز ان لا يدخل احد منهم النار بل لا بد
من دخول بعضهم وذلك البعض هو الذى حقت موازينه ورجحت سياته كما قال الصحابه
وحكى ابو محمد ابن حزم هذا اجماعا من اهل السنه ولولا ان المقصود ذكر الطبقات لذكرنا
مالهذه المذاهب وما عليها وبينا ما نقض اهلها وما وافقوا فيه الحق وما خالفوه بالعقل
والعدل لا بالجهل والظلم فان كل طايفه منها معها حق وباطل فالواجب موافقتهم فيما قالوه
من الحق ورد ما قالوه من الباطل ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين
كل باب ويسر عليه فيها الاسباب وبالله المستعان الطبقه الرابعه عشر قوم لا
طاعه لهم ولا معصيه ولا كفر ولا ايمان وهولاء اصناف منهم من لم تبلغه الدعوه بحال ولا سمع لها
خبرا ومنهم المجنون الذى لا يعقل شيئا ولا يميز ومنهم الاصم الذى لا يسمع شيئا ابدا ومنهم
اطفال المشركين الذين ماتوا قبل ان يميزوا شيئا فاختلفت الامه فى حكم هذه الطبقه اختلافا
كثيرا واسئلته التى وسعوا فيها الكلام هى مثل اطفال المشركين واما اطفال المسلمين فقال
الامام احمد لا يختلف فيهم احد يعنى انهم فى الجنه وحكى ابن عبد البر على جماعه انهم توقفوا فيهم
وان جميع الولدان تحت المشيئه قال وذهب الى هذا القول جماعه كثيره من اهل الفقه والحديث
منهم حماد ابن زيد وحماد ابن سلمه وابن المبارك واسحق بن راهويه قالوا وهو سنه ماضيه
مالك فى موطاه فى ابواب القدر وما اورده من الاحاديث فى ذلك على ذلك اكثر اصحابه ويسمى
عن مالك فيه فى منصوص الا ان المتاخرين من اصحابه ذهبوا الى ان اطفال فى الجنه واطفال
المشركين خاصه فى المشيئه واما اطفال المشركين فللناس فيهم ثلاثه مذاهب احدها
الوقف فيهم وترك الشهاده بانهم فى الجنه او فى النار بل يوكل علمهم الى الله تعالى ويقال
الله اعلم ما كانوا عاملين واحتج هولاء بحجج منها ما خرجاه فى الصحيحين من حديث ابى هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا على الفطره فابواه يهودانه وينصرانه
كما تنتج البهيمه من بهيمه جمعاء هل تحس فيها من جدعاء قالوا يا رسول الله افرايت من يموت
وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ومنها ما فى الصحيحين ايضا عن ابن عباس ان
النبى سئل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين وفى صحيح ابى حاتم عن ابن حبان

الألوكة
www.alukah.net

بيانه انشاء الله فصل يلحق بابائهم ويلحقون بابائهم بلا عمل علوه في الدنيا وعايشه
انما استشكلت لحاقهم بهم بلا عمل علوه مع الاباء واجابها النبي بان الله سبحانه يعلم منهم
ما هم عاملوه ولم يقل لها انه يعذبهم بجرد علمه فيهم وهذا ظاهر فحمد الله لا اشكال فيه
واما حديث ابي رجاء العطاردي عن ابن عباس في القلب من رفعه بني وان اخرجه
ابن حبان في صحيحه وهو يرد على ذم من تكلم فيهم بغير علم اوضح المنصوص بعضها
ببعض فيهم كما ذم من تكلم في العدد عمل ذلك واما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا
المذهب الثاني الحكم في النار وهذا قول جماعة من المتكلمين واهل التفسير واحد الوجهين
لاصحاب احمد وحكاه القاضي نصا عن احمد والصحيح هو الاول لحديث عايشه المتقدم و
اصحها بما رواه ابو عقيل يحيى ابن المتوكل عن بعيه عن عايشه سالت رسول الله عن
اولاد المسلمين ابن هم قال في الجنه وسالته عن اولاد المشركين ابن هم يوم القيمه قال في النار
فعلت لم يدركوا الاعمال ولم يجر عليهم الاقلام قال ربك اعلم بما كانوا عاملين قلت يحيى ابن
المتوكل لا يحتج بحديثه فانه وان كان من الضعف واما حديث عايشه المتقدم فضعيف جدا
عمرو ابن ابي زائده ويقويه عن يزيد بن ابي اميه ان الهوا ابن عازب ارسل الى عايشه يسالها
عن الاطفال فذكرت الحديث هكذا قال سلم بن قتيبه وقال غيره عن عمر ابن ابي زائده
يزيد عن رجل عن الهوا ورواه الامام احمد في مسنده من حديث عتبه ابن حميد ابي ضمره ابن حبيب
حدثني عبد الله ابن ابي قيس مولى عطيف انه سال عايشه فذكر الحديث وعبد الله هذا ينظر
في حاله وليس بالمشهور واصحها ما رواه عبد الله بن احمد في مسند ابيه نا غوث ابن ابي
شيبه عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال سالت خديجه
رسول الله عن ولدين لها ماتا في الجاهليه فقال هما في النار فلما راى الكراهيه في وجهها
قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال ان المؤمنين و
اولادهم في الجنه وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
ذريتهم بايمان الحقنا بهم وهذا معلول من وجهين احدهما ان محمد بن عثمان مجهول
الثاني ان زاذان لم يدرك عليا وقال حماد عن داود ابن ابي هند عن الشعبي عن

علقمه

علقمه عن سلمه بن قيس الاشجعي قال اتيت انا واخي النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا ان امنا
ماتت في الجاهليه وكانت تقري الضيف لنا في الجاهليه لم يبلغ الحنث
فقال الوائده والمؤدة في النار الا ان يدرك الوالده الاسلام فيسلم وهذا اسناد لا باس
به وحديث خديجه انها سالت رسول الله عن اولادها الذين ماتوا في الشرك فقال ان سئلت
اسمعتك تضاغيهم في النار قال شيخنا وهذا حديث باطل موضوع واصحها بما روى البخاري
في صحيحه في حديث احتجاج الجنه والنار عن النبي انه قال واما النار فينشئ الله لها خلقا
يسكنهم اياها قالوا فهولاء ينشئون للنار بغير عمل فلان يدخلها من ولاد في الدنيا بين
كافرين اولى وهذه حجه باطله فان هذه اللفظه وقعت غلطا من بعض الرواه وبينها
البخاري في الحديث الاخر وهو الصواب فقال في صحيحه حدثني عبد الله بن محمد ناعبد
الرزاق نا معمر عن همام عن ابي هريره قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنه والنار فقالت
النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنه مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم
قال الله عز وجل للجنه انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انت عذابي اعذب بك
من اشاء من عبادي ولكل واحده منكما ملوها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار عز وجل
رجله وتقول قط قط قط هناك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه احدا و
اما الجنه فان الله ينشئ لها خلقا فهذا هو الذي قاله رسول الله طاريب وهو الذي ذكره في
التفسير وقال في باب ما جاء في قول الله ان رحمت الله قريب من المحسنين ناعبد الله بن سعد
ناعقوب بابي عن صالح بن كيسان عن الاعرج عن ابي هريره عن النبي قال احتجت
الجنه والنار الى ربهما فقالت الجنه يارب مالها لا يدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم
وقالت النار الخ فقال للجنه انت رحمتي وقال للنار انت عذابي اصيب بك من اشاء و
لكل واحده منكما ملوها فاما الجنه فان الله تعالى لا يظلم من خلقه احدا وانه ينشئ للنار
من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضع قدمه فيها فتمتلئ ويزوى بعضها
الى بعض فتقول قط قط قط فهذا غير محفوظ وهو مما انقلب لفظه على بعض الرواه
قطعا كما انقلب على بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا
حتى يوذن ابن ام مكتوم فقال ابن ام مكتوم يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى

كلا وجد

يؤذن بلال وله نظائر وحديث الاعرج عن ابي هريرة هذا لم يحفظ كما ينبغي و بسياقه
يدل على ان راويه لم يقم متنه فخلاف حديث همام عن ابي هريرة واحتجوا بما رواه
ابو داود عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار
قال يحيى بن زكريا فحدثني ابو اسحق السبيعي ان عامرا حدثه بذلك عن علقمة
عن ابن مسعود عن النبي وباني الجواب عن هذا الحديث ان شاء الله والله اعلم
المذهب الثالث انهم في الجنة وهذا قول طائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم
واحتج هؤلاء بما رواه البخاري في صحيحه عن سمرة ابن جندب قال كان رسول الله
يعني صلى الله عليه وسلم كثيرا ان يقول لاصحابه هل رأى احدكم رؤيا قال فنقص عليه
من شاء الله ان نقص وانه قال لنا ذات غداة اني اتاني الليلة آتيان فذكر
الحديث وفيه فانتهينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع واذا بين ظهري
الروضة رجل طويل لا اكاد اري راسه طولا في السماء واذا حول الرجل
من اكثر ولدان رايتهم قط وفيه واما الولدان الذين حوله فكل مولود مات
على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله
واولاد المشركين هذا الحديث الصحيح صريح في انهم في الجنة ورؤيا الانبياء
وحي وفي مستخرج البرقاني على البخاري من حديث عوف الاعرابي عن ابي رجاء
العطاردي عن سمرة عن النبي قال كل مولود يولد على الفطرة فقال الناس يا
رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين وقال ابو بكر بن حمدان
القطيعي ثنا بشر ابن موسى ثنا هوذة بن خليفة ثنا عوف عن حنساء بنت معاوية
قالت حدثتني عمتي قالت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة
والمؤودة في الجنة وكذلك رواه بندار عن غندر عن عوف واحتجوا بقوله
تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وبقوله لا يصلاها الا
الاشقى وبقوله اعدت للكافرين وبقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله بالرسل فلا يعذبهم واحتجوا بقوله وما كان ربك

ليهلك

ليهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون فاذا كان سبحانه لا يهلك القرى في الدنيا ويعذب اهلها
الا بظلمهم فكيف يعذب في الاخرة العذاب الدائم من لم يصدر منه ظلم ولا قبائح
اهلكهم في الدنيا بتعاليه لابويه وغيرهم فكذلك يدخله النار بتعاليهم لان مصائب الدنيا
اذا وردت لا تخص الظالم وحده بل تصيب الظالم وغيره ويعثون على نياتهم واعمالهم كما قال
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وكالخسف الذي خسف بهم جميعا وبعثهم
المكره والمستبصر وغيره فاما عذاب الاخرة فلا يكون الا للظالمين خاصة ولا يتعلق فيه بمن
لا ذنب له اصلا قال يقال في النار كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وما انتم الا في ضلال كبير وقال لابليس لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم
اجمعين واذا استلات بابليس واتباعه فان يستثن فيها من لم يتبعه قالوا وايضا فالقرآن
مملوء من الاخبار بان اهل النار انما يكونون بالاعمال كقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون
وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين الى
غير ذلك من النصوص قالوا وقد اخبر النبي ان كل مولود يولد على الفطرة وانما يهوده
وينصره ابواه فاذا مات قبل التهويد والتنصير مات على الفطرة فكيف يستحق النار
وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد عن النبي قال يقول الله اني خلقت عبادي حنفا
فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وقال محمد بن اسحق
عن ثور بن يزيد عن يحيى ابن جابر عن عبد الرحمن بن عايذ عن عياض عن النبي قال ان
الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين واعطاهم المال حلالا لا طارما فزاد مسلمين قالوا
وايضا فان الله تعالى اخبر انه اعد الجنة دار فضله فلهذا ينشئ للجنة من لم يعمل عملا
وطاعة واما النار فانه لا يعذب بها الا من عمل عمل اهلها قالوا وايضا فان النار دار
جزاء من لم يعص الله طرفة عين فكيف يجازى بالنار خالدا مخلدا ابدا الاباد قالوا
وايضا فلو عذب هؤلاء لكان تعذيبهم امامع تكليفهم بالايمان او بدون التكليف

والقسمان ممتنعان اما الاول فلاستحالة تكليف من لا تمييز له والعقل اصلا واما الثاني
فيمتنع ايضا بالنصوص التي ذكرناها واما لها من القرآن كقوله ان الله لا يعذب احدا الا
بعد قيام الحجة عليه قالوا وايضا فلو كان تعذيب هؤلاء لاجل عدم الايمان المانع من الثواب
لاشتركوا هم واطفال المسلمين في ذلك لاشتراكهم في عدم الايمان الفعلي عملا وعلما فان قلتم
اطفال المسلمين منعهم تبعيتهم لابائهم من العذاب بخلاف اطفال المشركين قلنا الله لا يعذب
احدا بذنب غيره قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا
تجزون الا ما كنتم تعملون وهذا حجة كما ترى قوية وكثيرة ولا سبيل الى دفعها وسيأتي
ان شاء الله فصل النزاع في هذه المسئلة والقول الموجب هذه الحجج الصحيحة كلها على
عادتنا في مسايل الدين كلها دقها وجلها ان نقول بموجبها ولا نضرب بعضها ببعض
ولا نتعصب لطايفة على طايفة بل نوافق كل طايفة على ما معها من الحق ونخالفها فيما معها
من خلاف الحق لا نستثني من ذلك طايفة ولا مقالة ونرجو من الله ان يجازي على ذلك ويثيبنا
عليه ونلقى الله به ولا قوة الا بالله المذهب الرابع انهم في منزلة بين المنزلتين
بين الجنة والنار فانهم ليس لهم حسنات يدخلون بها الجنة ولا آباؤهم فوز يلحق بهم اطفالهم
تكميلا لثوابهم وزيادة في نعيمهم وليس لهم من الاعمال ما يستحقون به دخول النار و
هذا قول طايفة من المفسرين قالوا وهم اهل الاعراف وقال عبد العزيز بن ابي حازم
الكناني هم الذين ماتوا في الفترة والقايلون بهذا ان ارادوا ان هذا المنزل مستقر
ابدا فباطل فانهم لا دار للقرار الا الجنة او النار وان ارادوا انهم يكونون فيه مدة ثم
يصيرون الى دار القرار فهذا ليس بممتنع المذهب الخامس انهم تحت مشيئة الله تعالى
يجوز ان يعذبهم بعذابه وان يرحمهم برحمته وان يرحم بعضا ويعذب بعضا محض
الارادة والمشيئة ولا سبيل الى اثبات شئ من هذه الاقسام الا بخبر يجب المصير اليه
ولا حكم فيهم الا محض المشيئة وهذا قول المجبرية معناه الحكمة والتعليل وقول كثيرين من
مثبتي القدر وغيرهم المذهب السادس عشر انهم خدم اهل الجنة ومماليكهم
وهم معهم بمنزلة ارقايهم ومماليكهم في الدنيا واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب

بن عبد الرحمن القاري عن ابي حازم المدني عن يزيد الرقاشي عن انس قال الدارقطني
ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشي عن انس عن النبي
قال سألت ربي اللاهيين من ذريه البشر ان لا يعذبهم فاعطانيهم فهم خدام اهل الجنه
يعني الصبيان فهذه طريقه ولها طريق ثالث عن فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن
ابن اسحق عن الزهري عن انس قال ابن قتيبه اللاهون من لهيت عن الشيء اذا غفلت
عنه وليس هو من لهوت وهذه الطرق ضعيفه فان يزيد الرقاشي واه وفضيل ابن
سليمان يتكلم فيه وعبد الرحمن ابن اسحق ضعيف المذهب السابع ان حكمهم حكم
ابايهم في الدنيا والاخره فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين فحكمهم منهم في الدنيا
فهم منهم في الاخره والفرق بين هذا المذهب وبين مذهب من يقول هم في النار ان
صاحب هذا المذهب يجعلهم معهم تبعا لهم حتى لو سبي الابوان بعد موت اطفالهم
حكم لاولادهما بالنار على صاحب القول الاخر يقول هم في النار لكونهم ليسوا مسلمين
ولم يدخلوها تبعا وهو لا يحتجون بحديث عايشه الذي تقدم ذكره واحتجوا بما في
الصحيحين عن الصعب بن جثامه قال سيل رسول الله عن اهل الدار من المشركين
يبيتون فيصيبون من نسايهم وذراريهم فقال هم منهم ومثله من حديث الاسود بن
سريع وقد تقدم حديث ابي وايل عن ابن مسعود برفعه الوائد والمؤودة في النار
وهذا يدل على انها انما كانت في النار تبعا لها قالوا ويدل عليه قوله والذين امنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين
فهذا يدل على ان اتباع الذريه لابايهم وبخاتمهم انما كان الزاما لابايهم وزيادة
في ثوابهم وان الاتباع انما استحق بايمان الاباء فاذا انتفى ايمان الاباء استحق
اتباع الجهاة وبقي اتباع العذاب ويفسر قوله صلى الله عليه وسلم هم منهم واجيب
عن حجج هؤلاء اما حديث عايشه الذي فيه انهم في النار فقد تقدم ضعفه واما
حديثها الاخر هم من ابايهم فمثل حديث الصعب والاسود بن سريع وليس فيه
تعرض للعذاب بنفي ولا اثبات وانما فيه انهم تبع لابايهم في الحكم وانهم اذا اصيبوا
في الجهاد والبيات لم يضمنوا بديه ولا كفاره وهذا مصرح به في حديث الصعب والاسود

الذي للجهاد واما حديث عايشة الاخر فضعفه غير واحد قالوا وعبد الله بن ابي قيس [illegible]
هو الولي عظيم راويه عنها ليس بالمعروف فيقبل حديثه وعلى تقدير ثبوته فليس فيه
تصريح بان السوال وقع عن الثواب والعقاب والنبي قال هم من ابائهم ولم يقل هم
معهم وفرق بين الحرفين وكونهم منهم لا يقتضي ان يكونوا معهم في احكام الاخرة بخلاف
كونهم منهم فانه يقتضي ان ثبت لهم احكام الاباء في الدنيا من التوارث والحضانة
والنسب وغير ذلك من احكام الاولاد والله سبحانه يخرج الطيب من الخبيث و
المؤمن من الكافر واما حديث ابن مسعود فليس فيه ان هذا حكم كل واحد من اطفال المشركين
وانما دل على ان بعض اطفالهم في النار وان من هذا الجنس وهن الموؤدات من يدخل
النار وكونها مؤودة لا يمنع من دخولها النار بسبب اخر وليس المراد ان كونها موؤدة
هو السبب الموجب لدخول النار حتى يكون اللفظ عاما في كل موؤده وهذا ظاهر ولكن
كونها موؤدة لا مرد عنها النار اذا استحقتها بسبب كما سياتي بيانه بعد هذا ان شاء الله
واحسن من هذا ان يقال هي في النار بالم يوجد سبب يمنع من دخولها النار كما سنذكره
ان شاء الله ففرق بين ان يكون جهة كونها موؤده هي التي استحقت بها دخول النار
وبين كونها غير مانعة من دخول النار بسبب اخر واذا كان تعالى يساءل الوالد عن وأد
ولدها بغير استحقاق ويعذبها على وادها كما قال تعالى واذا الموؤده سئلت فلم
يعذب الموؤده بغير ذنب والله سبحانه لا يعذب من وادها بغير ذنب واما قوله والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم باياني الحقنا بهم ذرياتهم فهذه الاية تدل على ان الله سبحانه
يلحق ذرية المؤمنين بهم في الجنة وانهم يكونون معهم في درجتهم ومع هذا لا يتوهم
نزول الاباء الى درجة الاولاد فان الله لم ينقصهم اي لم ينقصهم من اعمالهم شيئا بل رفع
ذرياتهم الى درجاتهم مع توفير اجور الاباء عليهم ولما كان الحاق الذرية بالاباء في
الدرجة انما هو لحكم التبعية لا باعمال ربما توهم متوهم ان ذرية الكفار
يلحقون بهم في العذاب تبعا وان لم تكن لهم اعمال الاباء فقطع تعالى هذا التوهم
بقوله كل امرئ بما كسب رهين وتامل قوله والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم باياني
كيف اتى بالواو العاطفة في اتباع الذرية وجعل الخبر عن المؤمنين هذا شانهم فجعل

الخبر

الخبر مستحقا بامرين احدهما ايمان الاباء والثاني اتباع الله ذرياتهم اياهم وذلك لا يقتضي
ان كل مؤمن يتبعه كل ذرية له ولو اريد هذا المعنى لقيل والذين امنوا تتبعهم ذرياتهم
ذرياتهم فعطف الاتباع بالواو يقتضي ان يكون المعطوف بها قيدا وشرطا في
ثبوت الخبر لاصوله لكل افراد المسند وعلى هذا يخرج ما رواه مسلم في صحيحه عن
عايشة قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم بصبي من الانصار يصلي عليه فقلت يا رسول الله
طوبى لهذا لم يعمل شرا ولم يدركه قال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق الجنة وخلق
لها اهلا وخلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم وخلق النار وخلق لها اهلا
وخلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم فهذا الحديث يدل على انه لا يشهد لكل
طفل من اطفال المؤمنين في الجملة انهم في الجنة لعدم الشهادة للمعين بمنعه كما
يشهد للمؤمن مطلقا انهم في الجنة ولا يشهد لمعين بذلك الا من شهد له النبي
لعذا وجه الحديث الذي يشكل على كثير من الناس ورده الامام احمد وقال لا
يصح وهذا ومن يشك ان اولاد المسلمين وتاوله قوم تاويلات بعيدة المذهب
الثامن انهم يمتحنون في عرصات القيمة ويرسل اليهم هناك رسول الى
كل من لم يبلغه الدعوة فمن اطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه ادخله
النار على هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار وبهذا يتالف شمل الادلة
وتتوافق الاحاديث ويكون معلوم الله الذي احال عليه النبي حيث يقول الله اعلم بما
كانوا عاملين ظهر حينئذ ويقع الثواب والعقاب عليه حال كونه معلوما خارجيا
لا علما مجردا ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رد جوابهم الى علم الله فيهم والله رد
ثوابهم وعقابهم الى معلومه منهم فالخبر عنهم مردود الى علمه مصيرهم مردود الى
معلومه وقد جاءت بذلك اثار كثيرة يؤيد بعضها بعضا منها ما رواه الامام احمد
في مسنده والبزار ايضا باسناد صحيح فقال الامام احمد ثنا معاذ بن هشام عن
ابيه عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اربعة يحتجون يوم القيمة رجل اصم لا يسمع ورجل هرم ورجل احمق ورجل مات

الألوكة
www.alukah.net

في الفترة اما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وانا ما اسمع شيئا واما
الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر واما الهرم
فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اعقل واما الذي في الفترة فيقول رب ما اتاني
رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار قال والذي
نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما قال معاذ وحدثني ابي عن
قتادة عن الحسن عن ابي رافع عن ابي هريرة مثل هذا الحديث وقال في آخره فمن
دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها رد اليها وهو في مسند اسحق عن
معاذ بن هشام ايضا ورواه البزار ولفظه عن الاسود ابن سريع عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يعرض على الله تبارك وتعالى الاصم الذي لا يسمع شيئا والاحمق و
الهرم ورجل مات في الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا والا
حمق يقول رب جاء الاسلام وما اعقل شيئا ويقول الذي مات في الفترة جاء
رب ما اتاني لك رسول وذكر الهرم وما يقول قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه
فيرسل اليهم رسولا ادخلوا النار قالوا والذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت
عليهم بردا وسلاما قال الحافظ عبد الحق في حديث الاسود قد جاء هذا الحديث
وهو صحيح فيما اعلم والاخرة ليست دار تكليف ولا عمل ولكن الله تحنن من يشاء
بما يشاء ويكلف من شاء ما شاء وحيث ما شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
قلت وسيأتي الكلام على وقوع التكليف في الدار الاخرة وامتناعه عن قريب
ان شاء الله ورواه علي ابن المديني عن معاذ بهذه قال البيهقي نا علي ابن محمد بن
بشران انا ابو جعفر البزاز انا حنبل بن الحسن انا علي بن عبد الله وقال هذا
اسناد صحيح واما حديث علي ابن زيد ابن جدعان عن ابي رافع عن ابي هريرة
عن النبي نحوه ورواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة
قوله وروى محمد بن المبارك الصوري نقدها عمر بن واقد ضعيف نا
يونس بن ميسرة بن حلبس عن ابي ادريس الخولاني عن معاذ يرفعه يؤتى يوم القيمة

المسوح

المسوح عقلا ورباهالك في الفترة ورب هالك صغير يقول المسوح عقلا يا
رب لو اكتشى عقلا ما كان من اثبته عقلا باسعدني ويقول الهالك صغيرا
في الفترة يا رب لو اتاني منك عهد ما كان من اتاه منك عهد باسعد بعهده
مني ويقول الهالك صغيرا يا رب لو اتبتني عمرا ما كان من اتبته عمرا باسعدني يقول
الرب سبحانه لعلي امرتكم بامر فتطيعوني فيقولون نعم وعزتك فيقول اذهبوا
فادخلوا النار فلو دخلوها ما ضرهم قال فيخرج عليهم قوابس طمسا انها قد
اهلكت ما خلق الله من شيء فيأمرهم الناس فيرجعون عن ذلك ويقولون مثل
قولهم فيقول الله قبل ان خلقتكم علمت ما انتم عاملون وعلى علمي خلقتكم فعلى علمي
تصيرون فتأخذهم النار فهذا وان كان عمرو بن واقد ولا يحتج به فله اصل
وشواهد والاصول تشهد له وفي الباب احاديث غير هذا وقد رويت
احاديث الامتحان في الاخرة من حديث الاسود بن سريع وصححه عبد الحق و
البيهقي من حديث ابي هريرة وانس ومعاذ وابي سعيد فاما حديث الاسود
فرواه معاذ ابن هشام عن ابيه عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن
سريع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال معاذ وحدثني ابي عن قتادة عن الحسن عن
ابي رافع عن ابي هريرة رواه احمد واسحق عن معاذ ورواه حماد بن سلمة عن علي بن
زيد بن جدعان عن ابي رافع عن ابي هريرة ورواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي
هريرة مرفوعا عليه وهذا لا يضر الحديث فانه ان سلك طريق ترجيح الراجح
فواضح وان سلك طريق المعارضة فغايتها تحقق الوقف ومثل هذا لا يقدم عليه
بالرأي اذ لا مجال له فيتعين الحكم بان هذا توقيف لا عن رأي واما حديث انس فرواه
جرير بن عبد الحميد عن ليث ابن ابي سليم عن محمد الوارث عن العلى عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى
يوم القيمة ثلاثة مربعة مالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة واليشكر الذي كلهم
يتكلم بحجته فيقول الرب سبحانه لعنق من جهنم ابرزي ويقول لهم اني كنت ابعث
الى عبادي رسولا من انفسهم والي رسولا نفسي البحر قال ويقول لهم ادخلوا هذه
ويقول من كتب عليه الشقاء الى اين ادخلها ومنها كنا نفر قال فراها من

كتب عليه السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الله فانتم لو سلي اشد تكذيبا
فيدخل هؤلاء الى الجنة ولهؤلاء الى النار وهذا وان لم يعتمد عليه بمجرده لمكان
ليث بن ابي سليم عن عبد الرزاق عن اسرعن النبي صلى الله عليه وسلم واما حديث معاذ
فيتقدم الكلام عليه واما حديث ابي سعيد فرواه محمد بن يحيى الذهلي نا سعيد بن
سليمان عن فضيل ابن مرزوق عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله لهالك
في الفترة والمعتوه والمولود يقول الهالك في الفترة لم ياتني كتاب وقيول
المعتوه يقول رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم ادرك
العقل فيرفع لهم نار فيقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله سعيدا لو
ادرك العمل وعسيك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل فيقول اياي
عصيتم فكيف لو رسلي اتتكم تابعه الحسن بن موسى عن فضيل ورواه ابو نعيم
عن فضيل بن مرزوق فوقفه فحذا وان كان في عطيه فهو من يعتبر بحديثه
ويستشهد به وان لم يكن حجة واما الوقف فقد تقدم نظيره من حديث ابي هريرة
فهذه الاحاديث يشد بعضها بعضا ويشهد لها اصول الشرع وقواعده
والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسند نقله عنهم الاشعري رحمه الله
في المقالات وغيرها فان قيل قد انكر ابن عبد البر هذه الاحاديث وقال اهل
العلم ينكرون احاديث هذا الباب لان الاخرة ليست دار عمل ولا ابتلا
وكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا
يكلف نفسا الا وسعها فالجواب من وجوه احدها ان اهل العلم لم يتفقوا
على انكارها بل واعتقدهم وان انكرها بعضهم فقد صحح غيره بعضها كما
تقدم الثاني ان ابا الحسن الاشعري حكى هذا المذهب عن اهل السنة والحديث
فدل على انهم ذهبوا الى موجب هذه الاحاديث الثالث ان اسناد حديث الا
سود اجود من كثير من الاحاديث التي يحتج بها في الاحكام ولهذا رواه الائمة
احمد واسحق وعلي ابن المديني الرابع انه قد نص جماعة من الائمة على وقوع الا

متحان في الدار الاخرة وقالوا لا ينقطع التكليف الا بدخول دار القرار ذكره البيهقي
عن غير واحد من السلف الخامس ما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة
وابي سعيد في الرجل الذي هو اخر اهل الجنة دخولا انها ان الله سبحانه ياخذ عهوده
ومواثيقه ان لا يسأله غير الذي يعطيه وانه يجد لغيره ويسأل غيره فيقول الله تعالى يا
اعذرك وهذا العذر منه هو لمخالفته للعهد الذي عاهد ربه عليه السادس قوله وليس
ذلك في وسع المخلوقين جوابه من وجهين احدهما ان ذلك ليس تكليفا بما ليس في
الوسع وانما هو تكليف بما فيه مشقة شديدة وهو تكليف بني اسرائيل قتل اولا
دهم وارواحهم وايلامهم حين عبدوا العجل وتكليف المؤمنين اذا رأوا الاهوال و
سمعوا سلال الجنة والنار ان يقتحموا الذي يرونه نارا الثاني انهم لو اطاعوه ودخلوها
لم يضرهم وكانت بردا وسلاما فلم يكلفوا بممتنع ولا بما يشق الساب
انه قد ثبت انه سبحانه يامرهم في الكفة بالسجود وحول بين المنافقين وبينه و
هذا تكليف بما ليس في الوسع قطعا فكيف ينكر التكليف بدخول النار في راي
العين اذا كانت سببا الى النجاة كما جعل قطع الصراط الذي هو ادق من الشعرة
واحد من السيف سببا للنجاة كما قال ابو سعيد الخدري بلغني انه ادق من الشعر واحد
من السيف رواه مسلم فركوب هذا الصراط الذي هو في غاية المشقة كالنار ولهذا
كلاهما يفضي منه الى النجاة والله اعلم الثامن ان هذا كله على تسليم استبعاد مجرد
لا يرد مثله الاحاديث والناس لهم طريقان في سلك طريق المشية لم يكنه ان
يستبعد هذا التكليف ومن سلك طريق الحكمة والتعليل لم يكن معه بد ان
يقول هذا التكليف موافقا للحكم بل الادلة الصحيحة تدل على انه مقتضى الحكمة
كما ذكرناه التاسع ان في اصح هذه الاحاديث وهو حديث الاسود انهم يعطون
ربهم المواثيق ليطيعنه فيما يامرهم به فيامرهم ان لا يدخلوا النار الامتحان فتركوا
الدخول معصية لامره لا لعجزهم عنه فكيف يقال انه ليس في الوسع فان قيل
فالاخرة دار جزاء وليست دار تكليف فكيف يمتحنون في غير دار التكليف

الألوكة
www.alukah.net

فالجواب ان التكليف انما ينقطع بعد دخول دار القرار واما في البرزخ وعرصات
القيمة فلا ينقطع وهذا معلوم بالضرورة من الدين من ووقوع التكليف بسائر
الملكين في البرزخ وهي تكليف واما في عرصة القيمة فقد قال تعالى يوم يكشف عن
ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فهذا صريح في ان الله يدعو الخلائق الى
السجود يوم القيمة وان الكفار تحال بينهم وبين السجود اذ ذاك ويكون هذا
التكليف بما لا يطاق حينئذ حسا عقوبة لهم لانهم كلفوا به في الدنيا وهم
يطيقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدور لهم كلفوا به وهم لا يقدرون عليه حسرة
عليهم وعقوبة لهم ولهذا قال تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون
يعني الصحا لا افة تمنعهم منه فلما تركوه وهم سالمون دعوا اليه في وقت حيل
بينهم وبينه كما في الصحيح من حديث زيد ابن اسلم عن عطاء عن ابي سعيد ان
ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا فذكر الحديث بطوله الى ان قال فيقول
يتبع كل امة ما كانت تعبد فيقول الموحدون فارقنا الناس في الدنيا افقر
ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا
نشرك بالله شيأ مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول
هل بينكم وبينه ايه تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من
كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد
اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم
يرفعون رؤسهم وذكر الحديث وهذا تكليف نظير تكليف البرزخ بالمسلة
من اجاب في الدنيا طوعا واختيارا اجاب في البرزخ ومن امتنع من الاجابة في
الدنيا منع منها في البرزخ ولم يكن تكليفه في الحال وهو غير قادر قبيحا بل
هو مقتضى الحكمة الالهية لانه مكلف وقت القدرة فاني فاذا كلف وقت
العجز وقد حيل بينه وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة والمقصود ان التكليف

لا ينقطع الا بعد دخول الجنة والنار وقد تقدم ان حديث الاسود بن سريع صحيح
وفيه التكليف في عرصة القيمة فهو مطابق لما ذكرنا من النصوص الصحيحة الصريحة فعلم ان
الذي يدل عليه الادلة الصحيحة وما تلق به النصوص ومقتضى الحكمة هذا القول والله اعلم
وقد حكى بعض اهل المقالات عن عامر بن اشرس انه ذهب الى ان الاطفال يصيرون
في يوم القيمة ترابا وقد نقل عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد وغيرهم انه
كفر هو الكلام في هذه المسلة جملة الطبقة الخامسة عشر طبقة الزنادقة وهم قوم كفروا
الاسلام ومتابعة الرسل وابطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله وهؤلاء المنافقون
وهم في الدرك الاسفل من النار قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن
تجد لهم نصيرا اما الكفار المجاهرون بكفرهم اخف توقفا في دركات النار لان الطا
يغتبن اشتركا في الكفر ومعاداة الله ورسله وزادت المنافقون عليهم بالكذب
والنفاق وبليه المسلمين بهم اعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى
في حقهم هم العدو فاحذرهم ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر اي لا عدو لا هم ولكن لم
يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وانهم لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا من اثبات
الاولوية والاحقية لهم في هذا الوصف وانه لا يتوهم بانسبتهم الى المسلمين ظاهرا و
مع الا تفهم لهم ومخالطتهم اياهم انهم ليسوا باعدائهم بل هم احق بالعداوة ممن يأتيهم
في الدار كما نصب لهم للعداوة وجاهرهم بها فان ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين
لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم اشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة و
الزم وادوم لان الحرب مع اولئك ساعة اوقاتا ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر
وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحا ومساء يدلون العدو على عوراتهم وتنقل
لهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم فهم احق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قيل
هم العدو فاحذرهم لا على معنى انه لا عدو لكم سواهم بل على معنى انهم احق بان يكونوا
لكم عدوا من الكفار المجاهرين ونظير ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسال
الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه فليس هذا نفيا لاسم المسكين عن الطواف بل

الألوكة
www.alukah.net

اخبار بان هذا هو الفاقع الذى لا سوداء مسكينا احق بهذا الاسم من الطواف
الذى بسوداء مسكينا ونظيره قوله ليس الشديد بالصرعة ولكن الذى يملك
نفسه عند الغضب ليس بقليل الاسم عن الصرعة ولكن اخبار بان من يملك نفسه عند الغضب
احق منه بهذا الاسم ونظيره قول كما تعدون المفلس فيكم قالوا من لا درهم له
ولا متاع قال المفلس من يأتى يوم القيمة بحسنات امثال الجبال ويأتى قد لطم
هذا وضرب هذا واخذ مال هذا فيقبض هذا من حسناته وهذا من حسناته
فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه فالقى فى النار
ونظيره قوله ما تعدون الركوب فيكم قالوا من لا يولد له قال الرقوب من لم
يقدم من ولده شيأ ومنه عندى قوله صلى الله عليه وسلم الربا فى النسيئة
وفى لفظ انما الربا فى النسيئة هو اثبات لان هذا النوع هو احق باسم الربا من
ربا الفضل وليس فيه نفى اسم الربا عن ربا الفضل فتامله والمقصود ان هذه
الطبقة اسقط الاشقياء ولهذا يستهوى بهم فى الاخرة ويعطى نورا يتوسطون به
على الصراط ثم يطفئ الله نورهم ويقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ويضرب
بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وهذا اشد ما يكون من الحسرة والبلاء
ان يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح حتى اذا ظن انه ناج ورأى منازل السعداء اقتطع
عنهم وضربت عليه الشقوة ونعوذ بالله من غضبه وعقابه واعاذنا من هذه الطبقة
فى الدرك الاسفل لغلظ كفرهم فانهم خالطوا المسلمين وعاشروهم وباشروا من
من اعلام الرسالة وشواهد الايمان ما لم يباشره البعداء ووصل اليهم من معرفته و
صحته ما لم يصل الى المنابذين بالعداوة فاذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا اغلظ
كفرا واخبث قلوبا واشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم وان كان
البعداء مستعدين لحرب المسلمين ولهذا قال تعالى فى المنافقين ذلك بانهم امنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقال فيهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقال فى الكفار

صم بكم عمى فهم لا يعقلون فالكافر لم يعقل والمنافق ابصر ثم عمى وعرف ثم جاهل
واقرّ ثم انكر وامن ثم كفر ومن كان هكذا فقد اشتد عمله واخبث قلبا واعتى
على الله ورسله فاستحق الدرك الاسفل وفيه معنى اخر ايضا وهو ان الحامل لهم
على النفاق طلب العز والجاه بين الطايفتين فرضوا المؤمنين ليعزوهم ويرضوا
الكفار ليعزوهم ايضا ومن ههنا دخل عليهم البلا فانهم ارادوا العزتين من
الطايفتين ولم يكن لهم غرض فى الايمان ولا الاسلام ولا طاعة الله ورسوله بل
كان مبلغهم وصغوهم وجهتهم الى الكفار فقويلوا على ذلك باعظم الذل
وهوان جعل مستقرهم فى اسفل السافلين تحت الكفار فما اتصف به المنا
فقون من مخادعة الله ورسوله والذين امنوا والاستهزاء باهل الايمان والكذب
والتلاعب بالدين واظهار انهم من المؤمنين وابطنوا قلوبهم على الكفر والشرك
وعداوة الله ورسوله امر احتصوا به عن الكفار فتغلظ كفرهم به فاستحقوا
الدرك الاسفل من النار ولهذا لما ذكر تعالى اقسام الخلق فى اول سورة قسمهم
الى مؤمن ظاهرا وباطنا وكافر ظاهرا وباطنا ومؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن و
هم المنافقون ذكر فى حق المؤمنين ثلاث ايات وفى حق الكفار اثنين فلما انتهى
الى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشر اية ذمهم فيها غاية الذم وكشف عوارهم
وفضحهم واخبر انهم هم السفهاء المفسدون فى الارض الخادعون المستهزئون اللهو
نون فى اشتراهم الضلالة بالهدى وانهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون وانهم مرضى
القلوب وان الله يزيدهم مرضا الى مرضهم ثم يبقيهم ذما ولا عيبا الا ذمهم به
وهذا يدل على شدة مقتة سبحانه لهم وبغضه اياهم وعداوته لهم وانهم ابغض
اعدايه اليه فظهر حكمة الباهرة فى تخصيص هذه الطبقة بالدرك الاسفل من
النار نعوذ بالله من مثل حالهم ونسأله معافاته ورحمته ومن تامل ما وصف الله
به المنافقين فى القران من صفات الذم علم انهم احق بالدرك الاسفل فانه وصفهم
بمخادعته ومخادعة عباده ووصف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والا
شكوك ووصفهم بالافساد فى الارض وبالاستهزاء بدينه وعباده وبالطغيان

الألوكة
www.alukah.net

واشتراء الضلالة بالهدى والصم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته والرياء
وقلة ذكره والتردد وهو العذاب بين المؤمنين والكفار فلا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء والحلف بسيده تعالى كذبا وباطلا وبالكذب وبغاية الجبن وبعدم الفقه في
الدين وبعدم العلم وبالجهل وبعدم الايمان بالله وباليوم الاخر وبالرب وبانهم مضرة
على المؤمنين هم لا يحصل لهم بصحبتهم الا الشر من الخبال والاسراع بينهم بالشر
والقاء الفتنة وكراهتهم لظهور امر الله ومجيء الحق وانهم يحزنون عما يحصل للمؤمنين
من الخير والنصر ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء وانهم يتربصون الدوائر
بالمسلمين وبغضهم الانفاق في مرضاة الله وسبيله ويعيب المؤمنين ورميهم
بما ليس فيهم ويلازمون المتصدقين ويعيبون مزهدهم ويرمون من عمل بالرياء واراءه
الناس وانهم عبيد الدنيا ان اعطوا منها رضوا وان منعوا سخطوا وبانهم يوذون
رسول الله ويتسببون الى ما يراه الله منه او يعيبونه بما هو من كماله وفضله وانهم يقصدون
الخلوة فيه ولا يطلبون ارضاء رب العالمين وانهم يسخرون من المؤمنين وانهم يفرحون اذا
تخلفوا عن رسول الله ويكرهون الجهاد في سبيل الله وانهم يتحاملون على تعطيل فرائض الله
عليهم بانواع الحيل وانهم يرضون بالخلق عن طاعة الله ورسوله وانهم مطبوع على قلوبهم و
انهم يتركون ما اوجب الله عليهم مع قدرتهم عليه وانهم احلف الناس بالله فاتخذوا ايمانهم
جنة تقيهم من انكار المسلمين عليهم وهذا شان المنافق احلف الناس بالله كاذبا قد اتخذ عينه
جنة ووقاية يتقي بها انكار المسلمين عليه ووصفهم بانهم رجس والرجس من كل جنس اخبثه واقذره فهم
اخبث بني آدم واقذرهم وارذلهم وبانهم فاسقون وبانهم مصرة على الايمان يقصدون التفريق
بينهم ويوفون من حاربهم وحارب الله ورسوله وانهم يتشبهون بهم ويضاهونهم في اعمالهم
ليتوصلوا بها الى الاضرار بهم وتفويق كلمتهم وهذا شان المنافقين ابدا وبانهم مستمرون
على كفرهم بالله ورسوله وتربصوا بالمسلمين دوائر السوء وهذا عادتهم في كل زمان و
ارتيابهم في الدين فلم يصدقوا به وغرتهم الاماني الباطلة وغرهم الشيطان وانهم احسن الناس
اجساما لحبهم الراي اجسامهم واسامع منطقهم فاذا جاوزت اجسامهم وقولهم رايت

خشبا

خشبا مسندة لا ايمان ولا فقه ولا علم ولا صدق بل خشب قد كسيت كسوة ثروق
الناظر وليس وراء ذلك شيء واذا عرض عليهم التوبة والاستغفار لووها واعرضوا وهم
لا حاجة لهم اليها اما لان ما عندهم من الزندقة والجهل المركب مغن عنها وعن الطاعات جملة
كحال كثير من الزنادقة واما احتقارا وازدراء بمن يدعوهم الى ذلك ووصفهم سبحانه بالاستهزاء
به وبآياته وبرسوله وبانهم محرمون وبانهم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون
ايديهم عن الانفاق في مرضاته ونسيان ذكره وبانهم يتولون الكفار ويوالون المؤمنين
وبان الشيطان قد استحوذ عليهم وغلب عليهم حتى انساهم ذكر الله فلا يذكرونه الا قليلا
وانهم حزب الشيطان وانهم يوادون من حاد الله ورسوله وبانهم يتمنون ما نعت المؤمنين
وشق عليهم وان البغضاء بدت من افواههم وعلى فلتات السنتهم وبانهم يقولون
ما في قلوبهم مما ليس في قلوبهم ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب في
الحديث والخيانة في الامانة والغدر عند العهد والفجور عند الخصام والخلف عند الوعد وتاخير الصلاة
الى آخر وقتها وتغريرها بالعمل واسراعا وتركه حضورها جماعة وان اثقل الصلوات عليهم الصبح و
العشاء ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها الشح على المؤمنين بالخير والجبن عند الخوف فاذا زال
وجاء الامن سلقوا المؤمنين بالسنة حداد قهم لحد الناس السنة عليهم كما قيل
جهلا علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان الجهل والجبن وانهم عند الخوف تظهر كمائن
صدورهم ومخبآتها واما عند الامن فيحب ستره فاذا الحق المسلمين حرف ذئب عقارب تلوح
وظهرت مخبآت ودت الاسرار ومن صفاتهم انهم اعذب الناس السنة وامرهم قلوبا و
اعظم الناس تخاذلا بين اعمالهم واقوالهم ومن صفاتهم انهم لا يجتمع فيهم حسن صمت وفقه
في دين ابدا ومن صفاتهم ان اعمالهم تكذب اقوالهم وباطنهم يكذب ظاهرهم و
سرائرهم تناقض علانيتهم ومن صفاتهم ان المؤمن لا يثق بهم في شيء فانهم قاعدوا
لكل امر مخرجا منه بحق او بباطل يصدق او يكذب ولهذا سمى منافقا اخذا من نافقا
اليربوع وهو بيت يحفره ويجعل له اسرابا مختلفة فكل ما طلبت من سرب خرج
من سرب آخر فلا يتمكن طالبه من حصره في سرب واحد قال الشاعر

فانت منه كقيض

وينخرج اليربوع من نافائه ومن بيته ذو الشحة النيقضع

على الماء ليس معدا منه شئ ومن صفاتهم كثرة التلون وسرعة التقلب وعدم الثبات
على حال واحد بينما تراه على حال تعجبك بل دين او عباده او هوى صالح او صدق
اذا انقلب الى ضد ذلك كانه لم يعرف غيره فهو اشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا جيفة
بالليل قطربا بالنهار ومن صفاتهم انك اذا دعوتهم عند المنازعة التحاكم الى القرآن والسنة
ابوا ذلك واعرضوا عنه ودعوك الى التحاكم الى طواغيتهم قال تعالى الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا
ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت
ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا ومن صفاتهم معارضة ما جاء به الرسول بعقول
الرجال وارائهم ثم تقديمها على ما جاء به فهم موصوفون عند معارضون له زاعمون ان الهدى
في ارآء الرجال وعقولهم دون ما جاء به فلو اعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين
فكيف اذا جمعوا مع ذلك معارضة وزعموا انه لا يستفاد منه هدى ومن صفاتهم كتمان
الحق والتلبيس على اهله وربما لووا بادوائهم فيرموهم اذا امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ودعوا الى الله ورسوله بانهم اهل فتن مفسدون في الارض وقد علم الله ورسوله والمؤمنون
بانهم اهل الفتن المفسدون في الارض واذا دعاه ورثة الرسول الى كتاب الله وسنة رسوله
جاءوا بصدة غير مشوبة رموهم بالبدع والضلال واذا راوهم زاهدين في الدنيا راغبين في الاخرة
متمسكين بطاعة الله ورسوله رموهم بالمرائي والتلبيس والمحال واذا راوهم حققوا
العقول بالبسوه لباس الباطل واخرجوه في قالب ليقبل منهم وجملة امرهم انهم في المسلمين كالرغل
واذا كان في النقود بروج على اكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ويعرف حاله الناقد البصير من
الناس وقليل ما هم وليس على الارض اضر من هذا الضرب من الناس وانما يفسد الا
ديان من قبلهم ولهذا جلى الله امرهم في القرآن واوضح اوصافهم وبين احوالهم وكور
ذكرهم لشدة الموئنة على الامة بهم وعظم البلية عليهم بوجودهم بين اظهرهم وفرط حاجتهم

الى

الى معرفتهم والتحرز من مشابهتهم والاصغاء اليهم ثم قطعوا على السالكين الى الله طريق
الهدى وسلكوا بهم سبيل الردى وعدوهم وسوهم ولكن وعدوهم الغرور وسوهم
الويل والثبور فكم لهم من قتيل ولكن في سبيل الشيطان وسلب ولكن للباس التقوى
والايمان وايسر لا يرجى له الخلاص وفار من الله لا اليه وهيهات ولات حين مناص
صيحتهم توجب العار والشنار ومودتهم تجلب غضب الجبار وتوجب دخول النار من علقت
به كلاليب كلومهم ومخالب دائهم مزقت منه ثياب الدين والايمان وقطعت لحم مقطعات
من البلا والخذلان فهو يسحب من الحرمان والشقاوة اذيالا ويعيش على عقبيه القهقرى ادبارا
منه وهو حسب ذلك اقبالا فهم والله قطاع الطريق حقا فايها الركب المسافرون الى
منازل السعداء حذارا منهم حذارا وهم الجاروف السنتهم شفار البلايا وقلوبهم
ايها الغم وارا ومن البليه انهم الاعداء حقا وليس لنا بد من مصاحبتهم وخلطتهم اعظم الاداء
وليس بدا من مخالطتهم قد جعلوا على ابواب جهنم دعاة اليها فبعدا للمستجيبين ونفسا
شباكهم حوالينا على ما حفت به من الشهوات فويل للمفتونين نصبوا الشباك ومدوا الا
شراك واذن مؤذنهم بانشاء الانعام على الهلاك حي على الفلاح فاستبقوا اليه عون اليه
فاوردهم حياض العذاب لا الموارد العذاب واساءهم من الخسف والبلا اعظم حظهم فليس
بيوع فوا عجبا لمن نجا من اشراكهم الا لمن علق والى نجوا من علقت عليه شفاوته
ولها خلق فحقيق باهل هذه الطبقة ان يحلوا بالمحل الذي احلهم الله من دار الهوان
وان ينزلوا في اردى منازل اهل العناد والكفران وحسبك بيان العدو ومعرفة تحلون
خوفهم ان يكون من اهل هذه الطبقة ولهذا اشتد خوف سادة الامة وسابقوها على انفسهم
ان يكونوا منهم فكان عمر ابن الخطاب يقول يا حذيفة ناشدتك الله هل سماني رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع القوم فيقول لا ولا ازكي بعدك احدا يعني لا افتح على هذا الباب في
تزكية الناس ليس معناه انه لم يبق من النفاق غيره لا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
من اصحاب رسول الله كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل
ومكائل الطبقة السادسة عشر رؤساء الكفر وائمته ودعاته الذين كفروا وصدوا وعباد
الله عن الايمان وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة فهؤلاء عذابهم مضاعف ولهم عذابان
عذاب بالكفر وعذاب بصد الناس عن الدخول في الايمان قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن

الألوكة
www.alukah.net

سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب فاحد العذابين بكفرهم والعذاب الاخر
بصدهم عن سبيل الله وقد استقرت حكمة الله وعدله ان جعل على
الداعي الى الضلال مثل اثام من اتبعه واستجاب له ولاريب ان عذاب هذا
يتضاعف ويتزايد بحسب من اتبعه وضل به وهذا النوع في الاشقياء مقابل
دعاة الهدى في السعداء فاولئك يتضاعف ثوابهم وتعلو درجاتهم بحسب من
اتبعهم واهتدى بهم وهولاء عكسهم ولهذا كان فرعون وقومه في اشد العذاب
قال تعالى في حقهم النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل
فرعون اشد العذاب وهذا تنبيه على ان فرعون نفسه في الاشد من ذلك لانه اذا دخلوا
اشد العذاب تبعا له فانه هو الذي استحقهم فاطاعوه وغرهم فاتبعوه ولهذا يكون
يوم القيمة امامهم وفرطهم في هذا الورد قال تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار و
المقصود انهم استحقوا اشد العذاب لتغليظ كفرهم وصدهم عن سبيل الله وعقوبتهم
من آمن بالله فليس عذاب الروساء في النار كعذاب اتباعهم ولهذا كان في كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت فان عليك اثم الاريسيين والصحيح في
اللفظ انهم الاتباع ولهذا كان عدو الله ابليس اشد اهل النار عذابا وهو اول
من يكسى حلة من النار لانه امام كل كفر وشرك وشر فما عصي الله الا على يديه وبسببه
ثم الامثل فالامثل من نوابه في الارض ودعاته ولاريب ان الكفر يتفاوت ويكفر
اغلظ من كفر كما ان الايمان يتفاوت فايمان افضل من ايمان وكما ان المؤمنين
ليسوا في درجة واحدة بل هم درجات عند الله فكذلك الكفار ليسوا في طبقة واحدة
ودرك واحد بل النار دركات كما ان الجنة درجات ولا يظلم الله من خلقه احدا وهو الغني
الحميد ويغلظ الكفر الموجب لتغليظ العذاب يكون من ثلاثة اوجه
احدها من حيث العقيدة الكافر في نفسها كمن جحد رب العالمين بالكلية وعطل العالم
عن رب الخالق المدبر وكمن لم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا باليوم الاخر و
لهذا لا يقر ارباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء ولا تؤكل ذبائحهم ولا
تنكح نساؤهم اتفاقا ليتغلظ كفرهم وهولاء هم المعطلة والدهرية وكثير من
الفلاسفة واهل الوحدة القائلين بان لا وجود للرب سبحانه غير وجود هذا العالم

العالم

العالم الجهة الثانية تغليظ بالعناد والضلال عملا على بصيرة ككفر من شهد
قلبه ان الرسول حق ما جاء من ايات صدقه وكفر عنادا او بغيا كقوم ثمود وقوم فرعون
واليهود الذين عرفوا الرسول كما عرفوا ابناءهم وكفر ابي جهل وامية بن ابي الصلت وامثال
هولاء الجهة الثالثة السعي في اطفاء نور الله وصد عباده عن دينه عما تصل اليه قدرة
فهولاء اشد الكفار عذابا بحسب تغليظ كفرهم ومنهم من يجتمع في حقه الجهات
الثلاث ومنهم من يكون فيه جهتان منها او واحدة فليس عذاب هولاء كهذا
من هو دونهم في الكفر كما هو ملبوس عليه الجهلة والمتسمون من اذاهم في سلام
لا بالجهة من ادى ولم يتغلظ كفره كتغلظ كفر هولاء بل هو مقر بالله وواحد انيته
وملائكته وجنس الكتب والرسل واليوم الاخر وان سار كافرا ولكن في كفره
بالرسول قد زادوا عليه انواعا من الكفر وهل يستوي في النار عذاب ابي
طالب وابي لهب وابي جهل وعقبة ابن ابي معيط وامية بن خلف وامثالهم
والمقصود ان هذه الطبقة وهي طبقة الروساء الداعين الصادين عن دين
الله ليست كطبقة من دونهم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اهون
اهل النار عذابا ابو طالب ومعلوم ان كفر ابي طالب لم يكن مثل كفر ابي
جهل وامثاله الطبقة السابعة عشر طبقة المقلدين وجهال الكفرة وانباعهم
وحميرهم الذين هم معهم تبع لهم يقولون انا وجدنا اباءنا على امة وانا
على اثارهم مقتدون ومع هذا فهم يسلمون لاهل الاسلام غير محاربين لهم كنساء المحاربين
ورهبانهم وتباعهم الذين لم ينصبوا انفسهم لما نصب له اولئك انفسهم من
السعي في اطفاء نور الله وهدم دينه واخماد كلمته بل هم بمنزلة الدواب وقد
اتفقت الامة على ان هذه الطبقة كفار وان كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم
واعتمد الامام احمد على بعض اهل البدع انه لم يحكم لهولاء بالنار وجعلهم بمنزلة
من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به احد من ائمة المسلمين لا الصحابة
ولا التابعين ولا من بعدهم وانما يعزى الى بعض اهل الكلام المحدث في
الاسلام وقد صح عن النبي انه قال ما من مولود الا وهو يولد على الفطرة

فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاخبران المولود يتحول عن الفطرة الى اليهودية
والنصرانية والمجوسية ولم يعتبر في ذلك غير المربا والمنشا على ما عليه الابوان
وصح عنه انه قال ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وهذا المقلد ليس بمسلم
وهو عاقل مكلف والعاقل المكلف لا يخرج عن الاسلام او الكفر واما من لم تبلغه
الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال وهو بمنزلة الاطفال والمجانين وقد تقدم الكلام
عليهم والاسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والايمان بالله و
برسوله واتباعه فيما جاء به فمن لم يات العبد بهذا فليس بمسلم وان لم يكن كافرا
معاندا فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة انهم كفار جهال غير معاندين وعدم
عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا فان الكافر من جحد توحيد الله وكذب
رسوله اما عنادا او جهلا وتقليدا لاهل العناد فهذا وان كان غاية انه
غير معاند فهو متبع لاهل العناد وقد اخبر الله في القرآن في غير موضع بعذاب
المقلدين لاسلافهم من الكفار وان الاتباع مع متبوعهم وانهم يتحاجون في النار
وان الاتباع يقولون ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار فقال لكل ضعف و
لكن لا تعلمون وقال واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم
تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله
قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا فهذا اخبار من الله وتحذير بان المتبوعين والتا
بعين اشتركوا في العذاب ولم يغن عنهم تقليدهم شيئا واصرح من هذا قوله
تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الا

سباب

الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا وصح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اوزار
من اتبعه لا ينقص من اوزارهم شيئا وهذا يدل على ان كفر من اتبع اباءهم
وتقليدهم نعم لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الاشكال وهو
الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فاعرض عنه ومقلد لم يتمكن من
ذلك بوجه والقسمان وقعا في الوجود فالمتمكن المعرض مفرط تارك
للواجب عليه لا عذر له عند الله واما العاجز عن السوال والعلم الذي لا يتمكن
من العلم بوجه فهم قسمان ايضا احدهما مريد للهدى موثر له محب لو عرف قادر عليه
والاعلى طلبه لعدم من يرشده فهذا حكمه حكم ارباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة الثاني
معرض لا ارادة له ولا رغبة نفسه بغير ما هو عليه فالاول يقول يا رب لو اعلم لك
دينا خيرا مما انا عليه لطلبته به وتركت ما انا عليه ولكن لا اعرف سوى ما انا عليه ولا اوثر
على غيره لهو غاية جهدي ونهاية معرفتي والثاني راض بما هو عليه لا يوثر غيره عليه
ولا تطلب نفسه سواه ولا فرق عنده بين حال العجز وحال القدرة وكلاهما عاجز وهذا
لا يجب ان يلحق بالاول لما بينهما من الفرق فالاول لمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر
به فعذره عند الله بعد استفراغه الوسع في طلبه عجزا وجهلا والثاني لمن لم يطلبه بل مات
على شركه وان كان لو طلبه لم يجده عند فرق بين عجز الطالب وعجز المعرض فتامل هذا
الموضع والله يقضي بين عباده يوم القيمة بحكمه وعدله ولا يعذب الا من قامت عليه
حجة الله بالرسل فهذا مقطوع به في جملة الخلق واما كون زيد بعينه وعمرو قامت
عليه الحجة ام لا فقد لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه بل الواجب
على العبد ان يعتقد ان كل من دان بدين غير دين الاسلام فهو كافر وان الله سبحانه
لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه بالرسول هذا في الجملة والتعيين موكول
الى علم الله وحكمه هذا في احكام الثواب والعقاب واما في احكام الدنيا
فهو جار بيد على ما ظهر الامر فاطفال الكفار ومجانينهم كفار في احكام الدنيا

لهم حكم اوليائهم وبهذا التفصيل يزول الاشكال في المسالة وهو مبني على اربعة اصول احدها
ان الله سبحانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه كما قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وقال رسلا مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شئ وقال فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير وقال يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا
شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
وهذا كثير في القران يخبر به انما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة وهو
المذنب الذي يعترف بذنبه وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وا
لظالم من عرف ما جاء به الرسول او علق في معرفته ثم خالفه واعرض عنه واما
من لم يكن عنده من الرسول خبرا اصلا ولا علق من معرفته بوجه وعجز عن ذلك
كيف يقال انه ظالما الاصل الثاني ان العذاب يستحق بسببين احدهما الاعراض
عن الحق وعدم ارادته وعبوديها والثاني العناد لها بعد قيامها وتركه ارادة
موجبها فالاول كفر اعراض والثاني كفر عناد واما كفر الجهل مع عدم قيام
الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عليه حتى تقوم حجة
الرسل الاصل الثالث ان قيام الحجة تختلف باختلاف الازمنة والامكنة والا
شخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية
دون اخرى كما انها تقوم على شخص دون آخر اما لعدم عقله وتمييزه كالصغير
والمجنون واما لعدم فهمه لكن لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له فهذا
بمنزلة الاصم الذي لا يسمع شيئا ولا يتمكن من التفهم وهو احد الاربعة الذين
يدلون على الله بالحجج يوم القيمة كما تقدم في حديث الاسود وابي هريرة وغيرهما
الاصل الرابع ان افعال الله سبحانه تابعة لحكمته التي لا تخل بها وانها مقصودة
لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة وهذا الاصل هو اساس الظلم في

هذه

هذه الطبقات الامن عرف ما في كتب الناس ووقف على اقوال الطوائف في هذا الباب
وانتهى الى غاية مراتبهم وحقايقهم اخذا منهم والله الموفق للسداد الهادي الى الرشاد
واما من لم يثبت حكمة ولا تعليلا ورد الامر الى محض المشية التي ترجح احد
المثلين على الاخر بلا مرجح فقد راغ بنفسه من هذا المقام الضنك واقتحم
عقبات هذه المسايل العظيمة وادخلها كلها تحت قوله لا يسال عما يفعل وهم
يسالون وهو الفعال لما يريد وصدق الله وهو اصدق القايلين لا يسال عما يفعل
لكمال حكمته وعلمه ووضعه الاشياء مواضعها وانه ليس في افعاله خلل ولا عبث
ولا فساد يسال عنه كما يسال المخلوق وهو الفعال لما يريد ولكن لا يريد الا ما
هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة فلا يفعل الشر ولا الفساد ولا الجور مرادا خلاف مقتضى
حكمته لكمال اسمايه وصفاته وهو الغني الحميد العليم الحكيم لطيف الطيف
الثامنة عشر طبقة الجن وقد اتفق المسلمون على ان منهم المؤمن والكافر
البر والفاجر قال تعالى اخبارا عنهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرايق قددا قال مجاهد يعني مسلمين وكافرين وقال الحسن والسدي اشياعا
منهم قدريه ومرجيه وروافضه وقال سعيد بن جبير اهوا متشتتة وقال ابن
كيسان شيعا وفرقا ومعنى الكلام اصنافا مختلفة ومذاهب متفرقة ثم قيل
في اعراب الاية ومنا دون ذلك قوم دون ذلك فحذف الموصوف واقام صفته
مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي الا من له مقام معلوم وكقوله ومن
الذين هادوا سماعون للكذب اي فريق سماعون وكقوله الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه اي فريق يحرفون وكقوله على اظهر القولين ومن
الذين اشركوا ود احدهم اي فريق ود احدهم وقال الشاعر

فظلوا ومنهم دمعه سابق لهم وآخر يذري دمعه العين بالمهل

اي ومنهم من دمعه وقولهم كنا طرايق قددا بيان لقولهم منا الصالحون ومنا
دون ذلك اي كنا ذوي طرايق وهي المذاهب واحدها طريقة وهي المذهب والعقد
جمع قدة كقطعة وقطع وزنا ومعنى وهي من القد وهو القطع وقيل المعنى كنا

الألوكة
www.alukah.net

في اختلاف احوال المثل الطرائق المختلفة في اختلافها وعلى هذا فالمعنى كنا طرائق
قددا وليس بشئ واضعف منه قول من قال ان طرائق منصوب على الظرف اى كنا في
طريق مختلف كقوله كما غسل الطريق الثعلب وهذا ما لا يحمل عليه افصح الكلام
وقيل المعنى كانت طرائقنا طريق قددا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
وقال تعالى اخبارا عنهم وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فالمسلمون الذين امنوا بالله
ورسوله منهم والقاسطون الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا
لله اندادا يقال اقسط الرجل اذا عدل فهو مقسط وسمه واقسطوا ان الله يحب المقسطين
وقسط اذا جار فهو قاسط واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قد تضمنت هذه الآيات انقسامهم الى ثلاث طبقات صالحين ودون الصالحين وكفار وهذه الطبقات يارأ طبقات بنى آدم فانها ثلاثة ابرار ومقتصدون وكفار فالصالحون هم الابرار ومن دونهم هم المقتصدون والقاسطون هم الكفار وهذا كما قسم سبحانه بنى اسرائيل الى هذه الاقسام الثلاثة في قوله وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وقوله الناجون منهم تذكر الظالمين منهم خلف الذين خلفوا بعدهم وكان الانس اكمل من الجن واتم عقولا ازدادوا عليهم ثلاثة اضعاف اصناف اخر ليس شيء منها للجن وهم الرسل والانبياء والمقربون فليس في الجن صنف من هؤلاء بل غايتهم الصلاح ويذهب شذوذ من الناس الى ان فيهم الرسل والانبياء محتجا على ذلك بقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وبقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله منذرين وقد قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين وهذا قول شاذ لا يلتفت اليه ولا يعرف به سلف من الصحابة والتابعين وائمة الاسلام وقوله الم يأتكم رسل منكم لا يدل على ان الرسل من كل واحدة من الطائفتين بل اذا كانت الرسل من الانس وقد امرت الجن باتباعهم صح ان يقال للانس والجن الم يأتكم رسل منكم ونظير هذا ان يقال للعرب والعجم الم يجيئكم رسل منكم يا معشر العرب والعجم فهذا لا يقتضي ان يكون من هؤلاء رسل ومن هؤلاء وقال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وليس في كل سماء وقوله ولوا الى قومهم منذرين فالانذار اعم من الرسالة والاعم لا يستلزم الاخص قال

تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم فجعلوا النذر وليسوا برسل قال غير واحد من السلف الرسل من
الانس واما الجن فنفس النذر قال تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
من اهل القرى فهذا يدل على انه لم يرسل جنيا ولا امرأة ولا بدويا واما تسمية تعالى
الجن رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فلم يطلق عليهم
الرجال بل هي تسمية مقيدة بقوله من الجن فهم رجال من الجن ولا يستلزم ذلك
دخولهم في الرجال عند الاطلاق كما تقول رجال من حجارة ورجال من خشب ونحوه

وقد اتفق المسلمون على ان كفار الجن في النار وقد دل على ذلك القرآن
في غير موضع كقوله لاملأن جهنم الآية وقوله لاملأن جهنم منك
ومن تبعك الآية فملؤها منه ومن كفار ذريته وقال تعالى ادخلوا في امم قد
خلت من قبلكم من الجن والانس في النار وقال تعالى حكاية عن مؤمنهم وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون الى قوله حطبا وقال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس و
قال فلبكوا فيها هم والغاوون الآية وجنوده ان لم يختص بالشياطين من فهم
داخلون في عمومه وبالجملة فهذا امر معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو
يستلزم تكليف الجن بشرائع الانبياء ووجوب اتباعهم لهم فاما اثر يعتنا فاجمع
المسلمون على ان محمدا بعث الى الجن والانس وان يجب على الجن طاعته كما يجب على الانس
واما قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
في النار يدل على ان الامم الخالية من كفار الجن في النار وذلك انما يكون بعد اقامة الحجة عليهم
بالرسالة وقد دل سورة الرحمن على تكليفهم بالشرائع كما كلف الانس ولهذا يقول في
اثر كل اية فباى الآء ربكما تكذبان فدل ذلك على ان السورة خطاب للثقلين معا ولهذا
تلاها رسول الله على الجن قراءة تبليغ واصحابه انهم كانوا احسن ردا منكم فانهم كلما
جعلوا يقولون كلما قرأ عليهم فباى الآء ربنا تكذبان لا نكذب بشئ من الآئك
ربنا فلك الحمد ولما كان ابو هم هو اول من دعى الى معصية الله وعلى يديه حصل كل كفر
وفسوق وعصيان فهو الداعي الى النار وكان اول من يكسى حلة من النار يوم القيمة

يسعها وينادي وابتوراه وابتاعه من اولاده وغيرهم خلفه ينادون ويثبورهم
حتى قيل ان كل عذاب يقسم على اهل النار يبدأ به فيه ثم يصير اليهم
واما حكم مومنيهم في الدار الاخرة فجمهور السلف والخلف على انهم
في الجنة وترجم على ذلك البخاري في صحيحه فقال باب ثواب الجن وعقابهم
لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي
الاية خسا نقصانا قال مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال كفار
قريش الملائكة بنات الله وامهاتهم بنات سروات الجن قال الله ولقد علمت الجنة
الاية ستحضر للحساب ثم ذكر حديث ابي سعيد اذا كنت في غنمك وباديتك
فاذنت بالصلوة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن
جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيمة بالتوحيد سمعته من رسول الله
هذا ما ذكره في الباب وقد ذهب جمهور الناس الى ان مومنهم في الجنة
وحكي عن ابي حنيفة وغيره ان ثوابهم نجاتهم من النار واحتج لهذا القول
بقوله تعالى حكايته عنهم يا قومنا اجيبوا داعي الله الاية فجعل غاية ثوابهم
اجارتهم من العذاب الاليم واما الجمهور فقالوا مومنهم في الجنة ان عملوا
في النار ثم اختلفوا فاطلق اكثر الناس دخول الجنة ولم يقيدوه وقال سهل
ابن عبد الله يكونون في ربض الجنة يراهم المؤمنون من حيث لا يرونهم لهذه
مذاهب الناس فيهم احكامهم في الاخرة واما احكامهم في الدنيا فاختلف الناس
هل هم مكلفون بالامر والنهي ام هم مضطرون الى افعالهم على قولين
حكاهما ابو الحسن الاشعري في كتاب المقالات له فقال واختلف
الناس في الجن هل هم مكلفون ام مضطرون فقال قائلون من المعتزلة
وغيرهم هم مامورون منهيون وقد امروا ونهوا وهم مختارون وزعم
زاعمون انهم مضطرون قلت الصواب الذي عليه جمهور اهل الاسلام انهم
مامورون منهيون مكلفون بالشريعة الاسلامية وادلة القران والسنة على ذلك
اكثر من ان تحصر فاضافة هذا القول الى المعتزلة بعيد لان يقال ذهبت المعتزلة

الى

الى القول بعاد الايمان وغير ذلك مما هو من اقوال سائر اهل الاسلام وقال تعالى وليكن
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم الاية فاخبر ان منهم من حق عليه القول اي وجب عليه العذاب وانهم خاسرون ولا يكون ذلك الا
في اهل التكليف المستوجبين العقاب باعمالهم ثم قال بعد ذلك ولكل درجات
مما عملوا اي في الخير والشر يوفونها ولا يظلمون شيئا من اعمالهم وهذا ظاهر جدا في
ثوابهم وعقابهم وان مسيئهم كما يستحق العذاب بالسيئة فمحسنهم يستحق الدرجات
باحسانه ولكل درجات مما عملوا فدل ذلك على ان الجن كانوا مامورين بالشرايع
متعبدين بها في الدنيا ولذلك استحقوا الدرجات باعمالهم في الاخرة في الخير والشر وقال
تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس الاية ومعنى الاية ان الله قيض للمشركين اي
سبب لهم قرناء من الشياطين يزينون لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي امور غيبهم في الدنيا
وحرصهم عليها وقال الحسن ما بين ايديهم هو حب ما كان عليه اباؤهم من الشرك و
تكذيب الرسل وما خلفهم تكذيبهم بالبعث وما بعده وفي الاية قول رابع وهو ان التزيين
كله راجع الى اعمالهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اعمالهم التي عملوها وما خلفهم الاعمال التي هم
عازمون عليها وما يعملونها بعد وكان لفظ التزيين بهذا القول اليق ومن جعل ما خلفهم
هو الاخرة لم يستبح قوله الا ضرار اي زينوا لهم التكذيب بالاخرة ومع هذا فهو قول يستقيم
ظاهر ما فهم زينوا لهم ترك العمل لها والاستعداد للقائها وهذا كان عليه جمهور اهل
التفسير حتى لم يذكر البغوي غيره وحكاه عن الزجاج وقال الزجاج سببنا لهم
قرناء تظن ان الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم من امر
الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب به
وانكار البعث والمقصود ان قوله تعالى وحق عليهم القول في امم قد خلت من
قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اي وجب عليهم العذاب مع امم قد مضت
من قبلهم من الجن والانس ففي هذا ابين دليل على تكليف الثقلين وتعلق الامر والنهي

الألوكة
www.alukah.net

بهم وكذلك تعلق بهم الثواب والعقاب وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا الى قوله الا ما شاء الله وهذا صريح في تكليفهم فان هذا القول يقال الجن في القيمة فيذكر الانس استمتاع بعضهم ببعض في الدنيا وذلك الاستمتاع هو ما بين الجن والانس من طاعتهم اياهم في معصية الله وعبادتهم لهم دون الله ليستجيبوا لهم على شهواتهم واغراضهم فانهم كانوا يستوحونهم ويعوذون بهم ويذبحون لهم وبأسمائهم ويتوالونهم من دون الله كما هو شان اكثر المشركين من اولياء الشيطان فهذا هو استمتاع بعضهم ببعض ولهذا يقول تعالى للملائكة يوم القيمة وقد جمع العابدين والمعبودين اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فصولا عباد الجن واولياء الشياطين والكفرهم بعبادتهم ذلك ورضى به لما ينال به من المتعبد بمعبوده وكثير منهم ملبوس عليه فهو يعبد الشيطان ولا يشعر وقد اشار زيد ابن عمرو بن نفيل في شعره الى هذا الشرك بالجن فقال حنانيك ان الجن كانت رجاءهم وانت الهي ربنا ورجاؤنا فلهذا يقولون في القيمة ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال الله تعالى النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله فهذا خطاب للصنفين وهو صريح في اشراكهم في التكليف كما هو صريح في اشتراكهم في العذاب وهذا كثير في القرآن ومما يدل على تكليفهم ايضا قوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم الى قوله كافرين فلما اعترفوا بانهم كانوا كافرين وشهد على انفسهم بالكفر دل ذلك على تكليفهم وتوجه الخطاب اليهم وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا الى قوله اولئك في ضلال مبين فهذا يدل على تكليفهم من وجوه متعددة احدها ان الله سبحانه صرفهم الى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به ويتموا بامره وينتهوا عما نواهيه الثاني انهم ولوا الى قومهم منذرين والانذار هو الاعلام بالخوف بعد انعقاد اسبابه فعلم انهم منذرون لهم بالنار ان عصوا الرسول الثالث انهم اخبروا انهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه وانه يهدي الى الحق وهذا القول منهم يدل على انهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه وان

القرآن مصدق له وانه هاد الى صراط مستقيم وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة وهم قادرون على امتثال ما فيه والتكليف انما يستلزم العلم والقدرة الرابع انهم قالوا لقومهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به وهذا صريح في انهم مكلفون مأمورون باجابة الرسول وهي تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر الخامس انهم قالوا يغفر لكم من ذنوبكم والمغفرة لا تكون الا عن ذنب وهو مخالفة الامر السادس انهم قالوا من ذنوبكم والذنب مخالفة الامر السابع انهم قالوا ويجركم من عذاب اليم وهذا يدل على ان من لم يستجب منهم لداعي الله لم يجره من العذاب الاليم وهذا صريح في تعلق الشريعة الاسلامية بهم الثامن انهم قالوا ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن اجابة داعي الله منهم وقد استدل بهذا انهم كانوا متعبدين بشريعة موسى كما هم متعبدون بشريعة محمد وهذا ممكن والآية لا تستلزمه ولكن قوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الآية يدل على ان الجن كانوا متعبدين بشرائع الرسل قبل محمد والآيات المتقدمة تدل على ذلك ايضا وعلى هذا فيكون اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالبعثة الى الثقلين هو اختصاصه بالبعثة الى جميعهم لا الى بعضهم ومن قبله كان يبعث الى طائفة مخصوصة وايضا فقد قال تعالى عن نبيه سليمان ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وهذا محض التكليف وقد تقدم قوله تعالى حكاية عنهم وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم الى قوله لجهنم حطبا وقد صح ان رسول الله قرأ عليهم القرآن وانهم سألوه الزاد لهم ولدوابهم فجعل لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه وكل بعرة علف لدوابهم ونهانا عن الاستنجاء بهما ولو لم يكن في هذا الا قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد اخبر انه يعذب كفرة الجن لكفى به حجة على انهم مكلفون باتباع الرسل ومما يدل على انهم مأمورون منهيون بشريعة الاسلام ما تضمنته سورة الرحمن فانه سبحانه ذكر خلق النوعين في قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار الى قوله من مارج من نار ثم خاطب النوعين بالخطاب المقتضي لاستدعاء الايمان منهم وانكار تكذيبهم بالآيه

تكذيبهم بالآيه وتوعيدهم فى وعده وتحويفهم من وعيده وتقديدهم بقوله
ستفرغ لكم ايها الثقلان وتحويفهم من عواقب ذنوبهم وانه يعلمها لا يحتاج ان
يساءلهم عنها سوال استعلام بل يعرف المجرمون منهم بسيماهم فيوخذ بالنواصى و
بنواصيهم والاقدام ثم ذكر عقاب الصنفين وثوابهم وهذا كله صريح فى انهم
هم المكلفون المامورون المنهيون المثابون المعاقبون وفى الترمذى من حديث محمد
بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال خرج رسول الله على اصحابه فقرا عليهم سوره
الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قرانها على الجن ليله الجن وكانوا
احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على اية فنادى الاية بكاذبان قالوا لا بشى
من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وهذا يدل على ذكائهم وفطنتهم وبعثتهم بوقع
الخطاب وعلمهم انهم مقصودون به وقوله فى هذه السوره سنفرغ لكم ايها
الثقلان وعيد الصنفين المكلفين بالشرايع قال قتاده معناه فراغ الدنيا وا
نقضاؤها ومجى الاخره والجزا فيها والله سبحانه لا يشغله شى عن شى والفراغ فى اللغه
يكون على وجهين فراغ من الشغل وفراغ بمعنى القصد وهو فى هذا الموضع بالمعنى
الثانى وهو قصد لمجازاتهم باعمالهم يوم الجزا وقوله يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا فيها قولان احدهما
ان استطعتم ان تنفذوا ما فى السموات والارض علما اى ان تعلموا ما فيهما فاعلموه
ولن تعلموه الا بسلطان اى الا بيينه من الله وعلى هذا فالنفوذ ها هنا نفوذ علم
الثقلين فى السموات والارض الثانى ان استطعتم ان تخرجوا عن قهر الله ومحل
سلطانه وملكته بنفوذكم من اقطار السموات والارض وحروجكم عن محل حكم
الله وسلطانه فافعلوا ومعلوم ان هذا من الممتنع عليكم فانكم تحت سلطانى
وفى محل ملكه وقدرتى اين كنتم وقال الضحاك معنى الاية ان استطعتم ان تفروا عند
الموت فاهربوا فانه مدركم وهذه الاقوال على ان يكون الخطاب لهم بهذا القول
فى الدنيا وفى الاية تقديم اخر وهو ان يكون هذا الخطاب فى الاخرة اذا احاطت الملايكه

باقطار الارض واحاط سرادق النار بالافاق فحرب الخلايق فلا يجدون مهربا ولا منفذا
كما قال تعالى ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين قال مجاهد فارين غير
معجزين وقال الضحاك اذا سمعوا زفير النار هربوا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا
وجدوا الملايكه صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قوله والملك على
ارجائها وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا وهذا القول اظهر والله اعلم فاذا بدلت الخلايق وولوا مدبرين يقال
لهم ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا اى ان قدرتم ان
تتحيزوا اقطار السموات والارض فانفذوا فتحيزوا ربكم حتى لا يقدر على هذا بشر
فافعلوا وكان ما قبل هذه الاية وما بعدها يدل على هذا القول فان قبلها سنفرغ لكم ايه
وهذا فى الاخره وبعدها فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان وهذا فى الاخره و
ايضا فان هذا خطاب لجميع الانس والجن فانه اتى فيه بصيغه العموم وهى قوله يا معشر
الجن والانس فلا بد ان يشترك الكل فى سماع هذا الخطاب ومضمونه وهذا انما يكون
اذا جمعهم الله فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وقال تعالى ان استطعتم
ولم يقل ان استطعتما لارادة الجماعه كما فى اية اخرى يا معشر الجن والانس الم ياتكم ورسل
يرسل عليكما ولم يقل يرسل عليكم لارادة الصنفين اى لا يختص به صنف دون صنف بل يرسل
ذلك على الصنفين معا وهذا وان كان مرادا بقوله ان استطعتم فخطاب الجماعه فى ذلك
بلفظ الجمع احسن اى من استطاع منكم وحسن الخطاب بالتثنيه فى قوله عليكما امرا
اخر وهو موافقه رؤس الاى فانها تصلت التثنيه بالتثنيه وفيه التسويه بين الصنفين
فى العذاب بالنصيص عليهما فلا يحتمل اللفظ ارادة احدهما والله اعلم قال ابن عباس
الشواظ اللهب الذى لا دخان فيه والنحاس الدخان الذى لا لهب فيه وقوله فيومئذ
لا يساءل عن ذنبه انس ولا جان فاضاف الذنوب الى الثقلين وهذا دليل على انهما
سويا فى التكليف واختلف فى هذا السوال المنفى فقيل هو وقت البعث والمصير الى
الموقف لانهم يسالون حينئذ ويسالون بعد اطاله الوقوف واستشفاعهم الى الله ان

الألوكة
www.alukah.net

بحاسبهم ويوبخهم من مقامهم ذلك وقيل المنفي سؤال الاستعلام والاستخبار لا سؤال المحاسبة والمجازاة اى قد علم الله ذنوبهم فلا يسألهم عنها سؤال من يريد علمها ولقائل ان يقول كيف نفى المسألة هنا مع قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فاذا علم تكليفهم بشرايع الانبياء ومطالبتهم بها وحشرهم يوم القيمة للثواب والعقاب علم ان محسنهم في الجنة كما ان مسيئهم في النار وقد دل على ذلك قوله تعالى حكاية عن مؤمنهم وانا ما سمعنا الهدى امنا به فمن يومن بربه الاية وفيه الجمع احتج البخاري ووجه الاحتجاج بها ان الخير المنفي هو نقصان الثواب والرهق الزيادة في العقوبة على ما عمل فلا ينقص من ثواب حسناته ولا يزاد في سيئاته ونظير هذا قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن الاية اى لا يخاف زيادة سيئاته ولا نقصان من حسناته وايضا فقد قال تعالى في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي الاء ربكما تكذبان وذكر ما في الجنتين الى قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وهذا يدل على ان ثواب محسنهم الجنة من وجوه احدها ان من للتبعيض فتفاوت كل خائف الثاني انه رتب الجزاء المذكور على خوف مقامه فدل على استحقاقه به وقد اختلف في اضافة المقام الى الرب هل هي من اضافة المصدر الى فاعله او الى مفعوله على قولين احدهما ان المعنى ولمن خاف مقامه بين يدي ربه فعلى هذا هو من اضافة المصدر الى المفعول والثاني ان المعنى ولمن خاف مقام ربه عليه واطلاعه عليه وهو من باب اضافة المصدر الى فاعله وكذلك القولان في قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ونظيره قوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فهذه ثلاثة مواضع وقد يقال الراجح هو الاول وان المعنى خاف مقامه بين يدي ربه لوجوه احدها ان طريقة القرآن في التخويف ان الخوف يقع بالله وباليوم الآخر فاذا خوفهم به علق الخوف به لا بمقامه عليهم كقوله تعالى فلا تخافوهم وخافون وقوله ذلك لمن خشي ربه وقوله يخافون ربهم من فوقهم وقوله ان الذين يخشون ربهم بالغيب في هذا كله لم يذكر خشيته مقامه عليهم وانما مدحهم بخوفه وخشيته وقد يذكر الخوف متعلقا بعذابه كقوله يرجون رحمته ويخافون عذابه واما

خوف

خوف مقامه عليهم فهو وان كان كذلك فليس طريقة القرآن الثاني ان هذا نظير قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم فخوفهم ان يحشروا اليه هو خوفهم من مقامهم بين يديه والقرآن يفسر بعضه بعضا الثالث ان خوف مقام العبد بين يدي ربه في الاخرة لا يكون الا لمن يومن بلقائه وباليوم الاخر وبالبعث بعد الموت وهذا هو الذي يستحق الجنتين المذكورتين فانه لا يومن بذلك حق الايمان الا من امن بالرسل وهو من الايمان بالغيب الذي جاءت به الرسل واما مقام الله على عبده في الدنيا واطلاعه عليه وقدرته عليه فهذا يقر به المؤمن والكافر والبر والفاجر واكثر الكفار يخافون جزاء الله لهم في الدنيا لما عاينوه من مجازاته الظالم بظلمه والمحسن باحسانه واما مقام العبد بين يدي ربه في الاخرة فلا يومن به الا المؤمن بالرسل فان قيل اذا كان المعنى انه خاف مقام ربه عليه في الاخرة بالجزاء فقد استوى التقديران فمن اين رجحتم احدهما قيل التخويف بمقام العبد بين يدي ربه ابلغ من التخويف بمقام الرب على العبد ولهذا خوفنا تعالى في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ولانه مقام مخصوص مضاف الى الله وذلك في يوم القيمة بخلاف مقام الله على العبد فانه كل وقت وايضا فانه لا يقال لقدرة الله على العبد واطلاعه عليه وعلمه به مقام لله ولهذا ان الخوف اطلاقه على الرب وايضا فان المقام في القرآن والسنة انما يطلق على المكان كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقوله كم تركوا من جنات وعيون الاية خير امقاما واحسن نديا والمقصود ان قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان يتناول الصنفين من وجوه لعدم منها وجهان الثالث قوله عقيب هذا الوعد فبأي الاء ربكما تكذبان الرابع انه ذكر في وصف نسائهم انهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وهذا والله اعلم بمعنى انه لم يطمث نساء الانس انس قبلهم ولا نساء الجن جن قبلهم ومما يدل على ان ثواب الجنة قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ان

انا لا نضيع الى قوله من تحتهم الانهار واشال هذه من العمومات وقد ثبت
ان منهم المومنين فيدخلون الجنة مع كما ان كافرهم يدخل في الكافرين المخلدين
المستحقين للوعيد ولا فرق بل بين دخول مومنهم في ايات الوعد اولى من
دخول كافرهم في ايات الوعيد فان الوعد فضله والوعيد عدله وفضله من
رحمته وهي تغلب غضبه وايضا فان دخول عاصيهم النار انما كان لمخالفته امر الله
فاذا اطاع الله ادخل الجنة وايضا فانه لا دار للمكلفين سوى الجنة والنار وكل من
لم يدخل النار من المكلفين فالجنة مثواه وايضا فقد ثبت انهم اذا اجابوا
داعي الله غفر لهم ولجارهم من عذابه وكل من غفر له دخل الجنة ولا بد وليس فايدة
المغفرة الا الفوز بالجنة والنجاة من النار وايضا فانه قد ثبت ان الرسول مبعوث
اليهم وانهم مكلفون باتباعه فان مطيعهم لله ورسوله مع الذين انعم الله عليهم
لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية
فقد اخبر سبحانه عن ملائكة حملة العرش ومن حولهم انهم يستغفرون للذين
امنوا وانهم يقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
الى قوله وعدتهم فدل على ان كل مؤمن غفر الله له ووقاه عذاب الجحيم فقد
وعده الجنة وقد ثبت في حق مؤمنهم الايمان ومغفرة الذنب ووقاية
النار كما تقدم فتعين دخولهم الجنة والله اعلم واذا ثبت تكليفهم وانقسامهم
الى المسلمين والكفار والصالحين ودون ذلك كفهم في الموازنة
على نحو طبقات الامم المتقدمة الا انهم ليس فيهم رسول وافضل ذكر
درجاتهم درجة الصالحين ولو كان لهم درجة افضل منها لذكروها
فقد دل القران على انقسامهم الى ثلاثة اقسام صالحين ودونهم و
كفار وزاد عليهم الامم لدرجة الرسالة والنبوة ودرجة المؤمنين
والله اعلم فهذا ما وصل اليه الاحصا من طبقات المكلفين في الدار الا
خرة وهي ثماني عشر طبقة وكل طبقة منها اعلى وادنى ووسطوهم

درجات

درجات عند الله والله تعالى تحشر الشكل مع شكله والنظير مع نظيره ويقرن
بينهما في الدرجة قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله قال الامام احمد وقبله عمر ابن الخطاب ازواجهم اشباههم ونظراؤهم
وقال تعالى واذا النفوس زوجت روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سيل
عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين
الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقتادة يلحق كل امرء بطبقته
اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني وقال الربيع ابن خيثم يحشر الرجل
مع صاحب عمله وفي الاية ثلاثة اقوال احدها ان تزويج النفوس اقترانها
باجسادها ورجوعها اليها الثاني تزويجها اقترانها باعمالها الثالث انه تزويج
المومنين الحور العين وتزويج الكفار بالشياطين والقول الاول اظهر الاقوال
والله اعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتبه الفقير الى مولى عم احسانه عبد القادر
ابن محمد بن حوم ابن موسى ابن حبيش بياع الغانية
سائلا من تخراميه الدعاله ولوالديه بالثبات
على دين الاسلام والغفران والحمد لله رب العالمين
الذي بنعمه تتم الصالحات وصلى الله على محمد وآله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(دعاء)

من تفسير الوصول للعلامة ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع الشيباني

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حين فرغ من صلاته يقول اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وترد بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصرت عنه رأيي ولم تبلغه مسألتي ولم تبلغه نيتي من خير وعدته احدا من خلقك او خير انت معطيه احدا من عبادك فاني ارغب اليك فيه واسألكه برحمتك يا رب العالمين اللهم يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لاوليائك حربا لاعدائك نحب بحبك من احبك ونعادي بعداوتك من خالفك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة اللهم هذا الجهد وعليك التكلان اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي اللهم اعظم لي نورا واعطني نورا واجعل لي نورا سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي المجد والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام اخرجه الترمذي

شعثي اي جمع بها متفرق امري وتزكي تطهر تجير بين البحور اي تمنع لجة عن لجة من الاختلاط بالاخر الحبل السبب او القران او الدين اللهم السلام المصالح والرضى ضد السخط تتمة بالمصدر الجهد بفتح الجيم المشقة وبضم الطاقة والقدرة والمراد به النور المسئول في جميع ما تقدم ضياء الحق وبيانه تعطف بالعز اي ترداه على سبيل التمثيل ومعناه الاختصاص بالعز والالتفاف به ومعنى وقال به اي حكم فلا يرد حكمه انتهى